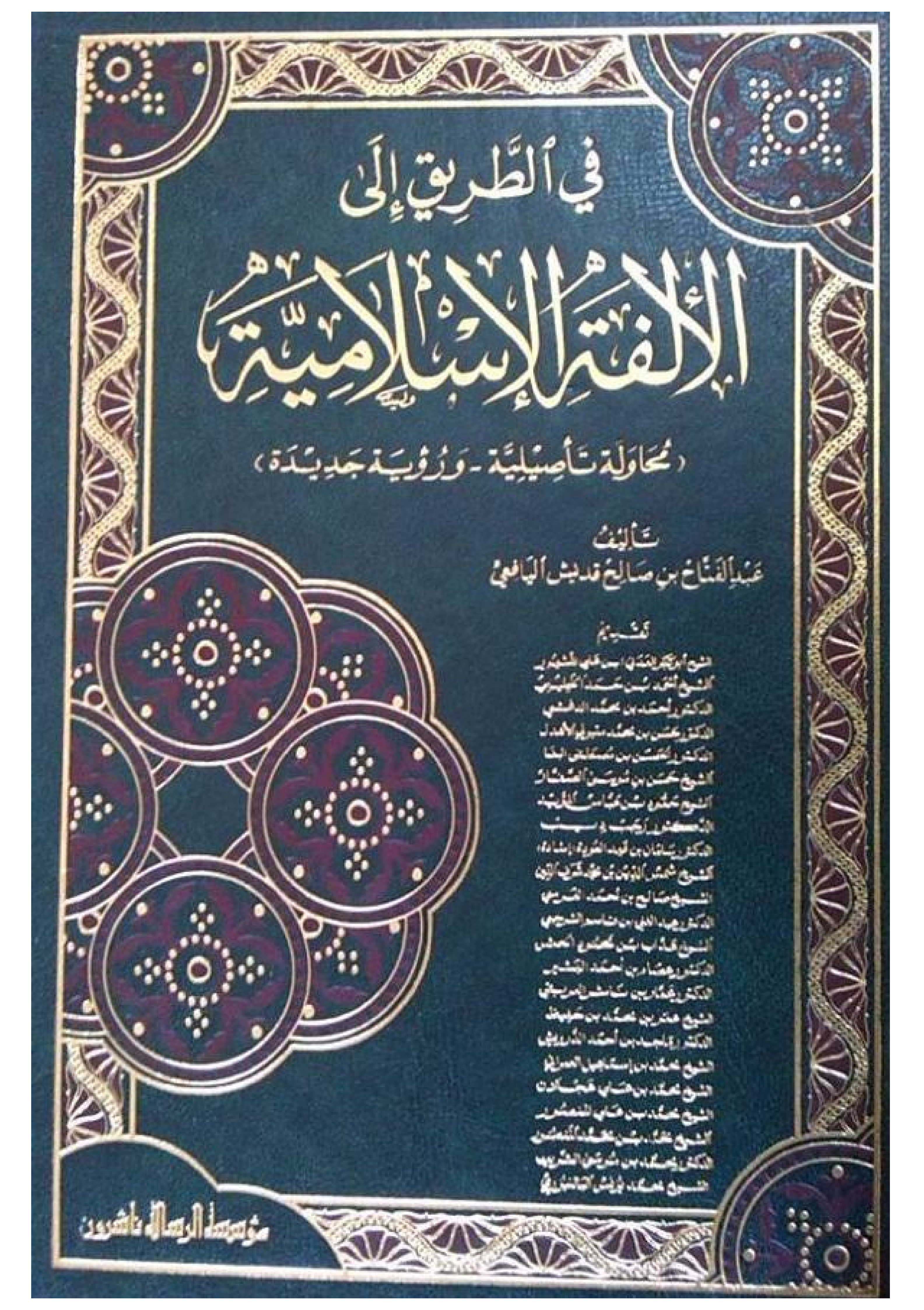

في الطريق إلى
الألفة الإسلامية
(محاولة تأصيلية - ورؤية جديدة)
تأليف
عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي
تقديم
مؤسسة الرسالة ناشرون

في

الطريق إلى الألفة الإسلامية

(محاولة تأصيلية – ورؤية جديدة)

تأليف

عبد الفتاح بن صالح قُدَيش اليافعي

تقديم

الشيخ أبو بكر العدني ابن علي المشهور
الشيخ أحمد بن حمد الخليلي
الدكتور أحمد بن محمد الدغشي
الدكتور حسن بن محمد مقبولي الأهدل
الدكتور الحسن بن مصطفى البغا
الشيخ حسن بن موسى الصفار
الشيخ حمود بن عباس المؤيد
الدكتور رجب ديب
الدكتور سلمان بن فهد العودة (إشادة)
الشيخ شمس الدين بن محمد شرف الدين
الشيخ صالح بن أحمد الغرسي
الدكتور عبد الغني بن قاسم الشرجبي
الشيخ عداب بن محمود الحمش
الدكتور عصام بن أحمد البشير
الشيخ عمار بن ناشر العريقي
الشيخ عمر بن محمد بن حفيظ
الدكتور ماجد بن أحمد الدرويش
الشيخ محمد بن إسماعيل العمراني
الشيخ محمد بن علي عجلان
الشيخ محمد بن علي المنصور
الشيخ محمد بن محمد المنصور
الدكتور محمد بن موسى الشريف
الشيخ يحي بن أبي بكر الملا الأحسائي
الشيخ يونس بن محمد عمر البالنبوري

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى العلماء والمفكرين

إلى الدعـــاة والمصلحين

إلى الباحثين عن الحقيقة

إلى من الحكمة ضالتهم

إلى من الحق مبتغاهم

إلى المتجردين

إلى المنصفين

أهدي هذا البحث

كلمة شكر واعتذار

في البدء أشكر الله تعالى على ما وفق وأنعم، وسدد وألهم، وأعان ويسر وتكرم، فلك الحمد ربي ولك الشكر، حمدا وشكرا كثيرا طيبا مباركا فيه.

وعملا بالحديث الشريف (من لا يشكر الناس لا يشكر الله) واعترافا بالجميل، أتوجه بالشكر الجزيل إلى المشايخ الذي تكرموا بالتقديم للبحث وبذلوا من أوقاتهم، فجزاهم الله عنا خير الجزاء، وليبشروا فقد شاركوا بذلك في التأليف بين المسلمين، وأخص بالشكر فضيلة الشيخ مجد بن أحمد مكي على ما أبده من تفاعل مع البحث فقد كان له الدور الكبير في التعريف بالبحث عند بعض المشايخ.

وأعتذر للمشايخ الذين تم إرسال الكتاب إليهم و لم تصلني تقديماتهم إلى حين طباعة الكتاب لمشاغلهم وكثرة أعمالهم، وذلك لكثرة إلحاح المحلين علي بالتعجيل بطباعة الكتاب، حيث طالت المدة بين تأليف الكتاب وطبعه فتجاوزت العام والنصف، وكذا أعتذر للمشايخ الذين لعلهم أرسلوا تقديماتهم بالبريد الالكتروني أو البريد العادي أو عبر أشخاص و لم تصلني تلك التقديمات، وذلك لأني لما اتصلت ببعض المشايخ أخبرني بأنه قد أرسل التقديم عبر الإيميل ومع ذلك لم يصلني، وأخبرني بعضهم بأنه قد أرسل التقديم عبر بعض الأشخاص و لم يصلني أيضا، ومع ذلك فأنا بانتظار تقديمات الكل لترفق بالكتاب في الطبعة الثانية إن شاء الله

ثم أتوجه بالشكر الجزيل لكل من أعان الفقير في بحثه بملاحظة أو فائدة أو إشارة لمصدر أو تأييد أو شد أزر أو غير ذلك، وأخص بالشكر الشيخ الفاضل أمين بن صالح الحداء الذي تكرم بمراجعة البحث وإبداء الملاحظات وإسداء الفوائد والتعريف ببعض المصادر والتشجيع على إخراج البحث على أحسن صورة حتى كأنه صاحب البحث، وهذا هو دأبه في كثير من أبحاث الفقير، فجزاه الله عنا خير الجزاء وأجزل له الأجر والمثوبة .

تقديمات المشايخ بحسب حروف الهجاء

تقديم الشيخ/ أبو بكر العدني ابن علي المشهور

الموجه العام لأربطة التربية الإسلامية

ومراكزها التعليمية والمهنية (اليمن– عدن)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وبعد..

فيسرني أن أقتدي بالعديد من العلماء الأفاضل الذين اطلعوا على كتاب (الطريق إلى الألفة الإسلامية) لمؤلفة الأخ الحريص على سلامة العلاقة الإسلامية بين المسلمين؛ (عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي) بارك الله فيه وتناولوا الإشادة بالكتاب وموضوعه

والحقيقة أنني أحب العمل في هذا الميدان وأسعى إليه، ووجدت فيما كتبه وتحرى الجمع فيه الأخ المبارك أنموذجا مفيدا لما تحتاجه الأمة، ولا حرج في تبني مثل هذه الأفكار المهمة وترويجها بأسلوب جامع ونفَس ذوقي سليم، وقد تحركت شاعريتي القاصرة وجرى على ذهني بعض أبيات معبرة عن رأيي في الموضوع، فقلت وبالله التوفيق:

ما أحوج الكل إلى التقريب ... وألفة الإسلام بالترغيب

وجمـــــع كل عالم وتابع ... بلغة التيسير والتصويب

هذا الكتاب بين أيدينا أتى ... لشرح هذا المبدأ المصيب

قد أجهد (القديش) فيه ذهنه ... من حيث كانت وصفة التطبيب

والاعتدال في الأمور شرف ... كما أتى في النص والتبويب

وأصل هذا الأمر دين المصطفى ... منه عرفنا العدل في الترتيب

لكنما الشيطان من مبدئه ... مواقف التحريش والتخريب

فاستحوذ الوعي بوسواس الأنا ... وحرف العلم عن المطلوب

فأفرط البعض بفهم قاصر ... وفرط البعض إلى المقلوب

فكان ما كان وهذا خطأ ... والخير في التوسط المندوب

يا داعيا لألفة محمـــــــــودة ... رعاك ربي سر على الدروب

فقد وضعت في الكتاب منهجا ... يدعو لترك الشك والحروب

وعارضا أدلــة مهــــــــمة ... لقاسم مشترك محبـــــوب

وكلنا ندعو لهذا شرفـــــــا بل واجبا يغني عن التجريب

ومن أبى فإنمـــــا لعـــــلة أو ربما لدافع محجــــــوب

وصاحب الحجة معذور بها بشرطها في منهج التهذيب

***

يا أيها الإخوان يكفي فرقة طال المدى والهم في القلوب

مالي أرى علومنا تحــــولت حربا ضروسا في زمان الشوب

حتى فتحنا للعدو ثغـــــــرة أودت بنا لأسوأ النــــــدوب

وانطلق الشيطان في جنوده سعيا إلى الإفساد والتذويب

حتى غدت أجيالنا مفتونة بواقع التعليــــــم والتعليب

ولوثة الدنيا وما يحلو لهـــــــا مـــن متعة الألعاب والتشبيب

هلا فقهنا الأمر من جذوره نعالج الجـــــــراح بالتطبيب

يا ليتنا وليتنا في عصرنـــــا نسعى جميعا للهدى المطلوب

ولو على تدرجٍ منســـقٍ يحيطه الوعيُ من الأريب

والختم بالمختار خير من دعا جميع أهل الحــــــق للتقريب

والآل والأصحاب أهل الاقتفا وتابـــع في المنهــــــج المصيب

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه الفقير إلى عفو مولاه

أبو بكر العدني بين علي المشهور

تقديم الشيخ/ أحمد بن حمد الخليلي

مفتي سلطنة عمان

بسم الله الرحمن الرحيم

سلطنة عمان - وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - مكتب الإفتاء

الأخ العزيز والطالب النجيب الأستاذ عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي - المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد:

لقد سرني ما عملته من خلال بحثكم القيم، من رغبة أكيدة في جمع شمل الأمة ورأب صدعها وتوحيد كلمتها، وهذا –لعمري- هو مطلب المخلصين وسعي المتقين وقرة عين الموحدين، فهنيئا لكم هذا المسعى، ورزقكم الله الحكمة والإخلاص في القول والعمل.

هذا وقد فهمت المحاور الأساسية التي أقمتم على أساسها بحثكم القيم (في الطريق إلى الألفة الإسلامية – محاولة تأصيلية ورؤية جديدة)، وإنني أتفق معكم في ضرورة تعميق فهم تلك المحاور للناس عامة، فبتصحيح التصور يصبح الحكم صحيحا، وبتصحيح الحكم تصبح المعاملة حسنة بين طوائف الأمة..

على أن المنظومات عموما، لا سيما العقدية لم تنشأ من فراغ، وإنما هي وليدة ظروف بيئية وأحوال نفسية وتحولات سياسية ونوايا قلبية لا يعلمها على الحقيقة إلا الله الواحد الأحد، فجرى قلم القدر بما اقتضته حكمة الله وأسراره في كونه، ومشيئته في خلقه، وشأن الخلاف والاختلاف كشأن الفتن والمحن التي يبتلي الله بها عباده، فهي وإن كانت مرفوضة واقعيا إلا أنها لا محالة وقعة سننيا، وصدق الله إذ يقول: (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزاولون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) هود

هذا وإنني أدعو إلى قراءة التاريخ والتعمق في دراسة المنظومات العقدية لمختلف المذاهب الإسلامية، وذلك من حيث إن كل منظومة تمثل كينونة متكاملة الأنساق متحدة المعالم متداخلة الأفكار منسجمة الأنظار، وهي بذاتها تمثل هوية خاصة لمن اعتنقها، على اعتبار ما ستظهره في الواقع من فهم صحيح لآي القرآن والصحيح من السنة، وما يفرزه ذلك الفهم الصحيح من توفيق رباني يوازن بين الأضداد، لا سيما وأننا في زمن البحث من أجل الوصول إلى المنظومة التي تمثل روح القرآن والسنة، وهذا لا يعني التعصب المذموم لأقوال العلماء وما عليه المذاهب من مبادئ وعقائد، بقدر ما يعني البحث الجاد عن صورة منسجمة ورؤية قرآنية لمنظومة صحيحة، تعيد لنا صياغة الأمة على القرآن

والسنة وسلف الأمة وتمثل وسطية الأمة، سواء في الأمور العقدية والعملية والثقافية والفكرية، السياسية والاجتماعية، الاقتصادية والتنموية...إلخ.

أسال الله التوفيق للجميع، وأن يجمع شمل الأمة ويوحد صفها ويعلي رايتها، لتكون أمة عزيزة قوية تستحق خلاص الله في الأرض، وتقوم بما أمر الله به من إعلاء كلمته ونشر دينه وحماية شريعته، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، نعم المولى ونعم النصير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١/٤/١٤٣٠هـ - ٢٨/٣/٢٠٠٩م

أحمد بن حمد الخليلي

المفتي العام لسلطنة عمان

ختم وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

تقديم الدكتور/ أحمد بن محمد الدغشي

الأستاذ في جامعة صنعاء – كلية التربية

بسم الله الرحمن الرحيم

(نظرية الألفة الإسلامية)

أجدني –في البدء– مدينا للأخ الكريم والأستاذ النبيل/ أمين الحداء، والذي يكرمني بين فينة وأخرى بفضلاء وكرام باحثين بغية التعرف عليهم والإفادة المتبادلة، **وقد كان أحد هؤلاء صاحب هذا الكتاب (في الطريق إلى الألفة الإسلامية: محاولة تأصيلية ورؤية جديدة) وهو الأخ الشيخ الباحث المحقق الفذ/ عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي.**

حقا لقد كنت أحسب كتاب (الألفة الإسلامية) هذا واحدا من البحوث المبتدئة التي يتدرب فيها صاحبها على مهارة البحث أكثر من أي جانب آخر، **بيد أن المفاجأة السارة جدا أني وجدت بحثا ينمّ عن باحث مهموم – بحق– بمشكلة الأمة كلها، وكأني أمام طبيب طويل الخبرة حاذق، يضع مبضع الجراح بمهارة فائقة، بعد أن شخص الداء مليا .**

وها أنا ذا أعلن –بكل ثقة واعتزاز– بعد أن عكفت على قراءته أياما تترى -على غير عادتي مع كثير مما أقرأ– أن هذا الكتاب بحق نظرية جديدة متميزة في سبيل جمع كلمة الأمة، بروح الباحث الوحدوي النزيه البعيد عن التعصب لأية فئة أو طائفة أو فرد في القديم والحديث، على أن هذا لا يتعارض مع بعض القناعات الخاصة بالمؤلف، لكن عظمته تكمن في أنه إذ يوردها فإنه لا يدعي لها عصمة الحق ولا قداسة النص الشريف، بل يقدمها بوصفها اجتهادا إنسانيا قابلا للتقويم والتسديد والتوجيه والتصويب مع اضطراده في هذا المنهج طيلة صفحات بحثه.

إن المحاور الثلاثة التي عرض لها المؤلف الكريم بالدراسة التأصيلية والبحث المعمق، وهي: تصحيح التصور عن الآخر، من حيث النقل عنه وتصحيح الفهم نحوه، ومن حيث تصحيح الحكم عليه، ومن حيث تصحيح التعامل معه، لهي محاور في غاية الدقة والعمق، إن من حيث قوة المأخذ وعمق التشخيص، وإن من حيث الموضوعية والانسجام بين ما يدعو إليه [المؤلف] وما يمارسه منهجيا في دراسته

إنني اليوم بت أكثر قناعة من أي وقت مضى بأن الباحث المخلص عن الحق حتما سيصيبه حقيقة أو حكما، وإن تبدى لنا غير ذلك أحيانا! كما أن غبطة كل غيور على ألفة الأمة وتجسيد أخوتها الإسلامية ستزداد **بعد أن يقف على (نظرية) جديدة في إخراجها وصناعة تصورها، قديمة من حيث مبدئها ومضمون فكرها** في الكتاب العزيز وصحيح السنة المطهرة وكنوز التراث الإسلامي.

وما ذاك قد تحقق إلا لأن صاحب البحث –وفقه الله– قد حاز من خصائص الباحث –ولا نزكيه على الله– ما جعل بحثه يحوز هذا المستوى الراقي.

ومن أبرز خصائصه: التأصيل العالي في مادة بحثه وموضوعها، مع حسن السبك وقوة العبارة ووضوح الفكرة، وقبل هذا وبعده إيمانه بالفكرة وشعوره العميق بفداحة الخطب وضرورة التنادى لمعالجته، بصدق وإخلاص وعلم وتواضع، أما السمة الأكثر بروزا في شخصية المؤلف –وهي محور التحدي المستقبلي عنده– فهي شجاعته الأدبية النادرة وعدم مبالاته برضى هذا الطرف أو ذاك أو غضبه، بالقدر الذي لا يسعى للبحث عن ظهر جديدا!.

إيهٍ أيها الباحث الجسور ومزيدا من العطاء والتبريز ولكن وفق هذه الروح وفي أطار هذا المنهج الجامع، ولا يدفعنك رد الفعل إلى النكوص أو التراجع أو التبرير والتلفيق أو الشطط والمبالغة، وحسبك أنك بعملك (التجديدي) هذا بت واحدا من أبرز مجسدي شعار مدرسة الوسطية إلى الواقع، وأرجو الله –جل في علاه– أن ينفع بجهدك بل بنظريتك الجديدة حقا أمة الإسلام في اليمن وخارجها، وما ذلك على الله بعزيز، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

كتبه الفقير إلى عفو ربه/ أحمد محمد الدغشي

١٥ ربيع أول ١٤٢٩هـ . الموافق ٢٠٠٨/٣/٢٤م

تقديم الدكتور/ حسن بن محمد مقبولي الأهدل

عميد كلية الشرعية سابقا

وأستاذ الحديث والأصول في جامعة صنعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:

لقد اطلعت على ما كتبه العلامة عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي بعنوان (الطريق إلى الألفة الإسلامية – تأصيل ورؤية جديدة) فوجدت الباحث استعرض الأفكار والنقاط والثوابت التي يمكن بها تأليف الأمة، وذكر المنهج الشرعي الذي يحقق طريق الألفة، وكيفية التعامل مع الآخرين لتحقيق هذه الألفة، وبيّن ما ينبغي أن يكون عليه العقلاء من الاعتدال والتجرد والإنصاف حتى تكون الألفة والمحبة الإسلامية من رؤية جديدة!.

وقد ذكر نماذج عن السلف الصالح في ترسيخ الألفة ونبذ الفرقة وعدم اتهام الناس بالتكفير والأخطاء، والحكم على الطوائف بالضلال، وهذه هي الأسباب التي أدت إلى: الخلاف بين الأمة، والتصور الخاطئ عن الغير والحكم [الخاطئ] على الآخرين

ولذا حاول الباحث بيان الأسباب والأمور التي أدت إلى الفرقة وكيفية علاج هذه الفرقة وفتح باب الحوار والاتفاق على الثوابت وعدم الإنكار في المختلف فيه وتصحيح الأخطاء والتصورات الغير! سليمة، ثم بين القواسم المشتركة والاتفاق على الثوابت، وما تحتاج من جهود من قبل العلماء والدعاة والمفكرين والمصلحين، ودور الحكام في سياسة الألفة والإصلاح ما بين الراعي والرعية حتى تستقيم الألفة بين أبناء الأمة الإسلامية

وقد وفق الباحث فيما طرحه في الطريق إلى الألفة الإسلامية المؤصلة من الكتاب والسنة وعمل السلف لتكون رؤية جديدة في العالم الإسلامي المعاصر اليوم، نسأل الله أن يجزيه خير الجزاء على ما كتب وأن ينفع به الإسلام والمسلمين ونسأل الله لنا وله التوفيق وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الدكتور/ حسن بن محمد مقبول الأهدل

كلية الشرعية – جامعة صنعاء

تقديم الدكتور/ محمد الحسن بن مصطفى البغا

عميد كلية الشريعة – جامعة دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيد الخلق أجمعين محمد مؤلف قلوب العرب والعجم، وجامع المكارم والمحاسن، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

قال الله تعالى: (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين)

إن طاعة الله ورسوله آمرة بعدم التنازع بدلالة الاقتران، فطاعة الله ورسوله واجبة ولا شك، وعدم التنازع حتم لا ريب، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض" فلا شك أن التنازع والخصام خطير لا خطر بعده، وشؤم لا شؤم بعده، ومرذلة لا مرذلة بعدها..

ولهذا لا بد من الألفة والاجتماع والالتئام والترتيب والتنسيق بحسب الأولويات.. **وهو ما يفيض فيه صاحب الكتاب [الشيخ عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي].. وفقه الله تعالى لكل خير، إذ يذكر الألفة وما يكملها ويوجدها**، وهذه الألفة لا تصير ولا تكون إلا بالعلم والمعرفة بالمفرقات وأصحابها، بحسب أولويات المصالح ورتبها، وضرورات الاتفاق والتحام البنيان المرصوص أمام الأعداء المتربصين اللاهثين، بل واللصوص لا لشعوبهم بل لجيوبهم بين كلام معسول، وأسنان براقة بسم زعاف وضحكات رنانة بمدافع طويلة الأمد والمدى.

إننا في عصر لن نفلح فيه إلا بقوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون).

وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر"

ما أحوجنا إلى التحقق بالمُثُل والأخلاق والمبادئ التي عاشها الشافعي مع أبي حنيفة في مقامه يحترم آراءه بل يحترم الشافعي نفسه..عجباً كيف يسفه كل ذي رأي رأي غيره؟ أليس عندما يقول ويفعل ذلك كأنما يقول عن رأيه أنه سفيه جدير بالتسفيه؟ أين قولة السلف وآدابها واحترامها: (كلامنا صواب محتمل للخطأ، وكلام غيرنا خطأ محتمل للصواب)؟

بتنا لا نعرف إلا أن آراءنا قاطعة وأقوالنا صائبة، ولربما نقضناها في المساء وفي الصباح، وبعد حين..

إن خلق الألفة خلق قويم "خيركم من يألف ويؤلف" لا يقدر عليه إلا من كان ذا باع في المعرفة وفي الواقع مع أخلاق فاضلة.

أين حلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من دعاة اليوم وقواليه؟ أين إحسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مشوهي اليوم وأدعيائه؟

يؤثر ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جذب الأعرابي في عنقه، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبتسم له، يكذب عليه الأعرابي في شراء الجمل.. يبطش أبو جهل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويرغد ويزبد ويشتم، ويضع غيره السلى على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يستطيع حراكاً صلى الله عليه وآله وسلم.. تأتي فاطمة لتزيل عن رأسه الشريف صلى الله عليه وآله وسلم قذارة المشركين، ولكن هنيهة..إنهم مشركون.. وثنيون.. أعراب بداه.. فيا لعار متحضرة اليوم ما أشد أسنَ قلوبهم.. ما أشد جهلهم..ألا تتحرك قلوبهم لآلام الشعوب ودمائها وأحزانها وذهاب ريح المسلمين.

إنك لو نظرت في أضيق فج ومكان لرأيت تناحراً تزكم رائحته الأنوف، ومستنقعاً آسناً تنفر منه الحشرات.. والعجب كل العجب أن يزعم الجميع حرصهم على المصلحة ورعايتها بل وصيانتها بل والاحتفاء بها، بل والبكاء والنحيب والعويل والصراخ والسهر والصبر لأجلها..

لن يصلح حال الأمة إلا بما صلح به أولها.. لا بد من الألفة ولكن للألفة أركان وعناصر.. إنها معرفة شاملة بالإسلام وسيره وفقهه وقرآنه وسنته ثم إنها أخلاق ومحاسن وشيم وشهامة ونخوة وأنفة.. إنها أنفة من الخصام وشهامة في سعة الآخر، وشيم في العفو عن الآخر، ونخوة في حماية الجميع والمحافظة على كل قطرة عرق من الجميع.. إنها إيمان وصدق وتوكل وصبر ومعرفة وعرفان..

ولقد صدق الله تعالى: (وألف بين قلوبه لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إن الله عزيز حكيم) وهو صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال تعالى فيه: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فضا غليظا لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين)

فما أحوجنا إلى الألفة.. إلى سعة بعضنا للآخر، ونحن مسلمون مسلمون بل ومسلمون! ولله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

محمد الحسن بن مصطفى البغا

سوريا - دمشق

تقديم الشيخ/ حسن بن موسى الصفار

عضو المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين.

حين أطلق المفكر الأمريكي صامويل هنتنقتون الأستاذ بجامعة هارفارد مقولته التي نشرها في مجلة الشؤون الخارجية الأمريكية في صيف ١٩٩٣م عن صدام الحضارات، انبرى له عقلاء العالم من مختلف الحضارات، ومن بينهم مفكرون أمريكيون وغربيون، ليردّوا مقولته، وليرفعوا شعار حوار الحضارات، ويدعوا أبناء البشرية للتعارف فيما بينهم، والتعاون من أجل مصلحة الإنسان، وإعمار الأرض.

وكان صوت علماء الإسلام ومفكري المسلمين في طليعة الأصوات الناقدة والرافضة لمقولة صدام الحضارات، انطلاقاً من مبادئ الإسلام الداعية إلى السلم العالمي، والاعتراف بالتنوع في المجتمع الإنساني، على مستوى الأعراق والقبائل والأديان والأفكار، وأن ذلك يجب أن يكون دافعاً إلى التعاون في المشتركات وما يفيد جميع البشر،{ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ}، {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى} وإلى التعارف والحوار بالتي هي أحسن في موارد التمايز والخلاف، { وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}، {وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}.

لكن في الوقت الذي يرفض فيه علماء الإسلام صدام الحضارات، ويفخرون بأن دينهم وقرآنهم قد دعا إلى حوار الحضارات، نجد في داخل الأمة من يبشّر بصدام المذاهب، ويرفض الحوار والتقارب بين أبناء الأمة التي نص القرآن الكريم على وحدتها، {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً }.

إن من المؤلم حقاً أن ترتفع أصوات الداعين إلى الخصام المذهبي، وأن تندلع معارك الاحتراب الطائفي، في أكثر من بلد إسلامي، بينما تواجه الأمة اخطر التحديات والظروف.

من هنا تبرز أهمية هذا البحث الذي خطّته أنامل الأخ الفاضل الشيخ عبد الفتاح بن صالح قُديش اليافعي حفظه الله تعالى. تحت عنوان (في الطريق إلى الإلفة الإسلامية).

إنه بحث علمي نموذجي ينبئ عن إخلاص عميق لوحدة الأمة، ووعي دقيق بمقاصد الشريعة، وأحوال الواقع المعاش.

لقد شعرت بسعادة بالغة وأنا أتابع قراءة صفحات هذا البحث القيّم، وحمدت الله تعالى على وجود مثل هذه الرؤية بين أبناء الأمة، ودعوت للمؤلف بالمزيد من التوفيق في خدمة الإسلام والأمة.

أسأل الله تعالى أن يبارك في هذا الجهد، وأن ينفع به، ليشكل زخماً جديداً دافعاً نحو الإلفة والتقارب، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

حسن بن موسى الصفار

القطيف ــ المملكة العربية السعودية

٩ صفر ١٤٣٠هــ الموافق ٤ فبراير٢٠٠٩م

تقديم الدكتور/ رجب ديب

المدرس الديني في إدارة الإفتاء العام بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الإسلام دينا تطوي تحته تعاليم الديانات السماوية كلها، وامتن علينا فجعلنا مسلمين ورضي لنا الإسلام دينا ونهانا عن الفرقة والتشرذم فقال: (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون)، فله الحمد والمنة على ذلك في الأولى والآخرة وعلى كل حال وإلى أن نلقاه وهو راض عنا بإذنه سبحانه.

ونصلي ونسلم على الرحمة المهداة سيد الخلق وفخر الكائنات من رحم الله به أهل الأرض وأهل السماوات سيدنا محمد النبي الأمي القائل: (إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا: كتاب الله وسنتي) وفي رواية: (كتاب الله وعترتي أهل بيتي) صلِ اللهم عليه وعليهم وعلى صحابته والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فإن موضوع الألفة الإسلامية وتوحد أبنائها شغلٌ شاغل وهمٌ غالب في نفس كل مسلم مخلص، انطلاقا من حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (من أصبح لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) البيهقي عن أنس مرفوعا (كشف الخفاء ، ٢: ٢٧٩ رقم ٢٦١٧)، وكيف لا يكون ذلك والمسلم الحق يعي قول ربنا -سبحانه- وهو يخاطب المسلمين إلى يوم الدين في القرآن الكريم بالآيات التالية :

(إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)، (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون)، (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون)، (منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين . من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون).

آيات واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، لا لبس فيها ولا شبهة، تحض على الألفة والمحبة، وجمع الكلمة ورأب الصدع، وإن آفة كل جماعة من المسلمين أن تؤول هذه الآيات كما تريد، وأن تحمل هذه النصوص ما لا تحتمل، بغية تحقيق مآربها، وتنفيذ رغباتها، تعمدا لحال الشقاق والانشقاق، وتكريسا لفرقة الأمة، ولكن الأمر الأشد خطورة أن تظن هذه الجماعة أو تلك أنها تحسن صنعا وتخدم الإسلام، وهي تسيء أخطر الإساءة كما قال تعالى: (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا. الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا)، لقد سماهم الأخسرين لا الخاسرين،

وهذا حال العالم العربي والإسلامي اليوم، فقد صُنف في الأمم النامية أو في عداد العالم الثالث، فهو لم يستحق أن يُصنف في عداد العالم الثاني مع كل أسف.

وإننا لنرى الهوة تزداد يوما بعد يوم بين الجماعات والمذاهب والطوائف الإسلامية (كل حزب بما لديهم فرحون)، وإلههم واحد، ونبيهم واحد، وكتابهم واحد، وقبلتهم واحدة، و... وإن عوامل الوحدة والتآلف التي تجمعهم ليست متوفرة في أي أمة أبدا، ومع ذلك هم مختلفون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ذلك أن الأهواء والحظوظ والمصالح تلعب دورا خبيثا جدا في التفرق والتمزيق، ناهيك عن العمالة والخيانة والتبعية العلنية أو السرية لأعداء الإسلام والمسلمين، فإلى متى يبقى الحال كذلك؟ وما هي سبل الخلاص من ذلك كله؟ وكيف يمكن أن نتوحد فقهيا وسياسيا و..؟

إن أهم عوامل التآلف والتوحد ماثلة في اتباع كتاب الله وسنة نبيه، وأن يشعر أي مسلم فردا أو جماعة مسلمة أنهم إن حادوا عن ذلك ولم يسعوا في الألفة ورأب الصدع وجمع الكلمة فإنهم مسؤولون بين يدي الله أعظم المسؤولية ، وإن موقفهم أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غدا سيكون موقف الخزي والندامة حيث لا ينفع نفسا ندمها لم تكن عملت من قبل في صالح الإسلام والمسلمين.

إن هذا الذي أشرت إليه سريعا إنما هو تعبير عن نفثات من قلوب محترقة ونفوس متلوعة من حال المسلمين دينيا وفقهيا وسياسيا وعقائديا، **ومن هذه القلوب والنفوس الصادقة صاحب هذا البحث الذي بين أيدينا الأخ الشيخ عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي – حفظه الله ورعاه – لأنه ضمن بحثه خطوات، أراها لو تتبع يكون فيها بإذن الله – تعالى – سيرٌ حثيث متقن الخطى باتجاه الاجتماع والألفة، ولا أقول : إنها كل شيء في هذا الاتجاه، لكنها خطوة جريئة وحكيمة وموفقة، فيها بيان لاحترام الآخر والاطلاع على آرائه، مع عدم التسرع في الحكم عليه، والتماس العذر للخطأ لو وجد.**

وذلك على قاعدة (نجتمع فيها اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه) وهذا ما كان عليه السلف، لأنهم كانوا يرون الاختلاف سببا في رحمة الأمة، وعدم التضييق عليها، ورحم الله عمر بن عبد العزيز إذ يقول: (ما سرني لو أن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يختلفوا، لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة)، وقال يحي بن سعيد: (أهل العلم أهل توسعة، وما برح المفتون يختلفون فيحلل هذا ويحرم هذا، فلا يعيب هذا على هذا)

وورد: (اختلاف أمتي رحمة للناس) قال الحافظ ابن حجر: إنه حديث مشهور على الألسنة (كشف الخفاء، ١:٦٤ رقم١٥٣)، وكم هو رائع قول ربنا سبحانه: (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالوا مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس

أجمعين)، فهل خلقهم ليرحمهم أو ليكونوا مختلفين؟ بل هو أرحم الراحمين، لكن شريطة ألا يكون الاختلاف سببا للتنازع والتفرق والتباعد والشقاق.

وأختم بالقول: جزى الله الأخ الشيخ عبد الفتاح اليافعي خير الجزاء عن بحثه هذا، وأقر عينه بتحقيق مبتغاه، وإن كان بعيد المنال فيما حضر، وليس بعيدا عن رحمة الله تعالى لهذه الأمة.

وأسأل الله تعالى أن ينشر هذا البحث كتابا يبلغ أرباب العقد والحل في الأمة، ويقرؤه شباب الإسلام هنا وهناك، وأن يُنشر على مواقع الإنترنت، عساه يبلغ عقولا طاهرة وقلوبا سليمة ونفوسا مخلصة، فيكون له منعكسات حميدة على صعيد الأمة كلها، وما ذلك على الله بعزيز، وحبذا لو يصحو كل المسلمين صحوة قرآنية نبوية فيقفوا وقفة تدبر وتأمل في كلام الله وكلام رسوله بشأن الوحدة والألفة، وهم أعلم بذلك كله من بقية أفراد الأمة، فهم إذن مدعوون لجعل العلم عملا، وإلا فإن مسؤوليتهم بين يدي الله كبيرة، ورحم الله الراجز إذ يقول:

وعالم بعلمه لم يعملن   معذب من قبل عباد الوثن

ورحم الله معن بن زائدة الشيباني إذ قال لأولاده:

كونوا جميعا يا بني إذا اعترى   خطب ولا تتفرقوا آحادا

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا   وإذا افترقن تكسرت أفرادا

وهل هناك خطب أشد مما أصاب العرب والمسلمين هذه الأيام؟ اللهم لا، إلا أنه كائن بسبب بعدهم عن دينهم وتفرق كلمتهم، وليسمع كل مسلم وعالم وحاكم ورجل وامرأة وكبير وصغير رب العزة يأمرنا بقوله: (وقل اعلموا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

دمشق : ٢٩/ذو القعدة/ ١٤٢٩هـ

٢٧/تشرين الثاني/٢٠٠٨م

المدرس الديني الأول في إدارة الإفتاء العام بدمشق

الشيخ الدكتور: رجب ديب

تقديم الدكتور/ سلمان بن فهد العودة

المشرف العام على مؤسسة وموقع الإسلام اليوم

تواصلت مع الشيخ سلمان العودة رعاه الله وأرسلت له البحث وطلبت منه التكرم بالتقديم له فجاءتني هذه الرسالة من مكتب الشيخ وهذا نصها :

أخي الشيخ عبد الفتاح

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد قرأ الشيخ سلمان كتابك، وأعجب بروح البحث والتطلع إلى الحقيقة لديك، وبالرغبة الصادقة في الإنصاف، وردم الهوة والفجوة بين المسلمين، وهو يشد على يدك في نشر الكتاب وترويجه، والاستعداد لتصحيحه ومراجعته على ضوء أي ملاحظات ترد إليك، فالموضوع مهم وخطير، وفيه مسائل تحتاج إلى مزيد عناية واهتمام ودقة

وهو يعتذر إليك عن كتابة التقديم؛ لأنه أغلق هذا الباب بسبب كثرة الإحراجات، **وإلا فكتابك جدير بها، على أنه بجدارته يقدم نفسه لقرّائه ومطالعيه .**

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوك/ سليمان أبا الخيل

مدير مكتب الشيخ سلمان العودة

تقديم الشيخ/ شمس الدين بن محمد شرف الدين

والشيخ/ محمد بن محمد المنصور

والشيخ/ حمود بن عباس المؤيد

بسم الله [الرحمن الرحيم]

الحمد لله الذي جعل من عباده دعاة إلى الإصلاح، وأدلة على ما به النجاح والإنجاح، لا إله إلا هو لا شريك له ولي الصالحين، وصلاة الله وسلامه على سيد الأنبياء وخاتم المرسلين وعلى آله الطاهرين وزوجاته أمهات المؤمنين وصحبه المنتجبين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

وبعد: فقد اطلعنا على كتاب (في الطريق إلى الألفة الإسلامية) لمؤلفه الأخ العلامة عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي -بارك الله فيه وزاد في العلماء من أمثاله- فوجدناه نعم المؤلف في بابه، داعيا إلى الألفة بين المسلمين وحُسن التعامل فيما بينهم حاملا المخالف على أحسن المحامل من غير إجحاف ولا تحامل وهذه بلا شك طريقة المنصفين ودعوة المصلحين الذين يهمهم أمر المسلمين وصلاح شأنهم، فقد جاء الكتاب درة في بابه غاية في الأدب واللياقة وكما قيل: حبيب جاء على فاقة، في وقت غرق المسلمون في خلافاتهم وذهبت بهم النزاعات كل مذهب فتفرقوا وضعفوا وذهبت ريحهم حتى استعضعفهم من ضربت عليهم الذلة والمسكنة تاركين أمر الله ونهيه وراء ظهورهم؛ (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) (منيبين إليه واتقوه ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) وغيرها من الآيات، على الظروف الصعبة التي تمر بها الأمة تقتضي اجتماع كلمتهم واتحاد صفوفهم

وعدو الإسلام يرى المسلمين ملة واحدة لا يفرق في عدائه بين شيعي وسني، لا سيما مع الهجمة الصهيوأمريكية الشرسة على إخواننا المسلمين في فلسطين والعراق وأفغانستان وغيرها من البلدان، وما جرأ أعداء الإسلام على هذا الظلم اللاحق بالمسلمين إلا تفرق المسلمين واختلافهم وتراشقهم بالتهم والتخوين والتبديع والتكفير والعداوة المترتبة على ذلك، مستغلين سذاجة العامة منهم وأنصاف العلماء، فوسعوا الهوة بينهم بأمور لا ترقى لأن تكون خلافات في كثير من الأحيان.

وكأني بالمؤلف بارك الله فيه متمثلا كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة مذكرا بنعمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: (فانظروا إلى موقع نعم الله عليهم حيث بعث الله إليهم رسولا فقعد بملته طاعتهم وجمع على دعوته ألفتهم، كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها،

وأسالت لهم جداول نعيمها والتفت الملة بهم في عوائد بركتها فأصبحوا في نعمتها غرقين وفي خضرة عيشها فكهين قد تربعت الأمور بهم في ظل سلطان قاهر وآوتهم الحال إلى كنف عز غالب وتوطنت الأمور عليهم في ذرى ملك ثابت فهم حكام على العالمين وملوك في أطراف الأرضين يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم ويمضون الأحكام فيمن كان يمضيها فيهم، لا تغمز بهم قناة ولا تقرع لهم صفاة)

..إلى قوله مخاطبا العصاة: (ألا وإنكم قد نفضتم أيديكم من حبل الطاعة وثلمتم حصن الله المضروب عليكم بأحكام الجاهلية، فإن الله سبحانه قد امتن على جماعة هذه الأمة فيما عقد بينهم من حبل هذه الألفة التي ينتقلون في ظلها ويأوون إلى كنفها بنعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة لأنها أرجح من كل ثمن وأجل من كل خطر، واعلموا أنكم صرتم بعد الهجرة أعرابا وبعد الموالاة أحزابا ما تتعلقون من الإسلام إلا باسمه ولا تعرفون من الإيمان إلا رسمه، تقولون: النار ولا العار، كأنكم تريدون أن تكفئوا الإسلام على وجهه انتهاكا لحريمه ونقضا لميثاقه الذي وضعه الله لكم حرما في أرضه وأمنا بين خلقه وأنكم إن لجأتم إلى غيره حاربكم أهل الكفر ثم لا جبريل ولا ميكائيل ولا مهاجرون ولا أنصار ينصرونكم إلا المقارعة بالسيف حتى يحكم الله بينكم. وإن عندكم الأمثال من بأس الله وقوارعه وأيامه ووقائعه فلا تستبطئوا وعيده جهلا بأخذه وتهاونا ببطشه ويأسا من بأسه فإن الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلا لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلعن الله السفهاء لركوب المعاصي والحلماء لترك التناهي)اه

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أشكر المؤلف على ما بذله من جهد في سبيل إخراج الكتاب على هذا النحو(عنوانا وتبويبا وبحوثا قيمة) وعلى الغاية النبيلة التي يسعى إليها، طالبا منه أن يضم علم أهل البيت عليهم السلام إلى علمه ليكتمل النور وتتم بفضل الله الأجور متمنيا له التوفيق والنجاح.

وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

خادم العلم/ شمس الدين بن محمد بن عبد الله شرف الدين

٢٤/محرم/١٤٣٠هـ الموافق ٢١/١/٢٠٠٩م

الحمد لله

استمعت إلى هذه الكلمة القيمة من سيدي الولد العلامة شمس الدين فشكر الله له وشكر للولد العلامة عبد الفتاح فقد دعيا إلى ما فيه صلاح الأمة الإسلامية من الاتحاد والتحاب ونبذ الخلافات التي كونت بين الجماعات هوةً سحيقة فطوبى لهما

وكتب محمد بن محمد المنصور ناظر الوصايا اليمنية تجاوز الله عنه

ووقع عليه حمود بين عباس المؤيد

تقديم الشيخ/ محمد صالح بن أحمد الغرسي

مدير مدرسة الفلاح للعلوم الشرعية

(قونية – تركيا)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد التقيت في شهر رمضان من عام ١٤٢٩ هــ. في المدينة المنورة بالمسجد النبوي الأخ الفاضل الشاب النشيط الحكيم الشيخ عبد الفتاح بن صالح اليافعي بارك الله عليه فعرض علي كتابه [في الطريق إلى الألفة الإسلامية] ورغب إلي أن أقرئه وأكتب انطباعي عنه وقد كنت قرئت له قبل عام كتابه [المنهجية العامة، في العقيدة والفقه والسلوك] وأعجبت به بدون معرفة سابقة بالمؤلف، وكان قد عرضه علي أخونا في الله النشيط في الدعوة إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة الشيخ صالح الأسمري بارك الله عليه.

وبعد عودتي من السفر قرأت كتاب [الطريق إلى الألفة الإسلامية]، فألفيته كتابا قد وافق المسمى الاسم، وقام بسد ثغرة واسعة في ساحة التأليف وساحة العمل والدعوة حاول فيه مؤلفه لَمَّ الشعث وتضييق الفجوة، وإيقاع الصلح بين طوائف المسلمين الذين فرق بينهم الاختلاف في العقيدة أو في أساليب الدعوة أو في المسائل الفقهية.

وقد أرجع المؤلف السبب في هذا الاختلاف والفرقة إلى ثلاثة أمور: الخطأ في تصور الآخر، والخطأ في الحكم على الآخر، والخطأ في معاملة الآخر، وبين أن **لَمَّ** الشعث وتضييق الفجوة، وإيقاع الصلح بين طرق المسلمين المختلفة بتصحيح هذه الأخطاء الثلاثة. فبنى كتابه على ثلاثة محاور: تصحيح التصور عن الآخر، وتصحيح الحكم على الآخر، وتصحيح المعاملة مع الآخر.

ولا أطيل في بيان مضمون الكتاب فهو بين يدي القارئ، ولكنني أقول: ليس من الغريب أن يكتب أحد كبار علماء الإسلام المتقدمين في السن الذين أنضجهم طول الممارسة للعلوم الإسلامية، وحنكتهم التجارب في مثل هذا الموضوع المهم ويوفيه حقه. فما من موضوع تحتاجه

الأمة إلا وقد كتب فيه كبار علماء الإسلام السابقين والمعاصرين، ووفوه حقه. ولكنه من الغريب أن يكتب في مثل هذا الموضوع الجليل الذي يحتاج وفاء حقه من الكتابة عادة إلى طول ممارسة للعلوم الإسلامية وإلى تجارب طويلة، وحنكة قوية. وهذه الأمور لا تجتمع عادة في العالم إلا بعد تقدم السن به، من الغريب أن يكتب فيه شاب ناشئ لم تتقدم به السن مثل مؤلفنا هذا. ولكن الله يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا.

وأقول ثانيا: إن دل هذا الكتاب على شيء فإنه يدل على أمور:

الأول: اهتمام مؤلفه بأمور المسلمين، ومن لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم.

الثاني: طول باعه في العلوم الإسلامية وتضلعه منها على حداثة سنه.

الثالث: حكمته، ووفور عقله، وسعة تفكيره، ونضوج علمه.

مد الله تعالى في عمره وبارك عليه ووفقه إلى الكثير من مثل هذه الأعمال الجليلة. وجزاه خير ما يجازي به عباده الصالحين ورزقه الحسنى وزيادة. آمين.

٢ ذي القعدة ١٤٢٩ هـ الموافق ٢٠٠٨/١١/١م

محمد صالح بن أحمد الغرسي

قونية / تركيا

تقديم الدكتور/ عبد الغني قاسم الشرجبي

الأستاذ في جامعة صنعاء – كلية التربية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن كتاب (في الطريق إلى الألفة الإسلامية) قد كشف للأمة المسلمة: علل التمزق والتكفير والتفسيق بين الفرق والمذاهب الإسلامية، وسبل الخروج من الظلمات الفكرية والنفسية، والمنهجية إلى نور الألفة والتوحيد والتآخي والمحبة والإنصاف والاعتدال والموضوعية والتنوع الفكري .

ولعل مؤلف الكتاب يجد مكانه بين الساعين -فرادى ومنظمات- على طريق التقريب ثم التوحيد بين شتى المذاهب والفصائل التي طال بها ليل الاستجرار لأمراض التاريخ، أسال الله له المزيد من علو الهمة وإخلاص العمل على هذا الطريق

الأستاذ الدكتور/ عبد الغني قاسم الشرجبي

أستاذ أصول التربية – كلية التربية – جامعة صنعاء

٨/٤/٢٠٠٨م - صنعاء

تقديم الشيخ عداب بن محمود الحمش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبدالله وآله الطاهرين ورضي الله عن صحابته الأخيار، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، و لم يبدّلوا تبديلاً.

أما بعد: فإنّ وحدةَ المسلمين وألفتهم وتسامح بعضهم مع بعض، أكثر من تسامحِ بعضهم مع الكافرين الحربيّين؛ هي مطالب شرعية عقدية، تدخل في ساحة الولاء والبراء في تقديري، وهي مطلب نظريّ لسائر فرق المسلمين، ولا تكاد تجد عالماً واحداً من علماء تلك الفرق يحرص على بقاء الأمة في تدابرها وتنافرها وتطاحنها. لكنّ قول الله تعالى: ﴿ كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون﴾ يكاد ينطبق على جميع علماء الأمة، فضلاً عن عامّتهم.

وإنّ الحديث عن الطريق إلى الألفة الإسلامية؛ حديثٌ شيّق ترتاح إليه النفوس المؤمنة وتهفو إليه قلوب الغيورين عليها، إلى جانب كونه مطلباً شرعياً كما أسلفت.

وقد تفضل الأخ الفاضل الأستاذ أمين الحدّاء اليماني أدام الله توفيقه، فأرسل إليّ هذا الكتاب لزميله الكريم الأستاذ عبدالفتاح بن صالح بن قُديش اليافعيّ، وطلب مني قراءته فوعدته بقراءته، وكتابة تقرير عنه.

وقد اطّلعت على الكتاب فعلاً، ووعدتُ مرسله الفاضل بكتابة تقريري عنه في غضون أسبوع، أو عشرة أيامٍ! بيد أنّ انتقال عملي من عمّان إلى القاهرة، وجهلي بالتعامل مع الوسائل الإلكترونية الحديثة؛ أضاعا عليّ الكتاب، ثم كنت أُنسّى السؤالَ عنه كلّما كان يمكنني أن أجد من يبحث لي عنه! وعند فجر هذا اليوم (٣١/ ٣/٢٠٠٩) كتب إليّ ولدي الذي يحسن التعامل مع وسائل الاتّصال الحديثة أنّ المؤلف الفاضل ينتظر تقريري عن الكتاب!

الكاتب والكتاب:

الكاتب الفاضل الأستاذ الشيخ عبدالفتاح بن صالح اليافعيّ؛ لم يسبق لي رؤيته واللقاء به، وكم أنا بشوق إلى لقاء أمثاله ممن يجمعني معهم دون تواطؤٍ ومعرفة صفاتٌ:

- الحرص على وحدة الأمة على ثوابتها من كتاب الله تعالى، وصحيح سنة النبيّﷺ ومواضع الإجماع التواضعي الكثيرة جدّاً فيما بينها: في أصول الدين وفروعه.
- الابتعاد عن الولاء والبراء الطائفيّ.
- إشاعة روح التعايش السلمي، والتقارب على الحقّ بين جميع أبناء فرق المسلمين دون مثنويّة!
- اعتماد الدليل الصحيح والنقد الصريح في محاولة كسر الحواجز النفسية التي صنعتها عقد الاستعلاء وعقد المظلومية بين أبناء المسلمين.

- إعادة النظر في تشكيل العقل العربيّ المسلم المعاصر: في المرجعيات الحاكمة، وفي مصادر التشريع، وفي المصطلحات والقواعد الطائفية، وفي الاحتكام إلى التاريخ.

وقد قرأت تقديم العلماء والمفكرين الأفاضل الذين أشادوا بهذا الكتاب المتميز وأشادوا بكاتبه الفاضل، فلم أجدني في أدنى حاجة إلى إضافةٍ، سوى الدعاء للكاتب بالتوفيق والسداد ومزيداً من الأدب والحرص على الحق، إذ لولا أدبه وحرصه على الشورى العلمية؛ لما عنّى نفسه بإرسال كتابه الماتع إلى عشرات من أهل العلم ليقرؤوه، وطلب ممن يستطيع تقديمه إلى المؤسسات العلمية الدينية، ومراكز البحوث أن يفعل!

إننا جميعاً طائفيون قد نشأنا في إطار قالبٍ من الحقّ والعلم والسلوك؛ لا نعدوه وحبسنا أنفسنا في داخله، بخيره وشرّه، وخطئه وصوابه، ولا حاجة بنا إلى المكابرة.

الكتاب:

كتاب (الطريق إلى ألفة المسلمين) لكاتبه النابه الذكيّ الزكيّ –إن شاء الله تعالى- منهاج لو قُدّر له أن يشيع بين المسلمين؛ لأسهم إسهاماً بالغاً في ردم الهوة السحيقة القاتلة بين طوائف الأمة المتربصة المتناحرة.

جزى الله المؤلف الكريم خير الجزاء، ونفع به أمة الإسلام، وزاده بصيرةً في دينه، ولهفة على أمته، واهتماماً برأب صدعها، والتقريب فيما بينها على الحق والعدل والصراحة والنصيحة.

وأسأل الله تعالى أن ينفع بكتابه هذا، وأن يجعله لبنةً صالحة في ركامٍ كثيفٍ من العلم الطائفيّ، والفكر الطائفيّ، والحقد الطائفيّ، والسياسة الطائفية البغيضة التي ستبقي الظلَمة يدوسون على رقاب الأمة باسم وحدة الطائفة وعزّتها إلى ما شاء الله!

كتبه في القاهرة عند فجر الثلاثاء الخامس من ربيع الآخر (١٤٣٠ هـ)

الفقير إلى الله تعالى الشريف عداب بن محمود الحمش الحسيني.

هذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

والحمد لله رب العالمين

تقديم الدكتور/ عصام بن أحمد البشير
وزير الأوقاف السوداني السابق

[بسم الله الرحمن الرحيم]

الحمد لله رب العالمين.. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار. وبعد..

فقد رغب إليَّ الأخ الكريم الباحث المدقِّـق الأستاذ عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي اليمني ــ زاده الله رسوخاً في علمه، وتوفيقاً في عمله ــ أن أطالع بحثه هذا «الطريق إلى الألفة الإسلامية: محاولـةٌ تأصيلية ، ورؤيـةٌ جديدة»؛ فوجدته بحثاً نافعاً ماتعاً.. يدل على سَـعة اطلاعٍ، وجودة فهم، وتجـرُّد نيـة، وطموحٍ إلى غايـةٍ نبيلـةٍ جليلـةٍ: أن يكون واقع المسلمين ــ عامتهم وخاصتهم ــ أفضل، وأن يكونوا إلى الهدى والرشاد أقرب، وأن يتخذوا من «الألفة» (إذ تتعثر، مع الأسف، أحلام «الـوَحدة» !) منطلقاً لاستئنافهم دوراً حضاريًّا رشيداً، تشتد فاقـةُ الإنسانية إليه .

ومن أنفع ما وجدتـُـه في هذا البحث: استيعابـُـه جُـلَّ ما يمكن أن يقال في بابه. ومن أمتع ما لاحظتـُـه فيه: حُـسْنُ تبويبه وتقسيمه، وسلاسـةُ الانتقال فيه من الفكرة إلى التي تليها.

*** ***

وقد أكد الباحث ــ بحكمـةٍ ــ أنه ليس من مراده إنكارُ وجود الفرق والاختلاف في أمة الإسلام، ولا الادعاءُ أن الخلاف بينها فرعيٌّ كلُّه، ولا أن يتنازل بعضٌ لبعضٍ عن بعض أفكاره بغير قناعة.. فضلاً عن أن يطمح إلى توحيد الأمة على رأيٍ في كل مسألـةٍ من مسائل العلم والفكر ! فهذا كله غير عملي، وليس من سنة الله تعالى في خلقه.

بل المراد من البحث ــ بحسَب صاحبه ــ : تصحيحُ تصور الفوارق والاختلافات بين مذاهب المسلمين وفِـرَقهم، ومن ثَـمَّ: تصحيحُ الحكم عليه بلا إفراطٍ ولا تفريط، ومن ثَـمَّ: تصحيحُ التعامل بين المسلمين ــ على تنوعهم ــ وَفْـقَ الهدي النبوي، الأرقى والأنبل، في التعامل مع المخالف.. مهما تكن درجة الخلاف !

وهو ــ من قبلُ ومن بعـدُ ــ «نفثـةُ مصدورٍ، وآهـةُ متـوجـِّـعٍ، ولوعـةُ متألِّـمٍ».. وحَـسْبُ صاحبه أنْ خطا خطوةً في الطريق إلى «الألفة» بين المسلمين، على اختلاف مذاهبهم (العقدية، والفقهية، والفكرية، والدعوية).. توجَّـه بها إلى الباحثين المتجردين، لا المتعصبين الخاملين!

ومن يدري! لعل الله يـُــحــدِث بعد ذلك أمراً.. فتتوحـــدَ كلمة المسلمين فيما ينفعهم: دنيا وأخرى، ويرتقي بهم: نهضـــةً وعمراناً، ويجعلهم في مصافِّ الأمم كما أرادهم المولى ـــ تبارك وتعالى ـــ: «إن هذه أمتكم أمـــةً واحدةً.. وأنا ربكم فاعبدون» (سورة الأنبياء ، الآية ٩٢)، «وإن هذه أمتكم أمـــةً واحدةً.. وأنا ربكم فاتقون» (سورة المؤمنون ، الآية ٥٢)!

*** ***

إنني أشد على يد الأخ الكريم عبدالفتاح اليافعي ، وأسأل الله تعالى لي وله وللقارئين أن يزيد علمَـــنا ، وأن يبارك في عملنا ، وأن يوفقنا ويوفق بنا إلى الهدى والرشاد..

والحمد لله أولاً وآخراً .

أ.د. عصام أحمد البشير

١٤٢٩/١٢/٢١هـــ ــــ ٢٠٠٨/١٢/١٩م

تقديم الشيخ/عمار بن ناشر العريقي

رئيس اللجنة العلمية بجمعة الحكمة اليمانية الخيرية

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي فضيلة الشيخ الكريم/ عبد الفتاح اليافعي حفظكم الله ووفقكم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فإني بعد الإطلاع على بحثكم القيم (في الطريق إلى الألفة الإسلامية) أقول -كشهادة حق وصدق-: لقد تميز هذا البحث بقوة التأصيل العلمي والدعوي والتربوي في موضوع هام وخطير من شأنه تحقيق أسمى الأهداف وأنبل المقاصد (الألفة الإسلامية).

كما تميز البحث بغزارة المعلومات وتنوع الفوائد وأدب اللفظ والعبارة والمضمون، ويظهر من خلاله تجرد الباحث وإنصافه وتحليه -والله حسبه- بالنية الحسنة والمقصد الكريم والغيرة الصادقة.

ولا شك أن هذا البحث لو قرئ بتجرد وإنصاف بعيداً عن مؤثرات التعصب والتقليد وسوء الظن لكان له الأثر الكريم في تحقيق عزة الأمة وقوتها وألفتها وتخلصها من هيمنة أعدائها.

والقارئ مهما اختلف مع الباحث في بعض مسائل الكتاب أو غيرها فلا ينبغي أن يعيقه ذلك عن الاستفادة مما تضمنه هذا الكتاب أو [من] الباحث من علوم مفيدة أخذاً بالحق والحكمة من حيث جاءت كما هو معلوم، ولا يستغني القارئ مهما اتسع علمه من زيادة التأمل والمراجعة والحوار.

فشكر الله لك هذا الجهد الكبير الكريم الموفق وزادك علماً وتوفيقاً وثباتاً وأحسن لك الجزاء والمثوبة.

أخوك/ عمار بن ناشر العريقي

رئيس اللجنة العلمية بجمعية الحكمة اليمانية الخيرية – فرع عدن

وعضو مجلس إدارتها وعضو استشاري مجلة المنتدى

تقديم الشيخ / عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ

عميد دار المصطفى للدراسات الإسلامية

اليمن - حضرموت – تريم

بسم الله الرحمن الرحيم

(ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين)

الحمد لله الذي أكرم عبده المصطفى بالذكر الحكيم والمنهج القويم والصراط المستقيم وصلى الله على عبده الرؤوف الرحيم سيدنا محمد الموصوف من قبل ربه بقوله: (وإنك لعلى خلق عظيم) وعلى آله وصحبه وأهل ولائه وقربه، السائرين على دربه إلى يوم الدين وبعد:

فقد تصفحت الكتاب المسمى: (في الطريق إلى الألفة الإسلامية) للأخ المنور الموفق الحريص على الإسهام في إنقاذ الأمة من هوة التفرق والتمزق والتعادي وسوء المعاملة (عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي) فكان من اجتهاده في ذلك إخراج هذا الكتاب حَسَن التأصيل واضح الدليل، القائم على الإنصاف المبين لأصول الخلاف، وواجب ضبطها بتطبيق النصوص الموجبة لحفظ حرمة الغير، وكظم الغيظ وحسن الظن والمعاملة، والاحتياط في الأقوال والنظر.

وقد بذل الكاتب جهدا مباركا واسعا، أُمِد فيه بتوفيق من الله في بيان حقيقة، ودعوةٍ للاستمساك بالعروة الوثيقة، فآجره الله وجزاه خير الجزاء، ويسر نشر هذا الكتاب لينتفع به الكثير من أفرادِ وجماعاتِ هذه الأمة.

عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ

عميد دار المصطفى بتريم

١٤٢٩/٨/٢٧هـ

تقديم الدكتور / ماجد بن أحمد الدرويش

الأستاذ في جامعة الجنان (لبنان) وعضو رابطة أدباء الشام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعالى القائل: (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله)

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد القائل: (المسلم أخو المسلم لا يحقره ولا يخذله ولا يسلمه..)، وبعد:

فقد أتحفني شيخي الرحّالة، البحّاثة، المحدِّث، الأديب أبو أحمد، مجد بن أحمد مكي حفظه الله تعالى، **ببحث لأخ فاضل، ودارسٍ جاد، ومتحرِّق صادق على واقع أمته، هو الشيخ/ عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي اليمني، وهو بعنوان (في الطريق إلى الألفة الإسلامية)، وهو بحث جاد رصين علمي موفق**، منطلقه قول الله تعالى:﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾. **وغايته حض المسلمين على الترفع عن الأنانيات الشخصية، وبخاصة في هذا الزمن الذي اشتدت فيه الوطأة على الإسلام والمسلمين، مما يوجب العمل صفا واحداً لمواجهة الأخطار المحدقة** انطلاقا من قول الله تعالى: ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾، **قال الحافظ ابن كثير: "أي كما يجتمع الكافرون لقتالكم اجتمعوا أنتم أيضا لقتالهم وقاتلوهم بنظير ما يفعلون" .**

ويكاد ما ذكره الأخ الشيخ عبد الفتاح اليافعي من مشكلات هو العامل الأهم في عدم اجتماع الكلمة على أمر جامع للأمة تواجه فيه تحديات العصر وأخطاره، وبخاصة إذا علمنا أن من أهم ما خُطط لغزو بلادنا هو اللعب على وتر القوميات والأثينيات، والعرقيات، ومشاكل الحدود، هذا مع العلم أن الأصل في هذه الحدود أنها يجب أن لا تكون.

وقد حصل أنه عُقد في باريس سنة ١٩٦٨ م مؤتمر للمنظمة اليهودية العالمية، وقد وقف يومها رئيس المؤتمر وكان اسمه "ياحوم كولدمان" ليقول بكل وضوح: "إذا أرادت إسرائيل أن تعيش مطمئنة في هذه البقعة من الأرض-أي فلسطين-فعلينا أن نُفَسِّخ الشعوب من حولها"، ثم أعطى تصوراً لكيفية تفسيخ الشعوب، فقال: "وذلك عن طريق إقامة دويلة مارونية في لبنان، ودويلة علوية في سورية، ودويلة كردية في شمال العراق".

نعم هذا سبيلهم لتفسيخ الشعوب في المنطقة، وقد وجد هذا هوى عند أصحاب المشاريع الخاصة الضيقة التي تتعارض مع مشروع الأمة الواحدة، كما انشغل الكثير من شبابنا، إن لم أقل من طلبة العلم، في معارك عقدية ومذهبية خارج حدود الزمان والمكان، ساهمت بشكل أو بآخر في إنجاح

جزء كبير من هذا المخطط، فها هي الدويلة الكردية قد أقيمت، وفي لبنان تكاد الدويلات تقوم إذا استمر الأمر على ما هو عليه الآن، والخوف أن تنجح المؤامرات التي تحاك ضد سورية، فينفرط عقد الأمة الواحدة كلياً، وتصبح السلطة في أهم بقعة جغرافية استراتيجية في أرض الإسلام في أيدي الأقليات التي تتوق إلى أن تصبح لها كيانات مستقلة.

وكنت قديماً كتبت كتاباً يشبه في مباحثه ما تفضل به الأخ الكريم الشيخ عبد الفتاح، وهو (الخلاف وأثره في الجرح والتعديل) بحثت فيه الجروح التي وردت وهي غير مؤثرة، والتي أدت إلى زرع بذور البغضاء بين المسلمين، فما أن نُشر هذا الكتاب حتى قامت قائمة المعنيين به وفوقوا إلي سهام التبديع والتضليل، فاعتبرت أن الرسالة قد وصلت وأن الكتاب قد أدى دوره، **وعليه أقول إلى الأخ عبد الفتاح: لا شك أن سهاماً سوف تُفَوَّق إليك، فلا يهولنك الأمر، فإنك وضعت أصبعك على موضع الألم فجزاك الله تعالى كل خير وسدد خطاك، ونفع بك.**

وكتبه ماجد الدرويش

خادم العلم الشريف في طرابلس الشام

طرابلس الشام: ٢٩ ربيع الأول ١٤٢٩ هـ

الموافق له: ٦ / ٤ / ٢٠٠٨ م

تقديم الشيخ/ محمد بن إسماعيل العمراني

عضو الإفتاء والمدرس بمعهد القضاء وجامعة الإيمان (صنعاء)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه الغر الميامين وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين (وبعد):

فهذا الكتاب الذي أقدمه للقراء بعنوان (في الطريق إلى الألفة الإسلامية) الذي كتبه مؤلفه ولدي الشاب النشيط (عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي) حفظه الله لمن أحسن ما أخرج للناس في موضوع الألفة بين المسلمين، ولقد أتى بالأدلة الصحيحة على كل مسألة من المسائل التي احتوى هذا المؤلف عليها.

والخلاصة: أن هذا المؤلَّف سيستفيد منه الطالب ولا يستغني عنه العالم، وهو إن شاء الله سيقدم نفسه بنفسه عند أن يطلع القارئ على بعض صفحات الكتاب من أوله أو من وسطه أو من آخره، والله يجزيه خيرا ويزيد في الشباب الصالحين من أمثاله.

وحرر بتاريخ (صفر/ ١٤٢٩ هـ)

محمد بن إسماعيل العمراني

تقديم الشيخ/ محمد بن علي عجلان
رئيس مجلس الشورى للتجمع اليمني للإصلاح (اليمن)

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله أحمده وأستعينه وأستهديه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبي الرحمة سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وبعد:

فإن وحدة الأمة الإسلامية وقيام العلاقة بين أبنائها على أساس أخوة الإسلام حبا وولاء وتعاونا وتآزرا وتآلفا؛ أمر معلوم من الدين بالضرورة تستمده الأمة من إيمانها بوحدانية الله الذي له الخلق والأمر ووجوب انقيادها لشرعه وهداه. ويتوقف على هذه الأمر قيام الأمة بوراثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حمل الرسالة الخاتمة وتبليغها للناس واستخلافها في الأرض لعمارة الحياة وقيادتها بالإسلام الحق.

وإذا كانت الأمة اليوم تعيش مرحلة الفرقة والشتات والذلة والهوان بسبب الغثائية التي وصلت إليها والمؤامرات التي صبّت عليها من أمم الكفر وطوائفه في العالم؛ فيعتبر العمل على إعادة تحقيق وحدة الأمة الإسلامية وصياغة كيانها المحطم وبنيتها المتصدعة من أهم الواجبات وأكبر الشعائر وأعظم القرب حتى تستعيد دورها في التمكين لدين الله في الأرض.

ومعلوم أن تحقيق هذه الغاية السامية وهذا الهدف النبيل يتوقف على عوامل عدة يأتي في مقدمتها وهوامها وأبرزها توحيد طلائع الأمة وأئمتها المتبوعين وأهل القدوة فيها وهم أهل العلم وحملة الدعوة وقادة الفكر والمتمثلون بالجماعات الإسلامية ومشاهير العلماء العاملين على امتداد الساحة الإسلامية، وهؤلاء قد أدركهم -وللأسف الشديد- ما أدرك أمتهم من عوامل الفرقة والشتات إلا من رحم ربك، وجعلوا من قضايا الخلاف أصلا ومنطلقا بدلا من الالتقاء على الأصول الجامعة والانطلاق من الخطاب الجامع واستشعار ما يحيط بالأمة من أخطار محدقة ومؤامرات كبيرة تستهدف تحطيم مقوماتها حتى لا تقوم لها قائمة.. (ويأبى الله إلا أن يتم نوره...)، وغابت في كثير من الأحيان رحابة الصدر وسعة الاحتمال وتعدد الفهم -فيما يجوز أن يتعدد فيه- وقيام العلاقات على الحب والولاء وحسن الظن والتزام العدل والإنصاف.

ولعمر الحق إن الواجب الشرعي والحاجة الماسة والضرورة القصوى تقتضي أن يلتقي علماء الأمة وحملة الدعوة فيها على هذه الأصول الجامعة، فميدان الأخوة الإسلامية رحب يسع الجميع فلنتق الله تعالى ولنراجع الحساب ولنستشعر أمانة المسؤولية وخطورة المرحلة ولنجعل مصلحة الإسلام والمسلمين فوق كل اعتبار.

ولقد أطلعني الولد البار والأخ الكريم والأستاذ الفاضل العلامة الباحث المحقق/ عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي -وفقه الله وزاده من فضله آمين- على بحثه القيم ورسالته الجليلة المباركة (في الطريق إلى الألفة الإسلامية) التي تعتبر بحق مساهمة كبيرة في أداء هذا الواجب، وخطوة عظيمة في تحمل هذا العبء، وتنبيها حصيفا إلى كثير من الأخطاء التي يقع فيها كثير من حملة الدعوة والعلم في تحديد العلاقة والمواقف من بعضهم البعض، وعرضا محققا لمواقف العلماء المنصفين في مختلف المذاهب والفرق الإسلامية من بعضهم البعض، وأدبا إسلاميا رفيعا نحن اليوم بأمس الحاجة إلى ترسمه والرجوع إليه والاستفادة منه.

ولقد لمست من خلال مطالعتي واطلاعي على هذه الرسالة المباركة وهذا البحث القيم ما بذله هذا الباحث المؤلف الشاب من جهد كبير وتحمله من عناء ثقيل في الجمع والترتيب والنقل وما رجع إليه من مراجع ومصادر متعددة مع التزام الدقة في النقل ومراعاة الأمانة العلمية مما يدل على صدق اهتمامه وسعة اطلاعه وحرصه على أداء واجب جمع الكلمة بين العاملين للإسلام، ولا يخلو عمل كل عامل من قصور أو نقص، سبحان من له الكمال وحده.

والرسالة جديرة بالاطلاع والنشر والتداول وخاصة بين أهل العلم وطلبته والداعين إلى الله، والفائدة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها.

أسال الله أن يجزل لمؤلف هذه الرسالة المثوبة والأجر على حسن قصده وجميل صنعه، وأن يجعل أعمالنا خالصا لوجهه، وأن يكفينا شر أنفسنا وأهوائنا، ويجعلنا هداة مهتدين، وأن يجمع كلمة الأمة على رضاه، ويؤلف بين قلوب المسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان والحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى عفو الله

محمد بن علي عجلان عفا الله عنه

حرر في ٥/ ربيع الآخر / ١٤٢٩هـ

تقديم الشيخ/ محمد بن علي المنصور

عضو هيئة التدريس في المعهد العالي للقضاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطاهرين وصحبه الراشدين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: **فقد وصل إلي الأخ العلامة المحقق الباحث عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي اليمني حفظه الله وطلب مني مطالعة مؤلفه المسمى: (الطريق إلى الألفة الإسلامية – محاولة تأصيلية ورؤية جديدة) فطالعت نحو شطره وجذبني موضوعه إلى تكرار النظر فيه لأهميته وسمو غايته ومسيس الحاجة إليه** في زمان كثرت فيه التراعات وظهر فيه المتشددون الذين لا يرون الحق إلا معهم ويرمون مخالفيهم بالابتداع والتكفير فاستغل! أعداء الإسلام من التشدد وسيلة لإشعال نار الفتن بين الإخوة المسلمين في شتى أرض الإسلام.

وهذا الكتاب من أفضل علاجات التشدد في كل طائفة إذا قرئ بإنصاف وصدق وإخلاص فهو يدعو إلى الاعتصام بحبل الله المتين وأن يفهم المسلمون أنهم إخوة كالجسد الواحد، وأن المسلم معصوم دمه وماله وعرضه بعصمة الإسلام كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)، وأن ذمة المسلمين واحدة وأن الخلاف في الفروع الشرعية أمره رحيب وأنه لازم لهم في كل عصر، من عصر الصحابة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأن الأصول متفقون -بحمد الله- عليها كما جاءت في حديث جبريل عليه السلام، وكل مسألة قطعية المتن والدلالة لا خلاف فيها وإذا حصل في الجزئيات فمن محاسن الشريعة وسعتها وصلاحيتها لكل زمان ومكان فكم أبقى الأول للآخر، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب مبلغ أوعى من سامع).

فما أحوج المسلمين اليوم إلى التضامن والائتلاف والاتحاد بدلا عن التقاطع والخلاف وأن يتعاونوا فيما اتفقوا عليه وأن يعذر بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه كما عذرهم الله تعالى في قوله: (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله..) الآية، وعذرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الخلاف في قوله: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بني قريضة..) الحديث، واختلف الصحابة رضوان الله عليهم في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعده في كثير من المسائل وأقرهم على ذلك، كما في أعمال يوم النحر من الرمي والحلق والنحر والطواف فما سئل عن شيء إلا قال: افعل ولا حرج، رغم علمهم بقوله: خذوا عني مناسككم، ولم يلزمهم فيما

خالفوه بالإعادة، وكاختلافهم في الصوم والإفطار في السفر والنبي صلى الله عليه وآله وسلم مفطر، واختلافهم بعد موته في ميراث الجد والمسح على الخفين ومسائل العول ومتعة الحج وسكنى المطلقة بائنا وألفاظ الأذان وألفاظ التشهد والافتتاح في الصلاة وغير ذلك من المسائل الفقهية وهم إخوة مؤتلفون يتبادلون المودة والاحترام ويتعاونون على جهاد أعداء الإسلام فما أحوجنا إلى ذلك اليوم.

والمؤلف حفظه الله يسعى إلى ذلك ويدعو إلى نبذ التقاطع وسوء الظن بالآخرين ونحن ندعو معه إلى ذلك، وأن يحمل كل مسلم على السلامة متى ما وجد للسلامة محمل، **وقد أورد المؤلف نماذج فيها ذكرى لكل متذكر وعبرة لكل معتبر، وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.**

حقق الله الآمال، وأصلح بفضله وجوده وكرمه الأقوال والأعمال والأحوال، إنه على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد الصادق الأمين وعلى آله الطاهرين وصحبه الراشدين والتابعين لهم بإحسان آمين.

كتبه محمد بن علي المنصور

عضو هيئة التدريس بالمعهد العالي للقضاء

بتاريخ ١٦/ ربيع ثاني /سنة ١٤٢٩هـ ٢٣/٤/٢٠٠٨م

تقديم الدكتور/ محمد بن موسى الشريف

الأستاذ في جامعة الملك عبد العزيز بجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد واله وصحبه أجمعين

وبعد :

فإن الألفة بين المسلمين ليست خلقا حسنا أو سلوكا حميدا فقط، بل هي عبادة يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى إذا صحت النية

وقد من الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بها فقال جل من قائل: (وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم)

وفي هذا الوقت وقد تكالب علينا الأعداء وخذلنا الأصدقاء وأُحيط بنا إحاطة السوار بالمعصم والقلادة بالعنق، في هذا الوقت يعظُم قدر الألفة وتشتد الحاجة إليها، **ولا يجوز أن نجعل خلافاتنا في الفروع أو الخلافات المحتملة في الأصول تمزق أُلفتنا وتفتت اجتماعنا**، فإن صنعنا فما هو عذرنا عند الله تعالى يوم القيامة.

هذا وإني قد نظرت في بحث الشيخ [عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي] فحسُن عندي موقعه وراقتني مباحثه التي وضع بعضها وضعا مبتكرا، وحشد لها الأمثلة من السلف والخلف وهذا صنيعٌ حسنٌ جليل، وأسال الله له التوفيق والإخلاص في القول والعمل.

وصلِ اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

د.محمد بن موسى الشريف

١٤٣٠/١/٣هـ

تقديم الشيخ/ يحي بن أبي بكر الملا الأحسائي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإن وحدة الأمة الإسلامية في فكرها وثوابتها هو هاجس المسلم المعاصر وهمه الأول بعد أن برز ضعف الأمة وتمزقها في نواحي كثيرة. وهذا ما جعلها لقمة سائغة لأعدائها بعد أن اختلفت وافترقت إلى طوائف وشيع ومذاهب متناحرة يغلب عليها الشحناء والبغضاء والبحث عن العورات وإساءة الظنون، وإلزام المخالفين بما لم يقولوه أو يتفوهوا به، وكأن غرض كل فرقة أن تصور لعموم الناس أنها الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، وأن مخالفيها يدور حالهم بين البدعة والكفر حتى امتد هذا الرأي وتغلغل في الجماعة الواحدة ذات المنهج الواحد، فانقسمت بذلك إلى فرق، كل فرقة تلتف حول شيخ من الشيوخ وتتخذ مساجد لجماعتها لا تفارقها، ولا تصلي خلف إمام ينتمي إلى غير شيخها.

وهذه الانقسامات وهذه الفرقة ينظر إليها المسلم الناشئ الذي لا صلة له بالعلوم الشرعية من جهتين:

الأولى: يتطلع إلى التقارب بين الفرق الإسلامية حتى لو أدى ذلك إلى التنازل عن بعض الثوابت ذات الجذور الأصلية في المعتقدات الدينية. ولا شك أن هذا انتكاسة عن جادة الطريق، وذوبان لا تحمد عقباه.

الثانية: يتطلع بعض المسلمين إلى اتحاد واتفاق المسلمين في الفكر والمنهج والرأي، سواء في العقائد أو في العبادات والمعاملات تحت مظلة الرجوع إلى الكتاب والسنة والعمل بظاهرهما وفق منهج معين يجب ألا يُتَعدى. ولا شك أن هذا تضييق لروح الإسلام وإغلاق لمدارك العقول المختلفة التي يتفاوت إدراكها ونظرها في الحكم على الأشياء ، لذا نجد الصحابة رضي الله عنهم قد اختلفوا في كثير من المسائل الفرعية رغم أن القرآن أنزل عليهم وهم حاملوا لواء السنة النبوية، ولكنها سنة الله في عباده من اختلاف المفاهيم والمدارك.

ولعل طوق النجاة للمسلمين اليوم هو الرجوع إلى المذاهب الأربعة المتبعة ومناهجها التي جرى عليها عمل المسلمين منذ قرون طويلة من غير تعصب، والتقيد بتلك المناهج من: جهة العلم وكذا الآداب والذوق مع المخالفين لتسموا النفوس وترتفع عن العجب بالرأي والتعصب للفكر.

ومع ذلك كله فلا تزال الأمة المحمدية ولله الحمد والمنة حاملة راية الحق والهداية مهما وقع فيها من خلاف. ومما يسر الخاطر ويبعث السرور أن تجد رجالا يتحملون هموم أمتهم لم تفتر هممهم و لم تستكن عزائمهم، رغم الكبوات التي تحل بالأمة الإسلامية، يسعون جاهدين في لم الشمل حرصا منهم

على وحدة الأمة وتخليصها من التمزق والتفرق الذي حل بها، امتثالا لقول الله تعالى: **(**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**)**.

وقد حاول الأخ الفاضل الشيخ عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي حفظه الله في كتابه الذي سماه (في الطريق إلى الألفة الإسلامية) أن يكون سببا من الأسباب التي تساعد على المساهمة في وحدة المسلمين ولم شملهم ونبذ الخلاف بينهم.

وقد حاول حفظه الله حصر الأسباب التي أدت إلى الفرقة بين المسلمين إلى ثلاثة أمور:

الأول: الخطأ في تصور الآخر، والثاني: الخطأ في الحكم على الآخر، والثالث: الخطأ في معاملة الآخر، وقد بين من خلال هذه الأمور الثلاثة أسباب الفرقة بين المسلمين وأن العودة إلى لم شملهم تكمن في تصحيح هذه الأخطاء وفتح باب الحوار والاتفاق على الثوابت وعدم الإنكار في المسائل الجزئية التي يدخلها الاجتهاد.

فما أحوج المسلمون في هذه الأيام إلى مثل هذه الكتب والمؤلفات التي تساعد وتدعو إلى التضامن والائتلاف وأن يكونوا يدا واحدة يعذر بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه ويجتمعوا فيما اختلفوا فيه.

أسأل الله العظيم أن يجزل المثوبة والأجر لمؤلف هذا الكتاب على حسن صنيعه ونبل مقصده وأن يجعل أعمالنا كلها خالصة لوجهه الكريم ، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين. وفقك الله يا شيخ على مثل هذا فسر.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه المفتقر إلى عفو المولى

يحي بن الشيخ محمد بن الشيخ أبي بكر الملا

الأحساء - في ١٠ /ربيع الآخر/١٤٣٠هـ

تقديم الشيخ/محمد يونس بن الشيخ محمد عمر البالنبوري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه

أما بعد:

فهذا الكتاب (الطريق إلى الألفة الإسلامية) الذي كتبه مؤلفه ولدي الأخ النشيط (عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي) حفظه الله؛ من أحسن ما أُلفَ في موضوع (الألفة الإسلامية) وقد أتى بالأدلة الصحيحة على مسائل الكتاب التي احتوى عليها.

وهذا الكتاب سيستفيد منه الطالب والعالم، وهو إن شاء الله سيقدم نفسه بنفسه عندما يطلع القارئ على بعض صفحاته من الأول أو الوسط أو الآخر، والله يجزيه خيرا ويزيد في الشباب الصالحين من أمثاله آمين.

محمد يونس بن الشيخ محمد عمر بالنبوري

٥/ ربيع الأول /١٤٣٠هـ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فقد ذكَرَت مجلة المجتمع الكويتية في عددها (٧٩٠) أن ريتشارد ميتشل ذكر في خطابه لرئيس الخدمة السرية في المخابرات الأمريكية عدة توصيات لغزو المسلمين فكريا، **وذكر من ضمن التوصيات: تعميق الخلافات المذهبية والفرعية وتضخيمها في أذهانهم) اهـ**

لقد كانت سياسة الاستعمار في المسلمين -ولا زالت- هي: (فرّق تسُد)، ولقد أفلح أعداء الإسلام في تفريق الأمة وفي تحقيق مخططاتهم، ([1]) فلا يخفى على أحد ما آل إليه حال المسلمين من التفرق والتشرذم والتمزق والاختلاف والتناحر على كافة الأصعدة:

- **فعلى الصعيد السياسي:** هناك أكثر من خمسين دولة، كثير منها في خلافات ونزاعات، بل وتقوم أحيانا الحروب فيما بينها على أتفه الأسباب، وتلك دولة تتحالف مع دولة كافرة ضد دولة مسلمة، والآخر مع أخرى كافرة.. وهكذا.
- **وعلى الصعيد الفكري:** هناك توجهات فكرية كثيرة مختلفة فيما بينها، وهناك جماعات دعوية كثيرة مختلفة، وهناك مذاهب عقدية وفقهية كثيرة كذلك، يصل الحال أحيانا ببعضهم إلى حد التكفير والاقتتال كما لا يخفى، وما شأن العراق عنا ببعيد.
- **وعلى الصعيد الاجتماعي:** هناك في كثير من البلدان: قبائل كثيرة متناحرة متدابرة وأحيانا متقاتلة، وعلى المستوى الأسري والشخصي نجد الاختلافات والخصومات على قدم وساق، تعرف ذلك بدخول أي قسم شرطة أو أي مبنى محكمة.

حالة يدمى لها القلب، وينفطر لها الفؤاد، وتبكي لها العين، ويندى لها الجبين، والنتيجة الحتمية هي بلا شك الفشل وذهاب الريح (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) فأدى ذلك إلى تكالب الأعداء علينا، وصرنا أضعف الأمم نسأل الله العفو والعافية والسلامة.

ولقد حذرَنا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله ([2]) وسلم من التفرق والاختلاف، في آيات وأحاديث كثيرة، ولا داعي لذكرها لأنها أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر.

([1]) لست أؤمن بنظرية المؤامرة ولكني مع ذلك لا أشك في أن لأعداء الإسلام دورا كبيرا في تفريق المسلمين وتمزيقهم، ولا شك أن هناك أيضا عوامل داخلية من المسلمين أنفسهم

وليس المراد بهذا البحث المجال السياسي أو المجال الاجتماعي، بل المجال الفكـــري فإنـــه أكثـــر المجالات اختلافا [٣]، **فالخلاف فيه يثار على الدوام بمناسبة وبغير مناسبة، وتبذل في ذلك الخلاف الأموال والأوقات والجهود الضخمة** التي لو بذلت فيما هو أولى لكان الحال غير الحال، والمصيبة أن هذا الاختلاف حاصل باسم الدين فكل طرف يدعي أن ما يفعله هو من صميم الدين وهـــو الحـــق المطلق، وكان للجهل دور في توسيع دائرة الخلاف وصدق أبو حامد الغزالي [٤] عندما قال في كتابه فيصل التفرقة ص٩٢: (إن التحدي بالعلوم غريزة في الطبع لا يصبر عنه الجهال، **ولأجله كثر الخلاف بين الناس، ولو ينكث من الأيدي من لا يدري لقل الخلاف بين الخلق**)اهـــ ومثله قول ســـقراط: **(لو سكت من لا يعلم لسقط الاختلاف)** اه قواعد التحديث للقاسمي ص٣٨٩

(ولا يزعجني أن يكون في أمة الإسلام مدارس أو فصائل أو جماعات، لكل منها منهجه في خدمة الإسلام والعمل على التمكين له في الأرض، وفقا لتحديد الأهداف وترتيبها وتحديـــد الوســـائل ومراحلها، والثقة بالقائمين على تنفيذها من حيث القوة والأمانة أو الكفاية الإخلاص.

إنما يزعجني ويؤرقني ويذيب قلبي حسرات أن تعادى أمة الإسلام نفسها، وأن يكون عدوها من داخلها، وأن يضرب بعضها بعضا، ويكيد بعضها لبعض، وأن يكون بأسها بينها) [٥]

وهذا البحث هو عبارة عن محاولة لتأصيل الطريق إلى الألفة بين المسلمين تأصيلا علميـــا، وقـــد حاولت فيه الاختصار وذلك حتى تتسنى قراءته للكل، خصوصا ونحن في زمن ضعفت فيه الهمـــم، وأرجو ألا يكون اختصاري مخلا، ولا أزعم أني سأعطي الموضوع حقه بل ولا عشر معشار ذلـــك،

---

[٢] التزمت في بحثي هذا الصلاة على الآل مع الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمره صلى الله على وآله وسلم بذلك في الصلاة الإبراهيمية، ومما يجدر التنبيه عليه أني أكتب الصلاة على الآل في كل ما أحكيه من النقول حتى ولو كان المنقول عنه لم يذكر الصلاة على الآل.

[٣] حتى إنك لتجد في البيت الواحد الانتماءات الفكرية المختلفة، وهذا حاصل في الحاضر والماضي، قال ابن عائشة: كان للحسن بن قيس بن الحصين: ابنٌ شيعي وابنةٌ حرورية وامرأة معتزلية وأخت مرجئية وهو سني جماعي، فقال لهم ذات يوم: أراني وإياكم طرائق قددا) اه ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص٣١٣، والتاريخ يعيد نفسه.

[٤] تنبيه مهم: كنت في أول الأمر أذكر ألقاب من أنقل عنهم فأقول مثلا في الغزالي: قال حجة الإسلام، فقال لي بعض من قرأ البحث لماذا ذكرت فلانا بلقب كذا و لم تذكر فلانا بلقب كذا؟ ثم بعد ذلك التزمت في بحثي هذا إسقاط الألقاب إلا إذا كان اللقب مذكورا من قِبَلِ غيري، وذلك حتى لا أثير تحسس المخالف لصاحب اللقب، ولأن كل فريق لا يقبل لأصحابه إلا الألقاب العالية، وفي المقابل لا يقبل لمخالفه ذلك.

[٥] اقتباس من (الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم) للدكتور القرضاوي ص٥ بتصرف.

ولكنها نفثة مصدور وآهة متوجع ولوعة متألم على حال المسلمين، وحسبي أني خطوت خطـــوة في الطريق إلى الألفة بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم الفكرية (العقدية والفقهية والدعوية)

(وسأحاول أن أكون متحررا، ليس تحرر (موضة) وإنما هو تحرر ســـاكنٌ في نفســـي وروحـــي.. منطلقي هو التحرر من كل سلطة في نقد الأفكار، لأن القمع لا ينتج إلا أفكارا بائسة واتجاهات رثة.. شعاري: (امنحني حرية أمنحك فكرا راقيا).. إذن لنتحرر ونحرر الكلمة) (٦)

وأنا على يقين من أن العقلاء والمعتدلين من كل طائفة -وهم مقصدي وهم كُثُر- سيرحبون بهذا البحث ويضعونه في الاعتبار، وأن الغلاة من كل طائفة سيرفضون الفكرة من أساسها وسيشنعون على صاحب البحث، وقد يكون الدافع لهم حسنا، ولكن..كم من مريد للخير لا يدركه.

قال القاسمي في رسالته في الجرح والتعديل ص٤: (من المعروف في سنن الاجتماع أن كل طائفة قويَ شأنها وكثر سوادها لا بد أن يوجد فيها الأصيل والدخيل والمعتدل والمتطرف والغالي والمتسامح، **وقد وجد بالاستقراء أن صوت الغالي أقوى صدىً وأقوى استجابة، لأن التوسط منزلة الاعتدال ومن يحرص عليه قليل في كل عصر ومصر، وأما الغلو فمشرب الأكثر ورغيبة السواد الأعظم وعليه درجت طوائف الفرق والنحل**) اهـــ

وكأني بالمتعصبين من كل مذهب - ممن سيطلعون على البحث – وقد قال عني السني منـــهم إني رافضي، وقال عني الشيعي منهم إني ناصبي، وقال عني السلفي منهم إني حلـــولي، وقـــال عـــني الصوفي منهم إني وهابي، وقال عني المعتزلي والزيدي منهم إني جبري، وقال عني الحنبلي منهم إني جهمي، وقال عني الأشعري منهم إني حشوي.. إلخ

وهذا هو شأن المتعصبين على مر التاريخ إذا طرق آذانهم خلاف ما ألفوه، وهنا أتمثل بقول ابن بطة:

(عجبت من حالي في سفري وحضري مع الأقربين مني والأبعدين والعارفين والمنكـــرين، فـــإني وجدت بمكة وخراسان وغيرهما من الأماكن أكثر من لقيت بها موافقا أو مخالفا دعاني إلى متابعته على ما يقوله وتصديق قوله والشهادة له:

- فإن كنت صدقته فيما يقول وأجزت له ذلك كما يفعله أهل هذا الزمـــان سمـــاني موافقا
- وإن وقفت في حرف من قوله أو في شيء من فعله سماني مخالفا

---

(٦) اقتباس من كتاب (الانتقال الصعب في رحاب المعتقد والمذهب) لإدريس الحسيني ص١٤ بتصرف

- وإن ذكرت في واحد منها أن الكتاب والسنة بخلاف ذلك واردٌ سماني خارجيا
- وإن قرأت عليه حديثا في التوحيد سماني مشبها
- وإن كان في الرؤية سماني سالميا
- وإن كان في الإيمان سماني مرجئيا
- وإن كان في الأعمال سماني قدريا
- وإن كان في المعرفة سماني كراميا
- وإن كان في فضائل أبي بكر وعمر سماني ناصبيا
- وإن كان في فضائل أهل البيت سماني رافضيا
- وإن سكتُّ عن تفسير آية أو حديث فلم أجب فيهما إلا بهما سماني ظاهريا
- وإن أجبت بغيرهما سماني باطنيا
- وإن أجبت بتأويل سماني أشعريا
- وإن حجدتهما سماني معتزليا
- وإن كان في السنن -مثل القراءة- سماني شفعويا
- وإن كان في القنوت سماني حنفيا
- وإن كان في القرآن سماني حنبليا
- وإن ذكرت رجحان ما ذهب كل واحد إليه من الأخبار -إذ ليس في الحكم والحديث محاباة- قالوا: طعن في تزكيتهم
- ثم أعجب من ذلك أنهم يسمونني -فيما يقرءون علي من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم- ما يشتهون من هذه الأسامي!
- **ومهما وافقت بعضهم عاداني غيره وإن داهنت جماعتهم أسخطت الله** تبارك وتعالى ولن يغنوا عني من الله شيئا وإني مستمسك بالكتاب والسنة وأستغفر الله الذي لا إله إلا هو وهو الغفور الرحيم) اه الاعتصام للشاطبي ج١/٢٨-٢٩ (٧)

وكذا أتمثل بحال الشاطبي حيث يقول: (فتردد النظر بين أن أتبع السنة **على شرط مخالفة ما اعتاد الناس فلا بد من حصول نحو مما حصل لمخالفي العوائد لا سيما إذا ادعى أهلها** أن ما هم عليه هو السنة لا سواها... فأخذت في ذلك على حكم التدريج في بعض الأمور فقامت عليّ القيامة**

---

(٧) يحكي الذهبي في السير (١٨/٣٥١) هذه المقولة عن ابن منده فيقول: (عن السمعاني قال: سمعت الحسين بن عبد الملك الخلال، سمعت عبد الرحمن ابن منده يقول: (قد عجبت من حالي...)اه

وتواترت عليّ الملامة وفَوّق إليّ العتابُ سهامه ونسبتُ إلى البدعة والضلالة وأنزلت منزلة أهل الغباوة والجهالة... **وربما ألمّوا في تقبيح ما وجهت إليه وجهتي بما تشمئز منه القلوب**، أو خرجوا بالنسبة [لي] إلى بعض الفرق الخارجة عن السنة شهادة ستكتب ويسألون عنها يوم القيامة:

- فتارة نسبت إلى القول بأن الدعاء لا ينفع ولا فائدة فيه كما يعزى إلي بعض الناس بسبب أني لم ألتزم الدعاء بهيئة الاجتماع في أدبار الصلاة حالة الإمامة...
- وتارة نسبت إلى الرفض وبغض الصحابة رضي الله عنهم بسبب أني لم ألتزم ذكر الخلفاء الراشدين منهم في الخطبة على الخصوص...
- وتارة أضيف إلي القول بجواز القيام على الأئمة وما أضافوه[إلي] إلا من عدم ذكري لهم في الخطبة...
- وتارة أحمل على التزام الحرج والتنطع في الدين، وإنما حملهم على ذلك **أني التزمت في التكليف والفتيا الحمل على مشهور المذهب الملتزم لا أتعداه وهم يتعدونه** ويفتون بما يسهل على السائل ويوافق هواه وإن كان شاذا في المذهب الملتزم أو في غيره، وأئمة أهل العلم على خلاف ذلك، وللمسألة بسط في كتاب الموافقات
- وتارة نسبت إلى معاداة أولياء الله وسبب ذلك أني عاديت بعض الفقراء المبتدعين المخالفين للسنة المنتصبين بزعمهم لهداية الخلق. وتكلمت للجمهور على جملة من أحوال هؤلاء الذين نسبوا أنفسهم إلى الصوفية و لم يتشبهوا بهم
- وتارة نسبت إلى مخالفة السنة والجماعة بناء منهم على أن الجماعة التي أمر باتباعها وهي الناجية: ما عليه العموم)اه الاعتصام ج١/ص٢٧

وقبل ذلك قال الشافعي رضي الله عنه:

(إن نحن فضلنا عليا فإننا * روافض بالتفضيل عند ذوي الجهل) .

(وفضل أبي بكر إذا ما ذكرته * رميت بنصب عند ذكري للفضل) .

(فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما * بحبهما حتى أوسد في الرمل) .

انتهى، ذكره ابن حجر في الصواعق المحرقة (ج ١ / ص ١٩٣)

ومرادي ومقصدي بهذا البحث الباحثون المتجردون، لا الباحثون المتعصبون، ولا المتجردون الخاملون، ولا -من باب أولى- المتعصبون الخاملون، قال ابن قتيبة في مقدمة كتابه الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ص١٠: (وسيوافق قولي هذا من الناس ثلاثة:

- **رجلا منقادا سمع قوما يقولون فقال كما قالوا** لا يرعوي ولا يرجع لأنه لم يعتقد الأمر بنظر فيرجع عنه بنظر

- **ورجلا تطمح به عزة الرياسة وطاعة الإخوان وحب الشهرة** فليس يرد عزتـــه ولا يـــثني عنانه إلا الذي خلق إن شاء، لأن في رجوعه إقراره بالغلط واعترافه بالجهل وتـــأبى عليـــه الأنفة، وفي ذلك أيضا تشتت جمع وانقطاع نظام واختلاف إخوان عقدهم لـــه النحلـــة، والنفوس لا تطيب بذلك إلا من عصمه الله ونجاه
- **ورجلا مسترشدا يريد الله بعمله لا تأخذه فيه لومة لائم** ولا تدخله من مفارقٍ وحشة ولا تلفته عن الحق أنفة، **فإلى هذا بالقول قصدنا وإياه أردنا!)** انتهى

هيكلة البحث

وقد جعلت الموضوع في ثلاثة محاور:

المحور الأول: في تصحيح التصور عن الآخر

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تصحيح النقل عن الآخر

وفيه فرعان:

الفرع الأول: نماذج من النقل الخاطئ

وفيه مسألتان:

الأولى: نماذج في الأشخاص

الثانية: نماذج في الطوائف والفرق

والفرع الثاني: من وسائل تصحيح النقل عن الآخر

وفيها مسائل:

المسألة الأولى: تمحيص ما ينقل في كتب التاريخ والتراجم والفرق

والمسألة الثانية: الأخذ من المصادر لا الوسائط

والمسألة الثالثة: عدم تعميم الخاص

والمبحث الثاني: تصحيح الفهم

وفيه فرعان:

الفرع الأول: لنفهم الآخر كما يريد لا كما نريد

والفرع الثاني: نماذج من الفهم الخاطئ

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: نماذج في الأشخاص

والمسألة الثانية: نماذج في الطوائف

المحور الثاني: في تصحيح الحكم على الآخر

وفيه مباحث:

المبحث الأول: أنواع الخلاف

وفيها فروع:

الفرع الأول: خلاف التنوع

والفرع الثاني: الخلاف الشكلي

والفرع الثالث: الخلاف الحقيقي (المعتبر وغير المعتبر)

والمبحث الثاني: هل هناك فرق بين الخطأ في الاعتقاد والخطأ في العمل؟

والمبحث الثالث: متى يعذر المخالف في الاعتقاد والعمل؟

والمبحث الرابع: مسألة التكفير

وفيه فروع:

الفرع الأول: فر من التكفير فرارك من الأسد

والفرع الثاني: جهات التكفير

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: التكفير الوصفي وضوابطه

والمسألة الثانية: التكفير العيني وضوابطه

والفرع الثالث: التكفير في مسائل العقائد

والفرع الرابع: نماذج من الإسراف في التكفير

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى : نماذج في الأشخاص

والمسألة الثانية : نماذج في الطوائف

والمبحث الخامس: الاعتدال والتجرد والإنصاف في الحكم على الآخر

وفيه فروع:

الفرع الأول: نماذج من التاريخ على الأحكام الجائرة

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: نماذج في الأشخاص

والمسألة الثانية: نماذج في المسائل

والفرع الثاني: دور البيئة والمنشأ في الحكم على الآخر سلبا وإيجابا

والفرع الثالث: الحق أحق أن يتبع

والفرع الرابع: الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل

والمبحث السادس: إشكالات في حديث افتراق الأمة

وفيه فروع:

الفرع الأول: إشكالات في روايات حديث الافتراق

والفرع الثاني: إشكالات في مضمون حديث الافتراق

والفرع الثالث: إشكال فهم السلف الصالح

والفرع الرابع: من هي الفرقة الناجية ؟

المحور الثالث: في تصحيح المعاملة مع الآخر

وفيه مباحث:

المبحث الأول: لا إنكار في مسائل الخلاف

والمبحث الثاني: المنهج الشرعي في التعامل مع المخالف

وفيه فروع:

الفرع الأول: المنهج القرآني في التعامل مع المخالف

والفرع الثاني: الهدي النبوي في التعامل مع المخالف

والفرع الثالث: الهجر والشدة بين الشرع والواقع

والمبحث الرابع: نماذج مشرقة ونماذج مظلمة من التاريخ في التعامل مع المخالف

وفيه فرعان:

الفرع الأول: نماذج مشرقة في التعامل مع المخالف

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: نماذج في الأشخاص

والمسألة الثانية: نماذج في الطوائف

والفرع الثاني: نماذج مظلمة في التعامل مع المخالف

وفيه مسألتان :

المسألة الأولى: نماذج في الأشخاص

والمسألة الثانية: نماذج في الطوائف

والمبحث الخامس: هو سماكم المسلمين

وفيه فرعان:

الفرع الأول: عدم التفريق في الحقوق الإسلامية بحسب المذاهب

والفرع الثاني: القواسم المشتركة بين المذاهب الإسلامية كثير

والمبحث السادس: لنتعاون فيما اتفقنا عليه

والمبحث السابع: تجنب الإرهاب الفكري وردود الأفعال

ثم الخاتمة:

وفيها مسائل:

المسألة الأولى: دور السلوك والتزكية في تصحيح التصور والحكم والمعاملة

والمسألة الثانية: أهمية الحوار ودوره في تصحيح التصور والحكم والمعاملة

والمسألة الثالثة: التقريب بين المذاهب الإسلامية

والمسألة الرابعة: دور الحكام والساسة في الألفة والفرقة

والمسألة الخامسة: نداء إلى العلماء والدعاة والمفكرين والمصلحين وعامة المسلمين

بين يدي البحث : ولا يزالون مختلفين

إن وجود الفروق الفكرية بين مذاهب المسلمين -في العقيدة والفقه والدعوة- أمر واقع وإنكاره يعد سفسطة، وليس مرادنا هو إنكار وجود تلك الفروق، أو الادعاء أنها كلها فرعية، ولا مرادنا أن يتنازل البعض عن مذهبه بغير قناعة، وليس المراد أيضا هو توحيد الأمة على رأي واحد (فقهي أو عقدي أو دعوي)، فهذا مستحيل لأسباب كثيرة منها اختلاف الأفهام والمدارك والميول والعقول، ولأن الإرادة الإلهية اقتضت أنه: (ولا يزالون مختلفين...) الآية

قال الشيخ محمد الغزالي: (**إن اختلاف العقول أمر طبيعي ومن العسير جمع الناس على مذهب واحد في الفكر والاستنتاج**، وتَصَوُّرُ! أن الأمة الإسلامية يمكن جمعها أو كان يمكن جمعها على وجهة نظر واحدة في فهم النصوص الواردة شيء مستحيل أو قريب من المستحيل) اه دستور الوحدة الثقافية ص٥٣

وقبله قال ابن القيم في الصواعق المرسلة ج٢/ص٥١٩: (**ووقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لا بد منه لتفاوت إرادتهم وأفهامهم وقوى إدراكهم**، ولكن المذموم بغي بعضهم على بعض وعدوانه، **وإلا فإذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التباين والتحزب وكل من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله لم يضر ذلك الاختلاف فإنه أمر لا بد منه في النشأة الإنسانية...**)اه

بل مرادنا أن نقول: إن الطريق إلى الألفة الإسلامية يمر بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: تصحيح التصور: بأن نتصور الآخرين -المخالفين لنا في المذهب- التصور الصحيح لأن كثيرا من المسائل المختلف فيها لم يتصورها بعضنا عن بعض التصور الصحيح

والمرحلة الثانية: تصحيح الحكم: بأن نحكم على المسائل المختلف فيها وعلى أصحابها الحكم الصحيح لأن كثيرا من المسائل المختلف فيها لم يحكم بعضنا على بعض فيها الحكم الصحيح

والمرحلة الثالثة: تصحيح المعاملة: بأن نتعامل مع المخالفين لنا في المذهب التعامل الصحيح لأننا في كثير من الأحيان لا يتعامل بعضنا مع بعض التعامل الصحيح

فإذا تصوّرْنا الآخرين التصور الصحيح فسيتبين أن هناك ما هو غير صحيح في النسبة أصلا، وأن بعض المسائل أسيء فهمه، وبعضها عمم فيه الخاص، وبعضها شكلي صوري لا حقيقي

وإذا عرفنا الحكم الصحيح على المسائل التي خالف فيها الآخرون فسيتبين لنا أن كثيرا من المسائل التي كنا نظنها أصلية هي فرعية، وأن كثيرا من المسائل حصل التجاوز في الحكم عليها وعلى أصحابها

وإذا عرفنا التعامل الصحيح مع الآخرين فسيتبين لنا أننا قد أسأنا التعامل معهم، وخالفنا المنهج القرآني والهدي النبوي في ذلك

أعيد وأكرر فأقول: ليس المراد هو إنكار وجود الفوارق بين الطوائف، ولا ادعاء فرعيتها كلها، ولا التنازل عن المذاهب، ولا توحيد الأمة على رأي واحد، بل المراد هو تصحيح تصـــور تلـــك الفوارق وتصحيح الحكم عليها وتصحيح التعامل مع أصحابها، ولذا قلنا في عنـــوان البحـــث: الطريق إلى الألفة الإسلامية لأن الألفة لا تتعارض مع التعدد، ولم نقل إلى الوحدة الإسلامية، لأن تحقيق الوحدة الإسلامية أمر مستحيل، إلا إذا كان المقصود بالوحدة هو وحدة القلوب لا وحدة الآراء، وهذا هو أوان الشروع في المراد:

المحور الأول:

تصحيح التصور عن الآخر

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تصحيح النقل عن الآخر

والمبحث الثاني: تصحيح الفهم عن الآخر

المحور الأول: تصحيح التصور عن الآخر

المبحث الأول: تصحيح النقل

تصحيح التصور له ركنان: الأول: تصحيح النقل، والثاني: تصحيح الفهم، ولنبدأ بالحديث عن الركن الأول (تصحيح النقل) في الفروع التالية:

الفرع الأول: نماذج من النقل الخاطئ

المسألة الأولى: نماذج من النقل الخاطئ في الأشخاص

وسنذكر بعض الأمثلة والنماذج من التاريخ الإسلامي على هذا المترلق الخطير وليس المراد هو التقصي بل ولا الإكثار، وإلا لطال بنا المقام فذلك يحتاج إلى جزء مفرد، فمن ذلك:

النموذج الأول: أبو حنيفة والأوزاعي

روى الخطيب البغدادي في تاريخه ٣٣٨/١٣ بسنده إلى: (عبد الله بن المبارك قال: قدمت الشام على الأوزاعي فرأيته ببيروت فقال لي: يا خراساني من هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة يكنى أبا حنيفة؟! فرجعت إلى بيتي فأقبلت على كتب أبي حنيفة فأخرجت منها مسائل من جياد المسائل وبقيت في ذلك ثلاثة أيام فجئت يوم الثالث وهو مؤذن مسجدهم وإمامهم والكتاب في يدي

فقال: أي شيء هذا الكتاب؟ فناولته فنظر في مسألة منها وقّعت عليها: قال النعمان، فما زال قائما بعد ما أذن حتى قرأ صدرا من الكتاب ثم وضع الكتاب في كمه ثم أقام وصلى ثم أخرج الكتاب حتى أتى عليها فقال لي: يا خراساني من النعمان بن ثابت هذا؟ قلت: شيخ لقيته بالعراق، **فقال: هذا نبيل من المشايخ اذهب فاستكثر منه، قل : هذا أبو حنيفة الذي نهيت عنه!!**) اه

وفي رواية أخرى ذكرها الكاندهلوي في شرحه على الموطأ ٨٨/١: (أن ابن المبارك قال: ثم التقينا بمكة فرأيت الأوزاعي يجاري أبا حنيفة في تلك المسائل والإمام يكشف له بأكثر مما كتبت عنه.

فلما افترقنا قلت للأوزاعي: **كيف رأيته؟ قال :غبطت الرجل بكثرة علمه ووفور عقله وأستغفر الله تعالى لقد كنت في غلط ظاهر، الزم الرجل فإنه بخلاف ما بلغني عنه!**)اه

لقد كان الإوزاعي –على جلالته- قبل أن يعرف حال أبي حنيفة جائرا عليه في الحكم فوصفه بالمبتدع، بل وكان الأوزاعي يقول: (**ما ولد في الإسلام مولد أشر من أبي حنيفة**) اه السنة لعبد الله بن أحمد ١٨٧/١، وكان يقول أيضا: (**أبو حنيفة ينقض عرى الإسلام عروة عروة**)اه السنة لعبد

الله بن أحمد ١٨٦/١،كل هذا بسبب البلاغات الخاطئة، لكن الأوزاعي بعدما قرأ كلام أبي حنفية وجالسه غيّر رأيه فيه بل ومدحه وأثنى عليه وحث على الاستكثار من علمه

إن المنهج القرآني يدعو إلى التثبت والتحقق والتأكد من صحة المعلومات قبل نسبتها لأحد وقبل الحكم عليه، قال تعالى: (يا أيها الذي آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) وقد يكون الذي جاء بالنبأ ليس بفاسق لكن مصدره فاسق، وقد يكون اعتمد على مجهول وقد يكون غير ضابط للخبر... الخ

وقد ينتشر الخبر الكاذب ويشتهر ويتحدث به الناس،كما اشتهر عند مشركي العرب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كاهن وساحر، بل قد ينتشر الخبر الكاذب في الأوساط الإسلامية ويتحدث به بعض الصالحين عن غفلة كما حصل في قصة الإفك مع السيدة عائشة رضي الله عنها ونزلت في ذلك الآيات التي تدعوا إلى التثبت وحسن الظن وعدم الخوض فيما يشاع (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) (ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم ، يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين) .. فيجب علينا أن نأخذ الدروس والعبر من هذه الحادثة وما أكثرها.

إن النقل الخاطئ يؤدي بلا شك إلى التصور الخاطئ والتصور الخاطئ بلا شك يؤدي إلى الحكم الخاطئ (فالحكم على الشيء فرع عن تصوره) والحكم الخاطئ بلا شك يؤدي إلى التعامل الخاطئ، والتاريخ يعيد نفسه فهذه القصة (الأوزاعي وأبو حنيفة) ليست حادثة عينٍ شاذة ونادرة، بل تمثل واقعا مريرا مرت به الأمة الإسلامية ولا زالت تمر به، وهو بناء التصور وإصدار الأحكام من قبل الزعامات العلمية والفكرية اعتمادا على مجرد البلاغات الخاطئة، وتلك البلاغات والأحكام حتما تنتقل إلى الأتباع والقواعد فتتسبب في الخلافات والنزاعات والخصومات والتكفير بل والاقتتال أحيانا.

النموذج الثاني : الهيثمي وابن خلدون

ذكر ابن حجر عن شيخه الهيثمي أنه كان يلعن ابن خلدون ويسبه بسبب مقالة بلغته عنه، قال ابن حجر في كتابه رفع الإصر ٢٤٧/٢: (وقد كان شيخنا الحافظ أبو الحسن يبالغ في الغض من ابن خلدون **فلما سألته عن سبب ذلك ذكر لي أنه بلغه!!! أنه ذكر الحسين بن علي** رضي الله عنهما في تاريخه فقال: قتل بسيف جده، **ولما نطق شيخنا بهذه اللفظة أردفها بلعن ابن خلدون وسبه وهو يبكي!!.**

قلت [القائل هو ابن حجر]: و لم توجد هذه الكلمة في التاريخ الموجود الآن وكأنه كان ذكرها في النسخة التي رجع عنها!!!)اه

وقد تتابع أهل التواريخ وخصوصا المصريون منهم على اتهام ابن خلدون بالنّصْب بسبب هذه الكلمة، وعند الرجوع إلى المصدر الأصلي نجد أن ابن خلدون إنما حكى تلك الكلمة في مقدمة تاريخه عن ابن عربي المالكي، فهي من منقولِهِ لا من قوله، وقد حكاها على سبيل الذم والتخطئة فقال في مقدمته ص٢٠٥: (**وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في هذا** فقال في كتابه الذي سماه بالعواصم والقواصم ما معناه: إن الحسين قتل بشرع جده، **وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الإمام العادل**، ومن أعدل من الحسين في زمانه في إمامته وعدالته في قتال أهل الآراء؟**!**) انتهى كلام ابن خلدون

فانظر كيف يُنسب إلى الرجل ما لم يقله بل ما يقول بضده وينتقد قائله، ويُلعن ويُسب، كل ذلك بسبب البلاغات الخاطئة، وصدق الشاعر حيث قال:

هداك الله يا تاريخُ يا شيخَ الأضاليلِ **فما أقدرَ كفّيكَ على نسجِ الأباطيلِ**

تُحابي الحيّ أو تظلمُ يا تاريخُ أحيانا **فما مثلكَ مأمونٌ على أخبارِ موتانا** ([8])

ولعل الذي نقل ذلك للهيثمي قرأ كلام ابن العربي المحكي في مقدمة ابن خلدون دون أن ينظر فيما قبله وفيما بعده فظنه من قول ابن خلدون لا من منقوله، هذا إن أحسنا الظن بالناقل، فحق لنا أن نتأمل قول ابن الوزير في العواصم ٥/٢٠٩: (**وإذا نقلت مذاهبهم فاتق الله في الغلط عليهم ونسبة ما لم يقولوه إليهم**، واستحضر -عند كتابتك ما يبقى بعدك- قولَه تعالى: (ونكتب ما قدموا وآثارهم)، فلا تكتب بكفك غير شيء *** يسرك في القيامة أن تراه)اه

لقد حنق كثير من المصريين على ابن خلدون وتحاملوا عليه واتهموه بالنصب ولعل سبب ذلك هو ما قاله في مقدمته ص٧٣ -عن المصريين-: (**أهل مصر غلب الفرح عليهم والخفة والغفلة عن**

([8]) فائدة: قال أحمد علي حسن في كتابه (العلويون في مواجهة التجني) ص٢٠٧: (تأسيسا على هذا لم يكن (بول فيري) متشائما من التاريخ -كما قيل- وإنما كان عالما بأسراره وخفاياه ومدركة لنتائجه السبلية عندما قال: إن التاريخ أخطر إنتاج أنتجته الكيمياء الذهنية فهو: يهيج الأحلام ويثمل الشعوب ويولد لهم ذكريات موهومة ويزيد ردود فعلهم حدة ويغذّي جراحهم القديمة ويعكر عليهم صفو راحتهم ويقودهم إلى الهذيان بالمجد أو بالاضطهاد ويجعل الأمم تشعر بالمرارة والعُجب ويصيرها لا تحتمل زهوا بنفسها)اه

وحكى في نفس الكتاب ص١٩١ عن الأميني قوله: (البحث في التاريخ يكون عن الشعوب المنقرضة وليس عن الشعوب الباقية الموجودة)اه

العواقب ، حتى إنهم لا يدخرون أقواتَ سَنَتِهم ولا شهرهم، وعامة مآكلهم من أسـواقهم)اه ومـا ذكره ابن خلدون هو من مناقب أهل مصر لا من معائبهم لأن ذلك دليل على التوكل

وبعيدا عن هذا وذاك فإن كلمة ابن خلدون هذه ربما كانت سببا خفيا عند بعض المصريين للقـدح فيه، فمع جلالة قدر ابن خلدون نجد البشبيشي -كما ذكر ابن حجر في رفع الإصر ٢/٣٤٤- يقول عن ابن خلدون: (وقد ذكره [أي ابن خلدون] لسان الدين ابن الخطيب في تـاريخ غرناطـة **ولم يصفه بعلم، وإنما ذكر له تصانيف في الأدب، وشيئا من نظمه، ولم يكن بالماهر فيه**)اه

وعند الرجوع لكلام ابن الخطيب في أخبار غرناطة ٣/٤٩٨ نجده يقول عن ابن خلدون: (الرجـل الفاضل حسن الخلق، جم الفضائل باهر الخصال، رفيع القدر، ظاهر الحياء، أصيل المجد، وقور المجلس، خاصي الزي، عالي الهمة، عزوف عن الضيم، صعب المقادة، قوى الجأش، طامح لقـنن الرياسـة، خاطب للحظ، **متقدم في فنون عقلية ونقلية، متعدد المزايا، سديد البحث، كثير الحفظ، صـحيح التصور**، بارع الخط، مغري بالتجلة، جواد الكف، حسن العشرة، مبذول المشاركة، مقيم لرسـوم التعين، عاكف على رعي خلال الأصالة، مفخرة من مفاخر التخوم المغربية.) اه قارن هذا مع ما قاله البشبيشي

وانظر رسالة (ضحايا المؤرخين.. ابن خلدون وابن عبيد الله السقاف أنموذجا) لوضاح بـن عبـد الباري الأهدل، طبع مركز عبادي للدراسات والنشر – صنعاء ([9])

النموذج الثالث : ابن قدامة وابن أبي عصرون

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ج٢١/ص١٢٩: (وقرأت بخط الشيخ الموفق قال: سمعنا درسه [يعني ابن أبي عصرون] مع أخي أبي عمر وانقطعنا فسمعت أخي يقول: دخلت عليه بعد فقال: لَمَ انقطعتم عني؟ **قلت: إن ناسا يقولون: إنك أشعري، فقال: والله ما أنا أشعري**، هذا معنى الحكاية)اه

النموذج الرابع : ابن تيمية وابن مخلوف

في مجموع الفتاوى لابن تيمية ج٣/ص٢٥٥: (قلت: وهو[أي ابن مخلوف] دائما يقول عني أني أقول: **إن الله في زاوية ولد ولدا وهذا كله كذب**، وشهرته بالكذب والفجور يعلمه الخاص والعام فهل يصلح مثل هذا أن يحكم في أصول الدين ومعاني الكتاب والسنة)اه

[9]) تجدر الإشارة إلى أني لا أذكر ما يتعلق بالطبعة في بحثي هذا إلا نادرا وذلك إذا كان الكتاب غير مشتهر

النموج الخامس : زيني دحلان و محمد بن عبد الوهاب

قال أحمد زيني دحلان في رسالته الدرر السنية في الرد على الوهابية ص١٣٧: (كان محمد بن عبد الوهاب يخطب للجمعة في مسجد الدرعية **ويقول في كل خطبة: ومن توسل بالنبي فقد كفر)اه**

وقال ص١٤٢: **(وكان [محمد بن عبد الوهاب] ينهى عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويتأذى من سماعها وينهى عن الإتيان بها ليلة الجمعة** وعن الجهر بها على المنائر**...** وأحرق دلائل الخيرات وغيرها من كتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم) اه

وقال ص١٦١: **(والظاهر من حال محمد بن عبد الوهاب أنه يدعي النبوة إلا أنه ما قدر على إظهار ذلك**، وكان في أول أمره مولعا بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذبا كمسيلمة وسجاح والأسود وطليحة وأضرابهم فكأنه يضمر في نفسه دعوى النبوة ولو أمكنه إظهار هذه الدعوة لأظهرها ، **وكان يقول لأتباعه: إني أتيتكم بدين جديد**) اه

ولا يشك من له اطلاع على أخبار محمد بن عبد الوهاب أن ما ذكره زيني دحلان غير صحيح وعذرنا لدحلان أنه اعتمد في ذلك على النقول الخاطئة، وقد صرح محمد بن عبد الوهاب بأن مسألة التوسل مسألة خلافية لا ينكر فيها على المخالف فقال عن التوسل: **(فهذه المسألة من مسائل الفقه** ولو كان الصواب عندنا قول الجمهور**!** ([10]) أنه مكروه، **فلا ننكر على من فعله)**اه مجموع مؤلفات الشيخ القسم الثالث الفتاوى في المسألة العاشرة ص٦٨-٦٩

لكن يمكن أن يكون مقصد زيني دحلان بالتوسل ما يشمل الاستغاثة كما هو الغالب على تعبيرات الصوفية، ومحمد بن عبد الوهاب يكفر بذلك كما هو مشهور، **وهنا تأتي مسألة مهمة جدا وهي فهم المصطلحات بحسب ما هو شائع عند قائليها لا بحسب ما هو شائع عند من يقرأ أو يسمع، فكم من مسألة فهمت على غير وجهها بسبب الخطأ في ذلك**

وأنكر ابن عبد الوهاب أيضا أن يكون قد أحرق دلائل الخيرات فقد ذكر بعض ما اتهمه به خصومه فقال: (قوله: إني مبطل كتب المذاهب الأربعة، وإني أقول: إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء؛ وإني أدعي الاجتهاد وإني خارج عن التقليد، وإني أقول إن اختلاف العلماء نقمة؛ **وإني أكفر من توسل بالصالحين**؛ وإني أكفر البوصيري، لقوله: يا أكرم الخلق؛ وإني أقول: لو أقدر علي هدم قبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهدمتها؛ ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها، وجعلت لها ميزاباً من خشب؛ وإني أُحرم زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما؛ وإني أكفر من حلف بغير الله؛ وإني أكفر ابن الفارض، وابن عربي؛ **وإني أحرق دلائل**

([10]) نسبة الشيخ ذلك للجمهور فيها نظر وللفقير بحث بعنوان (التوسل بين المجيزين والمانعين دراسة مقارنة)

الخيرات، وروض الرياحين، وأسميه روض الشياطين. جوابي عن هذه المسائل، أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم...)اه الدرر السنية ج١/ص٣٤

المسألة الثانية: نماذج من النقل الخاطئ في الطوائف

النموذج الأول: الأشاعرة

ينسب البعض للأشاعرة أنهم لا يقولون بتوحيد الله في الألوهية، وهذا غير صحيح قطعا ولم أكن أتصور أن يصدر ذلك من أحد لولا أني قرأته وسمعته ممن ينتسب للعلم ([11])، هذا مع أن الأشاعرة يصرحون بتوحيد الله في ألوهيته بل ويصرح بذلك كل مسلم، قال الشيخ صلاح الدين الإدلبي في كتابه عقائد الأشاعرة ص١١٠: (اعلم أن الأشاعرة مُقِرُّون بأنه لا خالق ولا رازق ولا معطي ولا مانع إلا الله، **وبأنه لا يستحق العبادة إلا الله، ومن عجائب التسرع وسوء الفهم أن ينسب هذا الباحث المسكين إليهم القول بالشطر الأول دون الثاني**، لأنه لم يجد**!!** أنهم يذكرون انفراد الله تبارك وتعالى باستحقاق العبادة، لا في كتب العقيدة ولا في كتب الفروع.

والأشاعرة يؤصلون أصول العقائد الإسلامية في كتب العقيدة، ويردون على أصناف الكفار الذين لا يؤمنون بالله تعالى رباً ولا بالإسلام ديناً ولا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبياً ورسولاً، فإذا آمن المرء بالله تعالى وبأن القرآن كلام الله وأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم نبيه ورسوله فمن المعلوم بداهة أن لا يتوجه بالعبادة إلا إلى الخالق جل جلاله.

وارجع إلى كتب التفسير التي كتبها الأشاعرة لتجد أنهم ينصون على انفراد الله تبارك وتعالى باستحقاق العبادة، والتحذير من أصناف الشرك، وخاصة اتخاذ شريكٍ مع الله تعالى في العبادة) اه

ثم ذكر أقوالا كثيرة للأشاعرة في توحيد الألوهية نذكر طرفا منها:

قال الرازي في تفسيره ١٦/ ٣٣: (**لا معنى للشرك إلا أن يتخذ الإنسان مع الله معبوداً**)اه

وقال في تفسيره ٢٦/٢٣٩: (وهو أن يشتغل الإنسان بعبادة الله تعالى على سبيل الإخلاص **ويتبرأ عن عبادة غير الله تعالى بالكلية**) اه

وقال الباقلاني في الإنصاف ص٣٢: (ويجب أن يُعلم أن صانع العالم جلت قدرته واحد أحد، **ومعنى ذلك أنه ليس معه إله سواه، ولا من يستحق العبادة إلا إياه**)اه

[11]) أنظر مثلا مطلع رسالة (منهج الأشاعرة في العقيدة) للدكتور سفر الحوالي

ويقول النووي رحمه الله في المقاصد ص٩ عن كلمة (لا إله إلا الله): (وأفضل الأذكار بعد القرآن لا إله إلا الله، **ومعناها: لا معبود بحق في الوجود إلا الله**)اه

وقال العز ابن عبد السلام في كتابه العقائد ص١١: (بعد ذكر الصفات الواجبة لله تعـالى: (**فـإن الألوهية ترجع إلى استحقاق العبودية**، ولا يستحق العبودية إلا من اتصف بجميع ما ذكرناه)اه

وقال السنوسي رحمه الله في شرح المقدمات ص٣٣: (وأنواع الشرك ستة:

- شرك استقلال وهو: إثبات إلهين مستقلين، كشرك المجوس
- وشرك تبعيض وهو: تركيب إله من آلهة، كشرك النصارى
- **وشرك تقريب: وهو عبادة غير الله تعالى ليقرب إلى الله تعالى زلفـى، كشـرك متقدمي الجاهلية**
- **وشرك تقليد: وهو عبادة غير الله تعالى تبعاً للغير، كشرك متأخري الجاهلية**
- وشرك الأسباب وهو: إسناد التأثير للأسباب العادية، كشرك الفلاسفة والطبائعيين ومن تبعهم على ذلك
- وشرك الأغراض وهو: العمل لغير الله تعالى، وحكم الأربعة الأُوَل الكفر بإجمـاع، وحكم السادس المعصية، وحكم الخامس التفصيل)اه

وقال البيجوري في حاشيته على متن السنوسية ص٤٢: (ومعنى الإله: المعبود بحق... وإذا كان معنى الإله ما ذكر **كان معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله**)اه

ثم قال الإدلبي بعد ذكر ما سبق: (فهل يحذر الأشاعرة من الشرك أو لا؟! وهل يـذكرون التوحيـد الحقيقي ــ الذي هو توحيد العبادة وإفراد الله تعالى بالألوهية ــ أو لا؟!!!.

ولعلك تدرك ــ أيها الأخ الباحث ــ بعد الآن أن كتب الأشاعرة ركزت في العقيدة على توحيـد الربوبية ودلائله العقلية و لم تترك الحديث عن توحيد الألوهية، **وأن الأشاعرة برآء من التهمة الـتي حاولت إلصاقها بهم، وهي أن التوحيد الحقيقي لا ذكر له في كتبهم، لا في كتب العقيدة، ولا في كتب الفروع، وأنك تجزم بهذا !!!.**) انتهى كلام الإدلبي

النموذج الثاني : المعتزلة

ينسب البعض إلى المعتزلة أنهم ينكرون الميزان والصراط، وهذا غير صحيح فهم يثبتون ذلـك، قـال القاضي عبد الجبار المعتزلي في رسالته (المختصر في أصول الدين) ضمن رسائل العـدل والتوحيـد ص٣٨٥: (فإن قيل أفتجوزون ما ورد في الأخبار من عذاب القبر والمسـاءلة والمحاسـبة **والميـزان والصراط** وغير ذلك؟ **قيل: نعم نؤمن بجميع ذلك على الوجه الذي نجوز له... وكذلك الميـزان**

يجوز أن يجعل في أحد الكفتين نورا وفي الأخرى ظلمة يتبين بها حال المكلف وأنه من أهل النـــار أو الجنة، وإنما الذي لا نجوزه هو وزن الأعمال لأنها قد قيدت وليست بجسم فيوزن

والصراط هو الطريق ولا نجوز ما يذكرونه من حدته وصعوبته في أهل الجنة وإن جوزناه في أهـــل النار، فنؤمن بما جاء في ذلك من الأخبار على الوجه الصحيح... **ولا خلاف بين الأمة في ذلك**)اه

النموذج الثالث: الإمامية (الجعفرية)

ينسب البعض إلى الإمامية القول بتكفير مرتكب الكبيرة من المعاصي وخلوده في النار ففي العواصـــم من القواصم لابن العربي ص١٤٧: (وهذه حقيقة مذهبهم، أن الكل عندهم كفرة، لأن من مذهبهم التكفير بالذنوب. **وكذلك تقول هذه الطائفة التي تسمى بالإمامية: إن كل عاص بكبيرة كـــافر،** على رسم القدرية**!!**)اه

وهذا بلا شك غير صحيح فالإمامية لا يقولون بتكفير مرتكب الكبيرة فهو عندهم مسلم فاســـق في الدنيا ومصيره إلى الجنة في الآخرة، قال المفيد في أوائل المقالات ص٥١: (**واتفقت الإمامية على أن مرتكب الكبيرة من أهل المعرفة والإقرار لا يخرج بذلك عن الإسلام وأنه مسلم وإن كان فاســـقا** بما فعله من الكبائر والآثام، ووافقهم على هذا القول المرجئة وأصحاب الحديث قاطبة ونفـــر مـــن الزيدية، وأجمعت المعتزلة وكثير من الخوراج والزيدية على خلاف ذلك)اه

وقال المفيد في أوائل المقالات أيضا ص٤٩: (**اتفقت الإمامية على أن الوعيد بالخلود في النار متوجه إلى الكفار خاصة دون مرتكبي الذنوب** من أهل المعرفة بالله تعالى والإقرار بفرائضه من أهل الصلاة ووافقهم على ذلك كافة المرجئة سوى ابن شبيب، وأهل الحديث قاطبة، **وأجمعت المعتزلـــة علـــى خلاف ذلك** وزعموا أن الوعيد بالخلود في النار عام في الكفار وجميع فساق أهل الصلاة

واتفقت الإمامية على أن من عذب بذنبه من أهل الإقرار والمعرفة والصلاة لم يخلـــد في العـــذاب وأخرج من النار إلى الجنة فينعم فيها على الدوام ووافقهم على ذلك من عددناه وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك وزعموا أنه لا يخرج من النار أحد دخلها للعذاب)اه

على أن مراد الإمامية بصاحب الكبيرة من المعاصي -الذي ما زال مسلما ولا يخلد في النار- هو من كان إماميا إثنا عشريا وهو المراد بقولهم أهل الإقرار والمعرفة، أما غير الإمامية الإثني عشـــرية فهـــم عندهم مخلدون في النار ولو كانوا سالمين من الكبائر بل والصغائر، إلا المستضعفين منهم، ولهـــم في ذلك أقوال، وسيأتي تفصيل هذا عند الحديث على نماذج الغلو في التكفير عند الطوائـــف، وعنـــد الحديث عن معنى الناصبي عند الإمامية

نموذج آخر للإمامية

ينسب البعض إلى الإمامية أنهم يقولون: إن الصحابة كلهم ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا نفرا منهم عدَدَهُم بعدد الأصابع، بينما نجد الإمامية بخلاف ذلك فقد ذكر سعيد أيوب الإمامي في كتابه الرساليون من ص١٧٥- ص٢١٣ **أسماء قرابة مائتين من الصحابة** ممن يترضون عنهم ممن عاشوا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكانوا من أنصار سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ووقفوا معه في قتاله ذكرهم بأسمائهم، وذكر أن الذين قاتلوا مع علي رضي الله عنه من الصحابة ثمانمائة وأن منهم ثمانين من أهل بدر، وقد زاد على ذلك عبد الحسين شرف الدين في كتابه الفصول المهمة من ص٢٦٣ – ص٣٠٨ **فذكر أسماء قرابة ثلاثمائة** مرتبين بحسب حروف المعجم، وفي معجم رجال الحديث للخوئي الكثير والكثير من أولئك الصحابة

لكن يشكل على ذلك رواية واردة في كتب الإمامية فقد روى الكليني عن أبي جعفر قال: (**كان الناس أهل ردة بعد النبي صلى الله عليه وآله إلا ثلاثة** المقداد بن الأسود وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري)اه روضة الكافي٨/٢٤٦، وهي رواية مشكلة حتى على مذهبهم كما تبين ولا شك أنها عندهم إما ضعيفة أو مردودة أو لهم عليها جواب ما، ولعل الجواب يكون في رواية الكشي في رجاله ص٤: (عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان الناس أهل ردة بعد النبي [صلى الله عليه وآله وسلم] إلا ثلاثة: المقداد وأبو ذر وسلمان، **ثم عرف الناس بعد يسير**)اه

الفرع الثاني : من وسائل تصحيح النقل عن الآخر

المسألة الأولى : تمحيص ما ينقل في كتب التاريخ والتراجم والفرق

من المؤسف أنّ كثيرا ممن قام بتدوين عقائد الملل لم يتجرّد عن أهوائه وميوله ومصالحه الشخصية وغلبت نزعاته وعواطفه الدينية وتعصّباته الباطلة، فترى أنّ كثرا منهم يكتب عقيدة نحلته بشكل مرغوب منمّق ويحاول أن يصحّح ما لا يصحّ ولو بتحريف التاريخ وإنكار المسلّمات

وأمّا إذا أراد الكتابة عن عقائد الآخرين فلا يستطيع أن يكن عداءه لها، ولهذا يحاول أن يعرضها بصورة مشوّهة، فيأتي في غضون كلامه بنسب مفتعلة وآراء مختلقة وأكاذيب جمّة نزولاً على حكم العاطفة الدينية الكاذبة، أو اعتماداً على الكتب التي لا يصحّ الاعتماد عليها، أو تساهلاً في ضبط العقائد والمذاهب، إلى غير ذلك من العوامل التي صارت سبباً لحيرة الأجيال المتأخّرة في مجال التعرّف على عقائد الأقوام والملل، وضلالها وإساءة الظن فيها.

وأخصّ من بين تلك العوامل، الاكتفاء في تبيين عقائد قوم بالرجوع إلى كتب خصومهم وأعدائهم، وهذا داء عمّ كثير من مؤرّخي العقائد والنحل) ([12])

وأنت إن قرأت تراث كل فرقة على حدة تحسب أنه لا يوجد في الأمة الإسلامية إلا أهل الإيمان والصلاح والتقوى بحيث لا تشك بأنهم جميعا من أهل الجنة

وإن أنت قلبت الصفحة وقرأت قراءة ثانية من خلال موقف كل فرقة من الفرق الأخرى تخلص إلى أن جميع المسلمين كفار وأنهم جميعا من أهل النار ([13])

إن التاريخ يكتبه في الغالب الأقوى والمنتصر، والمؤرخ في الغالب يمزج فكره ومشاعره بتاريخه، وليس مقصدنا القدح في كتب التاريخ فهذا مترلق خطير، لكن النماذج السابقة وما شابهها تدعونا إلى أن لا نسلّم بكل ما نقرأه في كتب التاريخ والتراجم والفرق بل لا بد من التمحيص والتحقق والتأكد، فقد يكون سبب الطعن هو اختلاف المذهب أو المقارنة مع الحسد وغير ذلك، قال التاج السبكي في كتابه قاعدة في الجرح والتعديل والمؤرخين ص٥٩: (**إن أهل التأريخ ربما وضعوا من أناس ورفعوا من أناس، إما لتعصب أو لجهل أو لمجرد اعتماد على نقل من لا يوثق به** أو لغير ذلك من الأسباب، والجهل في المؤرخين أكثر منه في أهل الجرح والتعديل، وكذلك التعصب قل أن رأيتُ تاريخيا خاليا من ذلك)اه

ويؤيد ما قاله التاج السبكي ما في وفيات الأعيان ١٢/١: من أن أبا إسحاق الصابئ صاحب الرسائل كاتب الإنشاء ببغداد عن الخليفة كان قد أمره عضد الدولة البويهي أن يصنع له كتاباً في أخبار الدولة الديلمية، فعمل له (الكتاب التاجي)، وذكر ابن خلكان: أن صديقا للصابئ دخل عليه فرآه في شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبييض فسأله عما يعمل؟ **فقال: أباطيل أنمقها، وأكاذيب ألفقها**)اه

فلا بد إذن من التمحيص والتدقيق قال القاسمي: (**إن قاعدة المحققين هي عدم البت في أمر تاريخي إلا بعد تعرفه من أطرافه ومراجعة عدة أسفار** للوقوف على كنهه وحقيقته والإشراف على غثه وسمينه ووزنه بميزان العقول السليمة والقواعد الاجتماعية المعقولة كما أشار إلى ذلك الإمام ابن خلدون في مقدمته)اه مجلة المنار ٣٠/١/١٦

ويذكر السخاوي في ترجمته المفردة لشيخه ابن حجر ٦٨٦/٢: أن ابن حجر قال عن الناقل للجرح والتعديل: (**يلزمه تحري الصدق في النقل ولا يعتمد على مجرد التشنيع من كل أحد فإن للناس أغراضا متفاوتة**، بل ينظر في الناقل للجرح والتعديل:

---

[12]) اقتباس من (بحوث في الملل والنحل) للسبحاني ج١/ ص ٩ بتصرف

[13]) اقتباس من (البعد الحضاري للعقيدة الإباضية) للدكتور فرحات الجغبيري ص٣٤-٣٥

فإن كان ثقة ليس بمتهم في المنقول عنه فليعتمده وإن سماه فهو أبرأ لساحته، وإن شك فيه فيقتصر على الإشارة ولا يجزم بما يتردد فيه بل يأتي فيه بصيغة التمريض، **وإن كان الناقل له ممن ينسب إلى المجازفة أو كان بينه وبين المنقول عنه حظ نفس فليجتنب النقل عنه** فإن اضطر إلى ذلك فليكشف عنه)اه

وقال ابن حجر في مقدمة الفتح (ج ١/ ص ٤٢٧) في سياق الكلام عن عكرمة: (وقد برأه أحمد والعجلي من ذلك [أي رأي الخوارج] فقال في كتاب الثقات له: عكرمة مولى بن عباس رضي الله عنهما مكي تابعي ثقة برئ مما يرميه الناس به من الحرورية

وقال بن جرير: **لو كان كل من ادعى عليه مذهب من المذاهب الرديئة ثبت عليه ما ادعى به وسقطت عدالته وبطلت شهادته بذلك للزم ترك أكثر محدثي الأمصار**، لأنه ما منهم إلا وقد نسبه قوم إلى ما يرغب به عنه)اه

وقال ابن حجر في مقدمة الفتح أيضا (ج ١/ص ٣٨٢): **(واعلم أنه قد وقع من جماعةٍ الطعن في جماعة بسبب اختلافهم في العقائد فينبغي التنبه لذلك وعدم الاعتداد به إلا بحق**)اه

وقال الشوكاني في أدب الطلب ص١١٧: **(دع عنك ما يقع مع الاختلاف في المذاهب والمعتقدات فإنه يبلغ الأمر إلى عداوة فوق عداوة أهل الملل المختلفة** فطالب الإنصاف لا يلتفت إلى شيء مما يقع من الجرح والتعديل بالمذاهب والنحل**...**)اه

وقال التاج السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (ج ٣ / ص ٦): **(ومما ينبغي أن يتفقد عند الجرح حال العقائد واختلافها بالنسبة إلى الجارح والمجروح فربما خالف الجارح المجروح في العقيدة فجرحه لذلك** وإليه أشار الرافعي بقوله : **وينبغي أن يكون المزكون برآء من الشحناء والعصبية في المذهب** خوفا من أن يحملهم ذلك على جرح عدل أو تزكية فاسق، وقد وقع هذا لكثير من الأئمة جرّحوا بناء على معتقدهم وهم المخطئون والمجروح مصيب

وقد أشار شيخ الإسلام سيد المتأخرين تقي الدين ابن دقيق العيد في كتابه الاقتراح إلى هذا وقال: **أعراض المسلمين حفرة من حفر النار وقف على شفيرها طائفتان من الناس: المحدثون والحكام.**

قلت [القائل التاج السبكي]: ومن أمثلة ما قدمنا قول بعضهم في البخاري: تركه أبو زرعة وأبو حاتم من أجل مسألة اللفظ، **فيالله والمسلمين أيجوز لأحد أن يقول البخاري متروك وهو حامل لواء الصناعة ومقدم أهل السنة والجماعة**، ثم يالله والمسلمين أتُجعل ممادحهُ مذاما؟! فإن الحق في مسألة اللفظ معه إذ لا يستريب عاقل من المخلوقين في أن تلفظه من أفعاله الحادثة التي هي مخلوقة لله تعالى وإنما أنكرها الإمام أحمد رضي الله عنه لبشاعة لفظها

ومن ذلك قول بعض المجسمة في أبي حاتم ابن حبان: لم يكن له كبير دين نحن أخرجناه من سجستان لأنه أنكر الحد لله، **فياليت شعري من أحق بالإخراج من يجعل ربه محدودا أو من يتزهه عن الجسمية؟!**)اه

المسألة الثانية: الأخذ من عين مصادر الآخر لا الوسائط

ما سبق يحتم علينا أن نأخذ من عين مصادر الآخر لا الوسائط لأن الوسائط قد تعتمد على وسائط أخرى أو على فهمها أو يكون بين الواسطة وبين المتكلّم فيه عداوة أو حسد أو خلاف في المذهب**...** إلخ، قال الصنعاني في إيقاظ الفكرة ص٤٦: (الناس تبع لما ألفوه من اتباع الآباء بمجرد تقليدٍ وهوى، ومن نظر من العلماء فهو:

إما مِن راكدي الهمة فيقصر نظره على ما دونه أسلافه من الكتب، الحاكمين فيها لمقالتهم بعنوان: **(أهل الحق – الفرقة الناجية – أهل العدل والتوحيد – أهل السنة والجماعة)** إلى غير ذلك من العبارات المرونقة، ولمقالات غيرهم بعنوان: (**المشبهة – القدرية – الجبرية – الرافضة**) وغير ذلك من أسماء سموهم بها**.**

ثم يجيء المتلقون بعد ذلك فينقلون أقوال خصومهم من تلك الكتب التي قد حكيت فيها أقوال خصومهم على خلاف ما قالوه وينسبون ذلك إليهم وهم منه براء، ويحكون أدلتهم بعنوان: (حجتنا – برهاننا – دليلنا) وحجة من قابلهم بـ(الشبهة – المتمسك) وقد يحذفون منها ما هو مغزى الاستدال لئلا تنفق في سوق المناظرة

ثم يجيء المؤلف بعد ذلك **فينقل أقوال خصومهم من تلك الكتب التي قد حكيت فيها مذاهبهم على خلاف ما قالوه،** ونسبةُ **ذلك إليهم** وهمٌ واضح، **ويبني الرد عليهم على تلك العبارات فيزداد الشر وينمو، ويربوا الباطل ويعلو**

فإذا نظر ذلك القصير الهمة الجامد الذهن في تلك الأساطير جعلها عنوان الاعتقاد وأنزلها في أشرف منازل الفؤاد، **فلو يؤتى بالله والملائكة قبيلا على أن ينصف في النظر ويأخذ كلام الناس من معادنه أو يترك تقليد أشياخه وآبائه ويكتفي بالبراءة الأصلية** وبالنظر إلى الكتاب والسنة ما زاده ذلك إلا تشددا فيما هو فيه

وإما أن يكون الناظر من ذوي الهمة والذكاء فيطلع على مآخذ الناس من الكتاب والسنة ويظهر على الحق مع من كان، **فيطرح ما ظهر له من الحق ويعود إلى الآباء إلا القليل بل الأقل من القليل**، ورجع يدندن حول تلك الأساطير وينفقها في سوق التدريس، فإذا صك ذهنه آية أو حديث

ينادیان **على خلاف ما قرره الأسلاف استروح لتأويلها** ولو بتأويل يرده اللفظ ويأباه السياق) انتهى كلام الصنعاني بتصرف يسير، **ولاحظ أن كلام الصنعاني هو في الخلاف بين المذاهب العقدية**

وقبله كان المقبلي من دعاة الرجوع إلى المصادر الأصلية قال أحمد المليكي في كتابه (المقبلي حياته وفكره) ص٢٠٠: (**ودعى المقبلي إلى التعرف على المذاهب –سواء كانت عقدية أو فقهية– من أهلها بالرجوع إلى كتب هذه المذاهب نفسها فإن ما تضمنته مقدم على نقل الأجنبي)** (المنار ٢/٣٩٠)

وحث المقبلي على عدم قبول شهادة المخالفين في العقائد فإنها من شهادة ذوي الإحن المردودة شرعا وقد علم من حالهم اتباع الهوى وقبول المثالب من دون تثبت (العلم الشامخ ٥٠٤)

وصار كل منهم يحكى الشر عن مخالفه ويكتم الخير بل يروى الكذب والبهت أحيانا (العلم الشامخ ٤١٤)

وكرر تحذيره من قبول كلام أهل المذاهب بعضهم في بعض وحث على النظر فيه ليؤخذ منه ويترك لا سيما في موضع التهمة فإن الشريعة قد ردت شهادة العدل المرضي في محل التهمة والاقتداء بها لازم وهو هنا من قياس الأولى (العلم الشامخ ٣٨٥)

وذكر أن أصل عدم إنصاف المتمذهبين بعضهم بعضا هو عدم مبالاتهم بأقوال من عزموا على خصومتهم فيجهلون أقوالهم فيجهلون عليهم (العلم الشامخ ص ٢٢٩)

وحض المقبلي على التحري في نقل أدلة المذاهب وحكاياتها كاملة فإن كثيرا من المصنفين يتصرفون بانتخاب أدلة المذاهب المحكية على حسب آراء الحاكين لا على ما وقع للمحي عنهم فقط (المنار ١/١٢٨)

وكثيرا ما ينمقون حججهم ويذكرون أضعف حجج خصومهم ويجرونها على الوجه الذي يضعفها ليكون دفعها واضح الصحة ويتركون ما لا يندفع من أدلة الخصوم (المنار ٢/١٢٥ و١/٣٦٨)

فإذا اطلعنا على الخبر من المصادر الأصلية فلا عبرة بما في الوسائط من سوء النقل ونحوه، ومن العجب أن تجد من يكذّب الأصلَ ويرد خبَرَه ويعتمد على الوسائط مع نفي الأصلِ لما في الوسائط وقد حصل للفقير شيء من ذلك فنَسَبَ إليّ بعضُهم أشياء لم أقلها اعتمادا على الوسائط مع نفيي لتلك الأمور وهذه القصة العجيبة تجسد لنا هذا الأمر، ففي الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٥/٣٩٤: (قال عبد الله بن أحمد: لما قدم داود الظاهري من خراسان جاءني فسلم علي فسلمت عليه فقال لي: قد علمت شدة محبتي لكم وللشيخ. **وقد بلغه عني كلام فأحب أن تعذرني عنده وتقول له: إن ليس هذا مقالتي أو ليس كما قيل لك.** فقلت: لا تريد؟ فأبى!

فدخلت إلى أبي فأخبرته أن داود جاء وقال: إنه لا يقول بهذه المقالة وأنكر. قال: جئني بتلك الإضبارة [الكتب] فأخرج منها كتابا فقال: هذا كتاب محمد بن يحيى النيسابوري وفيـه أنـه -يعـني داود الأصبهاني- أحل في بلدنا الحال والمحل. وذكر في كتابه أنه قال: القرآن محدث، **فقلت له إنه ينكـر ذلك. فقال: محمد بن يحيى أصدق منه لا نقبل قول عدو الله!!!**)اه

فهذا أحمد يكذب داود الظاهري ويرد خبره ويغلظ في وصفه ويسميه عدو الله مع أنه صاحب الشأن وهو أدرى بما قال، ويقبل أحمد من محمد بن يحي، مع أنه كان متحاملا على اللفظية كما هو مشهور وكما سيأتي في محنة البخاري إن شاء الله

المسألة الثالثة: من وسائل تصحيح التصور: عدم تعميم الخاص

ولتعميم الخاص صور:

الصورة الأولى:

أن تُنسب إلى طائفة معينة أقوال بناء على أن فردا أو بعضا من تلك الطائفة قالوا بذلك القول، وهذا من الظلم الظاهر فإن المنهج القرآني هو: (ولا تزر وازرة وزر أخرى)، نعم إذا كان بقيـة الأفـراد مقرين بذلك مصرحين فلا بأس في أن ننسب ذلك إليهم، ويدخل في ذلك أن يُنسب إلى طائفة قول لوجود هذا القول في مصادر غير معتمدة عند تلك الطائفة بل أحيانا قد ينصّون على عدم الاعتمـاد على تلك المصادر

نماذج على هذه الصورة:

النموذج الأول: الحنابلة:

ينسب البعض إلى الحنابلة القول بالتجسيم في حق الله تعالى، بل أخبر ابن الجوزي في كتابه دفع شبه التشبيه ص ١٠٢ **أنه في زمانه صار لا يقال حنبلي إلا قيل مجسم!**، وهذا الأمـر لـيس بصـحيح فالحنابلة يترهون الله تعالى عن التجسيم وهذا صريح في كتبهم بل إن مذهبهم من أشد المذاهب على المجسمة فإنهم يحكمون على المجسمة بالكفر، قال مرعي الكرمي الحنبلي في كتابه أقاويـل الثقـات ص٦٤: (ومن العجب أن أئمتنا الحنابلة يقولون بمذهب السلف ويصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، ومع ذلك فتجد من لا يحتاط في دينه ينسبهم للتجسيم، **ومذهبهم أن المجسم كافر بخلاف مذهب الشافعية فإن المجسم عندهم لا يكفر، فقوم يكفرون المجسمة فكيف يقولون بالتجسيم؟!**)اه

ولا يعني هذا تبرئة كل حنبلي من التجسيم، قال ابن الوزير اليماني في الروض الباسم ٢/٣٠٦ في معرض التجسيم عند الحنابلة: (**وما أظن بعض الحنابلة ينجو من ذلك، ولكن حكم البعض لا يلزم الكلّ بالضّرورة**، وقد اشتملت كتب الرّجال على القدح بذلك على من قاله دون غيره، { ولاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } ولله الحمد.)اه

النموذج الثاني: الأشاعرة

بعضهم ينسب إلى الأشاعرة القول بعدم صحة إيمان المقلد مع أن هذا القول لم يقل بـه إلا القليل منهم، بل قيل: إنه لم يقل به إلا السنوسي فقط، بل وقيل: إنه قد رجع عن ذلك، أما جماهير الأشاعرة فعلى صحة إيمان المقلد كما هو مقرر في كتبهم، وانظر مثلا شرح البيجوري على الجوهرة ص٥٠ فقد حكى الاختلاف في ذلك ثم قرر مذهب الأشاعرة فقال: (**والقول الحق الـذي عليه المعول من هذه الأقوال هو القول الثالث**) وهو: (**الاكتفاء بالتقليد في صحة إيمان المقلد**، مع العصيان إن كان فيه أهلية للنظر وإلا فلا عصيان)اه

النموذج الثالث : المعتزلة

اشتهر أن المعتزلة ينكرون عذاب القبر مع أن هذا القول إنما هو لبعضهم، وأكثرهم على خلافه قال القاضي عبد الجبار المعتزلي في المختصر في أصول الدين ضمن رسائل العدل والتوحيد ص٣٨٥: (فإن قيل: **أفتجوزون ما ورد في الأخبار من عذاب القبر ومنكر ونكير؟**

قيل لهم: نعم نؤمن بجميع ذلك على الوجه الذي نجوز له لا على ما يظنه الحشو من أنه يعذبهم وهم موتى في قبورهم، **ولا كما تقوله المجبرة من أنه لا أصل لعذاب القبر!!** بل نقول: إنه تعالى يعيدهم أحياء الوقت الذي يعذبهم فيه ثم يعودون موتى، وقد قال الله ما يدل على ذلك وهو قوله: (أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) وأثابهم كذلك على قولنا، **وقد تظاهرت بذلك الأخبار ولا يمتنع أن يتولى ذلك من يلقب من الملائكة بمنكر ونكير ليكون أعظم في التعذيب**) اه

وقال القاضي في شرح الأصول الخمسة ص٧٣٠: (فصل في عذاب القبر: **وجملة ذلك أنه لا خلاف فيه بين الأمة إلا شيء يحكى عن ضرار بن عمرو** وكان من أصحاب المعتزلة ثم التحق بالمجبرة، ولهذا ترى ابن الراوندي يشنع علينا ويقول: إن المعتزلة ينكرون عذاب القبر ولا يقرون به)اه ثم شرع في الاستدلال على إثبات عذاب القبر

ولذلك نجد المنصفين ينفون ذلك عن المعتزلة عندما يحكون الخلاف في مسألة عذاب القبر ففي فتح الباري ٤/٤٤٣: (...خلافا لمن نفاه [أي عذاب القبر] مطلقا من الخوارج وبعض المعتزلة كضرار

بن عمرو وبشر المريسي ومن وافقهما، **وخالفهم في ذلك أكثر المعتزلة وجميع أهل السنة وغيرهم وأكثروا من الاحتجاج له. وذهب بعض المعتزلة كالجبائي إلى أنه يقع على الكفار دون المؤمنين**)اه

وقال الكشميري في شرحه على الترمذي ٢/٤٥٠: (**ونُسب إلى المعتزلة أهم ينكرون عذاب القبر، ويرد عليه... أنه لم ينكره أحد منهم إلا ضرار بن عمرو وبشر المريسي ، وإني في هذا أيضا متردد ما لم تُرَ عبارتهما**) اه

ويقوي تردد الكشميري أن ابن حزم في الفصل ١/٤٣٧، **نسب إلى بشر إثبات عذاب القبر**، لكنه نسب إلى ضرار نفيه، فتبين أنه لم ينف أحد من المعتزلة عذاب القبر إلا ضرار وقد تقدم عن عبد الجبار أن ضرار ترك المعتزلة

النموذج الرابع: الإمامية

اشتهر في الأوساط السنية نسبة القول بتحريف القرآن للإمامية، مع أنه قول بعضهم فقط وأكثرهم ينكرون ذلك، تقول الدكتورة عائشة المناعي في كتابها أصول العقيدة بين المعتزلة والإمامية ص١١٨: (يحرص علماء الإمامية وهم بصدد الحديث عن القرآن الكريم -باعتباره أول الأصول- على التأكيد على إنكار التهمة الشائعة التي توجه إليهم في هذا الصدد وهي تهمة تحريف القرآن، وقد حرِصَت كل المصادر الإمامية التي تتحدث عن القرآن الكريم حرصا شديدا على نفي هذه التهمة وعلى إثبات أن القرآن الذي يتحدثون عنه هو القرآن الموجود في مصاحف عامة المسلمين لا يزيد حرفا ولا ينقص، يقول الصدوق: (**اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو ما بين الدفتين وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك**، ومبلغ سوره عند الناس مئة وأربعة عشر سورة..ومن نسب إلينا أنا نقول أكثر من ذلك فهو كاذب) اعتقادات الصدوق ص١٠١-١٠٢

ويقول محمد آل كاشف الغطاء وهو يتحدث عن عقائد الإمامية: (**وأن الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله إليه للإعجاز والتحدي ولتعليم الأحكام وتمييز الحلال من الحرام وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة وعلى هذا إجماعهم!**، ومن ذهب منهم أو من غيرهم من فرق المسلمين إلى وجود نقص فيه أو تحريف فهو مخطئ، نص الكتاب العظيم (إننا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) **والأخبار الواردة من طرقنا أو طرقهم الظاهرة في نقصه أو تحريفه ضعيفة شاذة وأخبار آحاد لا تفيد علما ولا عملا**) أصل الشيعة وأصولها ص٦٣-٦٤

والحقيقة أن علماء الشيعة أنفسهم يذكرون أن طائفة منهم قالوا بالتحريف والنقص في القرآن لكنهم يحرصون دائما على نفي هذا القول وتضعيفه، يقول الطبرسي: (الكلام في زيادة القرآن ونقصه: **فأما**

الزيادة فيه فمجمع على بطلانها وأما النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من الحشوية العامة أن في القرآن تغييرا ونقصا والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه) مجمع البيان ١/١٥

وهذا الذي ذكره الطبرسي -من أن مذهب الإمامية الصحيح هو إنكار القول بالتحريف والنقصان في القرآن الكريم- هو ما يجده الباحث في معظم مصادر الإمامية في القديم والحديث على السواء بل إن منهم من ادعى الإجماع على إنكاره مثل شيخ فقهائهم الشيخ جعفر في بحث القرآن من كتابه (كشف الغطاء) البيان للخوئي ص ٢٠٠

ومنهم الشهشهاني في بحث القرآن من كتابه (العروة الوثقى) ونسب القول بعدم التحريف إلى جمهور المجتهدين، ومنهم المحدث الشهير المولى محسن القاساني في كتابيه (الوافي) ٥/٢٧٤ والعلم اليقين ص١٣٠، ومنهم محمد جواد البلاغي في مقدمة تفسيره (آلا الرحمن)

وقد نسب جماعة القول بعدم التحريف إلى كثير من الأعاظم منهم المفيد والبهائي والقاضي نور الدين وأضرابهم (البيان للخوئي ص٢٠٠) انتهى كلام د.عائشة المناعي

وقال رحمة الله الهندي في كتابه إظهار الحق ص٣٥٤: (القرآن الكريم **عند جمهور علماء الشيعة الإمامية الإثني عشرية محفوظ عن التغيير والتبديل**، ومن قال منهم بوقوع النقصان فيه فقوله مردود غير مقبول عندهم)اه

ثم نقل أقوالا لهم في حفظ القرآن وعدم تحريفه عن الصدوق في اعتقاداته والمرتضى في تفسيره (مجمع البيان) والملا صادق في شرح الكليني والحر العاملي في بعض رسائله والقاضي التستري في كتابه (مصائب النواصب) ومما قاله هذا الأخير: (**ما نسب إلى الإمامية من وقوع التغيير في القرآن ليس مما قال به جمهور الإمامية إنما قال به شرذمة قليلة منهم لا اعتداد بهم فيما بينهم**)اه

ومن علماء الإمامية الذين لا يقولون بالتحريف: أبو جعفر الطوسي في تفسيره (التبيان) وابن المطهر الحلي في الأجوبة المهناوية ص١٢١

ولا يختلف قول المعاصرين من الإمامية عن قول جمهور متقدميهم في أن القرآن محفوظ من التغيير وقد تقدم عن بعضهم النقل في كلام الدكتورة المناعي وانظر أيضا على سبيل المثال: (تهذيب الأصول) للخميني ٢/١٦٥ و(الفصول المهمة) لعبد الحسين شرف الدين ص٢٤٢ و(الرد الوجيز) لعلي آل محسن ص١٣٦ و(مع الخطيب في خطوطه) للطف الله الصافي ص٤٤، والطبطبائي في تفسيره (الميزان) ١٢/١٠١

وهناك كتب لبعض المعاصرين من الإمامية مفردة في نفي تحريف القرآن ومنها: (التحقيق في نفي التحريف عن القرآن) لعلي الميلاني (وصيانة القرآن عن التحريف) لفتح الله المحمدي، وكتاب (عدم تحريف القرآن) الذي أصدره فارس الحسّون في مركز الأبحاث العقائدية ص٤٠ ومما جاء فيه: (**ولو**

سلّمنا أنّ الشيخ النوري [صاحب كتاب فصل الخطاب] يعتقد بنقصان القرآن، **فهو قوله لا قول الطائفة، وقول الواحد لا ينسب إلى الطائفة**، وكلّ بحثنا عن رأي الطائفة، و لم يكن بحثنا عن رأي الشيخ النوري، كنّا نبحث عن مسألة التحريف على ضوء الأقوال عند الطائفة كلّها، على ضوء الروايات عند الطائفة كلّها، لا على رأي واحد أو اثنين، **وإلاّ لذكرت خمسين عالماً كبيراً هو أكبر من الشيخ النوري وينفي التحريف.**)اه

هذا مع التحفظ على قصر القول بالتحريف على النوري فقط، فقد ذكر النوري عددا من الإمامية القائلين بتحريف القرآن أوصلهم إلى قرابة الثلاثين، قال الشيخ علي آل محسن في كتابه الرد الوجيز ص١٣٧: (ومع أن الميرزا النوري رحمه الله قد بذل غاية جهده في تكثير القائلين بالتحريف [أي من الإمامية] في كتابه فصل الخطاب في المقدمة الثالثة ص٢٥ **إلا أنه لم يبلغ بهم الثلاثين نفسا** مع أن النسبة إلى كثير منهم لا تصح لأنه نسب القول بالتحريف إلى من نفى التحريف كالمفيد([14]) وغيره كما نسبه إلى مجاهيل لا يعرفون وإلى من لم يثبت عنهم القول به)اه

ويحكي المفيد القول بالتحريف عن بني نوبخت من الإمامية وعن جماعة من متكلمي الإمامية وفقهائهم فقال: (أميل إلى عدمه [أي التحريف] وسلامة القرآن عنه **وهذا المذهب خلاف ما سمعناه من بني نوبخت رحمهم الله من الزيادة في القرآن والنقصان فيه. وقد ذهب إليه جماعة من متكلمي الإمامية وأهل الفقه منهم والاعتبار**)اه أوائل المقالات ص٩٣

بل إن نعمة الله الجزائري يرى أن روايات التحريف متواترة وأن الأصحاب قد أطبقوا على صحتها والتصديق بها فيقول: (إن تسليم تواترها -يعني القراءات السبع- عن الوحي الإلهي، وكون الكل قد نزل به الروح الأمين **يفضي إلى طرح الأخبار المستفيضة بل المتواترة الدالة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن كلاماً ومادة وإعراباً، مع أن أصحابنا رضوان الله عليهم قد أطبقوا على صحتها والتصديق بها**) اه الأنوار النعمانية ٢ / ٣٥٧

---

[14]) سيأتي عن المفيد ميله إلى عدم التحريف لكن له كلام آخر ظاهره القول بالتحريف فمن ذلك قوله في أوائل المقالات ص٩: (اتفق الإمامية على أن أئمة الضلال خالفوا في كثير من تأليف القرآن وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم)اه وقوله في المسائل السروية ٧/٧٨ من سلسلة المفيد: (لا شك أن الذي بين الدفتين من القرآن جميعه كلام الله وتنزيله وليس فيه شيء من كلام البشر وهو جمهور المنزل والباقي مما أنزل الله قرآنا عند المستحفظ للشريعة المستودع للأحكام لم يضع منه شيء وإن كان الذي جمع ما بين الدفتين الآن لم يجعله في جملة ما جمع لأسباب دعته لذلك)اه

ويرى هاشم البحراني أن الحكم بالتحريف من ضروريات مذهب التشيع فيقول عن القول بالتحريف: **(وعندي في وضوح صحة هذا القول بعد تتبع الأخبار وتفحص الآثار بحيث يمكن الحكم بكونه من ضروريات مذهب التشيع وأنه من أكبر مقاصد غصب الخلافة)** اه مقدمة البرهان ص٤٩

ويرى محمد باقر مجلسي أن الروايات في التحريف لا تقل عن الروايات في مسألة الإمامة فيقول: (لا يخفى أن كثيراً من الأخبار الصحيحة صريحة في نقص القرآن وتغييره، **وعندي أن الأخبار في هـذا الباب متواترة معنى، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد عليها رأساً. بل ظني أن الأخبار في هذا الباب لا يقصر عن أخبار الإمامة** فكيف يثبتونها بالخبر)اه مرآة العقول ١٢/ ٥٢٥.

بل ويقصر نعمة الله الجزائري القول بعدم التحريف على ثلاثة من قدمائهم فقط، وأنهم إنما قالوا ذلك لمصالح رأوها فيقول: (**نعم قد خالف فيها المرتضى والصدوق والشيخ الطبرسي** وحكموا بأن مـا بين دفتي هذا المصحف هو القرآن المنزل لا غير... **والظاهر أن هذا القول إنما صدر منهم لأجـل مصالح كثيرة**، منها سد باب الطعن عليهم بأنه إذا جاز هذا في القرآن فكيف جاز العمل بقواعـده وأحكامه مع جواز لحوق التحريف به)اه الأنوار النعمانية ٢/ ٣٥٧.

ونستطيع أن نقول أن الخلاف فيما بين الإمامية في التحريف كان عند المتقدمين، ولا نعلم أحدا من المعاصرين يقول بالتحريف، بل -على العكس من ذلك- تجد منهم الدفاع المستميت لـرد القـول بتحريف القرآن والتشنيع على القائلين به منهم وتضعيف قولهم والحكم عليه بالشذوذ

وأجدني هنا مضطرا للقول بأن أهل السنة تجاه الإمامية ثلاثة أصناف (١٥)[15]:

الصنف الأول: من يغلو ويتجاوز في النقد فينتقد ما لا يُنتقد وقد يصل الأمر أحيانا إلى حد الكذب بل قد يكون الكذب متعمدا أحيانا ولا شك في أن هذا باطل وظلم (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا) وأصحاب هذا الصنف وللأسف كثير وأكثرهم إنما يردد ما يسمع

والصنف الثاني: من يسمع تلك الدعايات الكاذبة والنقد السطحي وما شابه ذلك ثم يتبين له مـع الزمن خلاف ما سمع فيحصل عنده ردة فعل عكسية فيظن أن كل ما ينتقد كذلك، فيقبل بعد ذلك منهم من غير تمحيص وهذا الصنف مفَرّط كما أن الصنف الأول مفْرِط

والصنف الثالث: هم أهل العدل فلا ينسبون إليهم ما لا يقولون، وينتقدون عليهم ما يصح أن ينتقد دون ما لا يصح ويقبلون منهم ما يمكن أن يقبل

[15]) وهذه الأصناف الثلاثة موجودة في الجملة أيضا عند الإمامية تجاه أهل السنة

نموذج آخر للإمامية :

ينسب البعض للإمامية القول بتفضيل الأئمة الأثني عشر على الأنبياء عليهم السلام وهذا القول ليس لجميعهم بل هو لبعضهم، وهو -مع شناعته- اختيار كثير من المتأخرين منهم، ويذكر المفيد في أوائل المقالات ص٧٩ في مسألة المفاضلة بين الأئمة والأنبياء ثلاثة أقوال للإمامية:

القول الأول: أن الأئمة أفضل من من جميع الأنبياء والرسل باستثناء سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم

والقول الثاني: أن الأئمة أفضل من جميع الأنبياء والرسل باستثناء أولي العزم من الرسل

والقول الثالث: هو مذهب من رفض القولين السابقين وقطعوا بتفضيل الأنبياء والمرسلين كلهم على سائر الأئمة)اه

وللمفيد رسالة في تفضيل سيدنا على رضي الله عنه على جميع الأنبياء والمرسلين عدا سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر فيها أن في المسألة أربعة أقوال حيث قال: (واختلف أهل الإمامة في هذا الباب:

- **فقال كثير من متعلميهم: إن الأنبياء عليهم السلام أفضل منه على القطع والثبات**
- **وقال جمهور من أهل الآثار والنقل والفقه** بالروايات وطبقة من المتكلمين وأصحاب الحجاج أنه عليه السلام أفضل من كافة البشر سوى رسول الله صلى الله عليه وآله
- **ووقف قبيلٌ في هذا الباب** فقالوا: لسنا نعلم أكان أفضل ممن سلف من الأنبياء أم كان مساويا لهم أو دونهم
- وقال فريق آخر: إن أمير المؤمنين عليه السلام أفضل البشر سوى أولي العزم من الرسل فإنهم أفضل منه عند الله)اه

النموذج الخامس : الصوفية

ينسب البعض إلى الصوفية القول بوحدة الوجود وبالحلول والاتحاد والقول بالإباحة وإسقاط التكاليف وهذا إنما قاله بعض المنتسبين إلى التصوف وبعض الأدعياء فيهم قال السيوطي في كتابه تأييد الحقيقة ص٩٥: (وقد تأملت الأمور التي أنكرها أئمة الشرع على الصوفية فلم أرَ صوفيا محققا يقول بشيء منها، وإنما يقول بها أهل البدع والغلاة الذين ادعوا أنهم صوفية وليسوا منهم، والراجع منها إلى أصول الدين أربعة:

الأول وهو شرها: الحلول والاتحاد وهو كفر صريح وضلال مبين ولم يقل به أحد من المعتبرين وحاشاهم من ذلك، بل ما زال المعتبرون من الصوفية ينبهون على تضليل من يقول به وتكفيره ويحذرون منه، منهم الغزالي في عدة مواضع من الإحياء...) اه

ثم ذكر كلام الغزالي في التشنيع على القائلين بذلك، وأردفه بكلام أئمة الصوفية في تضليل وتكفير القول بالحلول والاتحاد والوحدة، ومن ذلك قول القاضي عياض: (أجمع المسلمون على كفر أصحاب الحلول وكفر من ادعى حلول الباري في واحد من الأشخاص **كقول بعض المتصوفة** والباطنية والنصارى والقرامطة)اه

ثم قال السيوطي ص١٠٦: (فانظر كيف نقل ذلك عن بعض المتصوفة وهم الغلاة منهم لا كلهم حاشاهم من ذلك، وكذلك لم ينقل أصحاب الكتب الكلامية ذلك إلا عن بعضهم، قال ابن جماعة في شرح الكوكب الوقاد: يجب أن يتره الله تعالى عن الحلول خلافا للنصارى وبعض الصوفية تعالى الله عن ذلك**...**)اه

ثم قال السيوطي ص١٢٤: **(الأمر الثاني: القول بالإباحة، وهذا أيضا لم يقل به أحد من المعتبرين وإنما قال به بعض الغلاة**، زعموا أن الإنسان إذا وصل إلى حد الفناء سقط عنه التكليف وأبيحت له المحرمات، **وقد تقدم في كلام القسطلاني الإشارة إلى ذم ذلك وأنه زندقة وكذلك في كلام أبي نعيم...)**اه ثم ذكر كلام أئمة الصوفية في ذم ذلك

نموذج آخر للصوفية

ينسب البعض إلى الصوفية ترك الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك المشاركة في الحياة العامة وما شابه ذلك لّما رأوا أن بعض الصوفية كذلك، بينما الناظر في تاريخ الصوفية في القديم والحديث يجد الأمر بخلاف ذلك **ويجد أن الكثير من الصوفية في الزمن الأول كانوا من المرابطين في ثغور الإسلام أمثال: الربيع بن خثيم وإبراهيم بن أدهم وحاتم الأصم وأبي يزيد البسطامي والجنيد والسري السقطي، بل إن نور الدين محمود زنكي ومن بعده صلاح الدين الأيوبي، وكذا محمد الفاتح كانوا من الصوفية أو من المتأثرين بالصوفية كما لا يخفى على المطلع على تراجمهم**

وكذلك كثير من الحركات التحررية ضد الاستعمار في العصر الحديث كانت من الصوفية **كما هو الحال في الحركة السنوسية وعمر المختار في ليبيا والأمير عبد القادر الجزائري في الجزائر والمهدي في السودان وعز الدين القسام في الشام..** وقد كتب الأستاذ أسعد الخطيب كتابا في ذلك أسماه (البطولة والفداء عند الصوفية – دراسة تاريخية) وثق فيه كل ذلك وذكر الكثير مما لم نذكره ولولا خشية الإطالة لنقلنا نبذا منه

وعند النظر إلى المصلحين والعلماء والقضاة عبر الزمان نجد الكثير منهم من الصوفية أو من المتأثرين بالصوفية كأمثال الغزالي والنووي والعز بن عبد السلام وابن قدامة وابن القيم والسيوطي ... إلخ ولا يخفى ذلك أيضا على من طالع تراجمهم

بل إن كثيرا من قادة ومنتسبي الحركات الإسلامية المعاصرة في مصر والشام والهند وأفريقيا والعراق واليمن وغيرها هم من الصوفية أو من المتأثرين بالصوفية.

ولا يعني هذا أنه ليس في الصوفية سلبيون بل يوجد فيهم سلبيون كما يوجد في غيرهم من الطوائف، وقد أنصف ابن تيمية عندما قال كما في مجموع الفتاوى ١١/١٧: (تنازع الناس في طريقهم:

- **فطائفة ذمت الصوفية والتصوف** وقالوا أنهم مبتدعون خارجون عن السنة ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام

- **وطائفة غلت فيهم وادعوا أنهم أفضل الخلق** وأكملهم بعد الأنبياء وكلا طرفي هذه الأمور ذميم

- **والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين وفى كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب**

- ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة **ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم**)اه

وللفقير بحث بعنوان: (المنهجية العامة في العقيدة والفقه والسلوك) ذكرنا في المحور الثالث منه كلام أهل العلم في التصوف وكيف أن الناس فيه بين إفراط وتفريط ووسط، وللفقير أيضا بحث مفرد بعنوان: (مسائل في التصوف) عجل الله بطبعه

النموذج السادس: الإسماعيلية (الفاطميون–العبيديون) ([16]):

مما اشتهر عن الإسماعيلية (الفاطميين–العبيديين) أهم يقولون بتناسخ الأرواح وإنكار البعث والحساب والجنة والنار ونسب إليهم ذلك كثير ممن كتب في الفرق والمذاهب، وهذا الأمر يحتاج منا إلى تمحيص فإننا نجد لهم أقوالا بخلاف ذلك فهذا الداعي أحمد بن حميد الدّين الكرماني الإسماعيلي (حي سنة ٤١١ هـ) أحد دعاة الفاطميين، في كتابه راحة العقل ص٣٦٤ يقول: (**وأمّا من يرى الجزاء، مثل محمد بن زكريا والغلاة وأهل التناسخ، وانّه يكون في الدنيا**، فمن اعتقادهم أن هذه الأنفس لها وجود قبل أشخاصها بخلاف اعتقاد الدهرية وأمثالها ممّن ينحون نحوهم الذين يقولون: إن وجودها بوجود أشخاصها، ويقولون: إنّها جوهر تتردد في الهياكل بحسب اكتسابها إلى أن تصفو وتعود، **فقد أوردنا في كتابنا المعروف بـــ«الرياض» و«ميزان العقل» وغيرهما من رسائلنا في فساد قولهم ما يغني سيّما ما يختص بذلك في كتابنا المعروف بـــ«المقاييس» رداً على الغلاة وأشباههم**)اه

وهذا الكاتب الإسماعيلي المعاصر مصطفى غالب يقول في مقدمة كتاب الينابيع ص١٦: (ويذهب أكثر الذين كتبوا عن عقائد الإسماعيلية من القدماء والمحدثين بأنّ الإسماعيلية يقولون بتناسخ الأرواح، أي أنّ الروح بعد الموت تنتقل إلى إنسان آخر أو إلى حيوان أو نبات على نحو ما نراه في العقيدة البوذية أو النصيرية مثلاً، **ويمكننا بعد أن درسنا كتب الإسماعيلية السرية والعلنية دراسة دقيقة، أن نقول بأنّهم لا يدينون مطلقاً بالتناسخ**، بل ذهبوا إلى أنّ الإنسان بعد موته يستحيل عنصره الترابي (جسمه) إلى ما يجانسه من التراب، وينتقل عنصره الروحي (الروح) إلى الملأَ الأعلى، **فإن كان الإنسان في حياته مؤَمناً بالإمام فهي تحشر في زمرة الصالحين وتصبح ملكاً مدبراً!!،وإن كان شريراً عاصياً لإمامه حشرت مع الأبالسة والشياطين وهم أعداء الإمام.**

[16]) هذا النموذج عند من يكفر الإسماعيلية -(ومن يكفرهم هم جمهور الأمة)- ليس على شرط بحثنا، وهو على شرطه عند من يقول بعدم كفرهم، وسيأتي نموذج آخر للإسماعيلية عند نماذج الفهم الخاطئ وهو فهم قولهم بأن لشرائع الدين ظاهرا وباطنا على أن المراد به إبطال ظاهر الشرائع

ولا يعني حصول التكفير لطائفة من قبل أخرى عدم إيراد نماذج من التصور الخاطئ عنهم، فقد حصل التكفير بين كثير من طوائف الأمة، فمن أهل السنة من يكفر المعتزلة، ومن المعتزلة من يكفر أهل السنة، ومن أهل السنة من يكفر الإمامية، ومن الإمامية من يكفر أهل السنة، ومن الزيدية من يكفر أهل السنة، ومن أهل السنة من يكفر الزيدية، ومن السلفية من يكفر الصوفية، ومن الصوفية من يكفر السلفية... وهكذا

وقد ترددتُ في وضع نماذج الإسماعيلية والعلوية في البحث، لكني تذكرت أن من حقهم هم أيضا أن نتصورهم تصورا صحيحا وإن كنا نعتقد انحرافهم الكبير في العقيدة.. (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدوا...)

والإمام نفسه يجري على جسده مثلما يجري على سائر الأجساد بعد الموت، حيث يتحلّل كل قسم إلى ما يناسبه، فالجسم الترابي يعود إلى التراب، والنفس الشريفة تعود إلى ما يجانسها ويناسبها، فتصبح نفس الإمام عقلاً من العقول المدبرة للعالم!!، **فلا تتناسخ ولا تتلاشى أي تتقمص)**اه

ويقول الداعي الكرماني الإسماعيلي في كتابه راحة العقل ص٣٦٩: (والحساب تابع للبعث وهو فعل يحدث عنه من النفس للنفس الثواب الذي هو الملاذ والمسار، والعقاب الذي هو الألم والعذاب والغم، **وينقسم هذا الفعل إلى ما يكون وجوده في الدنيا، وإلى ما يكون وجوده في الآخرة)**اه

ويقول الداعي الكرماني في كتابه راحة العقل ص٣٧٩ عن الجنة: (**إنّها موصوفة بالسرمد والأبد ووجود الملاذ فيها أجمع، وأنّها لا تستحيل، ولا تتغير، ولا يطرأ عليها حال، ولا تتبدل)**اه بواسطة عقائد الإسماعيلية لجعفر السبحاني ضمن بحوثه في الملل والنحل ج٨/ ص٢٢٩-٢٣٠

ولا يعني هذا عدم وجود بعض الطوائف من الإسماعيلية ممن يقولون بالتناسخ ونفي الحساب، بل هناك من يقول منهم بذلك فعلا

ومما يجدر التنبيه عليه هنا: أنني في هذا النموذج وفي بقية النماذج إنما كتبت ما اطلعت عليه، وأُخْلي مسؤوليتي عما قد يوجد في كتب القوم مما لم أطلع عليه، أو عما إذا كان المنقول عنهم إنما قيل تقية، أو عما إذا كان واقع الأتباع اليوم على خلاف المنقول عن كتبهم، وذلك لأن المراد من إيراد النماذج ليس هو تقرير عقائد الفرق وإنما هو التمثيل على الأصل الذي نحن بصدده وعدم صحة المثال لا تضر بالأصل.

ومما يندرج تحت هذه الصورة من تعميم الخاص:

تبادل الاتهامات بين الطوائف بسبب أعمال يقوم بها البعض وقد لا تكون واقعية أحيانا فمن أمثلة ذلك:

- اتهام بعض أهل السنة للإمامية بالعمالة لليهود والنصارى والكفار بسبب ما حصل من بعض الإمامية في قضية حرب الخليج الثالثة وغزو العراق، بل بعضهم يحملهم ما جرى من ابن العلقمي والطوسي!
- وفي المقابل يتهم بعض الإمامية أهل السنة بالعمالة لليهود والنصارى والكفار بسبب ما حصل من بعض أهل السنة، كدول الخليج في حرب الخليج الأولى والثانية
- ومن ذلك اتهام بعض أهل السنة للإمامية بأنهم يستحلون دماء أهل السنة لما رأوا من سفك للدماء في العراق من قبل بعض الإمامية

- وفي المقابل يتهم بعض الإمامية أهل السنة بأنهم يستحلون دماء الإمامية لما رأوا من سفك للدماء في العراق من قبل بعض أهل السنة
- ومن ذلك اتهام بعض السلفيين للصوفية بالعمالة للغرب بسبب بعض التقارير التي تصدرها بعض المؤسسات الغربية
- وفي المقابل يتهم بعض الصوفية السلفيين بالعمالة للغرب بسبب بعض المذكرات لبعض الجواسيس الغربيين
- ومن ذلك اتهام بعض السلفيين للصوفية بأنهم أداة بيد الحكام لأنهم رأوا بعض الصوفية كذلك، بل ربما بمجرد زيارة الحاكم لشيخ صوفي أو العكس صاروا يتهمون الصوفية بالعمالة
- وفي المقابل يتهم بعض الصوفية السلفيين بأنهم أداة بيد الحكام لأنهم رأوا بعض السلفيين كذلك، بل ربما بمجرد زيارة الحاكم لشيخ سلفي أو العكس صاروا يتهمون السلفيين بالعمالة
- ومن ذلك اتهام بعض السلفيين للإمامية بأنهم صنيعة يهودية، ويجتهدون في ذكر بعض وجوه الشبه -في رأيهم- بين الإمامية واليهود وكتبوا في ذلك أبحاثا تحت عناوين منها: (أوجه الشبه بين اليهود والرافضة)
- وفي المقابل اتهام بعض الإمامية للسلفيين بأنهم صنيعة يهودية، ويجتهدون في ذكر بعض وجوه الشبه -في رأيهم- بين السلفيين واليهود وكتبوا أبحاثا تحت عناوين منها: (أوجه الشبة بين اليهود والوهابية)
- إلى غير ذلك من الأمثلة التي بعضها لا أساس له وبعضها إنما هو من تعميم الخاص، والمنصف من لا يقع في هذا المنزلق فما من طائفة إلا وفيها هذا وذاك ومن الظلم أخذ الناس بجريرة غيرهم (ولا تزر وازرة وزر أخرى)

الصورة الثانية من صور تعميم الخاص :

أن يتصور البعض أو يظن نسبة شخص أو طائفة إلى فرقةٍ معينة لأنهم يقولون ببعض قول تلك الطائفة فمثلا يقال: فلان جهمي أو فلان معتزلي أو فلان إمامي أو فلان وهابي...إلخ مع أنه إنما وافقهم في بعض أقوالهم، بل أحيانا قد يكون قال ما هو مشترك بينهم وبين طائفته أو بعض المنتمين لطائفته (١٧)

(١٧) وهذه الصورة لها أيضا صلة بالمحور الثاني من محاور البحث (تصحيح الحكم) لأن نسبة شخص أو طائفة إلى فرقة معينية لموافقتهم لهم في بعض قولهم كما أنه من الخطأ في التصور هو من الخطأ في الحكم أيضا

وأشد من ذلك أنه يقال: فلان من المعتزلة الجدد، مع أن فلانا هذا لا يوافق المعتزلة ولا في أصل واحد من أصولهم الخمسة، وإنما له رأي -قد لا يُوافق عليه- في بعض الأحاديث التي يرى هو أنها تخالف العقل أو الواقع -من وجهة نظره- فيضعفها أو يؤولها لأجل ذلك

ومن الأمثلة على هذه الصورة في الأشخاص:

ذكر ابن حجر في لسان الميزان ١٧٠/١ في ترجمة إبراهيم بن عبد العزيز الأصبهاني : (عن أبي الشيخ وأبي نعيم: أن إبراهيم هذا قعد للتحديث فأخرج الفضائل فأملى فضائل أبي بكر ثم عمر **ثم قال: نبدأ بعثمان أم بعلي؟! فقالوا: هذا رافضي فتركوا حديثه!!!**

قلت [القائل هو ابن حجر]: **وهذا ظلمٌ بيّنٌ فان هذا مذهب جماعة من أهل السنة**، اعني التوقف في تفضيل أحدهما على الآخر، وإن كان الأكثر على تقديم عثمان **بل كان جماعة من أهل السنة يقدمون عليا على عثمان منهم سفيان الثوري وابن خزيمة)**اه

ومن الطرائف ما ذكره ابن حزم في رسالته (نقط العروس) وهي ضمن رسائله حيث قال (١١٢/٢): (وأدركنا فقيهين **أحدهما** : علي بن محمد بن الحسن بن القاسم بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن **بن علي بن أبي طالب**، **فقيه بافريقية، مصرح بتفضيل عثمان على علي بلا تقية، والثاني:** محمد بن عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن أحمد بن مروان بن سليمان بن مروان بن أبان **بن عثمان بن عفان بقرطبة، مشهور مصرح بتفضيل علي على عثمان بلا تقية**، وكلاهما متكلم أديبٌ نبيلٌ ورع.)اه

ومن الأمثلة على ذلك في الطوائف:

النموذج الأول: الإباضية

يقول البعض عن الإباضية : إنهم جهمية لموافقتهم للجهمية في القول بحدوث القرآن مع أنهم مخالفون للجهمية في أصول كثيرة بل ويقولون بضد قولهم في بعض المسائل كمسألة الإيمان، فالجهمية مرجئة وصاحب الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان، بينما الإباضية وعيدية يقولون بخلود صاحب الكبيرة في النار وهو عندهم في الدنيا كافر كفر نعمة وليس كفر شرك ويعامل في الدنيا معاملة المسلمين، يقول علي يحيى معمّر الإباضي: (يحسب كثير ممّن لا علم له أنّ الاباضية ممّن يتّفقون مع الخوارج في تكفير

العصاة كفر شرك، **ولايعرفون أنّ الاباضية يطلقون كلمة الكفر على عصـــاة الموحّـــدين الـــذين ينتهكون حرمات الله، ويقصدون بذلك كفر النعمة...**

وخلاصة البحث أن الأباضية عندما يطلقون كلمة الكفر على أحد من أهـــل التوحيـــد فهـــم يقصدون كفر النعمة، وهو ما يطلق عليه غيرهم كلمة الفسوق و العصيان، والمعنى الذي يطلـــق عليه الأباضية كفر النعمة ويطلق عليه المعتزلة الفسوق، ويطلق عليه غيرهم النفاق أو العصيان فهـــو معنى واحد...)اه الاباضية في موكب التاريخ، الحلقة الأُولى ٨٩ ـــ٩٢

ويقول عبد الكافي الإباضي في الموجز ص١١٧ عن كفار النعمة: (**تحريم قتلهم إذا هم لم يظهـــروا نفاقهم وتحريم السبي والغنيمة منهم وتحليل الذبائح والمناكحة والموارثة والمدافنة معهم**، وتجـــريح شهادهم وإبطال عدالتهم وإقامة الحدود عليهم وفيهم)اه وانظر البعد الحضاري في العقيدة الإباضـــية للجغبيري ص٥٢٠

ويقول ابن معمر في كتابه (الإباضية مذهب إسلامي معتدل) ص٥٤ : (مرتكب الكـــبيرة... **لا يحكمون عليه بالشرك كما يقال عن الخوارج** وإنما يقولون هو منافق، **ولا يمكن لمرتكب الكبيرة في حال معصيته وإصراره عليها أن يدخل الجنة إذا لم يتب**، ولعل أعنف الخصومات إنما قامت بـــين الإباضية والخوارج في هذا الموضوع منذ أثارها نافع بن الأزرق)اه

وقال أبو القاسم البرادي الإباضي في رسالة الحقائق ص٤٥: (والمؤمن **عندنا في أحكام الآخرة هـــو الموفي بجميع الدين وفي أحكام الدنيا هو المقر**)اه

وقال الرستاقي في المنهج ٢/٢١٠: (قال أصحابنا: **كل من عصى الله بصغير من الذنوب أو كـــبير وهو عالم به وأصر عليه ولو حبة مما ظلم فقد وجبت له نار جنهم خالدا فيها، وبطل عنه جميـــع إحسانه** و لم ينتفع بسالف إيمانه، ولو أذاب بدنه في عبادة الله وأتعبه وأنفق ماله في سبيل الله وأذهبه لم يقبل شيء من عمله حتى يقلع عن تلك الذنوب والمعاصي السالفة ويتوب منها) اه وانظر (البعـــد الحضاري للعقيدة الإباضية) للدكتور فرحات الجغبيري ص٥٩١

ومن ذلك تعرف أيضا أن إطلاق لقب الخوارج على الإباضية فيه نظر، أولا: لأنه الإباضية يتبرأون دائما من النسبة إلى الخوارج، وكلامهم في هذا كثير وقد تقدم بعضه، وثانيا: لأهم يخالفون الخوارج في أخص خصائصهم وهو تكفير مرتكبي الكبيرة وتكفير مخالفيهم؛كفرا أكبر مخرجا من الملـــة مـــع استحلال دمائهم وأموالهم وأعراضهم، بينما الإباضية كما تقدم يعتقدون أن مرتكب الكبيرة منهم أو من مخالفيهم يعد كافرا كفر نعمة ويعامل معاملة المسلم، وكفر النعمة عندهم يماثل (الكفر الأصـــغر وكفر دون كفر) عند المذاهب الأربعة.. هذا طبعا في أحكام الدنيا

نعم الإباضية يوافقون الخوارج في التشنيع على سيدنا عثمان وسيدنا علي رضي الله عنهما وعدم الرضا عن فعل عثمان في الإمارة وفعل علي في التحكيم، ويحاول بعض متأخري الإباضية أن يتلطف في هذه المسألة.. وهذا تطور حسن!

ومن ذلك: أن البعض يقول عن الإباضية إنهم معتزلة، لموافقتهم المعتزلة في مسألة الصفات الإلهية في الجملة، مع أنهم مخالفون للمعتزلة في أصول كثيرة بل ويقولون بضد قولهم في بعض المسائل، فالمعتزلة ينفون أن يكون الله خالقا لأفعال العباد، بينما الإباضية يقولون: إن الله خالقٌ لأفعال العباد وإن كل شيء بقضائه وقدره، بل ويقولون بقول الأشعرية في الكسب، قال صاحب النيل -وهو إباضي- ١٧/٧٢٧: (الاستطاعة وهي مع الفعل لا قبله ولا بعده، **فالله خالق لا مكتسب، والعبد مكتسب لا خالق**)اه

وقال أطفيش في شرحه على النيل ١٧/٧٢٧: (فالله خالق لا مكتسب، والعبد مكتسب لا خالق) **فيثاب ويعاقب على مكتسبه الذي يخلقه الله عقب قصده له**، وكون فعل العبد مكتسبا له مخلوقا لله تعالى توسط بين قول المعتزلة: إن العبد خالق لفعله؛ لأنه يثاب ويعاقب عليه. وقد مر رده، وبين قول الجبرية: إنه لا فعل للعبد أصلا والعبد هو آلة محضة كالسكين في يد القاطع...

والحق أنه لا خالق إلا الله، وأفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله تعالى وحدها، وليس لقدرتهم تأثير فيها، بل الله سبحانه وتعالى أجرى عادته بأن يوجد في العبد قدرة واختيارا، **فإذا لم يكن هناك مانع أوجد فيه فعله المقدور مقارنا لهما فيكون فعل العبد مخلوقا لله إبداعا وإحداثا ومكسوبا للعبد، والمراد بكسبه إياه مقارنته لقدرته، وإرادته من غير أن يكون هناك منه تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه محلا له!**)اه

النموذج الثاني : الإمامية

البعض يقول عنهم إنهم معتزلة لموافقتهم المعتزلة في مسألتي الصفات والقدر في الجملة مع أنهم مخالفون للمعتزلة في أصول كثيرة بل ويقولون بضد قولهم في بعض المسائل، فالمعتزلة وعيدية فمرتكب الكبيرة عندهم في منزلة بين منزلتين في الدنيا، مخلد في النار في الآخرة، بينما الإمامية يقولون عن مرتكب الكبيرة: إنه مسلم فاسق في الدنيا ومصيره إلى الجنة في الآخرة، **وقد تقدم معنا نقل المفيد اتفاق الإمامية على ذلك**

..نعم الزيدية هم أقرب من يمثل المعتزلة في أصولها، فهم يوافقون المعتزلة في أصولهم الخمسة كلها، لكن بين المذهبين خلافات طفيفة، كثير منها لفظي لا معنوي وكثير منها فرعي

النموذج الثالث: النصيرية (العلويون)

ينسب البعضُ العلويينَ (النصيرية) إلى طوائف الإسماعيلية لموافقتهم لبعض فرق الإسماعيلية في القول بتناسخ الأرواح وفي القول بالتفسير الباطني للقرآن، وهذه النسبة غير صحيحة فالنصيرية إثنا عشرية وليسوا بإسماعيلية كما هو ظاهر في كتبهم وكتب الفرق

يحكى أحمد زكي تفاحة في كتابه (أصل العلويين وعقيدتهم) ص٤٧ــ٤٨ عن العلويين أنهم:

يؤمنون برسالة محمد بن عبد اللّه -صلّى الله عليه وآله وسلّم- ولا يشكّون بإمامة ابن عمه علي بن أبي طالب والأئمة الأحد عشر من صلبه -عليهم السّلام-

وينطقون بالشهادتين عن إيمان فحصنهم شهادة أنْ لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه - صلّى الله عليه وآله وسلّم - والموالاة لآل بيته والصلاة والصوم والحج والزكاة والجهاد في سبيل اللّه والمعاد في اليوم الآخر

وكتابهم القرآن، ما زاغوا عن هواه ولا نهجوا منهجاً غير شريعته، ولهم مراجع دينية عرفوا بتمسّكهم بالدين وإقامة شعائرهم الدينية الإسلامية، ويطرحون كلَّ حديث لم يشر إليه القرآن وجاء مخالفاً له، كما وأنّهم لا يؤيّدون قول من يقول بصحّة تأويل الآيات التي بحق محمد وآل محمد -عليهم السّلام-

ويحترمون كل الشرائع السماوية، ويقدّسون كلَّ الأنبياء، ولا يشكّون بصحّة ما أُنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أُوتي موسى وعيسى والنبيون من ربّهم، وهم للّه مسلمون، و لم يعصوا الرسول في عمل و لم يخالفوه في قول!!

ويحصرون كلمة العلم الكاملة بأهل البيت ويعتمدون على جعفر بن محمد الصادق -عليه السّلام- في أبحاثهم الدينية وتأويل القرآن والفقه والفتوى، فلا شافعي ولا حنبلي ولا مالكي ولا حنفي عندهم، وكلّهم للّه حنفاء متّبعون ملّة أبيهم إبراهيم، وهو الذي سمّاهم المسلمين ويعبدون اللّه تعالى لا يشركون في عبادته حداً)اه

ويقول عبد الرحمن الخير العلوي وهو يتحدث عن عقيدتهم في أُصول الدين وفروعه: (أُصول الدين خمسة، وهي : التوحيد و العدل والنبوّة والإمامة والمعاد.

التوحيد: نعتقد بوجود إله واحد خالق للعالم المرئي وغير المرئي، لا شريك له في الملك متصف بصفات الكمال، منزّه عن صفات النقص والمحال: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ الْسَمِيعُ الْبَصِير" (الشورى| ١١).

العدل: نعتقد بأنّ اللّه تعالى عادل منزّه عن الظلم، وعن فعل القبيح والعبث، لا يكلّف البشر غير ما هو في وسعهم وطاقتهم ولا يأمرهم إلاّ بما فيه صلاحهم ولا ينهاهم إلاّ عمّا فيه فسادهم ولو جهل كثير من العباد وجه الصلاح والفساد في أمره ونهيه سبحانه.

النبوّة: نعتقد بأنّ اللّه سبحانه يصطفي من خيرة عباده الصالحين رسلاً لإبلاغ رسالاته إلى الناس، ليرشدهم إلى ما فيه صلاحهم ويحذّروهم عمّا فيه فسادهم في الدنيا والآخرة.

ونعتقد بأنّ الأنبياء كثيرون، ذكر منهم في القرآن الكريم خمسة وعشرون نبياً ورسولاً، أوّلهم سيدنا آدم -عليه السّلام- وآخرهم سيدنا محمد بن عبد اللّه -صلّى الله عليه وآله وسلّم- وشريعته هي آخر الشرائع الإلهية وأكملها، ونعتقد بأنّها صالحة لكلّ زمان و مكان.

ونعتقد بعصمة جميع الأنبياء من السهو والنسيان، وارتكاب الذنوب عمداً وخطأ قبل البعثة، وبعدها، وأنّهم منزّهون عن جميع العيوب والنقائص، وأنّهم أكمل أهل زمانهم وأفضلهم وأجمعهم للصفات الحميدة، صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين.

الإمامة: نعتقد بأنّ الإمامة منصب تقتضيه الحكمة الإلهية لمصلحة البشر في مؤازرة الأنبياء بنشر الدعوة الإلهية، وفي القيام بعدهم بالمحافظة على تطبيق أحكامها بين الناس وبصون التشريع من التغيير والتحريف والتفسيرات الخاطئة.

ولذلك نعتقد اقتضاء اللطف الإلهي بأن يكون الإمام معيّناً بنص إلهي وأن يكون معصوماً مثل النبي سواء بسواء ليطمئن المؤمنون إلى الاقتداء به في جميع أعماله وأقواله.

ونعتقد بأنّ الإمام بعد نبينا محمد -صلّى الله عليه وآله وسلّم- هو سيدنا الإمام علي بن أبي طالب عليه السّلام، ومن بعده ابناه الحسن والحسين، ثمّ تسعة من ذرية الحسين -عليه السّلام-، آخرهم المهدي عجّل اللّه فرجه، وعجل به فرج المؤمنين.

المعاد: نعتقد بأنّ اللّه سبحانه يعيد الناس بعد الموت للحساب، فيجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته. كما ونوَمن بكل ما جاء في القرآن الكريم، وبما حدّث به النبي -صلّى الله عليه وآله وسلّم- من أخبار يوم البعث و النشور والجنّة والنار والعذاب والنعيم والصراط والميزان وغير ذلك ممّا أثبته كتاب اللّه وحديث رسوله الصحيح.

وأمّا فروع الدين: فكثيرة أهمّها الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد.)اه (عبد اللّه الخير: عقيدتنا وواقعنا نحن المسلمين العلويين: ٢٠ــ٢٣ ملخصا) وانظر الملل والنحل للسبحاني (فرقة الإسماعيلية)

نعم النصيرية يخالفون الإثني عشرية في أمور منها :

- الموقف من ابن نصير فالإمامية يذمونه والنصيرية يعظمونه وسبب الخلاف هو كونه ادعى البابية لمحمد بن الحسن العسكري
- الغلو في سيدنا علي رضي الله عنه فإن النصيرية يعتبرونه مظهر التجلي الإلهي ومع ذلك يقولون: لا نعني بذلك الحلول

- القول بتناسخ الأرواح والقول بالتفسير الباطني للقرآن، ولأجل هذه الأمور تجد أكثر الإمامية يشنعون عليهم بل كثير منهم يكفرهم، وانظر لمزيد فائدة كتاب: (العلويون في مواجهة التجني) لأحمد علي حسن

النموذج الرابع : الأشاعرة

وأشد مما سبق أن يقول البعض عن الأشعرية : إنهم جهمية لموافقتهم الجهمية في نفي بعض الصفات التي تقتضي التشبيه والتجسيم وتأويلها بما يتناسب مع اللغة، هذا مع أن الأشاعرة لا يوافقون الجهمية ولا في أصل واحد من أصولهم، وبين الأشعرية والجهمية بون شاسع وهذا واضح ظاهر لكل منصف مطلع على أصول المذهبين

فعلى سبيل المثال: الجهمية معطلة في الصفات الإلهية والأشاعرة مثبتة، والقرآن عند الجهمية محدث مخلوق وعند الأشاعرة قديم غير مخلوق، والأشاعرة يثبتون الرؤية والجهمية ينفونها، والجهمية يقولون: الله في كل مكان والأشاعرة يقولون: الله ليس في مكان، ومرتكب الكبيرة عند الجهمية مؤمن كامل الإيمان وعند الأشاعرة مسلم فاسق، والجهمية جبرية والأشاعرة يقولون بالاختيار... إلى غير ذلك من الفروق والاختلافات

وبالمناسبة فهذا جدول نذكر فيه أهم الفروق بين المذاهب العقدية الإسلامية :

الفرقة	الصفات	القرآن	الرؤية	أفعال العباد	الإيمان	الإمامة	صاحب الكبيرة	ملاحظات
الحنابلة	الإثبات والتفويض والتنزيه عن الجسمية	قديم غير مخلوق . بحرف وصوت قديمين	ثابتة بلا كيف ولا تجسيم	أفعال العباد مخلوقة لله مكسوبة للعباد	اعتقاد وقول وعمل والعمل كمال ، يزيد وينقص	في المتأهل من قريش وتصح إمامة المفضول	مسلم فاسق	ربما غلا بعض الحنابلة في الإثبات
الأشاعرة	الإثبات والتفويض أو التأويل والتنزيه عن الجسمية	قديم غير مخلوق بلا حرف ولا صوت	ثابتة بلا كيف ولا تجسيم ولا جهة	أفعال العباد مخلوقة لله مكسوبة للعباد	التصديق (المعرفة والإذعان) والعمل كمال ، يزيد وينقص	في المتأهل من قريش وتصح إمامة المفضول	مسلم فاسق	القول عند الأشاعرة شرط في إجراء أحكام الدنيا
الماتريدية	الإثبات والتفويض أو التأويل	قديم غير مخلوق بلا حرف ولا	ثابتة بلا كيف ولا تجسيم ولا	أفعال العباد مخلوقة لله مكسوبة	التصديق (المعرفة والإذعان)	في المتأهل من قريش وتصح	مسلم فاسق	

	والتنزيه عن الجسمية	صوت	جهة	للعباد	لا يزيد ولا ينقص	إمامة المفضول		
المعتزلة	إثبات الأسماء ومعانيها دون الصفات والتنزيه عن الجسمية	محدث مخلوق بحرف وصوت	منفية لاستلزامها التجسيم عندهم	أفعال العباد من خلق العباد	اعتقاد وقول وعمل والعمل ركن	في المتأهل من قريش واختلفوا في إمامة المفضول	منزلة بين المنزلتين في الدنيا مخلد في النار في الآخرة	يعامل في الدنيا معاملة المسلم
الزيدية	إثبات الأسماء ومعانيها دون الصفات والتنزيه عن الجسمية	محدث مخلوق بحرف وصوت	منفية لاستلزامها التجسيم عندهم	لم يخلق الله أفعال العباد وهي محدثة لهم	اعتقاد وقول وعمل والعمل شرط	في المتأهل من البطنين واختلفوا في صحة إمامة المفضول	منزلة بين المنزلتين في الدنيا مخلد في النار في الآخرة	يعامل في الدنيا معاملة المسلم
الإباضية	إثبات الأسماء ومعانيها دون الصفات والتنزيه عن الجسمية	محدث بحرف وصوت ويتحاشون لفظ مخلوق	منفية لاستلزامها التجسيم عندهم	أفعال العباد مخلوقة لله مكسوبة للعباد	اعتقاد وقول وعمل والعمل شرط	في المتأهل من المسلمين وتصح إمامة المفضول	كافر كفر نعمة ، مخلد في النار	يعامل في الدنيا معاملة المسلم
الإمامية	إثبات الأسماء ومعانيها دون الصفات والتنزيه عن الجسمية	محدث بحرف وصوت ويتحاشون لفظ مخلوق	منفية لاستلزامها التجسيم عندهم	لم يخلق الله أفعال العباد وهي محدثة لهم (لا جبر ولا تفويض)	التصديق (المعرفة والإذعان) والعمل كمال	في الإثني عشر فقط ولا تصح في غيرهم	مسلم فاسق	
الكرامية	الإثبات مع التجسيم	محدث في ذات الله غير مخلوق. بحرف وصوت	ثابتة بكيف وتجسيم	أفعال العباد مخلوقة لله مكسوبة للعباد	قول اللسان فقط		مؤمن	من أبطن الكفر فهو عندهم مؤمن !! مخلد في النار
الجهمية	نفي الصفات والأسماء التي تطلق على الخلق	محدث مخلوق بحرف وصوت	منفية لاستلزامها التجسيم عندهم	العباد مجبورون على أفعالهم	المعرفة فقط		مؤمن كامل الإيمان	الجنة والنار ستفنيان

ولولا ضيق المقام لذكرنا أقوال كل مذهب فيما حكيناه عنهم، وقد يخالفني البعض في شيء من حكاية هذه المذاهب لما تلقوه أو اشتهر عندهم من خلاف ذلك، وأنا لا أدعي العصمة لما حكيت بل ذلك هو مبلغ علمي ومدى فهمي وإذا بان لي خلاف ذلك فإني راجع إليه

وقد تشتهر نسبة قول ما إلى طائفة مع أنهم بخلاف ذلك أو يكون قول بعضهم فقط، وما أحسن قول المعلمي في كتابه رفع الاشتباه ص٧٦: (**إن اشتهار أن القول قول أهل السنة جميعهم قد يكون غير صحيح ويكون جماعة من أهل السنة على خلافه، بل قد يكون القول الذي زعموا أنه قول أهل السنة إنما هو قول طائفة من المتأخرين ويكون قول سلف هذه الأمة – الذي هم أهل السنة على الحقيقة – على خلافه**)اه

وبالمناسبة فللفقير بحث بعنوان: (التجسيم والمجسمة وحقيقة عقيدة السلف في الصفات الإلهية) ذكرنا فيه حقيقة التجسيم وموقف السلف والأئمة من ذلك وأقوالهم في ذلك وأدلة السلف والأئمة في تنزيه الله تعالى عن الجسمية من النقل والعقل ثم عقدنا مقارنة بين التجسيم والتفويض والتأويل ثم ذكرنا كيف دخل التجسيم على الأمة ثم ذكرنا بعض المجسمة وبعض من رموا بالتجسيم من طوائف وأشخاص ثم ذكرنا حكم التجسيم والمجسمة في المذاهب الأربعة

ومن صور تعميم الخاص:

أننا نجد البعض إذا رأى طائفة ما قد أصابت في مسألة أو مسائل ظن أنها مصيبة في بقية المسائل التي تخالف فيها بقية الطوائف، وبالعكس نجد البعض إذا رأى طائفة ما قد أخطأت في مسألة أو مسائل ظن أنها مخطئة في بقية المسائل التي تخالف فيها بقية الطوائف، ولا شك أن هذا خطأ بين، وسيأتي الكلام عن ذلك مفصلا عند الكلام عن التجرد والعدل والإنصاف في الحكم على الآخرين لأن لهذه الصورة صلة واضحة في تصحيح الحكم

ومن صور تعميم الخاص أيضا:

أن البعض إذا رأى أحدا يثني على شخص ما فيما يستحق عليه الثناء وكان هذا الشخص ينتمي إلى طائفة غير طائفته أو كان عند هذا الشخص أخطاء أخرى، نجده يقول: فلان يثني على الطائفة الفلانية أو يثني على فلان وفيه كذا وكذا من الأخطاء، بل أحيانا يُنسب الشخص بذلك إلى تلك الطائفة مع أنه إنما أثنى على بعض أفرادها وفي بعض ما عنده فقط، أو يحمَّل أخطاء الشخص الذي أثنى عليه، وهذا خطأ بل لو فرض أنه أثنى على بعض ما في الطائفة الأخرى فلا يجوز لنا أن ننسب إليه الثناء على كل ما عندها أو ننسبه إليها، ومن الأمثلة على ذلك:

أن البعض يثنون على ابن عربي، فنجد البعض ينسب من يثني على ابن عربي إلى وحدة الوجود، فيقال له: هل هذا الشخص أثنى على ابن عربي في وحدة الوجود أم في أمر آخر؟ ثم هل هو يرى أن ابن عربي يقول بوحدة الوجود أم هو يرى أن ذلك مدسوس عليه؟ أو يرى أن مراد ابن عربي بأقواله تلك ليس هو وحدة الوجود وإنما فُهمت خطأ ؟... إلخ ([18]) وعلى كل حال فلا يجوز أبدا أن ينسب هذا الشخص إلى القول بوحدة الوجود.

المبحث الثاني: تصحيح الفهم

تقدم أن قلنا: إن تصحيح التصور له ركنان: الأول: تصحيح النقل، والثاني: تصحيح الفهم لذلك النقل، والكلام السابق كان عن تصحيح النقل، وهذا أوان الحديث عن الركن الثاني وهو(تصحيح الفهم) ضمن الفروع التالية:

الفرع الأول: تصحيح الفهم عن الآخر فرض

إن فهم الآخر كما يقصد ويريد لا كما نريد، ليس هو نافلة من القول بل هو حق واجب سواء كان الآخر كافرا أم مسلما سنيا أم شيعيا سلفيا أم صوفيا حنبليا أم أشعريا ..إلخ، قال أبو حامد الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال ص٤١: **(لقد علمت أن رد المذهب قبل فهمه والاطلاع على كنهه رمي في عماية)اه**

وفي جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٣ /٤١٥ ونحوه في الانتقاء له ص١٧٨: (ومما نقم على ابن معين وعيب به أيضا قوله في الشافعي: إنه ليس بثقة!، وقيل لأحمد بن حنبل: إن يحيى بن معين يتكلم في الشافعي فقال أحمد : **ومن أين يعرف يحيى الشافعيَ، هو لا يعرف الشافعي ولا يعرف ما يقول الشافعي؟ أو نحو هذا، ومن جهل شيئا عاداه**

قال أبو عمر: صدق أحمد بن حنبل رحمه الله، **إن ابن معين كان لا يعرف ما يقول الشافعي رحمه الله**، وقد حكي عن ابن معين أنه سئل عن مسألة من التيمم فلم يعرفها) اه

---

[18]) لأهل العلم في ابن عربي أقوال: فمنهم من يرى كفره لظاهر أقوال له في الفصوص، وقد ألف البقاعي رسالة سماها: (تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي)، ومنهم من يرى ولايته لشهادة الكثيرين له بذلك من أهل عصره فمن بعدهم، قالوا: وأما تلك النصوص التي في الفصوص فهي إما مدسوسة وإما لها معنى غير ظاهرها ثم ذكروا لها معان غير الظاهر، وللسيوطي رسالة في ذلك سماها: (تنبأة الغبي بتبرأة ابن عربي)، ومنهم توقف في أمره فلا يقول بولايته ولا كفره ويكل أمره إلى الله، ومن يرى ولايته: منهم من يحرم القراءة في كتبه ومنهم من لا يحرمها، ولابن عربي ترجمة مطولة في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ذكر فيها أقوال أهل العلم فيه.

وأحيانا قد يُشْكِل علينا بعض كلام الآخر فلا نفهمه، أو يكون محتملا لعدة وجوه فيجب علينا حينئذ مراجعته هو لفهم كلامه المشكل على حسب ما يريد هو، ولا نفسره بحسب ما نهوى نحن، قال ابن الوزير في إيثار الحق ص٤٠٤: (**قد يدق مراد المخالف ويخفي جدا ويحتمل الوقف فيفسر بما لم يقصده ...** وكم يَختلف أتباع العالم في كثير من مقاصده ويلزم ما لم يقصده،كما يُختلف في كثير من الآيات والأحاديث... فإذا تقرر هذا فمن العجب تكفير كثير ممن لم يرسخ في العلم لكثير من العلماء **وما دروا حقيقة مذاهبهم، وهذه هذه! وما يعقلها إلا العالمون**)اه

وإذا كان الكلام يحتمل معنى حسنا ومعنى قبيحا فالواجب هو حمل الكلام على أحسن المحامل ما أمكن ما لم يفصح المتكلم عن المعنى القبيح، روى ابن عساكر في تاريخه ٤٤/٣٥٩ بسنده: عن عكرمة قال: قال عمر بن الخطاب: (**لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءا وأنت تجد لها في الخير مدخلا، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك**)اه

الفرع الثاني : نماذج من الفهم الخاطئ

ما أكثر الفهوم الخاطئة لكلام الآخرين سواء في الأشخاص أو في الطوائف، وهذه نماذج في عدم فهم الآخر كما يريد:

المسألة الأولى : نماذج في الأشخاص

الإمام ابن حبان:

فهم بعضهم من قول ابن حبان: (النبوة هي العلم والعمل) أنه يقول إن النبوة مكتسبة و لم يكتفوا بذلك الفهم بل كفروه لأجل فهمهم ذاك واستباحوا دمه ففي سير النبلاء أيضا ١٦/٩٦: (قال أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري مؤلف كتاب (ذم الكلام): سمعت عبد الصمد بن محمد بن محمد، سمعت أبي يقول: **أنكروا على أبي حاتم بن حبان قوله: (النبوة: العلم والعمل)، فحكموا عليه بالزندقة وهجر وكتب فيه إلى الخليفة، فكتب بقتله.**

قلت [القائل هو الذهبي]: **هذه حكاية غريبة، وابن حبان من كبار الأئمة، ولسنا ندعي فيه العصمة من الخطأ، لكن هذه الكلمة التي أطلقها، قد يطلقها المسلم، ويطلقها الزنديق الفيلسوف، فإطلاق المسلم لها لا ينبغي، لكن يعتذر عنه**

فنقول: لم يرد حصر المبتدأ في الخبر، ونظير ذلك قوله - عليه الصلاة والسلام -: (الحج عرفة) ومعلوم أن الحاج لا يصير بمجرد الوقوف بعرفة حاجا، بل بقي عليه فروض وواجبات، وإنما ذكر مهم الحج. وكذا هذا ذكر مهم النبوة إذ من أكمل صفات النبي كمال العلم والعمل، فلا يكون أحد نبيا إلا

بوجودهما، وليس كل من برّز فيهما نبيا لأن النبوة موهبة من الحق تعالى لا حيلة للعبد في اكتسابها بل بها يتولد العلم اللدني والعمل الصالح، وأما الفيلسوف فيقول النبوة مكتسبة ينتجها العلم والعمل **فهذا كفر ولا يريده أبو حاتم أصلا وحاشاه)**اه

الذهبي والمقبلي والصنعاني:

اتُّهِمَ الذهبيُ بالنصب من قِبَل الصنعاني في شرح التحفة العلوية ص١٦٤ومن قِبَل المقبلي في الأرواح النوافخ ص٣٩٦، **وفَهِمَا ذلك من كلمة قالها الذهبي في حق سيدنا الحسين رضي الله عنه فقد قال الذهبي عن الحسين بن علي رضي الله عنهما: (أنف من البيعة ليزيد وكاتبه أهل الكوفة فاغتر وفي قصته طول)**اه

ولا شك أن الذهبي بريء من النصب، لكن لا شك أيضا أن للبيئة الشامية دورا في طريقة كلامه عن الحسين رضي الله عنه، والإنسان ابن بيئته إلا العزيز النادر، وذلك العزيز النادر من النادر أن يتحرر التحرر التام من بيئته بل الغالب بقاء الرواسب، وقد قال الذهبي نفسه في سير أعلام النبلاء ١٢٨/٣: (وخلْفَ معاوية خلقٌ كثير يحبونه ويتغالون فيه ويفضلونه، إما قد ملكهم بالكرم والحلم والعطاء، **وإما قد ولدوا في الشام على حبه وتربى أولادهم على ذلك**، وفيهم جماعة يسيرة من الصحابة وعدد كثير من التابعين والفضلاء وحاربوا معه أهل العراق **ونشؤوا على النصب نعوذ بالله من الهوى** كما قد نشأ جيش علي رضي الله عنه ورعيته - إلا الخوارج منهم - على حبه والقيام معه وبغض من بغى عليه والتبري منهم وغلا خلق منهم في التشيع، **فبالله كيف يكون حال من نشأ في إقليم لا يكاد يشاهِد فيه إلا غاليا في الحب مفرطا في البغض؟ ومن أين يقع له الإنصاف والاعتدال؟!)** انتهى كلام الذهبي

المسألة الثانية : نماذج في الطوائف

النموذج الأول : أهل الحديث والأشاعرة والماتريدية

ينسب المعتزلةُ والزيديةُ إلى الأشاعرة وأهل الحديث والماتريدية القولَ بالجبر لأنهم يقولون بخلق أفعال العباد فهذا أحمد بن يحي المرتضى الزيدي في البحر الزخار ٤٢/١ يقول: (المجبرة) يسمون مجبرة، وقدرية، ومجبرية، **ولا يرضون أيَّها بل يتسمون بالسنية** ويجمع مذهبهم: **القول بخلق الأفعال**، وإرادة

المعاصي، وتعذيب من يشاء بغير ذنب، وأن فعله تعالى لا لغرض، وأنه لا يقبح منه شيء، وأن القبائح بقضائه وقدره إلى غير ذلك)اه

ثم ذكر في ج١/ص٤٩ وفي غيرما موضع من كتابه: أن الأشاعرة من فرق المجبرة، ومن العجب أن يحي بن حمزة الزيدي مع اشتهاره بالاعتدال وسعة الاطلاع يقول عن الأشاعرة إنهم جبرية وذلك في الرسالة الوازعة في ص٢٦٧ بتحقيق شيخنا مقبل الوادعي

وفي شرح الأساس الكبير للشرفي ١/١٤٣: (وأما الحشوية... **وأجمعوا على الجبر والتشبيه وجسموا وصوروا وقالوا بالأعضاء وقدم ما بين الدفتين !!!** ويسمون أنفسهم بأصحاب الحديث وأنهم أهل السنة... ومن رجالهم الكرابيسي وأحمد بن حنبل وداود وغيرهم)اه

ولندع الجواب عن ذلك لابن الوزير اليماني فهو ليس بأشعري ولا حنبلي لكن الإنصاف دعاة للدفاع عنهم قال رحمه الله في الروض الباسم ١/١٥٨ وما بعدها: **(المجبّرة) أراد بهم من ليس بجبريّ من الأشعرية وأهل الحديث...)**اه، ثم ذكر ابن الوزير وجوها في الجواب عمن اتهمهم بالجبر نذكر منها الوجهين الأول والثاني:

الوجه الأوّل: أنّا قد بيّنّا غير مرّة أنّ الأشعرية وأهل الحديث لا يقولون بالجبر، وبيّنّا نصوص أئمتهم على ثبوت الاختيار ونفي الإجبار كالجويني والخطّابي والنّووي وابن الحاجب، وغير واحد ممّن قدّمنا ذكره، وهم أعرف بمذاهبهم من غيرهم، **والرّجوع إليهم في تفسير مقاصدهم في عباراتهم أولى من الرّجوع إلى من عداهم**؛ وإذا جاز أن يُنسب إليهم ما هم مفصحون بالبراءة منه، **جاز أن ينسب إلى الشّيعة والمعتزلة مثل ذلك**، فوجب اطّراحه والرّجوع إلى العدل والإنصاف، والحكم بما ظهر من أهل الخلاف.

الوجه الثّاني: أنّ المعلوم ضرورة من مذهبهم خلاف ما ذكره، وإنّما ألزمتهم ذلك المعتزلة مجرّد إلزام، كما أنّهم ألزموا المعتزلة القول بأقبح من ذلك في كثير من مسائل الكلام، والفريقان أعقل من أن يرتكبوا من الكذب المعلوم بالضّرورة ما ارتكبه المعترض، فإن الكذّاب إنّما غرضه أن يعتقد صحّة باطله وصدق كذبه، فإذا كان معلوماً بالضّرورة لم يستفد بكذبه إلا أن يُعلم أنّه كاذب

فإن كان الذي جرّأه على هذا كراهيته للأشعرية؛ فما أصاب السّنّة، ولا عمل بمقتضى الشّريعة، قال الله تعالى: (ولا يجرمنّكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتّقوى) وإن كان قال ذلك طمعاً في التّمويه على خصمه، فأدنى العوام يعرف أنّه ليس في أهل القبلة من يعتقد أنّ الله تعالى يعاقب المطيع ويثيب العاصي **...**) اه

وقال الزرقاني في مناهل العرفان في علوم القرآن ج٢/ص٢٩ – ٣٣: (ونعتقد أن كلتا الطائفتين لو أنصتت إلى وجهة نظر صاحبتها في هدوء ونَصَفة لاجتمعنا على الإنسانية التي تجمع الجميع **وعلى**

الإسلام الذي يؤلف بين الجميع وعلى الاحترام الذي يجب أن يسود الجميع، فإن لكل شرعة ومنهاجا في حدود الإسلام وأدلة الإسلام

ولنقف برهة بجانب هذا المثال: مثال خلق الأفعال ليتضح الحال **ولنقس عليه النظائر والأشباه عند الاختلاف والاشتباه ولنعلم أن المتخالفين في ذلك ما زالوا مع خلافهم إخوانا مسلمين تظلهم راية القرآن ويضمهم لواء الإسلام**

في القرآن الكريم والسنة النبوية نصوص كثيرة تدل على أن الله تعالى خالق كل شيء وأن مرجع كل شيء إليه وحده وأن هداية الخلق وضلالهم بيده... ويظاهر هذه الأدلة النقلية أدلة أخرى عقلية ناطقة بوحدانية الله في كل شيء وبأن العبد لا يعقل أن يكون خالقا لما اختاره من أفعاله...

بجانب هذا توجد نصوص كثيرة أيضا من الكتاب والسنة تنسب أعمال العباد إليهم وتعلن رضوان الله وحبه للمحسنين فيها كما تعلن غضبه وبغضه للمسيئين منهم... ويظاهر هذه النصوص أدلة عقلية أيضا شاهدة بعدالة الله وحكمته لأن العبد لو لم يكن موجدا لما اختار من أعماله لما كان ثمة وجه لاستحقاقه المثوبة أو العقوبة...

أهل السنة بهرتهم النصوص الأولى والأدلة العقلية التي بجانبها فرجحوها وقالوا: إن العبد لا يخلق أفعال نفسه الاختيارية إنما هي خلق الله وحده؟ وإذا قيل لهم: كيف يثاب المرء أو يعاقب على عمل لم يوجده هو؟ وكيف يتفق هذا وما هو مقرر من عدالة الله وحكمته في تكليف خلقه؟

قالوا: إن العباد - وإن لم يكونوا خالقين لأعمالهم - كاسبون لها وهذا الكسب هو مناط التكليف ومدار الثواب والعقاب وبه يتحقق عدل الله وحكمته فيما شرع للمكلفين

وهكذا حملوا النصوص الأولى على الخلق وحملوا الثانية على الكسب جمعا بين الأدلة، ثم إذا قيل لهم: ما هذا الكسب؟ اختلف الأشعري والماتريدي في تحديده أهو مقارنة القدرة القديمة للحادثة أم هو العزم المصمم؟ ولكل وجهة نظر يطول شرحها وتوجيهها

أما المعتزلة فقد بهرتهم النصوص الثانية وما يظاهرها من برهان النقل فرجحوها، وقالوا: إن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية، وإذا قيل لهم: أليس الله خالق كل شيء ومنها أعمال العباد؟

قالوا: بلى إنه خالق كل شيء حتى أعمال عباده الاختيارية، بيدَ أنه خلق بعض الأشياء بلا واسطة وخلق بعضها الآخر بواسطة وأعمال المكلفين من القبيل الثاني خلقها الله بوساطة خلق آلاتها فيهم وآلاتها هي القدرة الكلية والإرادة الكلية الصالحتان للتعلق بكل من الطرفين وليس لنا من حول ولا قوة سوى أننا استعملناها على أحد وجهيها إما بحسن الاختيار وإما بسوء الاختيار، **ثم لا مانع عندنا من القول بأنه سبحانه خالق لأفعال عباده ولكن على سبيل المجاز باعتبار أنه خالق أسبابها ووسائلها**

وإذا قيل لهم: إن مذهبكم يستلزم أن يكون لله شركاء كثيرون في فعله وهم عباده المكلفون وهــذا يناقض عقيدة التوحيد وبرهان الوحدانية، قالوا: لا نسلم هذا ولا نقول به فإن الوحدانية ليس معناها نفي وجود ذوات أو صفات أو أفعال لغيره إنما معناها نفي أن يكون لغيره شبه به في ذاته أو صفاته أو أفعاله، وأنتم يا أهل السنة لا تمنعون وجود ذوات لا تشبه ذاته ولا تمنعون وجود صفات لا تشبه صفاته فلم تمنعون وجود أفعال من العباد لا تشبه أفعاله وهو ما نقول به في خلق العباد لأعمالهم فإنها لا تشبه أفعال الله بحال

هكذا تجد لكلتا الطائفتين وجهة نظر قوية وتأويلا سائغا فيما تؤوله من النصوص المقابلة للنصوص التي بهرتها فرجحتها، ونجد أيضا أن كلتا الطائفتين لا تلتزم المحظور التي تحاول الأخرى أن تلزمها إياه في مقام الحجاج والجدال بل توجه رأيها توجيها ينأى بها عن الوقوع في المحظــور، ثم نجــد كلتــا الطائفتين يتلاقيان أخيرا بعد طول المطاف عند نقطة الاعتقاد السديد بوحدانية الله وحكمة الله ولكن على الوجه الذي استبان لها وراج عندها

فكيف يرضى منصف إذا بتجريح إحداهما ورميها بأشنع التهم من كفر أو شرك أو هوى، وماذا علينا أن نرجح ما نرجح من غير تسفيه للجانب الآخر؟! **بل ماذا علينا بأن نلوذ بالصمت ونعتصم بالسكون فلا نخوض في أمثال هذه الدقائق العويصة والمسالك الملتوية البعيدة؟ لا سيما أن الرحمن الرحيم لم يكلفنا بها ولم يفرضها علينا...**

لهذا كله تراني لا أذهب مع الذاهبين في تضليل المعتزلة وتسفيه أحلامهم ونبزهم بألقاب الكفــر والفسوق كما لا أذهب مع الذاهبين في تجهيل أهل السنة وتحقيرهم ونبزهم بالجهالــة والجمــود والهوى) انتهى كلام الزرقاني

قد نعذر المعتزلة والزيدية في عدم فهمهم لمسألة الكسب عند الأشاعرة وخلق الأفعال عنــد أهــل الحديث والتوفيق بين ذلك وبين نفي المذهبين للجبر، وقد نعذرهم في عدم التســليم لهــذه المقولــة (الخلق– والكسب)، ولكننا لا نعذرهم في نسبة المذهبين للجبر مع تصريح أصحابهما في كل مناسبة بعدم الجبر، وتشنيعهم على الجبرية ([19])، هذا مع أن الحافظ أبا عبد الله العلوي الزيدي قــد روى في

[19]) إن قيل: فعلى مذهب القائلين بخلق أفعال العباد أين تكمن مسؤولية العبد على أفعاله إذا كانت كلها مخلوقة لله حتى إرادته؟ ولهم على ذلك أجوبة: منها: أن الله سبحانه يخلق في العبد الإرادة ومن ثم الفعل بناء على علمه سبحانه بأنه سيريد ذلك ويفعله، (والعلم سابق لا سائق)، ومنها: أن مسؤولية العبد تكمن في عزمه المصمم!، ومنها: أن مسؤلية العبد تكمن في أنه كاسب!!! وعلى هذه الأجوبة اعتراضات وإشكالات عند من لا يسلّم بخلق الأفعال.
وعند التأمل في مذهب القائلين بخلق أفعال العباد (أهل الحديث – الأشعرية – الماتريدية – الإباضية) وفي مذهب القائلين بعدم خلقه أفعال العباد (المعتزلة – الإمامية – الزيدية) نرى أن الجميع: يوجبون التكاليف ويجعلون العبد

الجامع الكافي عن أحمد بن عيسى أنه روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رجلا سأله عن أفعال العباد فقال: (هي من الله خلق ومن العباد فعل لا تسأل عنها أحدا بعدي) قال أحمد بن عيسى بعد روايته: (إنما يعذب الله العباد على فعلهم لا على خلقه)اه إيثار الحق ص٢٩١، ثم قال ابن الوزير بعدها: (وظاهر كلام السيد أبي عبد الله الحسني في الجامع الكافي أن هذا مذهب أهل ذلك العصر من أهل البيت وشيعتهم فإنه ذكر ذلك عن محمد بن منصور عن أحمد ابن عيسى و لم يذكر خلافا لأحد)اه

نعم يمكن أن يقول المعتزلة والزيدية لأهل السنة: اجتنبوا العبارات التي توهم الجبر ونحوه، قال ابن الوزير في إيثار الحق على الخلق ص٣١٢: (إن أهل السنة كلهم قد وافقوا على أن أفعالنا لا تسمى مخلوقة من حيث نسبت الينا وإنما تسمى بذلك من حيث نسبت إلى الله تعالى ففارقوا الجبرية في المعاني مفارقة بعيدة وقاربوهم في العبارات مقاربة كثيرة حتى غلط عليهم خصومهم بسبب ذلك ونسبوهم إلى الجبر **فينبغي منهم وممن ينصر مذهبهم تجنب العبارات التي توهم مذهب الجبرية ليتم بذلك نزاهتهم منه حتى لا يحتج عليهم بتلك العبارات جبري ولا معتزلي ولا يغلط بسببها عامي ولا سني فقد وقع بسببها خبط كثير وغلط فاحش**، وقد قال الله تعالى: (لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا) لما وقع في أحد اللفظين من المفسدة دون اللفظ الآخر)اه

ومن العجيب أن ينسب بعضُ من ينتسب إلى أهل الحديث القول بالجبر إلى الأشعرية لقولهم بالكسب، وما دروا أن الأشاعرة إنما أرادوا بالقول بالكسب فذلكة قول أهل الحديث بخلق أفعال العباد والرد على المعتزلة الذين ألزموا القائلين بخلق الأفعال بالجبر، بينما أهل الحديث - كما هي طريقتهم – اكتفوا بالإجمال فقالوا بخلق الأفعال لورود الأدلة الشرعية و لم يلتفتوا إلى اعتراضات المعتزلة العقلية، أما الأشاعرة فحاولوا الجواب عن تلك الاعتراضات فأتوا بمقولة الكسب لبيان أنه لا

مسؤولا عن أفعاله وأن الله لم يجبره، والخلاف الحقيقي بينهم - من وجهة نظري - ليس في مسألة خلق الأفعال بل في مسألة التوفيق والخذلان من الله للعبد

والجميع يثبتون التوفيق والخذلان، لكن الفريق الأول يمكن عندهم عقلا **لا شرعا** أن يبتدئ اللهُ العبدَ بالخذلان والتوفيق، بينما الفريق الثاني لا يمكن عندهم أن يبتدئ اللهُ العبدَ بالخذلان لا عقلا ولا شرعا، وإنما يكون الخذلان عقوبة على فعل فعله العبد (المعصية)، قال الشريف المرتضى في رسالته إنقاذ البشر من الجبر والقدر ص٢٣٢ ضمن رسائل العدل والتوحيد: (وكل إضلال أضل الله به العباد فإنما هو عقوبة لهم على كفرهم وفسقهم وأما من خالفنا فزعموا أن الله تعالى يبتدي كثيرا من عباده بالإضلال عن الحق ابتداء من غير عمل)اه

كما أن الخذلان عندهم أمر سلبي وليس إيجابيا ووافقهم في كونه سلبيا الإباضية من الفريق الأول كما في أصول الدين لابن عيسى الإباضي ص٥٩، ويمكن عند الفريق الثاني عقلا وشرعا أن يبتدئ الله العبد بالتوفيق، كما يمكن أن يكون التوفيق مثوبة من الله لفعل فعله العبد

تلازم بين الخلق والجبر قال ابن الوزير في إيثار الحق على الخلق ص٢٨٧: **(وأما الأشـــعرية فرامـــوا الجمع بين هذه المتعارضات** بنسبة الفعل إلى الله تعالى من وجه وإلى العباد من وجه آخر كالمفسرين بذلك لما ورد السمع به ومن ذلك التعارض المتقدم وأمثاله) اه

النموذج الثاني : الأشاعرة

ينسب ابن حزم في الفصل في الملل ج٤/ص١٥٦ وما بعدها كثيرا من الشنائع إلى الأشاعرة ولا يشك من له أدنى اطلاع على مذهب الأشاعرة أن ذلك من الكذب عليهم، وأن سبب ذلك هـــو الفهـــم الخاطئ فمما نسبه إليهم:

- أنهم يقولون: إن شتم من أظهر الإسلام لله تعالى ولرسوله بأفحش ما يكون مـــن الشتم وإعلان التكذيب بهما باللسان **بلا تقية ولا حكاية والإقرار بأنه يدين بذلك ليس شيء من ذلك كفرا**
- وأن إبليس لم يسأل الله قط أن ينظره إلى يوم البعث **وإنما قال إبليس كـــل ذلـــك هازئا مستهزئا بلا معرفة ولا اعتقاد**
- وأن إبليس لم يكفر بمعصيته الله في ترك السجود لآدم ولا بقوله عن آدم: أنا خـــير منه **وإنما كفر بجحد الله تعالى في قلبه**
- وأن فرعون لم يعرف قط أن موسى إنما جاء بتلك الآيات من عند الله حقـــا وأن اليهود والنصارى الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يعرفوا قط أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حقا ولا عرفوا أنه مكتوب في التوراة والإنجيل
- وأن من عرف ذلك منهم وكتمه **وتمادى على إعلان الكفر ومحاربة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخيبر ومن بني قريظة وغيرهم فإنهم كانوا مؤمنين عند الله عـــز وجل أولياء لله من أهل الجنة!!!)** اه
- وينسب في الفصل في الملل ج٤/ص١٥٥ إلى الأشعري وأصحابه أنهم يقولـــون: إن الإيمان عقد بالقلب **وإن من أعلن الكفر بلسانه بلا تقية وعبدَ الأوثـــان أو لـــزمَ اليهودية أو النصرانية في دار الإسلام وعبد الصليب وأعلـــن الثثليـــث في دار الإسلام ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عز وجل ولي لله عـــز وجل من أهل الجنة!!!)** اه

ولعل ابن حزم لما علم أن الأشاعرة يقولون: الإيمان هو التصديق ظن أن التصديق عندهم هو المعرفة المجردة (وقوع نسبة التصديق في القلب) وما درى أن للتصديق عندهم ركنين هما: المعرفة والإذعان، قال البيجوري في شرح الجوهرة ص٦٢: (**والمراد بتصديق النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك: الإذعان لما جاء به والقبول له، وليس المراد وقوع نسبة الصدق إليه في القلب من غير إذعان ولا قبول له**، حتى يلزم الحكم بإيمان كثير من الكفار الذين كانوا يعرفون حقيقة نبوته ورسالته صلى الله عليه وآله وسلم ومصداق ذلك قوله تعالى: (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)اه

كما أن الأشاعرة يدخلون الأعمال في مسمى الإيمان فهي عندهم من كمال الإيمان لكنها ليست شرطا فيه ولا ركنا منه

النموذج الثالث : الإمامية والمعتزلة والزيدية

عامة الإمامية والمعتزلة والزيدية يقولون: (بأن الله في كل مكان) لكن إذا رجعنا إليهم لنفهم عنهم مقصدهم بهذا القول فسيقولون: **نحن لا نعني أن الله في كل مكان على سبيل الحلول والمماسة لأن الله متره عن ذلك فذاته لا تقبل الحلول والمماسة، ولكننا نعني أن علم الله وتدبيره وسمعه وبصره وسلطانه ...إلخ في كل مكان**، قال الشريف المرتضى الإمامي في رسالته (إنقاذ البشر من الجبر والقدر) ضمن رسائل العدل والتوحيد ص٢٠٢ عن الله تعالى: (**...غير محتاج إلى مكان ولا زمان**...ثم خلق الخلق من غير فقر ولا حاجة ولا ضعف ولا استعانة، من غير أن يلحقه لحدوث ذلك تغير أو يمسه لغوب **أو ينتقل به إلى مكان أو يزول به عن مكان** ثم كان جل ثناؤه لم يزل موجودا قبل مكان ثم حدثت الأماكن **وهو على ما كان فليس يحويه مكان... وهو مع ذلك بكل مكان إلهٌ عالم مدبر قاهر** سبحانه وتعالى عما وصفه به الجاهلون) اه

وفي شرح الأساس الكبير للشرفي الزيدي ٤٠٥/١: (والباري ليس بذي مكان يشغله ويتمكن فيه ولا ذي انتقال... قال الهادي: (الله فيهما [أي السماء والأرض] وفيما بينهما وفوق السماء السابعة العليا ومن وراء الأرضين السبع السفلى لا يحيط به أقطار السماء والأرض وهو المحيط بهن وبما فيهن، فكينونيته فيهن ككينونيته في غيرهن فيما فوقهن وتحتهن وكينونيته فيما فوقهن وتحتهن ككينونيته قبل إيجاد ما أوجد من سماواته وأرضه... **ومعنى قولنا أن الله في السماوات والأرض هو: أنه مدبر لهن قاهر لكل ما فيهن مالك لأمرهن ولأمر ما بينهن وما تحتهن لا أنه مستجن بهن ولا داخل كدخول الأشياء فيهن**)اه

وقال الشرفي في شرح الأساس الكبير أيضا ٤٠٩/١: (وقول الموحدين: الله في كل مكان معناه: أنه حافظ مدبر لكل مكان قال الهادي: (فإن سأل سائل مسترشد أو متعنت: ما معنى قولكم: الله في كل

مكان؟ **قلنا: نريد به أنه شاهد علينا غير غائب عنا لا يغيب عن الأشياء ولا يغيب عنه شيء قرب أو نأى... فعلى هذا يخرّج قولنا: الله بكل مكان نريد: أنه العالم الشاهد لكل شان...** (ا يكـــون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهـــم أينما كانوا)اه

وفي مقالات الإسلاميين للأشعري (ج١/ص٤٠): (القول في المكان: اختلفت المعتزلة في ذلك فقال قائلون: البارئ بكل مكان **بمعنى أنه مدبر لكل مكان وأن تدبيره في كل مكان، والقـــائلون بهـــذا القول جمهور المعتزلة** أبو الهذيل والجعفران والإسكافي ومحمد بن عبد الوهاب الجبائي.

وقال قائلون: البارئ لا في مكان بل هو على ما لم يزل عليه، وهو قول هشام الفوطي وعباد بـــن سليمان وأبي زفر وغيرهم من المعتزلة)اه

النموذج الرابع : المعتزلة والزيدية والإمامية والإباضية

ومن ذلك أن المعتزلة والزيدية والإمامية والإباضية ووافقهم على ذلك ابن حزم -وزعم أنه مذهب طوائف من أهل السنة– يقولون: (الله سميع بلا سمع وبصير بلا بصر وعليم بلا علم...) فإننـــا إذا سألناهم عن مقصدهم بهذا القول فسيقولون: **نحن لا نعني أن الله لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم تعالى الله عن ذلك، بل المراد أن هذه الصفات ليست شيئا زائدا عن معنى الذات لأنه يلزم من ذلـــك عندهم تعدد الذات.**

قال جعفر السبحاني الإمامي في كتابه (عقائد الإسماعيلية) ص١٩٦ ضمن أبحاثه في الملل والنحـــل: (وقد ذهبت الإماميّة، وقسم من المعتزلة، تبعاً للاَدلة العقليّة، التي أشار إليها الإمام في كلامه، **بـــأنّ المرادَ نفي الصفات الزائدة عليه، لا نفي الصفات على الاِطلاق،** فاللّه سبحانه علمٌ كلّـــه، قـــدرة كلّه، حياة كلّه، وهكذا، لا أنّه شيء، وعلمه شيء آخر، خلافاً للاَشاعرة، فقد ذهبـــوا إلى زيـــادة الصفات على الذات مع كونها قديمة، فأورد عليهم باستلزامه القول بالقدماء الثمانية.

ولكن الإسماعيلية ذهبت إلى نفي الصفات عنه على الإطلاق، واكتفت في مقام معرفتـــه ســـبحانه بالقول بهويته وذاته دون وصفه بصفات، حتى الصفات الجماليّة والكماليّة)اه

وقال السبحاني في كتابه عقائد الأشاعرة ص٩٢ ضمن أبحاثه في الملل والنحل: (**ولا يعني أصحاب نظرية الوحدة تعطيل الذات عن الصفات وخلوّها عن واقعيتها**، كما عليه القائل بالنيابة، بل يعنون أنّ وجوداً أوحداً بوحدته وبساطته، من دون تكثّر فيه، هو نفس العلم والقدرة وسائر الكمـــالات، وربّ وجود يكون من الكمال على حدّ يكون نفس الكشف والعلم، ونفس القدرة والاســـتطاعة، وهو في الكمال آكد من الوجود الذي يكون العلم والقدرة زائدين عليه**.**)اه

وقال الشريف المرتضى في رسالته (إنقاذ البشر من الجبر والقدر) ضمن رسائل العدل والتوحيد ص٢٠٢: (الله واحد ليس كمثله شيء... **والعالم الذي لا يخفى عليه شيء والقادر الذي لا يعجزه شيء ، وأنه الحي الذي لا يموت والقيوم الذي لا يبيد والقديم الذي لم يزل ولا يزال سميعا بصيرا عالما قادرا غنيا... وهو اللطيف الخبير الذي يعلم ما يكون قبل أن يكون...** وعلم الأشياء كلها بنفسه من غير علم أحدثه ومن غير معين كان يعينه **بل علم ذلك كله بذاته التي لم يزل بها قادرا عالما حيا سميعا بصيرا** لأنه الواحد الذي لم يزل قبل الأشياء كلها)اه

وقال القاضي عبد الجبار المعتزلي في رسالته (المختصر في أصول الدين) ص٣٢٩ ضمن رسائل العدل والتوحيد: (فإن قيل: أتقولون أنه عز وجل عالم بعلم وقادر بقدرة ؟ قيل له: لا، **بل نقول هو عالم قادر حي سميع بصير قديم بذاته لا يحتاج إلى أمر سوى ذاته يصح لأجله أن يستحق لهذه الصفات،** ولو كان لا يعلم إلا بعلم لكان محتاجا في كونه عالما إلى ذلك كالواحد منا...

ولو كان علمه محدثا لأدى إلى أن يكون أحدثه من قبل أن يعلمه ومن ليس بعالم لا يجوز أن يفعل العلم وهذا فاسد، **ولو كان قديما لوجب أن يكون وجوده واجبا يستغني عن موجد وفاعل وهذا موجب أنه مساو لله في الألوهية وأن لا يكون الله أولى بأن يكون إلها من علمه وقدرته القديمين**)اه

وقال ابن حزم في الفصل في الملل ج٢/ص١٠٩: (قال أبو محمد: **وأجمع المسلمون على القول** بما جاء به نص القرآن **من أن الله تعالى سميع بصير**، ثم اختلفوا:

فقالت طائفة من أهل السنة والأشعرية وجعفر بن حرب من المعتزلة وهشام ابن الحكم وجميع المجسمة: نقطع أن الله سميع بسمع بصير ببصر، **وذهبت طوائف من أهل السنة منهم الشافعي! وداود بن علي! وعبد العزيز بن مسلم الكناني! رضي الله عنهم وغيرهم إلى أن الله تعالى سميع بصير ولا نقول بسمع ولا ببصر لأن الله تعالى لم يقله، ولكن سميع بذاته وبصير بذاته.**

قال أبو محمد: **وبهذا نقول ولا يجوز إطلاق سمع ولا بصر حيث لم يأت به نص...**)اه

وقال الشرفي الزيدي في شرحه الكبير على الأساس ١/٥٥٥: (قال المرتضى في كتاب الشرح والبيان: **الفرق بين صفات الذات وصفات الأفعال بيّنٌ:** أن كل اسم دخله التضاد فهو من صفات الأفعال وكل اسم لا يجوز فيه التضاد فهو من صفات الذات... تقول: عالم ولا تقول لا يعلم وتقول حي ولا تقول ليس بحي وتقول سميع ولا تقول ليس بسميع فهذه صفات الذات، وصفات الأفعال أن تقول: يرزق ولا يرزق ويعطي ولا يعطي ويرحم ولا يرحم تريد يرحم المؤمنين ولا يرحم الفاسقين)اه

وقال عمرو التلالي الإباضي في حاشيته على كتاب الديانات ص٥٢: (فمعنى كونه تعالى حيا بذاته **فإن ذاته تعالى كافية في استلزامها صحة الحياة له ولا حاجة فيه إلى ثبوت صفة قديمة قائمة به**

زائدة مقتضية لصحة الحياة له ومعنى كونه عالما بذاته كون ذاته تنكشف لها جميع المعلومات انكشافا تاما من غير قيام صفة قديمة متقتضية لذلك الانكشاف)اه

وقال التلالي أيضا في شرح النونية: (**وعلم الله من صفات ذاته كالحياة والقدرة وسائر صفات ذاته خلافا لمن قال إنها معان وليست صفات... ومعنى علمه إحاطته بالأشياء وانكشافها له وظهورها له وإدراكه لها من غير معنى قائم فيه به ذلك العلم**)اه وانظر (البعد الحضاري لعقيدة الإباضية) ص٢٣٠

وعند التأمل نجد أن الجميع يثبتون أن الله يسمع ويبصر ويعلم ويقدر...إلخ ولكنهم اختلفوا في هل هذه الصفات لها معان زائدة عن الذات أو لا؟، ولذا نجد من القائلين بأنه ليس للصفات معان زائدة عن الذات من يقول: إن الخلاف بين الفريقين لفظي أو قريب من اللفظي ففي شرح الأساس الكبير للشرفي الزيدي ٣٧١/١: أن الإمام يحي في الشامل ذكر الأشعرية وقسمهم إلى قسمين: من يقول إن الصفات (العلم والسمع والبصر والقدرة...) معان قديمة، ومن يقول إن العلم هو نفس العالمية والقدرة نفس القادرية وأن العالمية والقادرية ليست مضافة إلى الذات، ثم قال الإمام يحي: (**فأما الكلابية والفريق الثاني من الأشعرية فيقرب أن يكون الخلاف بيننا وبينهم لفظيا**) اه

وحكى بعض متسننة الزيدية أن طائفة من علماء الزيدية كمحمد بن عبد الله عز الدين المفتي والناصر بن محمد بن علي والحسين بن القاسم وابنه يحي ولطف الله الغياث والمقرائي وغيرهم كل هؤلاء يرون أن خلاف الزيدية مع أهل السنة في علم الكلام خلاف لفظي وحكى بعضهم الإجماع على ذلك، لكن ما حُكي عن هؤلاء يحتاج إلى توثيق

وقالت الدكتورة عائشة المناعي في رسالتها (أصول العقيدة بين الإمامية والمعتزلة) ص١٤٢: (**ولا خلاف بين المسلمين جميعا في أن الله تعالى موصوف بكل ما وصفه به القرآن والسنة وكونه تعالى قادرا عالما حيا... إلخ وإنما يظهر الخلاف حين نحاول تفسير العلاقة بين الأوصاف الواردة وبين الذات المستحقة لهذه الصفات**

فهل يعني وصفه بعالم وقادر مثلا أنه قادر بقدرة تقوم بذاته وعالم بعلم يقوم بذاته؟ وإذا كانت الذات قديمة فهل يلزم أن تكون القدرة قديمة والعلم قديما؟ وهل يلزم ذلك قدحا في وحدانية الذات؟

وفي الإجابة عن هذا السؤال اختلفت وجهات النظر وتعددت أراء علماء الكلام وتعارضت وإن كانوا جميعا يهدفون إلى غاية واحدة، وهي إثبات التوحيد وتفسيره في ضوء ما جاء به القرآن والسنة)اه

النموذج الخامس : الصوفية

ومن ذلك قول بعض الصوفية: (ما نظرت إلى شيء إلا ورأيت الله فيه) ونحو ذلك من العبارات فإن البعض يفهم من ذلك القول بالحلول والاتحاد، لكننا إذا سألناهم عن مقصدهم بهذا الكلام فسيقولون: **نحن لا نعني أن الله يحل أو يتحد مع ذلك الشيء تعالى الله عن ذلك، بل مرادنا أن صفات الله تتجلى في كل شيء فكل شيء يتجلى فيه إيجاد الله وإمداد الله وإتقان الله وقيومية الله ...إلخ**

وعندما ذكر عبد الرحمن بن عبد الله بالفقيه في منظومته (الرشفات) نحو هذا العبارات قال دافعا لتوهم من يتوهم الحلول والاتحاد ص ١٢٦ مع شرح با سوادان:

لا قول ذي الإلحاد باتحاد * **ولا حلول قط في اعتقادي**

فجل أهل الحق والإرشاد * **عن قول أهل الزيغ والضلال**) اه

وهذا أبو بكر بن سالم يقول في رسالته مفتاح السرائر ص٣٠ : (**لأنهم [أي العارفون] لا ينظرون إلى شيء إلا شهدوا الله فيه أو قبله أو بعده، والله تعالى لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء**، ولكن ليش شيء خاليا عنه ([20]) فكيف تنظر غير الله تعال ، فوالله ثم والله غير متكلف باليمين ولا مفتخر: ما شهِدَتْ ولا نظَرَتْ عيني شيئا إلا شهدت الله تعالى فيه أو قبله أو بعده)اه

وقبل ذلك قال أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين ٣٢٢/٤: (وأما من قويت بصيرته و لم تضعف منته فإنه في حال اعتدال أمره **لا يرى إلا الله تعالى ولا يعرف غيره يعلم أنه ليس في الوجود إلا الله، وأفعاله أثر من الآثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه**، وإنما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الأفعال كلها، ومن هذه حاله فلا ينظر في شيء من الأفعال إلا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث إنه سماء وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث أنه صنع الواحد الحق)اه

النموذج السادس : الجبرية

ومن ذلك قول الجبرية بالجبر فإن جُل –إن لم نقل كل– من يذكر الجبرية يفهم أنهم يقولون بإسقاط التكاليف، وهذا غير صحيح فهم مع قولهم بالجبر يوجبون التكليف، **ويقولون: إن قيام الحجة على الخلق ليس هو بالاختيار بل بعلم الله القديم بهم أنه لو فَوّض إليهم لاختاروا ذلك**، قال الطوفي في الإشارات الإلهية ٦٧/٣ في الجواب على من زعم أنه على قول الجبرية والكسبية يلزم أن الحجة لا

[20]) جاء في التعليق: (لأن كل شيء فهو به يستمد وجوده منه ولولاه ما كان)اه

تقوم على الخلق: (هذا لا يلزم، **لأن الكسبي يقول: قامت عليهم الحجة بكسبهم، والجبري يقول: قامت عليهم الحجة بموجب علمه تعالى أن لو فوض إليهم خلق أفعالهم لكانوا كفارا عصاة)اه**

النموذج السابع : الإمامية

يفهم البعض من قول الإمامية بالبداء أهم يقولون إن الله يبدو له الشيء بعد خفائه عليه، استنادا منهم إلى المعنى اللغوي للبداء وهو: الظهور بعد الخفاء، لكن حتى في اللغة يجوز أن يكون البداء بمعنى مطلق الظهور ولو لم يكن بعد خفاء ففي مفردات غريب القرآن للأصفهاني (١/٤٠): (بدا: بدا الشـــيء بدوا وبداء أي ظهر ظهورا بينا)اه

وما ذكرناه من الفهم الخاطئ للبداء عند الإمامية هو ما نسبه الرازي والبلخلي وغيرهما من أهل السنة للإمامية، قال الرازي في تفسيره لقوله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبـــت) ج١٩/ص٥٣: (قالـــت الرافضة: البداء جائز على الله تعالى **وهو أن يعتقد شيئاً ثم يظهر له أن الأمر بخلاف مـــا اعتقـــده** وتمسكوا فيه بقوله (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ)، واعلم أن هذا باطل لأن علم الله من لـــوازم ذاتـــه المخصوصة وما كان كذلك كان دخول التغير والتبدل فيه محالاً)اه

وقال البلخي في تفسيره: (وتجاوز بعضهم حتى خرج من الدين بقوله: إن النسخ يجوز على وجـــه البداء وهو أن يأمر الله عندهم بالشيء **ولا يبدو له ثم يبدو له فيغيره**، ولا يريد في وقت أمره بـــه أن يغيره ويبدله وينسخه **لأنه عندهم لا يعلم الشيء حتى يكون** إلا ما يقدره فيعلمه علم تقدير)اه نقله الطوسي في التبيان ١/١٣ ثم علق عليه بقوله: (**جميع ما حكاه عن أصحابنا الإمامية باطل وكـــذب عليهم فلا أحد منهم يقول بحدوث العلم**)اه

ونفس الأمر **نسبه إليهم أيضا الزيدية** ففي شرح الأساس الكبير للشرفي ١ /١٤٢: (قـــال الإمـــام المهدي عليه السلام: ومما انفردوا به [أي الإمامية] **القول بالبداء والرجعة وأن علـــم الله حـــادث** وأطبقوا –إلا من عصم الله- **على الجبر والتشبيه !!!**)اه

ولا شك أن الإمامية يقولون بالبداء ولكنهم مع ذلك لا يقولون بأن الله يعلم الشيء بعد أن لم يكن يعلمه ويظهر له بعد الخفاء، **وهذه بعض أقوالهم في ذلك:**

قال المجلسي في بحار الأنوار ٤/١٢١: (عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى (يمحو الله مـــا يشاء ويثبت) قال: **كل أمر يريده الله فهو في علمه قبل أن يصنعه ليس شيء يبدو له إلا وقد كان في علمه، إن الله لا يبدو له من جهل**)اه

وقال المفيد في شرح عقائد الصدوق ص٢٥: (**... فالبداء من الله يختص بما كان مشترطا في التقدير وليس هو الانتقال من عزيمة إلى عزيمة ولا من تعقب الرأي** تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا)اه

وقال الطوسي في عدة الأصول ٢/٢٩: (فأما إذا أضيفت هذه اللفظة إلى الله فمنه ما يجوز إطلاقه عليه ومنه ما لا يجوز، **فأما ما يجوز منه فهو ما أفاد النسخ بعينه ويكون إطلاق ذلك عليه ضربا من التوسع وعلى هذا الوجه يحمل جميع ما ورد عن الصادقَين عليهما السلام من الأخبار المتضمنة إضافة البداء إلى الله تعالى، دون ما لا يجوز عليه من حصول العلم بعد أن لم يكن**)اه

وقال الطوسي في الغيبة ص٢٦٤: (**... وهو تعالى وإن كان عالما بالأمرين فلا يمتنع أن يكون أحدهما معلوما بشرط والآخر بلا شرط!**، وهذه الجملة لا خلاف فيها بين أهل العدل وعلى هذا يتأول ما روي من أخبارنا المتضمنة للفظ البداء ويبين أن معناها النسخ على ما يريده جميع أهل العدل فيما يجوز فيه النسخ أو تغير شروطها إن كان طريقها الخبر عن الكائنات)اه

وقال عبد الله شُبر في مصابيح الأنور ١/٣٣: (للبداء معان بعضها يجوز عليه وبعضها يمتنع، وهو بالفتح والمد أكثر ما يطلق في اللغة على ظهور الشيء بعد خفائه وحصول العلم به بعد الجهل **واتفقت الأمة على امتناع ذلك على الله إلا من لا يعتد به، ومن نسب ذلك للإمامية فقد افترى عليهم كذبا والإمامية براء من ذلك**، وقد يطلق البداء على النسخ وعلى القضاء المجدد وعلى مطلق الظهور وعلى غير ذلك من المعاني)اه

وقال شرف الدين في أجوبة مسائل جار الله ص١٠١-١٠٣: (حاصل ما تقوله الشيعة هنا أن الله ينقص من المرض وقد يزيد فيه وكذا الصحة والمرض! والسعادة والشقاء والمحن والمصائب والكفر والإيمان وسائر الأشياء كما يقتضيه قوله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت)**...** هذا هو البداء الذي تقول به الشيعة، تجوزوا في إطلاق البداء عليه بعلاقة المشابهة لأن الله أجرى كثيرا من الأشياء التي ذكرناها على خلاف ما كان يظنه الناس فأوقعها مخالفة لما تقتضيه الأمارات والدلائل**...**

والله تعالى هو العالم بمصيرها ومصير الأشياء كلها وعمله بهذا قديم أزلي لكن لما كان تقديره لمصير الأمور يخالف تقديره لأولها كان تقدير المصير أمر يشبه البداء فاستعار له بعض سلفنا هذا اللفظ مجازا... فالنزاع في هذه بيننا وبين أهل السنة لفظي لأن ما ينكرونه من البداء الذي لا يجوز على الله تبرأ الشيعة منه وممن يقول به**...**

هذا هو الذي تقول به الشيعة وتسميه بداء وغير الشيعة يقولون به لكن لا يسمونه بداء فالنزاع في الحقيقة هو في تسميته بهذا الاسم وعدم تسميته به، ولو عرف غير الشيعة أن الشيعة إنما تطلق

هذا الاسم مجازا لا حقيقة لتبين لهم أنه لا نزاع بيننا وبينهم حتى في اللفظ لأن باب المجاز واسع عند العرب)اه

وقال آغا الطهراني في الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٥١/٣: (البداء في اللغة معناه ظهور رأي لم يكن واستصواب شيء علم بعد أن لم يعلم وهذا المعنى يحصل لعامة أفراد البشر **ولكنه يستحيل على الله لاستلزام بدو الرأي بشيء لم يكن الجهل!! به أولا أو العجز عنه وهو تعالى متره عنهما...**)اه

وقال فضل الله الزنجاني في تعليقاته على أوائل المقالات ص٩٤ : (لفظ البداء يطلق على معنيين: الأول: هو الظهور وهو الأصل في هذه اللفظة، **والثاني: هو الانتقال من عزم إلى عزم بحصول العلم بشيء بعد أن لم يكن حاصلا والبداء بهذا المعنى مما لا يجوز إطلاقه في حق الباري لاستلزامه حدوث العلم...**)اه

وقال حسين مكي في كتابه عقيدة الشيعة في الإمام الصادق ص٤٦ : (البداء لغة وعرفا ظهور ما لم يكن في الحسبان وهذا إنما يتصور في حق المخلوقين الجاهلين الذين لم يحيطوا علما بما كان وبما سيكون وبما هو كائن، **وأما بالنسبة إلى الله فيستحيل في حقه البداء بهذا المعنى وإنما يكون البداء منه بمعنى أنه يظهر لمن يشاء من خلقه ما كان قد أخفاه عنهم**)اه

أورد هذه الأقوال جعفر السبحاني في محاضراته في البداء التي كتبها جعفر الهادي ص٥٠ وما بعدها، ثم قال السبحاني بعد إيراد هذه الأقوال ص٥٨ : (لا بد أن ننبه هنا إلى نكتة وهي تعيين موضع البداء بالمعنى المقبول فنقول: **البداء إنما يتصور في التقدير الموقوف وأما التقدير القطعي المحتوم فلا يتصور فيه البداء وتوضيح ذلك: أن لله قضائين قطعي ومعلق، فالأول لا يتطرق إليه البداء ولا يتغير أبدا، والثاني هو الذي يتغير بالأعمال الصالحة والأفعال الطالحة**)اه

ثم حكى عن بعض أئمة أهل البيت تقسيم القضاء إلى حتمي وموقوف ثم قال ص٦٥: (**ثم إن المراد من تغيير المقدر هو تغيير المكتوب في لوح المحو والإثبات** فإن لله سبحانه لوحين:

الأول: اللوح المحفوظ والذي لا يتطرق إليه التغيير... والثاني: لوح المحو والإثبات فيكتب فيه التقدير الأول وهو وإن كان بظاهره مطلقا إلا أنه مشروط فإذا تغيرت الشروط انتهى أمر التقدير الأول وحان وقت التقدير الثاني وإلى هذا اللوح أشار سبحانه بقوله: {يمحو الله ما يشاء وثبت وعنده أم الكتاب} ومثل هذا التغير في التقدير لا يمس العلم الإلهي الأزلي أبدا)اه

ثم حكى السبحاني ص٨٣ عن المجلسي في بحار الأنوار١٣٠/٤ قوله: (اعلم أن الآيات والأخبار تدل على أن الله خلق لوحين أثبت فيهما ما يحدث من الكائنات: أحدهما: اللوح المحفوظ الذي لا تغير فيه أصلا وهو مطابق لعلمه تعالى، والآخر: لوح المحو والإثبات فيثبت فيه شيئا ثم يمحوه لحكم كثيرة لا تخفى على أولي الألباب)اه

ثم قال السبحاني ص٨٦: (فسواء صحت تسميت هذا المسمى بالبداء أو لا فما يرمي إليه الشيعة الإمامية من هذه اللفظة مما لا غبار عليه، ولا عتب عليهم في استعمال هذه اللفظة بهذه العلاقة والمناسبة في هذا المعنى فقد تبعوا في ذلك النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في قوله في حديث الأقرع والأبرص والأعمى: (بدا لله أن يبتليهم) فبأي وجه فسر به كلام النبي صلى الله عليه وآله يفسر به كلام أوصيائه)اه

وما ذكره السبحاني في الأخير هو قول أهل السنة فلا يرون مانعا من إطلاق البداء على الله على وجه المجاز، فبدا : إما بمعنى قضى أو بمعنى أراد، وفسروا بذلك حديث البخاري قال الزبيدي في تاج العروس (ص ٨٢٨٨) : (وفي حديث البخاري في قصة الأقرع والأبرص والأعمى : (بدا لله عز وجل أن يبتليهم) أي قضى بذلك، قال ابن الاثير: وهو معنى البداء هنا لأن القضاء سابق والبداء استصواب شيء علم بعد أن لم يعلم وذلك على الله غير جائز... وقد يجوز أن يقال بدا له أن يفعل كذا ويكون معناه أراد، وبه فُسّر حديث البخاري، **وهذا من المجاز الذي لا سبيل إلى إطلاقه إلا بإذن من صاحب الشرع**)اه

وعلى هذه فالخلاف بين الفريقين لفظي، **لكن كلامنا السابق حول البداء عند الإمامية إنما هو في تصحيح الفهم الخاطئ للبداء عندهم وأنهم يرون أن الله يبدو له بعد خفاء ويعلم بعد جهل، أما البداء فيما يتعلق بقضايا الإمامة عندهم ففيه كلام طويل يطلب في مظانه .**

النموذج الثامن : المعتزلة والزيدية والإباضية والإمامية

يفهم بعض الأشاعرة والحنبلية من كلام هذه الطوائف في مسألة رؤية الله تعالى أنهم ينفون مطلق الرؤية بينما هم إنما ينفون الرؤية بالعيون لأنها عندهم تستلزم التجسيم أما الرؤية بالقلوب والعقول بمعنى العلم والانكشاف بحيث يصير الغيب شهادة فلا مانع عندهم من ذلك، قال القاضي عبد الجبار في رسالته (مختصر أصول الدين) ضمن رسائل العدل والتوحيد ص٣٣٧: (فإن قال قائل: **إن الرؤية تجوز على الله؟ قيل له: الرؤية بالأبصار على الله تستحيل والرؤية بالمعرفة والعلم تجوز عليه...**)اه

وقال الشرفي في شرح الأساس الكبير ٤٣٣/١: (وقالت الأشعرية: بل يرى في الآخرة بلا كيف أي بلا تكييف ولا إشارة ولا جهة... وقال الرازي: (معناه) -أي معنى قولهم أنه يرى في الآخرة بلا كيف-: معرفة ضرورية وعلم نفسي بحيث لا يشك فيه) أي يعلم علما ضروريا، **قال عليه السلام: فالخلاف حينئذ لفظي، أي في العبارة واللفظ والمعنى واحد...**

وقال الإمام يحي في الشامل: **واعلم أن التحقيق عندي أن الخلاف بيننا وبين المحققين من متأخري الأشاعرة في هذه المسألة إنما هو من حيث اللفظ وأما المعنى فنحن متفقون عليه**، وبيانه: أن الغزالي

ذكر في الاقتصاد: أن الرؤية عبارة عن تجل مخصوص لا تنكره العقول، **وهذا هو الذي نريد بـــالعلم ونحن لا ننكره ولا نأباه**، وذكر الرازي في الأربعين: أن الأدلة العقلية في هذه المسألة غير معتمـــدة أصلا وأنها ليست قوية، **وقال في النهاية: ويقرب أن يكون الخلاف في المسألة لفظيا)اه**

والمعتدلون من الإباضية **لا يمنعون أن يكون معنى الرؤية هو كمال العلم به تعالى ويمنعون الرؤية بالصورة المتخيّلة عند الناس**.انظر علي يحيى معمِّر: (الإباضية بين الفرق الإسلامية) ١/٢٩١ــ٢٩٢.

النموذج التاسع : النصيرية (العلويون)

النصيرون ممن يقول بتناسخ الأرواح وهذا ثابت عنهم وهم يقرون به، ولكن هل يعني ذلك أنهم ينكرون القيامة والمعاد والحشر؟ يفهم الكثيرون من قولهم بتناسخ الأرواح أنهم ينكرون القيامة والمعاد، وهذه الكلام فيه نظر فإن لهم أقوالا في إثبات المعاد والقيامة وقد تقدمت بعض أقوالهم في ذلك عند صور تعميم الخاص، وإضافة إلى ذلك فهذا أحمد علي حسن في كتابه (العلويون في مواجهة التجني) بعد أن أقر ص٨٠-٨١ بأن النصيريين يقولون بتناسخ الأرواح يقول ص١٠٦: (وقد توافق الغزالي وكاشف الغطاء على تحديد إسلام المرء بأركان ثلاثة: التوحيد والنبوة والمعاد

وبما أن الإيمان بالله يعني الركن الأول، والإيمان برسوله يعني الركن الثاني، والإيمان بالمعاد يعني الركن الثالث، وهذا باتفاق علماء السنة والشيعة، **وما خرج العلويون عن كونهم طائفة مسلمة تنتمي إلى الشيعة صرحت عن اعتقادها بكتاب جرى توزيعه في العالم الإسلامي جميعه.**

ولن يستطيع صاحبنا بمحاولاته الفاشلة أن يثبت أن العلويين –النصيرية- كما يريد أن يسميهم لا يؤمنون بهذه الأركان لا في ماضيهم ولا في حاضرهم، وهو عاجز عن إثبات كونهم ينكرونها أو يكفرون بها ولو استعان على ذلك بالباطل وأهله في التاريخ)اه بتصرف يسير

النموذج العاشر: الإسماعيلية (الفاطميون–العبيديون)

لا شك أن الإسماعيلية (الفاطميين–العبيديين) يقولون بالتأويل الباطني للشرائع وهذا ثابت عنهم لا شك فيه وهم مقرون بذلك، ولكن هل يقولون مع ذلك بإبطال الظاهر؟، مما اشتهر عنهم في كتب الفرق أنهم يبطلون ظاهر الشرائع ولا يحرمون حراما، وهذا الأمر يحتاج إلى تمحيص وتحقق فهذا القاضي النعمان بن محمد التميمي الإسماعيلي قاضي القضاة في الدولة الفاطمية (ت ٣٦٣هــ) ألّف كتاباً باسم (دعائم الإسلام) وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام، وطبع الكتاب في جزأين وهو يشتمل على الكتب التالية:

١.كتاب الولاية. ٢. كتاب الطهارة. ٣. كتاب الصلاة. ٤. كتاب الزكاة. ٥. كتاب الصوم والاعتكاف. ٦. كتاب الحج. ٧. كتاب الجهاد. ٨. كتاب البيوع والأحكام. ٩. كتاب الأيمان والنذور. ١٠. كتاب الأشربة. ١١. كتاب الأطعمة .١٢. كتاب الطب. ١٣. كتاب اللباس والطيب. ١٤. كتاب الصيد. ١٥. كتاب الذبائح. ١٦. كتاب الضحايا والعقائق. ١٧. كتاب النكاح. ١٨. كتاب الطلاق. ١٩. كتاب العتق. ٢٠. كتاب العطايا. ٢١. كتاب الوصايا. ٢٢. كتاب الفرائض. ٢٣. كتاب الدّيات. ٢٤. كتاب الحدود. ٢٥. كتاب السُّرّاق والمحاربين. ٢٦. كتاب الرّدة والبدعة . ٢٧. كتاب الغصب والتعدّي. ٢٨. كتاب العارية والوديعة. ٢٩. كتاب اللفظة واللقيطة والآبق. ٣٠. كتاب القسمة والبنيان. ٣١. كتاب الشهادات. ٣٢. كتاب الدعوى والبينات. ٣٣. كتاب آداب القضاة.

وقد صار هذا الكتاب هو القانون الرسمي منذ عهد المعز حتى نهاية الدولة الفاطميّة، وهذا الأمر ظاهرٌ في اعتدادهم بظاهر الشرائع، وقد يقال: إن ظاهر الشرائع إنما هو عندهم للعوام دون الخواص، لكن لا يساعدنا على هذا أن القاضي النعمان قد ألَّف -بعد كتابه دعائم الإسلام– كتاباً حاولَ فيه أن يبيّن التأويل الباطني لجميع الأحكام، أسماه بـــ(تأويل الدعائم) واستطاع أن يُنهي تأليف الجزء الأول منه، والذي يشتمل على كتاب الولاية، والطهارة، والصلاة، ولكنَّ المنيّة حالت دون إتمامه لتأويل بقيّة الأبواب الفقهية. ومما يقوله القاضي النعمان في تأويل الدعائم ١/١٦١ في تأويل الحيض: (الحيض علّة تُصيب النساء في الظاهر، وأمثال النساء ـــكما ذكرنا في الباطنـــ أمثال المستجيبين.

فتأويل جملة القول في الحيض في الباطن، أنّه علّة وفساد، يدخل على المستجيب في دينه، يحرم عليه من أجلها سماع الحكمة، والكون في جماعة أهل الدعوة، كما لا يحلّ في الظاهر للمرأة إذا حاضت أن تصلّي،ولا تدخل المسجد، وكذلك لا يحل لمفيد ذلك المستجيب أن يفيده شيئاً من العلم إذا أحدث ذلك الحدث، حتى يتطهّر منه بالتوبة والتروع عنه والإقلاع، وينقطع عنه ما عرض من ذلك الفساد في دينه)اه

ويقول أيضاً في تأويل الدعائم ١/١٦٧: (قال الصادق -عليه السّلام-: إذا طهرت المرأة من حيضها في وقت صلاة، فضيّعت الغسل، كان عليها قضاء تلك الصلاة.

تأويله: أنّ المقترِف إذا تابَ وانتصل ممّا اقترفه ولم يتطهّر في ذلك بالعلم كما وصفنا كان عليه أن يتطهّر وأن يسعى في إفادة ما فاته من الحكمة بعد إقلاعه عمّا اقترفه)اه

ثم يقول القاضي النعمان بعد ذلك مباشرة: (فافهموا معشر المؤمنين ما تعبدكم اللّه به ظاهراً وباطناً، **فإنّ ذلك مرتبط بعضه ببعض، يشهد كلّ شيء منه لصاحبه، ويطابقه ويوافقه، فما وجب في الظاهر، وجب كذلك مثله ونظيره في الباطن، لا يجزي إقامة أحدهما دون الآخر، ولا يحلُّ في الظاهر ما حُرّم في الباطن، ولا في الباطن ما حُرم في الظاهر،** وإيّاكم أن يستميلكم عن ذلك،

تحريف المحرّفين، ولا شبهات الشياطين، فإنّ اللّه عزّ وجلّ يقول: (وذَرُوا ظاهِرَ الإثم وَباطِنَهُ)، وقال: (قُلْ إنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ)، وقال: (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً)اه كلام القاضي النعمان بواسطة عقائد الإسماعيلية لجعفر السبحاني ضمن بحوثه في الملل والنحل ٨/٢٧٣-٢٧٤،ثم اطلعت على كتاب تأويل الدعائم والكلام المنقول هو في ج١/ص١٦٧ طبعة محمد حسن الأعظمي، فأنت تراه لا يبطل الظاهر بل يقول به ويراه واجبا، وأن الباطن لا يجزي عن الظاهر والظاهر لا يجزي عن الباطن، وأنه لا يحل في الظاهر ما حرم في الباطن ولا يحل في الباطن ما حرم في الظاهر

تذكّر أخي القارئ أننا لسنا بصدد الحكم على مقاصد تلك الطوائف من خلال النماذج المذكورة، بل نحن في صدد تصحيح التصور والفهم عنهم، فلكَ بعد أن تصحح التصور والفهم لمرادهم أن تحكم بما تراه، وسيأتي الكلام مفصلا عن مسألة تصحيح الحكم إن شاء الله

وبهذا نصل إلى نهاية المبحث المتعلق بتصحيح التصور **وأنا على يقين أننا إذا صدقنا وأنصفنا في تصحيح تصوراتنا عن الآخرين المخالفين لنا من المذاهب الإسلامية (عقدية أو فقهية أو حركية) لسقط نحو الثلث -(والثلث كثير)- من المسائل الخلافية التي بين المذاهب الإسلامية أمام هذا الأصل**، فإن الكثير من المسائل –عند الصدق والإنصاف- سيتبين عدم صحة نسبتها إلى الآخر فردا أو جماعة، وسيتبين أن كثيرا من المسائل قد فهمناها على غير وجهها، وأن كثيرا من المسائل قد عممنا فيها الخاص.

المحور الثاني:

تصحيح الحكم على الآخر

وفيه مباحث:

المبحث الأول: أنواع الخلاف

والمبحث الثاني: هل هناك فرق بين الخطأ في الاعتقاد والخطأ في العمل؟

والمبحث الثالث: متى يعذر المخالف في الاعتقاد والعمل؟

والمبحث الرابع: مسألة التكفير

والمبحث الخامس: الاعتدال والتجرد والإنصاف في الحكم على الآخر

والمبحث السادس: إشكالات في حديث افتراق الأمة

المحور الثاني: تصحيح الحكم على الآخر

المبحث الأول: أنواع الخلاف

من المهم جدا عند الحكم على المخالف أن نعرف أنواع الخلاف وحكم كل نوع منها، فنقول وبالله التوفيق: **الخلاف ثلاثة أنواع: خلافُ تنوعٍ وخلافٌ لفظي وخلافٌ حقيقي**، ولنتحدث عن هذه الثلاثة الأنواع باختصار ضمن الفروع التالية:

الفرع الأول: خلاف التنوع

خلاف التنوع هو: الاختلاف في القيام بما هو مطلوب شرعا، فهذا يأخذ ببعض المطلوب وذاك يأخذ بالبعض الآخر، وأمثلته كثيرة ومن ذلك: التنوع في القيام بفروض الكفايات كالعلم والجهاد والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... إلخ قال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٧: أما أنواع الاختلاف فهي في الأصل قسمان: اختلاف تنوع واختلاف تضاد، **واختلاف التنوع على وجوه:**

- **منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقا مشروعا** كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة... **إلى غير ذلك مما شرع جميعه** وإن كان قد يقال إن بعض أنواعه أفضل، **ثم نجد لكثير من الأمة في ذلك من الاختلاف ما أوجب اقتتال طوائف منهم...** وهذا عين المحرم ومن لم يبلغ هذا المبلغ **فتجد كثيرا منهم في قلبه من الهوى لأحد هذه الأنواع والإعراض عن الآخر** أو النهي عنه ما دخل به فيما نهى عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم
- **ومنه ما يكون كل من القولين هو في الواقع في معنى قول الآخر لكن العبارتان مختلفتان** كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود والتعريفات وصيغ الأدلة والتعبير عن المسميات وتقسيم الأحكام وغير ذلك، **ثم الجهل أو الظلم هو الذي يحمل على حمد إحدى المقالتين وذم الأخرى**
- **ومنه ما يكون المعنيان غَيرَين لكن لا يتنافيان فهذا قول صحيح وذلك قول صحيح** وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر وهذا كثير في المنازعات جدا
- **ومنه ما يكون طريقتان مشروعتان ولكن قد سلك رجل أو قوم هذه الطريقة وآخرون قد سلكوا الأخرى** وكلاهما حسن في الدين، **ثم الجهل أو الظلم يحمل على ذم أحدهما** أو تفضيله بلا قصد صالح أو بلا علم أو بلا نية) اه

ومن المحزن أن خلاف التنوع صار عند البعض سببا للفرقة والنزاع فتجد من يقوم بفرضٍ ما متنازعين متناحرين مع من يقوم بفرض آخر بل أحيانا تجد من ينتسب إلى الفرض الواحد متنازعين متناحرين

كما حصل بين بعض المحدثين والفقهاء، وكما حصل بين بعض المنتسبين إلى المذاهب الفقهية قال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ص٤٠ : (وهذا القسم الذي سميناه اختلاف التنوع **كل واحد من المختلفين مصيب فيه بلا تردد لكن الذم واقع على من بغى على الآخر فيه** وقد دل القرآن على حمد كل واحد من الطائفتين في مثل هذا إذا لم يحصل من أحداهما بغي)اه

ويذكر ابن تيمية أن هذا النوع هو الأكثر في مسائل الأهواء فيقول في اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٥ : (**واعلم أن أكثر الاختلاف بين الأمة الذي يورث الأهواء تجده من هذا الضرب وهو أن يكون كل واحد من المختلفين مصيبا فيما يثبته أو في بعضه مخطئا في نفي ما عليه الآخر**، كما أن القارئَين كل منهما كان مصيبا في القراءة بالحرف الذي علمه مخطئا في نفي حرف غيره **فإن أكثر الجهل إنما يقع في النفي الذي هو الجحود والتكذيب لا في الإثبات لأن إحاطة الإنسان بما يثبته أيسر من إحاطته بما ينفيه**)اه

وقال أيضا في اقتضاء الصراط المستقيم ص٤٠: (**وأكثر الاختلاف الذي يؤول إلى الأهواء بين الأمة من القسم الأول وكذلك آل إلى سفك الدماء واستباحة الأموال والعداوة والبغضاء** لأن إحدى الطائفتين لا تعترف للأخرى بما معها من الحق ولا تنصفها بل تزيد على ما مع نفسها من الحق زيادات من الباطل والأخرى كذلك)اه

الفرع الثاني: الخلاف الشكلي (اللفظي)

وهو: الاختلاف في اللفظ والمَبْنَى دون المقصد والمعنى، ويكون في المسائل الاعتقادية والمسائل العملية (الخبرية)، بل يرى ابن تيمية أن الغالب في الخلاف في المسائل الخبرية هو الخلاف اللفظي والاعتباري والتنوعي ففي مجموع فتاويه ٥٦/٦ (**...** فأما سائر وجوه الاختلاف كاختلاف التنوع والاختلاف الاعتباري واللفظي فأمره قريب **وهو كثير أو غالب على الخلاف في المسائل الخبرية!!!**)اه

ومن أمثلة الخلاف اللفظي في مسائل الاعتقاد :

اختلاف جمهور أهل السنة مع الحنفية في زيادة الإيمان ونقصانه، فقال الجمهور: الذي يزيد وينقص هو الإيمان، وقالت الحنفية: الذي يزيد وينقص هو التقوى، كما قال الطحاوي في عقيدته: (وأهله في أصله سواء وإنما يتفاضلون بالتقوى) وقد قرّر أن الخلاف في المسألة لفظي جُلٌّ من صوّر الخلاف بين الفريقين ومنهم ابن تيمية وابن أبي العز الحنفي، وكون الخلاف بينهم لفظيا أمر ظاهر كما ترى، قال ابن تيمية كما في مجموع فتاويه ٢٩٧/٧: (**ومما ينبغي أن يعرف أن أكثر التنازع بين أهل السنة في هذه المسألة هو نزاع لفظي**، وإلا فالقائلون بأن الإيمان قولٌ -من الفقهاء كحماد بن أبي سليمان

وهو أول من قال ذلك ومن اتبعه من أهل الكوفة وغيرهم - **متفقون مع جميع علماء السنة على أن أصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد**)اه

وقال ابن أبي العز في شرح الطحاوية ص٣٣١: (**والاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة اختلاف صوري**، فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب أو جزءا من الإيمان مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان بل هو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه **نزاع لفظي لا يترتب عليه فساد اعتقاد**)اه

وقال أيضا ص٣١٠: (وقد أجمعوا -أي الجمهور والحنفية- على أنه إن صدق بقلبه وأقر بلسانه وامتنع عن العمل بجوارحه أنه عاص لله ورسوله، مستحق للوعيد)**اه**

ومن المؤلم أيضا أنك تجد من يجعل الخلاف الشكلي اللفظي سببا في النزاع والفرقة والتناحر، ويصوره لأتباعه -إما جهلا أو تجاهلا- على أنه خلاف حقيقي أصلي

الفرع الثالث : الخلاف الحقيقي

ويسمى بالخلاف المعنوي وخلاف التضاد وهو: الخلاف في المقصود والمعنى لا اللفظ والمبنى فحسب، فيكون معنى قول البعض مخالف لمعنى قول البعض الآخر قال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٩: (**وأما اختلاف التضاد فهو القولان المتنافيان إما في الأصول وإما في الفروع** عند الجمهور الذين يقولون المصيب واحد، وإلا فمن قال كل مجتهد مصيب فعنده هو من باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد)اه

وهذا الخلاف على قسمين : خلاف غير معتبر وخلاف معتبر ، وإن كان ابن تيمية في تقسيمه السابق يعد الخلاف المعتبر والخلاف اللفظي من خلاف التنوع، ولنتحدث عن القسمين باختصار ضمن المسألتين التاليتين:

المسألة الأولى : الخلاف غير المعتبر (في الأصول)

وهو ما **كان في أصول الدين الاعتقادية أو العملية**، ويكون تارة مكفرا وتارة مفسقا، والخلاف غير المعتبر في العقائد هو: ما خالف أصولها، وفي العمليات قريب من ذلك حيث ضبطوه بأنه: ما ضعف مدركه، قال التاج السبكي في قواعده: (**إذا ضعف المدرك كان معدودا من الهفوات والسقطات لا من الخلافيات المجتهدات**... إذا عرفت هذا فمن قوي مدركه وإن كان أدون اعتد به ومن لا فلا وإن كان أرفع)اه شرح الجرهزي على منظومة الأهدل ص١٥٢

لكن يأتي هنا سؤال وهو: وما ضابط ما ضعف مدركه وما قوي مدركه؟ فالأمر إضافي ونسبي فما يراه البعض قوي المدرك ربما رآه آخرون ضعيف المدرك، ولذا قال السبكي بعد الكلام السابق: (ولا بد أن يقع هنا خلاف في الاعتداد به ناشئا عن أن المدرك قوي أو ضعيف)اه

وهنا يأتينا ضابط هو أكثر دقة وهو أن يقال: **الخلاف غير المعتبر هو:** ما خالف نصا أو إجماعا أو قياسا جليا أو قاعدة مجمعا عليها، قال القرافي في الفروق ١٠٩/٢: (**كلُّ شيءٍ أفتى فيه المجتهد فخرجت فتياه فيه على خلاف الإجماع أو القواعد أو النص أو القياس الجلي** السالم عن المعارض الراجح، لا يجوز لمقلِّدِه أن ينقله للناس ولا يفتي به في دين الله تعالى)اه

وقال النووي في الروضة ١٥٠/١١: (**إن تبين أنه خالف قطعيا كنص كتاب أو سنة متواترة أو إجماع أو ظنا محكما بخبر الواحد أو بالقياس الجلي فيلزمه نقض حكمه**)اه

وقال الأهدل في منظومته في القواعد الفقهية ص١٧:

(خاتمة : وينقض القضاء في * مواضع فأنقضه إن يخالف

للنص أو إجماع أو قياس * غير خفي عند كل الناس

أو خالف القواعد الكلية * عن القرافي هذه محكية) اه

والنص في قولهم: (ما خالف النص) هو: النص عند الأصوليين لا اللغويين وهو ما يقابل الظاهر والمؤول أي الذي لا يحتمل إلا معنى واحدا، والإجماع -كما هو مشهور في كتب الأصول- هو: اتفاق مجتهدي أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في عصر من العصور، وهذا الظابط إنما هو عند من يقولون بالقياس أما من لا يرى القياس فلا يُدخل مخالفة القياس في الضابط

وما سبق هو ضابط الخلاف المعتبر وضابط الخلاف غير المعتبر عند عامة أهل السنة، وأظن أن فرق الشيعة توافق عليه في الجملة، لكن النص عند الإمامية هو -مع الكتاب والسنة النبوية- نص الأئمة، والإجماع عندهم هو إجماع الإثني عشرية، وأما القياس فهم لا يقولون به كما هو معلوم، والنص عند الزيدية -مع الكتاب والسنة النبوية- هو نص علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، والإجماع عندهم هو إجماع العترة الطاهرة

ونلاحظ أن ضابط أهل السنة أكثر انفتاحا واعتدالا من ضوابط الفرق الأخرى، ومع ذلك فإننا نجد التنازع والتقاطع والتكفير والتبديع فيما بين أهل السنة على كثير من المسائل التي لا تندرج تحت هذا الضابط والأمثلة على ذلك كثيرة جدا، وكذلك نجد الإمامية فيما بينهم يتنازعون ويتقاطعون بل ربما كفر بعضهم بعضا على مسائل لا تندرج تحت ضابطهم هم، وكذلك نجد الزيدية فيما بينهم، **فندعو الجميع إلى مراجعة الضوابط أولاً ثم إلى الالتزام به ثانياً**

هل خلاف المبتدع ينقض الإجماع ؟

وهنا يأتي سؤال مهم له تعلق بالمسألة السابقة وهو: هل خلاف المجتهد المبتدع معتبر؟ فإذا خالف المبتدع المجتهد في مسألة ما هل يكون في المسألة إجماع؟

في المسألة خلاف بين الأصوليين على أقوال، وقد حكى الخلاف في المسألة الزركشي في البحر المحيط ٦/٤١٨-٤٢١: وذكر في المسألة أقوالا:

- **أحدها: الاعتبار بخلاف المبتدع مطلقا** وهو قول الهندي حيث قال: إنه الصحيح، وكلام ابن السمعاني يقتضي أنه مذهب الشافعي
- **والثاني: عدم الاعتبار بخلافه مطلقا** وحكاه عن طائفة من أهل الحديث سماهم
- **والثالث: الاعتبار به في مسائل العقيدة** دون مسائل الفقه وهو قول الأستاذ أبي منصور وأبي بكر الصيرفي وزاد: إلا إذا كان فقيها فيعتبر في الفقه
- **والرابع: أن الإجماع لا ينعقد عليه** وينعقد على غيره، أي أنه يجوز له مخالفة من عداه إلى ما أداه إليه اجتهاده، ولا يجوز لأحد أن يقلده، حكاه الآمدي وتابعه المتأخرون
- **والخامس: التفصيل بين الداعية** وغير الداعية فالداعية لا يعتد به، وغيره فيعتد به، حكاه ابن حزم في كتاب الإحكام ونقله عن جماهير سلفهم من المحدثين، وقال: وهو قول فاسد لأن المراعى العقيدة

ومن الذين قالوا باعتبار خلاف المجتهد المبتدع ما لم يكفر: أبو حامد الغزالي في المستصفى ص١٤٥ فقال: (**مسألة: المبتدع إذا خالف لم ينعقد الإجماع دونه إذا لم يكفر**)اه

ومنهم عبد العزيز البخاري في شرح أصول البزدوي ٣/٢٣٨ حيث قيد عدم الاعتداد بخلاف المبتدع بقيود فقال: (اتباع الهوى والبدعة مانع من أهلية الإجماع **بشرط أن يكون صاحبه داعيا إليه أو ماجنا به، أو يكون غاليا فيه بحيث يكفر به**)اه

ومنهم المقبلي حيث قرر: (**أنه لا ينعقد الإجماع بدون من حكم له بأنه من الأمة الإسلامية، لاقتضاء دليل الإجماع ذلك، وما خالف ذلك فإنما هو تساهل وهوى**) ه المنار ٢/٤٤٩ وانظر كتاب (المقبلي حياته وفكره) للمليكي ص١٩٨

بل قرر المقبلي أن الإجماع لا ينعقد بدون الشيعة الإمامية الجعفرية رغم شدته في نقدهم في بعض المسائل لأنه يرى أنهم من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكرر هذا في عدة مواضع ([٢١]) وانظر المنار ٢/٤٤٧ و٤٤٩و٤٦٢و٤٦٥

---

[٢١]) بل ذهب المقبلي إلى ما هو أبعد من ذلك حيث قال: (قد اتضح حال ابن سلول وأضرابه حتى صار معلوما عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعند الأكثر، وعومل معاملة المسلم بسبب استجنانه بالإيمان، **والظاهر أن**

ومنهم المعلمي حيث قال في كتابه رفع الاشتباه ص٧٦ : (**إن قول أهل السنة وحدهم ليس بإجماع فلا يكون حجة كما هو مقرر في كتب أصول الفقه**، قال الإمام الغزالي : **المبتدع إذا خالف لم ينعقد الإجماع...**)اه

وفي شرح التلويح للتفتازاني ١٠٣/٢: (الإجماع الذي ندعي أنه حجة أخص الإجماعات، فإن قوما قالوا: إجماع أهل المدينة حجة، وقوما قالوا: إجماع العترة حجة، ونحن لا نكتفي بهذا بل نقول: **لا بد من اتفاق جميع المجتهدين حتى يدخل فيهم العترة وأهل المدينة**، فأدلتهم تدل على مطلوبنا والأحاديث كثيرة في هذا المطلوب)اه

هذا الخلاف طبعا عند أهل السنة، أما الشيعة: فالزيدية لا يعتدون بخلاف إجماع العترة، والإمامية لا يعتدون بخلاف إجماع الإثني عشرية ففي شرائع الإسلام للحلي ١١٦/٤: (**كل مخالف في شيء من أصول العقائد، ترد شهادته، سواء استند في ذلك إلى التقليد أو إلى الاجتهاد.** ولا ترد شهادة المخالف في الفروع من معتقدي الحق، إذا لم يخالف الإجماع، ولا يفسق وإن كان مخطئا في اجتهاده)اه

المسألة الثانية : الخلاف المعتبر (في الفروع)

وهو ما كان في فروع الدين الاعتقادية أو العملية، والخلاف المعتبر في الفروع ما لم يخالف نصا أو إجماعا أو قياسا جليا أو قاعدة مجمع عليها كما تقدم، وهو في العقائد: ما كان في فروعها، وقد اختلف الصحابة والسلف والأئمة في بعض مسائل الاعتقاد الظنية وسميت بفروع الاعتقاد قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٢٠٨/١٩: (**وفي المسائل العلمية ما لا يأثم المتنازعون فيه**، كتنازع الصحابة هل رأى محمد ربه، وكتنازعهم في بعض النصوص هل قاله النبي أم لا؟ وما أراد بمعناه؟، وكتنازعهم في بعض الكلمات هل هي من القرآن أم لا؟، وكتنازعهم في بعض معاني القرآن والسنة هل أراد الله ورسوله كذا وكذا ؟، وكتنازع الناس في دقيق الكلام كمسألة الجوهر الفرد وتماثل الأجسام وبقاء الأعراض ونحو ذلك **فليس في هذا تكفير ولا تفسيق**)اه

وفي مجموع الفتاوى أيضا ج١٩/ص١٢٢: (وقد اتفق الصحابة في مسائل تنازعوا فيها؛ **على إقرار كل فريق للفريق الآخر على العمل باجتهاده** كمسائل في العبادات والمناكح والمواريث والعطاء والسياسة وغير ذلك...

الزنديق الزنديق والباطني يساويان المنافق في القدر الذي يدار عليه الحكم وهو المعاملة بظاهر الإسلام واطراح كفر الباطن وإن اختلف باطنهم في فنون الكفر والله أعلم) اه الإتحاف ق١٥٣ بواسطة المليكي ص ٢٢٤

وتنازعوا في مسائل علمية اعتقادية كسماع الميت صوت الحي وتعذيب الميت ببكاء أهله ورؤية محمد ربه قبل الموت **مع بقاء الجماعة والألفة)** اه

كما اختلفوا أيضا في أمور كثيرة في مسائل العمل فكان اختلافهم في ذلك رحمة على الأمة قال الشاطبي في الموافقات ١٢٥/٤: (قال القاسم بن محمد: **لقد نفع الله باختلاف أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أعمالهم**، لا يعمل العامل بعمل رجل منهم إلا رأي أنه في سعة ورأى أن خيرا منه قد عمله، وعنه أيضا: أي ذلك أخذت به لم يكن في نفسك منه شيء

ومثل معناه مروى عن عمر بن عبد العزيز قال: **ما يسرني أن لي باختلافهم حمر النعم**، قال القاسم: لقد أعجبني قول عمر بن عبد العزيز: **ما أحب أن أصحاب رسول الله لم يختلفوا لأنه لو كان قولا واحدا كان الناس في ضيق)**اه

وقال ابن تيمية كما في مجمع الفتاوى ٨٠/٣٠: (وهذا كما أن الحاكم ليس له أن ينقض حكم غيره في مثل هذه المسائل ولا للعالم والمفتي أن يلزم الناس باتباعه في مثل هذه المسائل

ولهذا لما استشار الرشيد مالكا أن يحمل الناس على (موطئه) في مثل هذه المسائل منعه من ذلك وقال: إن أصحاب رسول الله تفرقوا في الأمصار وقد أخذ كل قوم من العلم ما بلغهم، وصنف رجل كتابا في الاختلاف فقال أحمد: لا تسمه (كتاب الاختلاف) ولكن سمه (كتاب السعة) **ولهذا كان بعض العلماء يقول: إجماعهم حجة قاطعة واختلافهم رحمة واسعة)**اه

ولمزيد فائدة حول الخلاف في الفروع راجع كتاب الفقير (التمذهب: دراسة تأصيلية مقارنة للمسائل المتعلقة بالتمذهب) طبع مؤسسة الرسالة ناشرون

المبحث الثاني : هل هناك فرق بين الخطأ في المسائل الاعتقادية والخطأ في المسائل العملية ؟

لعلك لاحظت في التقسيم السابق أنه لا فرق بين مسائل الاعتقاد ومسائل العمل، فما كان منها مخالفا للأصول أو مخالفا للنص أو الإجماع أو القياس الجلي أو القواعد المجمع عليها فهو غير معتبر وما كان منها غير مخالف لذلك فهو معتبر.

أما التفريق بين الاعتقاد والعمل وجعل الخلاف الأصلي ما كان في الاعتقادات والفرعي ما كان في العمليات فغير صحيح، لأن هناك خلافات أصلية وهي في العمليات وهناك خلافات فرعية وهي في الاعتقادات قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٣٤٦/٢٣: (فأما التفريق بين نوع وتسميته مسائل الأصول وبين نوع آخر وتسميته مسائل الفروع **فهذا الفرق ليس له أصل لا عن الصحابة ولا عن**

التابعين لهم بإحسان ولا أئمة الإسلام ...وهو تفريق متناقض فانه يقال لمن فرق بين النوعين: ما حد مسائل الأصول التي يكفر المخطئ فيها؟ وما الفاصل بينها وبين مسائل الفروع؟

فإن قال: مسائل الأصول هي مسائل الاعتقاد ومسائل الفروع هي مسائل العمل، قيل له: فتنازع الناس في محمد هل رأى ربه أم لا؟ وفي أن عثمان أفضل من علي أم علي أفضل؟ وفي كثير من معاني القرآن وتصحيح بعض الأحاديث هي من المسائل الاعتقادية العلمية ولا كفر فيها بالاتفاق، ووجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وتحريم الفواحش والخمر هي مسائل عملية والمنكر لها يكفر بالاتفاق، **وإن قال: الأصول هي المسائل القطعية**، قيل له: كثير من مسائل العمل قطعية وكثير من مسائل العلم ليست قطعية)اه

وقال أيضا ٦/٥٦: (**المسائل الخبرية قد تكون بمترلة المسائل العملية وان سميت تلك مسائل أصول وهذه مسائل فروع فان هذه تسمية محدثة** قسمها طائفة من الفقهاء والمتكلمين**... بل الحق أن الجليل من كل واحد من الصنفين مسائل أصول والدقيق مسائل فروع...**

وقولنا إنها قد تكون بمترلتها يتضمن أشياء: منها أنها تنقسم إلى **قطعي وظني** ومنها أن المصيب وان كان واحدا **فالمخطئ قد يكون معفوا عنه وقد يكون مذنبا وقد يكون فاسقا وقد يكون كالمخطئ في الأحكام العملية سواء...**

وإذا كانت قد تكون قطيعة وقد تكون اجتهادية **سوغ في اجتهاديها ما سوغ في المسائل العملية**)اه

وقال المقبلي في العلم الشامخ ص٤٢٩ : (والتقسيم إلى أصول وفروع مجرد اصطلاح يتوصل به إلى كيفية الاستدلال لا إلى الإغراء على الخلاف وتهوين أمره، **بل قد تكون بعض المسائل الأصولية المرفوع شأنها ليست من الدين لا إثباتا ولا نفيا ولا يظهر لها مفسدة، وتكون بعض المسائل الفرعية المستصغرة قد صارت مفسدتها من أعظم المفاسد**)اه

ثم ضرب مثلا لما استعظموه مسألة (القرآن وصفة الكلام) واختلاف الفرق الإسلامية بشأنها وعد إيغالهم وتعمقهم في بحثها من فضول الكلام الذي ليس من الدين في شيء!!!، وفي ص٣٦٧ ذكر من ذلك الخوض في القدر ومسألة خلق القرآن والتعرض لما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم ونحو ذلك

وقال الشوكاني: (الأحكام الشرعية عندي متساوية الأقدام منتسبة إلى الشرع نسبة واحدة **وكون بعضها راجعا إلى العمل وبعضها راجع إلى العقيدة لا يستلزم أن يكون الاختلاف في بعضها موجبا لعدم نجاة بعض المختلفين، وفي بعضها لا يوجب ذلك، فاعرف هذا وأفهمه**

وأعلم أن ما صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم من أن المصيب في اجتهاده له أجران والمخطئ له أجر لا يختص بمسائل العمل ولا يخرج عنه مسائل الاعتقاد، فما يقوله كثير من الناس من الفرق بين

المسائل الأصولية والفروعية وتصويب المجتهدين في الفروع دون الأصول ليس على ما ينبغي **بل الشريعة واحدة وأحكامها متحدة وإن تفاوتت باعتبار قطعية بعضها وظنية الآخر)**اه يقظة أولي الاعتبار ج١/ص٢٠٩ لصديق حسن خان

إذن فمناط التفريق بين الخلاف المعتبر وغير المعتبر ليس هو كون المسألة في العقيدة أو العمل بل هو: هل المسألة أصلية أم فرعية؟! فما كان من المسائل أصليا فالخلاف فيه غير معتبر سواء كانت من مسائل العقيدة أم من مسائل العمل، وما كان منها فرعيا فالخلاف فيه معتبر سواء كانت من مسائل العقيدة أم من مسائل العلم، هذا فيما يتعلق بالاعتبار وعدمه لا في الإعذار وعدمه، فإن الحديث عن الإعذار وعدمه هو موضوع حديثنا في المبحث التالي:

المبحث الثالث : متى يعذر المخالف في العقيدة أو العمل ؟

تقدم معنا أن المسائل في حد ذاتها منها أصلي لا يجوز الخلاف فيه ويكون الخلاف حينئذ غير معتبر، ومنها فرعي يجوز الخلاف فيه ويكون معتبرا، وتقدم أن ليس الأمر في ذلك راجعا إلى كون المسألة في العقيدة أو العمل، بل إلى كون المسألة في الفروع أو في الأصول، أما عن الإعذار ففي كلام بعض الأئمة السابق ذكره إشارة إلى قضية الإعذار، وأن الإعذار راجع إلى كون المسألة قطعية أو ظنية فيعذر مخالف الظني ولا يعذر مخالف القطعي

ولكن لا بد من الإشارة إلى أمر مهم ألا وهو: أن القطعي والظني أمر نسبيٌّ إضافي، فما يكون عند أناس قطعيا يكون عند آخرين ظنيا والعكس، قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٦/٦٠: (كونه [أي القول] عند المستمع معلوما أو مظنونا أو مجهولا أو قطعيا أو ظنيا أو يجب قبوله أو يحرم أو يكفر جاحده أو لا يكفر **فهذه أحكام عملية تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال)**اه

وقال أيضا ٢٣/٣٤٦: **(وكون المسألة قطعية أو ظنية هو من الأمور الإضافية** وقد تكون المسألة عند رجل قطعية لظهور الدليل القاطع له كمن سمع النص من الرسول [صلى الله عليه وآله وسلم] وتيقن مراده منه، وعند رجل لا تكون ظنية فضلا عن أن تكون قطعية لعدم بلوغ النص إياه أو لعدم ثبوته عنده أو لعدم تمكنه من العلم بدلالته)اه

وقال أيضا ١٩/٢١٠: **(فكون المسألة قطعية أو ظنية هو أمر إضافي بحسب حال المعتقدين ليس هو وصفا للقول في نفسه** فإن الإنسان قد يقطع بأشياء علمها بالضرورة أو بالنقل المعلوم صدقه عنده، وغيره لا يعرف ذلك لا قطعا ولا ظنا وقد يكون الإنسان ذكيا قوى الذهن سريع الإدراك فيعرف من الحق ويقطع به ما لا يتصوره غيره ولا يعرفه لا علما ولا ظنا

فالقطع والظن يكون بحسب ما وصل إلى الإنسان من الأدلة وبحسب قدرته على الاستدلال والناس يختلفون في هذا وهذا، فكون المسألة قطعية أو ظنية ليس هو صفة ملازمة للقول المتنازع فيه حتى يقال: كل من خالفه قد خالف القطعي بل هو صفة لحال الناظر المستدل المعتقد وهذا مما يختلف فيه الناس) اه

فعاد الأمر إذن إلى حال الشخص المخالف لا إلى ذات قوله ومخالفته، وعلى هذا فمناط الإعذار راجع إلى الشخص نفسه: **فمن كانت المسألة عنده قطعية ثم خالف فيها فهو غير معذور ولو كانت المسألة فقهية أو فرعية، بل ولو كانت من المستحبات ما دام يقطع بها فمن أنكر مستحبا وهو يقطع باستحبابه فهو غير معذور**

ومن كانت المسألة عنده ظنية ثم خالف فيها فهو معذور ولو كانت المسألة عقدية أو أصلية بل ولو كانت في أصول العقيدة، وإن كنا لا نعذر غيره في نفس المسألة ما دامت المسألة عنده قطعية، قال ابن حزم في الفصل ٣/١٣٨: (والحق هو أن كل من ثبت له عقد الإسلام فإنه لا يزول عنه إلا بنص أو إجماع وأما بالدعوة والافتراء فلا، فوجب أن لا يكفر أحد بقولٍ قاله، **إلا بأن يخالف ما قد صح عنده أن الله تعالى قاله أو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاله** فيستجيز خلاف الله تعالى وخلاف رسوله عليه الصلاة والسلام، **وسواء كان ذلك في عقد دين أو في نحلة أو في فتيا، وسواء كان ما صح من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منقولاً نقل إجماع تواتر أو نقل آحاد**)اه

وعلى هذا فيمكننا بتعبير آخر أن نقول في مسألة الإعذار: من بذل جهده متجردا للوصول للصواب ثم لم يصب فهو معذور سواء كانت المسألة عقدية أم عملية، ومن قصّر في بذل الجهد أو كان غير متجرد في جهده فهو غير معذور ولو أصاب الحق، سواء كانت المسألة عقدية أم عملية

وبذل الجهد يختلف باختلاف الأشخاص فجهد المجتهد ليس كجهد المقلد، وجهد العالم ليس كجهد الجاهل، وجهد طالب العلم ليس كجهد العامي، وجهد العامي الذي نشأ في بيئة العلم ليس كجهد الذي نشأ بعيدا عن العلماء.. وهكذا، فأصل المسألة إذن -كما قال ابن تيمية - هو : **هل يمكن لكل احد أن يعرف باجتهاده الحق** في كل مسألة فيها نزاع؟ وإذا لم يمكنه فاجتهد واستفرغ وسعه فلم يصل إلى الحق بل قال ما اعتقد أنه هو الحق في نفس الأمر و لم يكن هو الحق في نفس الأمر، **هل يستحق أن يعاقب أم لا؟ هذا أصل هذه المسألة) اه** مجموع الفتاوى ١٩/٢٠٣

وقد أجاب ابن تيمية عن هذا السؤال الذي طرحه فقال ٢٣/٣٤٦: (**من كان من المؤمنين مجتهدا في طلب الحق وأخطأ فان الله يغفر له خطأه كائنا ما كان سواء كان في المسائل النظرية أو العملية** هذا الذي عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجماهير أئمة الإسلام)اه

وقال أيضا ج٧/ص٢١٨: (**وكذلك سائر الثنتين والسبعين فرقة** من كان منهم منافقا فهو كافر في الباطن ومن لم يكن منافقا **بل كان مؤمنا بالله ورسوله في الباطن لم يكن كافرا في الباطن وان أخطأ في التأويل كائنا ما كان خطؤه**)اه

وقال أيضا ١٩/٢٠٧: (قول السلف وأئمة الفتوى كأبي حنيفة والشافعي والثوري وداود بن علي وغيرهم: **لا يؤثمون مجتهدا مخطئا في المسائل الأصولية ولا في الفروعية** كما ذكر ذلك عنهم ابن حزم وغيره)اه، وقال أيضا ١٩/٢١٠: (قالوا: **فمن قال إن المخطئ في مسألة قطعية أو ظنية يأثم فقد خالف الكتاب والسنة والإجماع القديم**)اه

وقال أيضا [١٣ / ١٢٥]: (وهذه حال أهل الاجتهاد والنظر والاستدلال **في الأصول والفروع ولم يفرق أحد من السلف والأئمة بين أصول وفروع**

بل جعل الدين قسمين أصولا وفروعا لم يكن معروفا في الصحابة والتابعين ولم يقل أحد من السلف والصحابة والتابعين إن المجتهد الذي استفرغ وسعه فى طلب الحق يأثم لا في الأصول ولا فى الفروع ولكن هذا التفريق ظهر من جهة المعتزلة وأدخله في أصول الفقه من نقل ذلك عنهم)اه

وقال أيضا ٣/٣١٧: (**فمن كان خطؤه لتفريطه فيما يجب عليه من اتباع القرآن والإيمان مثلا أو لتعديه حدود الله بسلوك السبل التي نهى عنها أو لاتباع هواه بغير هدى من الله فهو الظالم لنفسه** وهو من أهل الوعيد ، **بخلاف المجتهد في طاعة الله ورسوله** باطنا وظاهرا الذي يطلب الحق باجتهاده كما أمره الله ورسوله فهذا مغفور له خطؤه)اه

وقال أيضا ١٢/١٨٠: (**وأما التكفير: فالصواب أنه: من اجتهد من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقصد الحق فأخطأ لم يكفر بل يغفر له خطؤه**، ومن تبين له ما جاء به الرسول فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر، **ومن اتبع هواه وقصر في طلب الحق وتكلم بلا علم: فهو عاص مذنب**، ثم قد يكون فاسقا وقد تكون له حسنات ترجح على سيئاته)اه

والخلاصة أن هناك في كل مخالفةٍ نظرين:

النظر الأول: إلى المسألة ذاتها مجردة عمن قال بها، وقد تقدم: أن الخلاف في المسائل منه اختلاف لفظي واختلاف تنوع واختلاف حقيقي وأن منه المعتبر ومنه غير المعتبر، وغير المعتبر منه المكفر ومنه المفسق وتقدم الكلام عن ضابط كل خلاف

والنظر الثاني: إلى من قال بالمسألة، وقد تقدم أن الإعذار راجع إلى كون المسألة قطعية عند من خالف أو ظنية عنده، وأن المعذور هو من بذل الجهد بتجرد للوصول إلى الحق، قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٦/٦٠: (فهذا أصل عظيم فتدبره فانه نافع وهو أن ينظر في شيئين:

- **في المقالة هل هي حق أم باطل** ؟ أم تقبل التقسيم فتكون حقا باعتبار باطلا باعتبار وهـــو كثير وغالب
- **ثم النظر الثاني في حكمه** إثباتا أو نفيا أو تفصيلا **واختلاف أحوال الناس فيه** فمن ســلك هذا المسلك أصاب الحق قولا وعملا وعرف إبطال القول وإحقاقه)اه

قد يقول قائل:

أكثرت من الاستشهاد بكلام ابن تيمية في هذا الباب مع أنك تزعم أن مقالك هذا موجـــه لكـــل المسلمين على اختلاف مذاهبهم الفكرية: (العقدية منها والفقهية والدعوية) مع أن ابن تيمية لا يَقبل كلامه إلا طائفة من المسلمين لا الكل فكيف هذا؟!

وللجواب عن ذلك نقول:

أما من يقبل كلام ابن تيمية على أنه من المسلّمات فيكفيه قول ابن تيمية ([٢٢])، **وأما من لا يقبـــل قول ابن تيمية** فنقول له كما قال سيدنا علي رضي الله عنه: (خذ القول ولا تنظر إلى مـــن قـــال)، والمنصف سيجد أن كلام ابن تيمية السابق منطقي وواقعي وعقلاني، بل هو الذي دلت عليه الأدلـــة الشرعية فإن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها ولذا قال ابن تيمية كمـــا في مجمـــوع الفتـــاوى ١٩/١١٦: (وأيضا فان الله تعالى قد أخبر في غير موضع انه لا يكلف نفسا إلا وسعها كقولـــه: (**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها**) وقوله تعالى: (والذين آمنوا وعملوا الصالحات **لا نكلـــف نفســـا إلا وسعها**) وقوله: (**لا تكلف نفس إلا وسعها**) وقوله: (**لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها**)

وأمر بتقواه بقدر الاستطاعة فقال : (**فاتقوا الله ما استطعتم**) وقد دعاه المؤمنون بقولهم : (ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا **ولا تحملنا مالا طاقة لنا به**) فقال : قد فعلت

---

[٢٢]) ومما يؤسف له أننا نجد الكثير ممن يقبلون قول ابن تيمية يأخذون بقوله في أحكامه على المسائل ولا يأخذون بقوله في أحكامه على أصحاب تلك المسائل ولا بقوله في التعامل مع أصحاب تلك المسائل

ولا بد هنا من الإشارة إلى أن البعض يجعل كلام ابن تيمية رحمه الله كالوحي في التطبيق لا في التنظير، فعند التنظير هو عندهم بشر يصيب ويخطئ وعند التطبيق هو عندهم نبي معصوم، وإني لأستغرب من كثيرين ممن يعتنون بتحقيق كتب التراث عندما يعلقون -على أقوال كثير من الأئمة في كتب التراث- بقولهم: وهذا خلاف عقيدة أهل السنة، ثم يردفون ذلك بكلام ابن تيمية في المسألة وكأن ابن تيمية هو الناطق الرسمي باسم أهل السنة، وهذا من الغلو في الأشخاص، فابن تيمية إمام وعالم .. نعم، لكنه ليس الناطق الرسمي باسم الإسلام والسنة، والأئمة غيره كثير فإذا خالف ابن تيمية غيره فالمرجع إلى الحجة والبرهان، ومن الظلم حصر العلم في شخص أو أشخاص بعدد الأصابع

وفي المقابل نجد غلوا مضادا في ابن تيمية حتى إن بعض أصحاب دور النشر عرض على الفقير أن يطبع كتابا من كتبه لكنه اشترط حذف كلمة (رحمه الله) عند ذكر ابن تيمية!!! فقلت له: هذا لا يمكن فأصر على شرطه أو عدم الطبع فاخترت عدم الطبع

فدلت هذه النصوص على أنه لا يكلف نفسا ما تعجز عنه خلافا للجهمية المجبرة!، ودلت على أنه لا يؤاخذ المخطئ والناسي خلافا للقدرية والمعتزلة!

وهذا **فصل الخطاب** في هذا الباب: **فالمجتهد المستدل من إمام وحاكم وعلام وناظر ومفت وغير ذلك إذا اجتهد واستدل فاتقى الله ما استطاع كان هذا هو الذي كلفه الله إياه وهو مطيع لله مستحق للثواب إذا اتقاه ما استطاع ولا يعاقبه الله ألبته** خلافا للجهمية المجبرة

وهو مصيب بمعنى أنه مطيع لله لكن قد يعلم الحق في نفس الأمر وقد لا يعلمه، خلافا للقدرية والمعتزلة في قولهم : كل من استفرغ وسعه علم الحق، فان هذا باطل كما تقدم **بل كل من استفرغ وسعه استحق الثواب**)اه

وهذه الطريقة -أي إعذار من بذل جهده بتجرد- ليست طريقة ابن تيمية وحده بل هي طريقة كثير من أهل العلم ومنهم ابن حزم بل ويحكيه عن الصحابة والسلف حيث قال في الفصل ١٣٨/٣: **(وذهبت طائفة إلى أنه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد أو فتيا، وأن كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى أنه الحق فإنه مأجور على كل حال: إن أصاب الحق فأجران وإن أخطأ فأجر واحد**

وهذا قول ابن أبي ليلي وأبي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري وداود بن علي رضي الله عن جميعهم، وهو قول كل من عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة رضي الله عنهم **لا نعلم منهم في ذلك خلافاً أصلاً...**)اه

ومنهم الذهبي حيث قال في سير النبلاء ٣٨/٢٢: (قال القفطي عن الكندي: اشتهر عنه أنه لم يكن صحيح العقيدة.

قلت [القائل هو الذهبي] : ما علمنا إلا خيرا وكان يحب الله ورسوله وأهل الخير، وشاهدت له فتيا في القرآن تدل على خير وتقرير جيد لكنها تخالف طريقة أبي الحسن، فلعل القفطي قصد أنه حنبلي العقد وهذا شيء قد سُمج القول فيه **فكل من قصد الحق من هذه الأمة فالله يغفر له، أعاذنا الله من الهوى والنفس**)اه

ومنهم ابن الوزير حيث قال في إيثار الحق ص٣٩٣: **(قد تكاثرت الآيات والأحاديث في العفو عن الخطأ، والظاهر أن أهل التأويل أخطأوا ولا سبيل إلى العلم بتعمدهم لأنه من علم الباطن الذي لا يعلمه إلا الله تعالى،** قال الله تعالى في خطاب أهل الإسلام خاصة: (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم) وقال تعالى: (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) وصح في تفسيرها أن الله تعالى قال: قد فعلت)اه

ومنهم المقبلي حيث قرر: (**أن الحق ليس برمته عند فرقة أو مذهب، والباطل عند الباقين وإن كان كل منهم يدعي ذلك**، ويشهد لهذا قراءة التاريخ والواقع، ويعلمه كل من لم تتدنس فطرته ونزهه الله عن الأهواء والتعصب المذهبي والتقليد الأعمى واتصف بالإنصاف، **بل عند كل فرقة ومذهب صواب وخطأ وحق وباطل وسنة وبدعة وإن اختلف في ذلك قلة وكثرة وصغرا وكبرا**، والحق لم يخرج عن مجموعهم ولله الحمد فعند كلهم كل الحق ومن طلبه وجده، **وهم إن شاء الله تعالى إلى خير إن حسنت النيات وسلمت المقاصد**)اه العلم الشامخ ص٣٦٩ وانظر كتاب (المقبلي حياته وفكره) ص١٩٨

ومنهم الشوكاني حيث قال: (لا ملازمة بين نجاة جميع الصحابة وبين عدم اختلافهم في الأصول بل يجوز الحكم بنجاتهم جميعا **مع الحكم باختلافهم في الأصول... وأعلم أن ما صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم من أن المصيب في اجتهاده له أجران والمخطئ له أجر لا يختص بمسائل العمل ولا يخرج عنه مسائل الاعتقاد**) اه يقظة أولي الاعتبار ج١/ص٢٠٩ لصديق حسن خان

ومنهم رشيد رضا وشيخه محمد عبده ففي تفسير المنار ١/١٤١ ضمن كلام طويل في المسألة: (إن من أعظم ما بليت به الفرق الإسلامية رمي بعضهم بعضا بالفسق والكفر مع **أن قصد كلٍ الوصول إلى الحق بما بذلوا جهدهم لتأييده واعتقاده والدعوة إليه، فالمجتهد وإن أخطأ معذور...**)اه

وقد نقل كلام رشيد رضا عبد الحسين شرف الدين الإمامي الإثنا عشري في كتابه (الفصول المهمة في تأليف الأمة) مستدلا مقرا مستحسنا فينبغي على الإمامية أن يشيعوا فيما بيهما مثل هذه الآراء وينبذوا الآراء المتشددة

ومنهم القاسمي حيث قال في كتابه (تاريخ الجهمية والمعتزلة) ص٧٧ : (وجلي أن ما يبعث على بذل الجهد في الفروع هو نظير ما يبعث عليه في الأصول أو أعظم، فإن مسألة الرؤية وخلق الأفعال وخلق القرآن وإرادة الكائنات لما تشابهت الآيات والأخبار فيها **ذهب كل فريق إلى ما رآه أوفق لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأليق بعظمة الله سبحانه وثباته دينه، فكانوا لذلك مجتهدين وفي اجتهادهم مأجورون وإن كانوا في القرب من الحق متفاوتين**)اه

وقال أيضا في نفس الكتاب ص٨٠: (**وبالجملة فكون هذه الفرق مجتهدة لها ما للمجتهدين أمر لا يرتاب فيه منصف، والمجتهد معذور بل مأجور وإن أخطا**، وإذا انتفى الإثم عن المجتهد فأنى يصح نبزه بالألقاب السوء والحفيظة عليه؟ **وهل فرق الأمة وجعها شيعا وأذهب ريحها إلا هذا التنابز والإزراء المعيب مع ما يجمع الكل من أخوة الإسلام؟**)اه

وقبل هؤلاء جميعا سيدنا على ابن أبي طالب ففي تاريخ الطبري ٣ / ٣٣: (قام إلى علي رضي الله عنه أبو سلامة الدالاني فقال: أترى لهؤلاء القوم [يعني من يحاربه من أهل الجمل] حجة في فيما طلبوا من

هذا الدم [أي دم عثمان] **إن كانوا أرادوا الله عز وجل بذلك؟ قال: نعم** ، قال: فترى لك حجة بتأخيرك ذلك؟ قال: نعم، إن الشيء إذا كان لا يدرك فالحكم فيه أحوطه وأعمّه نفعا، **قال : فما حالنا وحالكم إن ابتلينا غدا [بالقتال]؟ قال : إني لأرجو ألا يقتل أحد نقى قلبه لله منا ومنهم إلا أدخله الله الجنة)**اه

تنبيه مهم : (مفارقات عجيبة)!!

إننا لنلاحظ في واقعنا المؤلم وفي ماضينا أيضا ازدواجية عند البعض في مسألة الإعذار للمخالف المخطئ، فنجد البعض يعذر من أخطأ إذا كان ممن ينتمي إلى مذهبه (عقدي أو فقهي أو حركي)، لكن عندما يقع في الخطأ نفسه أو نحوه أو ما هو دونه شخصٌ آخر ليس على مذهبه فلا يلتمس له إي عذر بل أحيانا يحمّل كلامه فوق ما يحتمله، بل قد يكون الإشكال في كلام من ينتمي إلى مذهبه أكبر وتوجيهه أعسر من توجيه كلام من لا ينتمي إلى مذهبه

ومن الأمثلة على ذلك : التماس الأعذار من قِبَل ابن القيم والحنابلة لأبي إسماعيل الهروي في بعض عباراته في كتابه المنازل التي ظاهرها الحلول والاتحاد لأنه حنبلي العقد، وعدم التماسهم الأعذار لمن كلامه مثل كلام الهروي بل أقل إشكالا -من الصوفية- لأنهم أشاعرة، وفي المقابل نجد كثيرا من الصوفية يشنع على ابن تيمية لأنه يقول بفناء النار، بينما محيي الدين ابن عربي يقول بنحو ذلك من قَبْل ابن تيمية ولكننا لا نجدهم يشنعون عليه بذلك (على أنه قد قيل إن ذلك مدسوس عليه في كتبه)

ومن الأمثلة على ذلك: أن الإمامية شديدون على من يعدونهم من المشبهة والمجسمة، وقد لا يكونون كذلك، مع أن في متقدميهم من هو مشبه ومجسم لكنهم يغضون الطرف عنهم، وكذلك يشنعون على الروايات الواردة في كتب أهل السنة والتي توهم التشبيه مع أنه يوجد في كتبهم ما هو مثلها أو أشد منها

ومن الأمثلة على ذلك من واقعنا المعاصر : أن بعض الحركات الإسلامية إذا كان الصوفي أو المعتزلي أو الشيعي منتميا إليهم نجدهم يلتمسون له الأعذار، بل وأحيانا يدافعون عن التصوف والاعتزال والتشيع، وإذا كان الصوفي أو المعتزلي أو الشيعي ليس منتميا إليهم لم يلتمسوا له عذرا وطعنوا فيه بتصوفه واعتزاله وتشيعه وهذا من المفارقات العجيبة!!!

ومن المفارقات العجيبة أيضا : أنك تجد البعض يلتمس العذر لمخالفيه من أهل العلم إذا كانوا من العصور المتقدمة، أما إذا كانوا من أهل عصره فإنه لا يلتمس لهم أي عذر ولو كان خطؤهم دون خطأ من كان في العصور المتقدمة

ومن المفارقات العجيبة أيضا: ما نلاحظه –وللأسف- من الانفصام بين النظرية والتطبيق، فعند التنظير لمسألة إعذار المخالف نجد كلاما جميلا ولطيفا وتأصيلا مقبولا.. (التمس لأخيك سبعين عذرا، فإذا لم تجد فقل لعل عنده عذرا لا أعرفه)، وعند التطبيق نجد عملا شنيعا وعنيفا، ونسينا أو تناسينا التنظير.. فصار هباء منثورا.. (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءا حتى إذا جاءه لم يجده شيئا)

المبحث الرابع: مسألة التكفير

الفرع الأول: فر من التكفير فرارك من الأسد

لنحاول عند إصدار الأحكام على الآخرين اجتناب التكفير ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، **وليس المراد هو إلغاء التكفير من الدين فدينٌ ليس فيه تكفير ليس بدين، ولكن المراد هو التأكد والاحتياط والحذر وتضييق حدود التكفير** كما ضيقها الشرع، فقد جاءت الأحاديث الكثيرة التي تزجر عن تكفير المسلم وتغلظ على من يفعل ذلك، وهي مشهورة معروفة لا داعي لذكرها لأنها أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر

قال ابن الوزير في إيثار الحق ص٣٨٥ بعد ذكره طائفة من تلك الأحاديث: (**وفي مجموع ذلك ما يشهد لصحة التغليظ في تكفير المؤمن وإخراجه من الإسلام مع شهادته بالتوحيد والنبوات،** وخاصة مع قيامه بأركان الإسلام وتجنبه للكبائر وظهور أمارات صدقه في تصديقه **لأجل غلطة في بدعة لعل المكفر له لا يسلم من مثلها أو قريب منها** فان العصمة مرتفعة وحسن ظن الإنسان بنفسه لا يستلزم السلامة من ذلك عقلا ولا شرعا)اه

وقال أيضا: (**من العِبَر الكبار في ذلك أن الجمهور لم يكفروا من كفر المسلم متأولا في تكفيره غير متعمد مع أن هذه الأحاديث الكثيرة تقتضي ذلك** [من كفر مسلما فقد كفر]، والنصوص أصح طرق التكفير فإذا تورع الجمهور من تكفير من اقتضت النصوص كفره **فكيف لا يكون الورع من تكفير من لم يرد في كفره نص واحد أشد؟ فاعتبر تورع الجمهور هنا وتعلم الورع منهم في ذلك**)اه

وقال أيضا في إيثار الحق على الخلق ص٤٠٠: (الله تعالى نص على تحريم التفرق في كتابه الكريم وجاء ذلك بعبارات كثيرة في الكتاب والسنة **ولا أفحش في التفرق من التوصل إلى التكفير بأدلة محتملة تمكن معارضتها بمثلها ويمكن التوصل بها إلى عدم التكفير وإلى جمع الكلمة وإنما قلنا أنه لا أفحش من ذلك في التفرق المنهي عنه لما فيه من أعظم التعادي والتنافر والتباين**)اه

وقال أيضا في نفس الكتاب ص٣٧٩: (**ومن أقبح التكفير ما كان منه مستند إلى وجه ينكره المخالف من أهل المذهب مثل تكفير أبي الحسين وأصحابه بنفي علم الغيب وهم ينكرونه وتكفير**

الاشعرية بالجبر الخالص الذي هو قول الجهمية الجبرية وهم ينكرونه، والله تعالى يقول: ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا)اه

ومن ثبت إسلامه بيقين فلا يجوز إخراجه من الإسلام إلا بيقين، قال الشوكاني في السيل الجرار ج٤/ص٥٧٨: (اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر **لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار**، فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من طريق جماعة من الصحابة: أن من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما هكذا في الصحيح، وفي لفظ آخر في الصحيحين وغيرهما: من دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه أي رجع، وفي لفظ في الصحيح: فقد كفر أحدهما

ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر وأكبر واعظ عن التسرع في التكفير وقد قال الله عز وجل: (ولكن من شرح بالكفر صدرا) **فلا بد من شرح الصدر بالكفر وطمأنينة القلب به وسكون النفس إليه فلا اعتبار بما يقع من طوارق عقائد الشر** لا سيما مع الجهل بمخالفتها لطريقة الإسلام **ولا اعتبار بصدور فعل كفري لم يرد به فاعله الخروج عن الإسلام إلى ملة الكفر** ولا اعتبار بلفظ تلفظ به المسلم يدل على الكفر وهو لا يعتقد معناه)اه

وقبله قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٣/٢٨٢: (والخوارج المارقون الذين أمر النبي بقتالهم قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة والتابعين، **ومن بعدهم ولم يكفرهم علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وغيرهما من الصحابة بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم**، و لم يقاتلهم علي حتى سفكوا الدم الحرام وأغاروا على أموال المسلمين فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم لا لأنهم كفار ولهذا لم يسبِ حريمهم و لم يغنم أموالهم **وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع لم يكفروا مع أمر الله ورسوله بقتالهم فكيف بالطوائف المختلفين الذين أشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم، فلا يحل لأحد من هذه الطوائف أن تكفر الأخرى ولا تستحل دمها ومالها وإن كانت فيها بدعة محققة، فكيف إذا كانت المكفرة لها مبتدعة أيضا؟! وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ، والغالب أنهم جميعا جهال بحقائق ما يختلفون فيه)اه**

ولئن يخطئ المرء في عدم التكفير خير له من أن يخطئ في التكفير، قال أبو حامد الغزالي في كتاب التفرقة بين الإيمان والزندقة: (والذي ينبغي الاحتراز عن التكفير ما وجد إليه سبيلا فإن استباحة دماء المصلين المقرين بالتوحيد خطأ، **والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك دم مسلم واحد**)اه فتح الباري ج١٢/ص٣٠٠

وقال ابن الوزير في إيثار الحق ص٤٠٣: (فالتارك للتكفير إن قدّرنا خطأه فإنما أخل بحق من حقوق الله تعالى وهو إجراء الأحكام عليهم، وهو ههنا لم يتركه إلا لعدم شرط جوازه وهو تحقق الموجب له، **وأما المكفر إن قدّرنا خطأه فقد أخل بحق المخلوق المسلم بل تعدى عليه وظلمه أكبر الظلم وأفحشه** فأخرجه من الإسلام وهو يشهد أن لا أله إلا الله وأن محمدا رسول الله)اه

وقال الشوكاني في السيل الجرار ج٤/ص٥٧٩: (فحينئذ تنجو من معرة الخطر وتسلم من الوقوع في المحنة، **فإن الإقدام على ما فيه بعض البأس لا يفعله من يشح على دينه ولا يسمح به فيما لا فائدة فيه ولا عائدة، فكيف إذا كان يخشى على نفسه إذا أخطأ أن يكون في عداد من سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كافرا** فهذا يقود إليه العقل فضلا عن الشرع)اه

بل قال بعض أهل العلم: إذا كان احتمال التكفير تسعة وتسعين بالمائة واحتمال عدم التكفير واحدا بالمائة فإننا نغلب عدم التكفير وذلك لخطورة التكفير، قال ابن عابدين في حاشيته على شرح الحصكفي ٤/٢٣٠: **(واعلم أنه (لا يُفتى بكفر مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن أو كان في كفره خلاف، ولو) كان ذلك (رواية ضعيفة)** كما حرره في البحر، وعزاه في الأشباه إلى الصغرى. وفي الدرر وغيرها: **إذا كان في المسألة وجوه توجب الكفر وواحد يمنعه فعلى المفتي الميل لما يمنعه،** ثم لو نيّته ذلك فمُسلِم، وإلا لم ينفعه حمل المفتي على خلافه)اه

الفرع الثاني : جهات التكفير

التكفير له جهتان: التكفير من حيث الوصف (المسألة المكفرة) والتكفير من حيث العين (الشخص المعين الذي وقع في الكفر)، ولنأخذ الجهتين باختصار في المسألتين التاليتين:

المسألة الأولى : التكفير الوصفي

أي الحكم على عمل ما أو قول ما أو اعتقاد ما بأنه كفر، وهذا الأمر ليس بالهين فليس كل ما أُطلق عليه الكفر في النصوص هو كفر مخرج من الملة، فإن الخوارج وسّعوا باب الكفر فكلما وجدوا كلمة كفر أو نفيا للإيمان في الآيات أو الأحاديث أرجعوها إلى الكفر المخرج من الملة، وقد تأثر بهم بعض الغلاة من أهل السنة فكفروا بأشياء عقدية أو عملية هي من المحرمات فحسب بل أحيانا من المكروهات بل وأحيانا من المباحات!!!

وفي مقابل الخوارج ومن شابههم ضيق المرجئة باب التكفير فلم يحكموا على كثير من المسائل الكفرية بالكفر، بل قال بعضهم: من عرف أن الله هو خالقه فهو المؤمن ولا يضره بعد ذلك ذنب!!!

والسبب الرئيسي في ذلك هو الجهل بالشرع والبعد عن كلام أهل العلم، والمصيبة أن الجهال قد تسلطوا على تكفير العلماء والعامة وتضليلهم، قال ابن تيمية كما في مجمـــوع فتاويــه ٣٥/١٠٠: (علماء المسلمين المتكلمين في الدنيا باجتهادهم لا يجوز تكفير أحدهم بمجرد خطأ أخطأه في كلامه، **وهذا كلام حسن تجب موافقته عليه؛ فإن تسليط الجهال على تكفير علماء المسلمين من أعظـــم المنكرات...**

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن علماء المسلمين لا يجوز تكفيرهم بمجرد الخطأ المحض؛ بل كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، **وليس كل من يترك بعض كلامه لخطأ أخطأه يكفر ولا يفسق بل ولا يأثم)**اه

وقال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ج٢٨/ص٤٩٧: (فهؤلاء **أصل ضلالهم اعتقادهم في أئمـــة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل وأنهم ضالون** وهذا مأخذ الخارجين عن السنة،**... ثم يعدّون ما يرون أنه ظلم عندهم كفرا، ثم يرتبون على الكفر أحكاما ابتدعوها** فهـــذه ثـــلاث مقامات للمارقين)اه

وبسبب الجهل أيضا تجد التكفير بلوازم الأقوال، مع أن لازم القول ليس بلازم إلا أن يلتزمه صاحبه، هذا مذهب جماهير أهل العلم وعليه أهل السنة قال ابن حزم في الفصل ٣/١٣٨: (قال أبو محمـــد: وأما من كفر الناس بما تؤول إليه أقوالهم **فخطأ لأنه كذب على الخصم وتقويل له ما لم يقل به، وإن لزمه فلم يحصل على غير التناقض فقط والتناقض ليس كفراً بل قد أحسن إذا فر مـــن الكفـــر**، وأيضاً فإنه ليس للناس قول إلا ومُخالِفُ ذلك القول يُلزم خصمَه الكفر في فساد قوله وطرده)اه

وبسبب الجهل أيضا تجد التكفير العيني لمن وقع في المسائل المختلف في كونها كفرا، ولو أن المكفِّـــر بتلك المسائل احتفظ بالتكفير في نفسه لهان الأمر لكن المصيبة هي التعطش لسفك دم من يرى كفره مع أن الأمر مختلف فيه، قال ابن الوزير في إيثار الحق ص٤٠٥: (**إن في الحكم بتكفير المُختَلَـــف في كفرهم مفسدة بينة تخالف الاحتياط**، ومن ذلك إسقاط العبادات عنهم إذا تابوا!، وإسقاط جميـــع حقوق المخلوقين من الأموال والدماء وغيرهما!، وإباحة فروج نسائهم إذا لم يتوبوا!، وسفك دمائهم مع قيام الاحتمال...)اه

ومن أمثلة التكفير المختلف فيه عند أهل السنة:

- اختلاف الأئمة في تكفير المجسمة، وللفقير بحث في (**حكم التجسيم والمجســـمة في المذاهب الأربعة**) منشور على النت
- ومن ذلك أيضا اختلافهم في تكفير من يقول بخلق القرآن وللفقير بحث في (**حكـــم من قال بخلق القرآن في المذاهب الأربعة**) عجل الله بنشره

- ومن ذلك الخلاف في تكفير من يسب الصحابة وللفقير بحث في **(حكم من سب الصحابة في المذاهب الأربعة)** منشور على النت
- ومن ذلك الخلاف في تكفير تارك الصلاة، والخلاف في تكفير من يلبس الصليب**..** إلى غير ذلك من المسائل وما أكثرها

المسألة الثانية : التكفير العيني

التكفير العيني لشخص معين أو لطائفة معينة هو أعسر من التكفير الوصفي بكثير، فيجب الاحتياط فيه أكثر وأكثر، لما يترتب على ذلك من الأحكام في الدنيا (كالقتل والصلاة والمناكحة والتوارث**...**إلخ)، ولأن ذلك يعني الحكم على المكفَّر بكونه خالدا مخلدا في نار جنهم نسأل الله العفو والعافية، فالحكم على من ثبت إسلامه بالكفر أمر صعب جدا فهو يحتاج –بعد التحقق من كون المسألة كفرا وكون الشخص واقعا فيها- إلى توفر شروط التكفير وانتفاء موانعه ومن ذلك: (توفر العلم وانتفاء الجهل، وتوفر العمد وانتفاء الخطأ، وتوفر الاختيار وانتفاء الإكراه، وتوفر أهلية التكليف وانتفاء عوارضها، وتوفر الهوى وانتفاء التأول**...**إلخ)

وليس ذلك لأي أحد بل هو من اختصاص القضاة الشرعيين ولا يجوز لأي أحد أن يفتئت عليهم، لأنه يترتب على ذلك أحكام كثيرة منها: قتله وعدم الصلاة عليه ولا خلفه ولا يدفن في مقابر المسلمين وينفسخ عقد نكاحه ولا يرث ولا يورث**...** إلى غير ذلك من الأحكام، قال ابن تيمية كما في مجموع فتاويه ١٢/٤٦٨: (اعلم أن مسائل التكفير والتفسيق هي من مسائل الأسماء والأحكام التي **يتعلق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة، وتتعلق بها الموالاة والمعاداة والقتل والعصمة وغير ذلك في الدار الدنيا**)اه

وقال ابن تيمية **عن المتسرعين في تكفير المعين** كما في مجموع الفتاوى ١٢/٤٨٧: (**...**لم يتدبروا أن التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين، **وأن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع**، يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه)اه

بل حتى من ثبتت ردته لا يجوز أن يقيم عليه حد الردة إلا الإمام أو نائبه، قال ابن الهمام الحنفي في فتح القدير ٦/٩٨: (**وقتل المرتد مطلقا إلى الإمام عند عامة أهل العلم** إلا عند الشافعي في وجه في العبد إلى سيده)اه

وقال زكريا الأنصاري الشافعي في أسنى المطالب ١٢٢/٤: **(ويتولاه) أي قتله (الحاكم)، ولو بنائبه** (بضرب الرقبة لا الإحراق) بالنار أو غيره لما فيه من المثلة فلو تولاه غير الحاكم أو الحاكم بغير ضرب الرقبة عزر)اه

وقال الرحيباني الحنبلي في مطالب أولي النهى ٢٨٩/٦: **(ولا يقتل المرتد إلا الإمام أو نائبه) حـــرا كان أو عبدا**؛ لأنه قتل لحق الله تعالى؛ فكان إلى الإمام كرجم الزاني المحصن، ولا يعارضه حـــديث: "{أقيموا الحدود على ما ملكت أيمانكم} لأن قتل المرتد لكفره لا حدا **(فإن قتلـــه)؛ أي: المرتـــد (غيرهما)؛ أي الإمام أو نائبه (بلا إذن) من أحدهما (أساء وعزر) لافتئاته على ولي الأمر**)اه

وقال المرتضى (الزيدي) في البحر الزخار ١٠٨/٦: **(وحد المرتد إلى الإمام**، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: أربعة إلى الولاة، ومن فعل فلا قود عليه ولا كفارة إذ هو هدر، لكن للإمام تعزيره)اه

وفي موسوعة الفقه الكويتية ٢٨٠/٥: **(اتفق الفقهاء على أن الذي يقيم الحد هو الإمام أو نائبـــه، سواء كان الحد حقا لله تعالى كحد الزنى، أو لآدمي كحد القذف، لأنه يفتقر إلى الاجتـــهاد، ولا يؤمن فيه الحيف، فوجب أن يفوض إلى الإمام**، ولأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كـــان يقـــيم الحدود في حياته، وكذا خلفاؤه من بعده. ويقوم نائب الإمام فيه مقامه... **وعلى من فعـــل ذلـــك التعزير، لإساءته وافتياته على الإمام)اه**

وكأني ببعضهم وقد قال:

من أين لك هذا التفريق بين التكفير الوصفي والتكفير العيني ؟ بل كل من وقع في الكفر فهو كافر!!

فنقول له: على رسلك، أربع على نفسك، وأجبنا عن التالي: إذا وقع شخص في الكفر مكرها فهل يكفر؟ فإن قال: يكفر فقد خالف نص الآية (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) وإن قال لا يكفـــر فقد أقر باشتراط الاختيار وانتفاء الإكراه

ونقول له أيضا: إذا قال الصبي والمجنون والنائم كلمة الكفر هل يكفرون؟ فإن قال: نعم، فقد خالف نص الحديث (رفع القلم عن ثلاثة: الصبي.. والمجنون.. والنائم) وإن قال: لا يكفـــرون فقـــد أقـــر باشتراط أهلية التكليف وانتفاء عوارضها

وهكذا بقية الشروط والموانع :

- فحمزة رضي الله عنه -قبل تحريم الخمر- سكر حتى ثمل ثم قال للنبي صلى الله عليـــه وآلـــه وسلم: هل أنتم إلا عبيدٌ لأبي؟! فتركه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لّما علم أنه ثملٌ كما في صحيح البخاري، وهذه الكلمة التي قالها حمزة كفر لولا وجود مانع السكر وعـــدم توفر الأهلية حينها

- وبعض الصحابة في خلافة عمر استحلوا الخمر متأولين في ذلك قوله تعالى: (ليس على اللذين آمنوا جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا..) الآية، واستحلالهم للخمر كفر لولا مانع التأول وعدم توفر الهوى
- وذاك الذي أمر أهله عند الاحتضار أن يحرقوه وقال: لئن قدر الله علي ليعذبني.. ثم إن الله غفر له لأنه فعل ذلك خوفا من الله، فشكّه في قدرة الله كفر لولا وجود مانع الجهل وعدم توفر العلم، قال ابن الوزير في إيثار الحق ص٣٩٤ : (**وهذا أرجى حديث لأهل الخطأ في التأويل**، ويُعضَد ما تقدم [من إعذار المتأول] بحديث: أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء)اه وقال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ج٣/ص٢٣١: (فهذا رجل شك في قدرة الله وفى إعادته إذا ذرى، بل اعتقد أنه لا يعاد وهذا كفر باتفاق المسلمين لكن كان جاهلا لا يعلم ذلك وكان مؤمنا يخاف الله أن يعاقبه فغفر له بذلك، **والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول أولى بالمغفرة من مثل هذا**)اه
- وذاك الرجل الذي قال بعدما وجد دابته الضالة: (اللهم أنت عبدي وأنا ربك)، أخطأ من شدة الفرح، فقوله هذا كفر لولا مانع الخطأ وعدم توفر العمد، وقد قال تعالى: (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم) وفي الحديث: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان...)
- وهكذا بقية الشروط والموانع، وهذه الأمثلة عند أهل السنة ولا شك أن عند غيرهم أمثلة مشابهة لها أو لبعضها

ويذكر أبو حامد الغزالي في رسالته فيصل التفرقة وهي ضمن مجموع رسائله ص٩١؛ **خمسة أمور يجب مراعاتها عند النظر في التكفير بمخالفة ظاهر النص:**

١-هل النص الشرعي الذي عدل به المخالف عن ظاهره يحتمل التأويل أم لا؟ فإن احتمل فهل هو قريب أم لا؟ ومعرفة ما يقبل التأويل وما لا يقبل ليس بالأمر الهين بل لا يستقل به إلا الحاذق الماهر في علم اللغة وأصولها وعادة العرب في الاستعمال

٢-هل النص الذي عدل عنه المخالف متواتر أم آحاد أم هو إجماع مجرد؟ وهل المتواتر على شرطه؟ فربما ظن المستفيض متواترا، كما أن إدراك الإجماع من أغمض الأشياء

٣-النظر في المخالف هل ثبت عنده الخبر أو هل بلغه الإجماع؟ فإن الإدراك لا يولد مع الشخص بل يحصل شيئا فشيئا

٤-النظر في الباعث له على المخالفة وهل هو على شرائط البرهان العلمي أم لا؟

٥-النظر في نفس المقالة هل يعظم ضررها في الدين أم لا؟ فما لا يعظم ضرره في الدين فالأمر فيه أسهل وإن كان القول شنيعا كقول الإمامية إن الإمام مختف في سرداب فهم ينتظرونه)اه

وقال ابن الوزير في إيثار الحق ص٣٩٥: (**ولكن من شرح بالكفر صدرا) يؤيد أن المتأولين غير كفار لأن صدورهم لم تنشرح بالكفر قطعا أو ظنا أو تجويزا أو احتمالا**، وقد يشهد لهم بذلك كلام أمير المؤمنين عليه السلام وهو الصادق المصدوق في المشهور عنه حيث سئل عن كفر الخوارج فقال: من الكفر فروا، **فكذلك جميع أهل التأويل من أهل الملة وإن وقعوا في أفحش البدع والجهل فقد علم منهم أن حالهم في ذلك هي حال الخوارج**)اه

وقال أيضا في إيثار الحق على الخلق ص٣٩٦: (وإذ قد فعلوا ذلك هنالك لما فيه من أدنى احتمال لعدم شرح الصدر من العامد المختار في كلمات الكفر كلها من غير إكراه ولا جهل لا خطأ ولا عذر أصلا؛ **فكيف بأهل التأويل الذين علم منهم السعي في تعميم شعائر الإسلام والأنبياء ومحبتهم ومحبة مناصرتهم والمرء مع من أحب وتحمل المشاق العظيمة لله تعالى والاحتجاج الطويل على مخالفي الإسلام...** وقد أجمعت الأمة على العمل بمقتضى النصوص في الإكراه والنسيان **فكذلك أخوهما وثالثهما وهو الخطأ أن شاء الله تعالى بل هو أكثر منهما ذكرا وشواهد** في الكتاب والسنة والبلوى به أشد والرخصة إنما تكون على قدر شدة البلوى)اه

وقال حسن البنا: (**لا تكفر مسلما أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاها وأدى الفرائض برأي رآه** أو بمعصية ارتكبها إلا إن أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلوما من الدين بالضرورة، أو كذب صريح القرآن أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة بحال، **أو عمل عملا لا يحتمل تأويلا غير الكفر**)اه من دستور الوحدة الثقافية لمحمد الغزالي ص٢٢٣

فإن قال قائل: يبطل عليكم القول بإعذار المتأول قول الله تعالى: (قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا **وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً**) فقد أخبر تعالى أن هؤلاء الضالين هم الأخسرون أعمالا مع أنهم يحسبون أنهم على الحق

فالجواب عن ذلك من وجوه:

١- أن الله تعالى قال بعد هذه الآية: (أولئك الذي كفروا بآيات ربهم ولقائه...) فدل على أن الآية في الكفار لا في المسلمين وقد قال ابن عمر عن الخوارج: **انطَلَقُوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين**) اه صحيح البخاري ٢٥٣٩/٦، وقال الضحاك: (لا تكونوا كأهل نهروان –يعني الخوارج- **تأولوا آيات من القرآن في أهل القبلة وإنما أنزلت في أهل الكتاب** جهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا الأموال وشهدوا علينا بالضلالة)اه تفسير البغوي ٣٣٤/١

٢- أن الصحابة والسلف قد حصل منهم الخطأ في التأويل ولو كان لا إعذار بالتأويل فيلزمنا تكفير كثير من الصحابة والسلف

٣- أن من يعترض بهذا الاعتراض يمكن أن يكون معتقدا لعقيدة باطلة وهو يظنها حقا فتصدق عليه الآية: (وهم يظنون أنهم يحسنون صنعا)

وفي ذلك يقول ابن حزم في الفصل رادا على هذا الاعتراض ١٤١/٣: (قال أبو محمد: وآخر هذه الآية مبطل لتأويلهم لأن الله عز وجل وصل قوله: يحسنون صنعاً بقوله: (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه...) **فهذا يبين أن أول الآية في الكفار المخالفين لديانة الإسلام جملة**

ثم نقول لهم: **لو نزلت هذه الآية في المتأولين من جملة أهل الإسلام كما تزعمون لدخل في جملتها كل متأول مخطئ في تأويل في فتيا، ويلزمه تكفير جميع الصحابة** رضي الله عنهم لأنهم قد اختلفوا، وبيقين ندري أن كل امرئ منهم قد يصيب ويخطئ، **بل يلزمه تكفير جميع الأمة لأنهم كلهم لا بد من أن يصيب كل امرئ منهم ويخطئ**

بل يلزمه تكفير نفسه لأنه لا بد لكل من تكلم في شيء من الديانة من أن يرجع عن قول قاله إلى قول آخر يتبين له أنه أصح)اه كلام ابن حزم

وقال ابن الوزير في إيثار الحق على الخلق ص٣٩٧: (وأما كفار التصريح [كاليهود والنصارى] فلا نسلم أن كفرهم خطأ لوجهين:

أحدهما: أن مرادنا بالخطأ هو خطأ مخصوص وهو الخطأ في تحري مراد الله تعالى ورسوله فيما ظاهره التعارض والتشابه وكفار التصريح تعمدوا تكذيب الله تعالى عن ذلك وتكذيب رسله و لم يقعوا في ذلك خطأ من غير اعتماد

وثانيها: أن الله تعالى قد أخبر رسله الكرام بعنادهم واستحقاقهم العداوة والعذاب العظيم ولو في أول مرة كما قال في ذلك: كما لم يؤمنوا به أول مرة)اه

وما ذكره ابن حزم من أن المراد بالآية الكفار قد ورد عن بعض الصحابة والتابعين ففي صحيح البخاري: (عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال سألت أبي عن هذه الآية: (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا) **أهم الحرورية؟ فقال: لا، هم أهل الكتاب** اليهود والنصارى، أما اليهود فكذبوا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا ليس فيها طعام ولا شراب، ولكن الحرورية (الذين ينقضون عهد الله)اه

وفي تفسير الطبري (ج ١٨ / ص ١٢٦): (عن أبي خميصة عبد الله بن قيس قال: سمعت عليّ بن أبي طالب يقول في هذه الآية (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأخْسَرِينَ أَعْمَالا): **هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع)اه**

وفي تفسير الطبري (ج ١٨ / ص ١٢٦): (قال بزيع: سأل رجل الضحاك عن هذه الآية: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا) **قال: هم القسيسون والرهبان**)اه

وفي المحرر الوجيز (ج٤/ص٣٤٤): ({الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً} قال سعد بن أبي وقاص: هم عباد اليهود والنصارى، وأهل الصوامع والديارات، وقال علي بن أبي طالب: هم الخوارج، وهذا إن صح عنه، فهو على جهة مثال فيمن ضل سعيه في الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن، وروي أن ابن الكواء سأله عن: {الأخسرين أعمالاً} فقال له: أنت وأصحابك، **ويضعف هذا كله قوله تعالى بعد ذلك: {أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه} وليس من هذه الطوائف من يكفر بلقاء الله**، وإنما هذه صفة مشركي عبدة الأوثان، فاتجه بهذا ما قلناه أولاً)اه

وفي أضواء البيان الشنقيطي (ج٣ /ص٤١٤): (**والتحقيق: أن الآية نازلة في الكفار الذين يعتقدون أن كفرهم صواب وحق، وأن فيه رضى ربهم**، كما قال عن عبدة الأوثان: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى الله زلفى} [الزمر: ٣]، وقال عنهم: {وَيَقُولُونَ هؤلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ الله}[يونس: ١٨]، وقال عن الرهبان الذين يتقربون إلى الله على غير شرع صحيح: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ تصلى نَاراً حَامِيَةً} [الغاشية: ٢-٤] الآية، على القول فيها بذلك. وقوله تعالى في الكفار: { إِنَّهُمُ اتخذوا الشياطين أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الله وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ } [الأعراف: ٣٠] وقوله: {وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السبيل وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ} [الزخرف: ٣٧] **والدليل على نزولها في الكفار تصريحه تعالى بذلك في قوله بعده يليه: {أولئك الذين كَفَرُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ}** [الكهف: ١٠٥] الآية.

فقول من قال: إنهم الكفار، وقول من قال: إنهم الرهبان، وقوله من قال: إنهم أهل الكتاب الكافرون بالنَّبي صلى الله عليه وآله وسلم كل ذلك تشمله هذه الآية)اه كلام الشنقيطي

بل حتى الكفار فيهم تفصيل فإن الله قد أخبرنا أنه لا يعذبهم حتى تقوم عليهم الحجة (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) والمشركون واليهود ومن إليهم إنما كذبوا الرسل عنادا وحسدا وحرصا على المصالح كما أخبر الله عنهم (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) (لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض)

فإن قيل: كيف الجمع بين ذلك وبين قوله تعالى السابق (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا)؟ فظاهر هذه الآية أنهم لم يعرفوا صدق المرسلين بينما الآيات السابقة على عكس ذلك

قيل: إن كونهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا هو من جهة محافظتهم على عادات الآباء والأجدا ، ومن جهة محافظتهم على وحدة صفهم، ومن جهة محافظتهم على مصالحهم وما إلى ذلك، فهم يحسبون أن المحافظة على هذا المكاسب –زعموا– من الصنع الحسن

فمن بلغته الدعوة من الكفار على وجهها فقد قامت عليه الحجة، ومن لم تبلغه الدعوة لم تقم عليه الحجة، وهل من بلغته الدعوة على غير وجهها كذلك؟ قال الإمام الغزالي في رسالته فيصل التفرقة ضمن مجموع رسائله ص٩٦: (بل أقول: إن أكثر نصارى الروم والترك في هذا الزمان تشملهم الرحمة إن شاء الله أعني الذين هو في أقاصي الروم والترك و لم تبلغهم الدعوة فإنهم ثلاثة أصناف:

- صنف لم يبلغهم اسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم أصلا فهم معذورون
- وصنف بلغهم اسمه ونعته وما ظهر عليه من المعجزات وهم المجاورون لبلاد الإسلام والمجاورون لهم وهم الكفار الملحدون
- وصنف ثالث بين الدرجتين بلغهم اسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم و لم يبلغهم نعته وصفته، بل سمعوا أيضا منذ الصبا أن كذابا ملبسا اسمه محمد ادعى النبوة، كما سمع صبياننا أن كذابا يقال له المقفع بعثه الله تحدى بالنبوة كذابا، **فهؤلاء عندي في أوصافهِ في معنى الصنف الأول فإنهم مع أنهم لم يسمعوا اسمه سمعوا ضد أوصـــافه وهذا لا يحرك داعية النظر في الطلب**)اه

بل ذهب القاضي البيضاوي إلى ما هو أبعد من ذلك حيث قال في طوالع الأنوار ص٢٢٣: **(ويرجى العفو للكافر البالغ في اجتهاده الطالب للهدى بفضله ولطفه)**اه

وكل ما ذكرناه في شأن التكفير: من الاحتياط فيه، والفرق بين التكفير العيني والوصفي، ولزوم توفر الشروط وانتفاء الموانع.. إلى غير ذلك مما ذكرناه؛ **يجري أيضا في مسألة التبديع** أو ما يسمى بفسق التأويل، فكم من أمورٍ حُكم عليها بالبدعة مع أنها ليست كذلك، وكم من أناس وقعوا في بعـــض البدع فحكم عليهم بالابتداع قبل توفر الشروط وانتفاء الموانع، ومن المعلوم أيضا أن التبديع العـــيني يترتب عليه أيضا أحكام كثيرة في الدنيا والآخرة لكنها دون أحكام التكفير قال ابن الوزير في إيثـــار الحق على الخلق ص٤١١: (ومنها ترجيح عدم التفسيق **بالمرجحات المتقدمة لعدم التكفير والحكــم فيها متقارب وان كان التكفير أخطر**)اه

الفرع الثالث : التكفير في مسائل العقائد

ما أكثر ما يحصل التكفير بسبب تفاريع مسائل العقائد مع دقتها وغموضها، وخصوصا في مسألة القرآن قال النووي في شرحه على صحيح مسلم ج٢/ص٥٠: (**المذهب الصحيح المختار الذي قاله الأكثرون والمحققون أن الخوارج لا يكفرون كسائر أهل البدع**)اه

وقد سئل التقي السبكي عن حكم تكفير غلاة المبتدعة، وأهل الأهواء، والمتفوهين بالكلام على الذات المقدسة **فقال: (اعلم أيها السائل أن كل من خاف من الله عز وجل استعظم القول بالتكفير لمن يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله**، إذ التكفير أمر هائل عظيم الخطر، لأن من كفر شخصاً بعينه، فكأنه أخبر أن عاقبته في الآخرة الخلود في النار أبد الآبدين، وأنه في الدنيا مباح الدم والمال، لا يمكن من نكاح مسلمة، ولا يجري عليه أحكام المسلمين لا في حياته، ولا بعد مماته، **والخطأ في ترك ألف كفر أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم امرئ مسلم**، وفي الحديث: " لأن يخطئ الإمام في العفو أحب إلي من أن يخطئ في العقوبة "

ثم إن تلك المسائل التي يفتي فيها بتكفير هؤلاء القوم في غاية الدقة والغموض، لكثرة شبهها، واختلاف قرائنها، وتفاوت دواعيها، والاستقصاء في معرفة الخطأ من سائر صنوف وجوهه، والاطلاع على حقائق التأويل، وشرائطه في الإمكان، ومعرفة الألفاظ المحتملة للتأويل وغير المحتملة، وذلك يستدعي معرفة جميع طرق أهل اللسان من سائر قبائل العرب في حقائقها، ومجازاتها، واستعاراتها، ومعرفة دقائق التوحيد، وغوامضه إلى غير ذلك مما هو متعذر جداً على أكابر علماء عصرنا، فضلاً عن غيرهم

وإذا كان الإنسان يعجز عن تحرير معتقده في عبارة، فكيف يحرر اعتقاد غيره من عبارته، فما بقي الحكم بالتكفير إلا لمن صرح بالكفر، واختاره ديناً، وجحد الشهادتين، وخرج عن دين الإسلام جملة، وهذا نادر وقوعه، **فالأدب الوقوف عن تكفير أهل الأهواء والبدع...)**اه من لواقح الأنوار للشعراني ص٢٣

وقال السبكي أيضا: (**ما دام الإنسان يعتقد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فتكفيره صعب**، وما يعرض في قلبه من بدعة إن لم تكن مضادة لذلك لا يكفر، وإن كانت مضادة له فإذا عرضت غفلته عنها واعتقادُه للشهادتين مستمرٌ فأرجو أن ذلك يكفيه في الإسلام وأكثر أهل الملة كذلك، ويكون كمسلم ارتد ثم أسلم إلا أن يقال ما كفر به لا بد في إسلامه من توبته عنه.

فهذا محل هذه العقائد التي يُكَفَّر بها أهل القبلة قد لا يعتقدها صاحبها إلا حين بحثه يوماً لشبهة تعرض له أو مجادلة لغيره وفي أكثر الأوقات يغفل عنها وهو ذاكر للشهادتين لا سيما عند الموت)اه المنثور من القواعد للزركشي ٣/٩٣

وقال ابن دقيق العيد في شرح عمدة الأحكام ٤/٧٦: (وقد اختلف الناس في التكفير وسببه حتى صُنف فيه مفرداً. والذي يقع النظر في هذا أن مآل المذهب هل هو مذهب أولاً ؟ فمن أكفر المبتدعة قال إن مآل المذهب مذهب فيقول المجسمة كفار لأنهم عبدوا جسماً فهم عابدون لغير الله ومن عبد غير الله كفر.. **والحق أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة إلا بإنكار متواتر من الشريعة عن صاحبها فإنه حينئذ يكون مكذبا للشرع. وليس مخالفة القواطع مأخذاً للتكفير وإنما مأخذه مخالفة السمعية القطعية طريقاً ودلالة)**اه

وقال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ١٢/١٨٠: (التكفير يختلف بحسب اختلاف حال الشخص **فليس كل مخطئ ولا مبتدع ولا جاهل ولا ضال يكون كافرا؛ بل ولا فاسقا بل ولا عاصيا لا سيما في مثل "مسألة القرآن"، وقد غلط فيها خلق من أئمة الطوائف المعروفين عند الناس بالعلم والدين)**اه

وقال في منهاج السنة النبوية [٥ /٢٣٩]: (**المتأول الذي قصده متابعة الرسول لا يكفر بل ولا يفسق إذا اجتهد فأخطأ وهذا مشهور** عند الناس في المسائل العملية

وأما مسائل العقائد فكثير من الناس كفر المخطئين فيها وهذا القول لا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا عن أحد من أئمة المسلمين، وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع الذين يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم كالخوارج والمعتزلة والجهمية ووقع ذلك في كثير من أتباع الأئمة كبعض أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم

وقد يسلكون في التكفير ذلك، فمنهم من يكفر أهل البدع مطلقا ثم يجعل كل من خرج عما هو عليه من أهل البدع، وهذا بعينه قول الخوارج والمعتزلة الجهمية، وهذا القول أيضا يوجد في طائفة من أصحاب الأئمة الأربعة وليس هو قول الأئمة الأربعة ولا غيرهم

وليس فيهم من كفر كل مبتدع بل المنقولات الصريحة عنهم تناقض ذلك، ولكن قد ينقل عن أحدهم أنه كفر من قال بعض الأقوال ويكون مقصوده أن هذا القول كفر ليحذر، ولا يلزم إذا كان القول كفرا أن يكفر كل من قاله مع الجهل والتأويل، فإن ثبوت الكفر في حق الشخص المعين كثبوت الوعيد في الآخرة في حقه وذلك له شروط وموانع)اه

وقبل ذلك قال أبو حامد الغزالي في رسالته فيصل التفرقة ضمن مجموع رسائله ص٧٧: (فطالب نفسك وصاحبك بحد الكفر **فإن زعم أن حد الكفر ما يخالف مذهب الأشعري أو مذهب المعتزلي أو مذهب الحنبلي أو غيرهم فاعلم أنه بليد قد قيده التقليد فهو أعمى من العميان** فلا تضيع بإصلاحه الزمان، وناهيك حجة في إفحامه مقابلة دعواه بدعوى خصومه إذ لا يجد بينه وبين سائر المقلدين المخالفين له فرقا وفصلا

ولعل صاحبه يميل عن سائر المذاهب إلى المذهب الأشعري ويزعم أن مخالفته في كل ورد وصدر كفر من الكفر الجلي، فاسأله من أين يثبت له أن يكون الحق وقفا عليه حتى قضى بكفر الباقلاني إذ خالفه في صفة البقاء لله تعالى وزعم أنه ليس هو وصفا لله تعالى زائدا على الذات؟ و لِمَ صار الباقلاني أولى بالكفر بمخالفة الأشعري من الأشعري بمخالفة الباقلاني؟

و لِمَ صار الحق وقفا على أحدهما دون الثاني؟ أكان ذلك لأجل السبق في الزمان؟ فقد سبق الأشعريَّ غيرُه من المعتزلة فليكن الحق للسابق عليه، أم لأجل التفاوت في الفضل والعلم؟ فبأي ميزان ومكيال قدر درجات الفضل حتى بانَ له أن لا أفضل في الوجود من متبوعه ومقلَدِه؟

فإن رخص للباقلاني في مخالفته فلم حجر على غيره؟ وما الفرق بين الباقلاني والكرابيسي والقلانسي وغيرهم؟ وما مدرك التخصيص بهذه الرخصة؟

وإن زعم أن خلاف الباقلاني راجع إلى اللفظ لا تحقيق وراءه كما تعسف بتكلفه بعض المتعصبين زاعما أنهما جميعا متوافقان على دوام الوجود والخلاف في أن ذلك يرجع إلى الذات أو إلى وصف زائد عليه خلاف قريب لا يوجب التشديد، **فما باله يشدد القول على المعتزلي في نفيه الصفات وهو معترف بأن الله تعالى عالم محيط بجميع المعلومات قادر على جميع الممكنات**، وإنما يخالف الأشعري في أنه عالم وقادر بالذات أو بصفة زائدة فما الفرق بين الخلافين وأي مطلب أجل وأخطر من صفات الله في النظر في نفيها وإثباتها؟

فإن قال: إنما أكفر المعتزلي لأنه يزعم أن الذات الواحدة تصدر منها فائدة العلم والقدرة والحياة وهذه صفات مختلفة في الحد والحقيقة، والحقائق المختلفة يستحيل أن توصف بالاتحاد أو تقوم مقامها الذات الواحدة، **فما باله لا يستبعد من الأشعري قوله: إن الكلام صفة زائدة قائمة بذات الله** ومع كونه واحدا هو توراة وأنجيل وزبور وقرآن وهو أمر ونهي وخبر واستخبار؟ وهذه حقائق مختلفة، كيف لا وحد الخبر ما يتطرق إليه التصديق والتكذيب ولا يتطرق ذلك إلى الأمر والنهي؟، فكيف تكون حقيقة واحدة يتطرق إليها التصديق والتكذيب ولا يتطرق؟**!** فيجتمع النفي والإثبات على شيء واحد

فإن تخبط في جواب هذا أو عجز عن كشف الغطاء فيه فاعلم أنه ليس من أهل النظر وإنما هو مقلد وشرط المقلد أن يسكت ويسكت عنه لأنه قاصر عن سلوك طريق الحجاج ولو كان أهلا له كان مستتبعا لا تابعا وإماما لا مأموما فإن خاض المقلد في المحاجة فذلك منه فضول والمشتغل به صار كضارب في حديد بارد وطالب لصلاح الفاسد، وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر؟

ولعلك إن أنصفت علمت أن من جعل الحق وقفا على واحد من النظار بعينه فهو إلى الكفر والتناقض أقرب، أما الكفر فلأنه نزله مترلة النبي المعصوم من الزلل الذي لا يثبت الإيمان إلا بموافقته ولا يلزم الكفر إلا بمخالفته

وأما التناقض فهو أن كل واحد من النظار يوجب النظر، وألا ترى في نظرك إلا ما رأيتُ وكل ما رأيتُه حجة، وأي فرق بين من يقول قلدني في مجرد مذهبي وبين من يقول قلدني في مذهبي ودليلي جميعا وهل هذا إلا التناقض؟!)اه

وقد كان دأب المحققين من أهل العلم في مسائل العقائد هو الفرار من التكفير ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ١٩/٢٠٧: (وكان أبو حنيفة والشافعي وغيرهما **يقبلون شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية ويصححون الصلاة خلفهم والكافر لا تقبل شهادته على المسلمين ولا يصلى خلفه** [فلو كانوا كفارا ما قبلوا شهادتهم ولا صلوا خلفهم]

وقالوا: هذا هو القول **المعروف عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان** وأئمة الدين **أنهم لا يكفرون ولا يفسقون ولا يؤثمون أحدا من المجتهدين المخطئين لا في مسألة عملية ولا علمية**)اه

وقال أيضا ١٩/١١٢: (**وأهل السنة لا يبتدعون قولا ولا يكفرون من اجتهد فاخطأ وإن كان مخالفا لهم مستحلا لدمائهم كما لم تكفر الصحابة الخوارج** مع تكفيرهم لعثمان وعلي ومن والاهما واستحلالهم لدماء المسلمين المخالفين لهم)اه

وكان على هذا أيضا أبو الحسن الأشعري، قال الذهبي في سير النبلاء ١٥/٨٨: (رأيت للأشعري كلمة أعجبتني وهي ثابتة رواها البيهقي [قال]: سمعت أبا حازم العبدوي سمعت زاهر بن أحمد السرخسي يقول: لما قرب حضور أجل أبي الحسن الأشعري في داري ببغداد دعاني فأتيته فقال: **اشهد علي أني لا أكفر أحدا من أهل القبلة لأن الكل يشيرون إلى معبود واحد وإنما هذا كله اختلاف العبارات**)اه

وعلى هذا أيضا الذهبي حيث قال عقب حكاية كلام الأشعري: (قلت: **وبنحو هذا أدين، وكذا كان شيخنا ابن تيمية في أواخر أيامه يقول: أنا لا أكفر أحدا من الأمة**)اه

وقال ابن الوزير اليماني في إيثار الحق ص١٩: (**وأعجب من كل عجيب تكفير بعضهم لبعض بسبب الاختلاف في هذه المحارات الخالية من ذلك كله**، وقد قال الله تعالى بعد الأمر بوفاء الكيل والوزن: (لا نكلف نفسا إلا وسعها) مع وضوح الوفاء فيهما وإمكان الاحتياط، فكيف حيث يدق ويتعذر فيه الاحتياط؟!)اه

وفي أحكام القرآن لابن العربي ٢/٣٣٦: (**مذهب شيخ السنة، وإليه صغى القاضي في أشهر قوليهما أن الكفر يختص بالجاحد، والمتأول ليس بكافر**)اه

وقال النبهاني في مطلع كتابه شواهد الحق: (**اعلم أني لا أعتقد ولا أقول بتكفير أحد من أهل القبلة، لا الوهابية ولا غيرهم وكلهم مسلمون تجمعهم مع سائر المسلمين كلمة التوحيد والإيمان بسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به من دين الإسلام**)اه

وعدم التكفير لمانع التأول ليس هو عند أهل السنة فحسب، بل حتى عند الشيعة فهذا المرتضى (الزيدي) يقول في البحر الزخار ٨٩/١: (مسألة) **ويوصف المتأول بأنه من الأمة ومن أهل القبلة والصلاة**، وقيل: لا !!!. قلنا: الأمة وأهل القبلة من صدّقهُ صلى الله عليه وآله وسلم **وهو [أي المتأول] مصدّقٌ**)اه

وهذا الطوسي الإمامي يقول: (فإن قيل: لو كان الإمام منصوصا عليه لكان دافعه ضالا مخطئا. وفيه تضليل أكثر الأمة ونسبتهم إلى معاندة الرسول واطراح أمره، وذلك منفي عن الصحابة

قلنا: لا نقول إن جميع الصحابة دفعوا النص مع علمهم بذلك وإنما كانوا طبقات: منهم من دفعه حسدا وطلبا للأمر **ومنهم دخلت عليه الشبهة فظن أن الذين دفعوه لا يدفعونه إلا بعهد من رسول الله وأمر عرفوه أو أنه لما روي لهم (الأئمة من قريش) ظنوا أن الأخذ باللفظ العام أولى من الخاص فتركوا الخاص وعملوا بالعام وبقي قوم على الحق فلا يجب في ذلك نسبة الأكثر إلى الضلال**) اه الاقتصاد ص٣٣٨

فما هو الكفر في الاعتقاد إذن ؟

قد أكثر العلماء في تحديد ماهية الكفر في الاعتقاد بين مُفرِط ومفرّط ومتوسط، وقد اتفقت المذاهب الإسلامية جميعها على أن (إنكار ما علم من الدين بالضرورة من أمور العقائد يعد كفرا) وليس من مذهب إلا ويذكر هذا الضابط، قال ابن حجر في نُزْهَةِ النَّظَر (ج١/ص٢٦): (والتحقيق أنه لا يرد كل مكفر ببدعته؛ لأن كل طائفة تدعي أن مخالفيها مبتدعة، **وقد تبالغ فتكفر مخالفها، فلو أخذ ذلك على الإطلاق؛ لاستلزم تكفير جميع الطوائف**، فالمعتمد أن الذي ترد روايته من أنكر أمرا متواترا من الشرع، معلوما من الدين بالضرورة، وكذا من اعتقد عكسه)اه، وأقوال أهل المذاهب الأربعة في ذلك مستفيضة وكثيرة لا داعي لذكرها لشهرتها وكثرتها

وقد ذكر هذا الضابط أيضا الإمامية، فانظر الحلي في شرائع الإسلام ٢/١ ، والعاملي في شرح اللمعة (٩/ باب حد الشرب–مستحل الخمر)، وكذا ذكره الزيدية، فانظر المرتضى في البحر الزخار ٩١،٩٠/١ و١٤٧/٢، وكذا ذكره الإباضية، فانظر أطفيش في شرح النيل وشفاء العليل ٤٢/١٧.

ولكن هذا الضابط عائمٌ مجملٌ وكل طائفة عندما تكفر غيرها تزعم أن الأخرى أنكرت ما هو معلوم من الدين بالضرورة فلا بد إذن من ضابط هو أكثر دقة. وأجدني هنا مضطرا لذكر ما حكاه يوسف البحراني عن طائفة من متأخري الإمامية من أن المعلوم بالضرورة قسمان:

الأول: ما علم من الدين بالضرورة

والثاني: ما علم من المذهب بالضرورة، وأن الكفر إنما يكون بإنكار ما علم من الدين بالضـــرورة لا من علم من المذهب بالضرورة، قال البحراني: (**اعلم أنه قد اشتهر بين جملة من متأخري أصـــحابنا تقسيم الضروري إلى: ضروري المذهب وضروري الدين، ومرادهم بضروري الدين هو ما أجمعت عليه الأمة كالصلاة والزكاة والحج ونحوها، وضروري المذهب هو ما اختصت ضروريته بأهـــل مذهب مخصوص** من تلك الأمة كتحريم المسح على الخفين وتحليل المتعتين ونحوها مما علم ضــــرورته من مذهب أهل البيت خاصة

قالوا: **والكفر إنما يلزم إنكار الأول دون الثاني، ومسألة الإمامة إنما هي من قبيل الثاني دون الأول فإنكارها لا يستلزم الكفر**، وقد استند جماعة ممن عاصرناهم عند وقوع البحث بيننـــا وبينـــهم إلى ذلك)اه الشهاب الثاقب في معنى النصب والنواصب ص٨٤ بواسطة (الإمامة والتقريب) للـــدكتور وميض العمري

وهذا الكلام جميل وليت البحراني أخذ بهذا التقسيم ولكنه رفضه وزعم أن الروايات عن الأئمـــة مستفيضة بتكفير مخالفيهم وحل دمائهم وأموالهم!، عند الأمن على النفس والمال والإخوان مـــن الضرر كما في ص٢٥٧ من نفس الكتاب (الشهاب الثاقب)، وذكر أن ذلك هـــو أيضـــا رأي شيخه أبي الحسن البحراني كما في ص٢٤١ من نفس الكتاب

وأحسن من رأيته تكلم في ضابط التكفير في العقائد وغيرها هو أبو حامد الغزالي في رسالته فيصـــل التفرقة ضمن رسائله ص٧٨-٨٤ حيث قال: (**الكفر هو تكذيب الرسول صلى الله عليـــه وآلـــه وسلم في شيء مما جاء به والإيمان هو تصديقه بكل ما جاء به**، فاليهودي والنصراني والبرهمي كفار لتكذيبهم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم...

وهذا لأن الكفر حكم شرعي إذ معناه إباحة الدم والخلود في النار، ومدركه شرعي لا عقلي وقـــد جاء النص في اليهود والنصارى ويقاس عليهم كل من كذب الرسول كالبراهمة

وكل فرقة تكفر مخالفها وتنسبه إلى تكذيب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فالحنبلي يكفـــر الأشعري زاعما أنه كذب الرسول في إثبات الفوق لله تعالى وفي الاستواء على العرش، **والأشـــعري يكفر الحنبلي** زاعما أنه مشبه وأنه كذب الرسول في أنه تعالى ليس كمثله شيء، **والأشعري يكفـــر**

المعتزلي زاعما أنه كذب الرسول في جواز رؤية الله تعالى وفي إثبات العلم والقدرة والصــفات لــه، **والمعتزلي يكفر الأشعري** زاعما أن إثبات الصفات تكذيب للرسول في التوحيد

ولا ينجيك من هذه الورطة إلا أن تعرف حد التكذيب والتصديق وحقيقتهما فينكشف لك غلو هذه الفِرَق وإسرافها في تكفير بعضها بعضا

فحقيقة التصديق: الاعتراف بوجود ما أخبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بوجــوده، إلا أن للوجود خمس مراتب **ولأجل الغفلة عنها نسبت كل فرقة مخالفها إلى التكذيب، فإن الوجود: ذاتي وحسي وخيالي وعقلي وشبهي**، فمن اعترف بوجود ما أخبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن وجوده بوجه من هذه الوجوه الخمسة فليس بمكذب على الإطلاق)اه كلام الغزالي

ثم ضرب أمثلة لكل وجود من الخمسة:

- **فالوجود الذاتي:** ما يثبت حقيقة خارج الحــس والخيــال كالســماء والأرض والحيــوان والنبات... إلخ

- **والوجود الحسي:** ما يرى بالحاسة دون أن يكون له وجود كالذي يراه النائم وكالذي يراه المهلوس... إلخ وسمي حسي لأنه موجود في حس الشخص ولا وجود له في الخارج

- **والوجود الخيالي:** ما يجده الشخص في مخيلته من صورة لإنسان أو فرس أو فيل... إلخ

- **والوجود العقلي:** أن يدرك العقل روح الأمر ومعناه دون صورته فاليد يدرك منها الحــسُ الصورةَ ويدرك منها العقلُ المعنى وهو القدرة على البطش

- **والوجود الشبهي:** ألا يكون للشيء وجود لا في الحقيقة ولا في الحس ولا في الخيال ولا في العقل ولكن الموجود شيء آخر يشبهه في صفة من صفاته

ثم ضرب لذلك أمثلة من العقيدة:

- **فالوجود الذاتي:** كأخبار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالعرش والكرسي والسماوات

- **والوجود الحسي:** كحديث: (يذبح الموت على صورة كبش أملح بين الجنة والنار) عند من يقول أن الأعراض لا يمكن أن تنقلب أجساما، ومثاله أيضا حديث (عرضت الجنة والنــار علــي في عرض هذا الجدار) عند من يقول الأجسام لا تتداخل وأن الصغير منها لا يسع الكبير

- **والوجود الخيالي:** كحديث: (كأني أنظر إلى يونس عليه عباءتان قطوانيتان يلــبي وتجيبــه الجبال)

- **والوجود العقلي:** كمن تأول حديث: (يعطى أقل أهل الجنة كالدنيا عشر مرات) بأن المراد عشر مرات في القدر لا في المساحة وأن التفاوت عقلي لا حسي ولا خيالي كما يقال: هذه الجوهرة أضعاف الفرس أي في روح المالية، وكمن تأول حديث: (خمر الله طينة آدم بيده أربعين صباحا) فمن

قام عنده البرهان على استحالة اليد الجارحة المتخيلة والمحسوسة على الله قال: المراد باليد حقيقتها وروحها وهو البطش والفعل

- **والوجود الشبهي:** كالنصوص التي فيها إثبات الغضب والفرح والصبر والشوق ونحوها، فمثلا الغضب حقيقته غليان الدم لإرادة التشفي ولا ينفك من نقصان وألم، فمن قام عنده البرهان على انتفاء ذلك عن الله قال: ليس الغضب حسيا ولا خياليا وعلا عقليا بل المراد إرادة العقاب، والإرادة لا تناسب الغضب في حقيقته ولكن في صفة من صفاته وأثر من الآثار وهو الإيلام

ثم قال رحمه الله: (فمن نزل قولا من أقوال الشرع على درجة من هذه الدرجات فهو من المصدقين وإنما التكذيب أن ينفي جميع هذه المعاني ويزعم أن ما قاله كذب محض لغرض التلبيس أو مصحلة الدنيا وهذا هو الكفر المحض

ولا يلزم كفر المتأولين ما داموا ملتزمين قانون التأويل، وكيف يلزم الكفر بالتأويل وما من فريق من أهل الإسلام إلا وهو مضطر إليه؟ فأبعد الناس عن التأويل أحمد رحمه الله، وأبعد التأويلات والمجازات هو الوجود الشبهي والعقلي، والحنبلي مضطر إليه وقائل به وقد قال بعض الحنابلة إن أحمد صرح بتأويل ثلاثة أحاديث:

- حديث : الحجر الأسود يمين الله في الأرض
- وحديث : قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن
- وحديث : إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن

فاليمين تقبل عادة تقربا لصاحبها والحجر يقبل تقربا إلى الله فهو مثل اليمين لا في ذاته ولا في صفات ذاته بل في عارض وهذا هو الوجود الشبهي وهو أبعد وجوه التأويل فانظر كيف اضطر إليه أبعد الناس عن التأويل

وإنما أول أحمد هذه الأحاديث لقيام البرهان عنده على استحالة الظاهر في هذا القدر، وقد قام البرهان عند الأشعرية على أكثر من ذلك بقليل، وقام البرهان عند المعتزلة على أكثر من ذلك بكثير) اه

وعن الغزالي أخذ ابن الوزير حيث قال في إيثار الحق على الخلق ص٣٧٦: **(واعلم أن أصل الكفر هو التكذيب المتعمد لشيء من كتب الله تعالى المعلومة أو لأحد من رسله عليهم السلام أو لشيء مما جاؤوا به إذا كان ذلك الأمر المكذب به معلوما بالضرورة من الدين**

ولا خلاف أن هذا القدر كفر ومن صدر عنه فهو كافر إذا كان مكلفا مختارا غير مختل العقل ولا مكره، وكذلك لا خلاف في كفر من جحد ذلك المعلوم بالضرورة للجميع وتستر باسم التأويل فيما

لا يمكن تأويله كالملاحدة في تأويل جميع الأسماء الحسنى بل جميع القرآن والشرائع والمعاد الأخروي من البعث والقيامة والجنة والنار

وإنما يقع الإشكال في تكفير من قام بأركان الإسلام الخمسة المنصوص على إسلام من قام بها **إذا خالف المعلوم ضرورة للبعض أو للأكثر لا المعلوم له وتأويله، وعلمنا من قرائن أحواله أنه ما قصد التكذيب أو التبس ذلك علينا في حقه وأظهر التدين والتصديق بجميع الأنبياء والكتب الربانية** مع الخطأ الفاحش في الاعتقاد ومضادة الأدلة الجلية عقلا وسمعا ولكن لم يبلغ مرتبة الزنادقة المقدمة وهؤلاء كالمجبرة الخلص المعروفين بالجهمية عند المحققين وكذلك المجسمة المشبهة**...**)اه

ثم ذكر ابن الوزير ثلاثة عشر وجها في الاحتجاج على عدم تكفير المتأول من المسلمين

الفرع الخامس : نماذج من الإسراف في التكفير

المسألة الأولى : نماذج في الأشخاص

ولنذكر بعض الحوادث التاريخية في الأشخاص والتي تجلي لنا الإسراف في التكفير العيني وما أشبه الليلة بالبارحة والتاريخ يعيد نفسه:

بعض العلماء في مصر

في لواقح الأنوار للشعراني ص٢٤: (وقد أخبرني شيخنا الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري بمصر المحروسة **أن شخصاً وقع في عبارة موهمة للتكفير، فأفتى علماء مصر بتكفيره**

فلما أرادوا قتله قال السلطان جقمق: هل بقي أحد من العلماء لم يحضر؟ فقالوا: نعم، الشيخ جلال الدين المحلي شارح المنهاج، فأرسل وراءه فحضر، فوجد الرجل في الحديد بين السلطان فقال الشيخ: ما لهذا؟ فقالوا: كفر، فقال: ما مستند من أفتى بتكفيره؟، فبادر الشيخ صالح البلقيني، وقال: قد أفتى والدي شيخ الإسلام الشيخ سراج الدين في مثل ذلك بالتكفير

فقال الشيخ جلال الدين رضي الله عنه: **يا ولدي أتريد أن تقتل رجلاً مسلماً موحداً يحب الله ورسوله بفتوى أبيك؟! خلوا عنه الحديد**، فجردوه وأخذه الشيخ جلال الدين بيده وخرج والسلطان ينظر فما تجرأ أحد يتبعه رضي الله تعالى عنه)اه

ومن أين لنا مثل الجلال المحلي في كل زمان، وهنا يتجلى لك صدق موقف الفضيل بن عياض من بعض العلماء في زمانه، ففي قوت القلوب ٤٧٢/١: (كان الفضيل رحمه اللّه يحذّر من قرّاء زمانه فقال: **إياك وصحبة هؤلاء القرّاء فإنك إن خالفتهم في شيء كفروك**)اه

وفي كتاب مناقب الأبرار للموصلي: (كان الفضيل ابن عياض يقول: **إياك ومجالسة القراء فإنهم إن أحبوك وصفوك بما ليس فيك فغطوا عليك عيوبك، وإن أبغضوك جرحوك بما ليس فيك وقبلـه الناس منهم**) اه لواقح الأنوار ص١٣، ولكن لا ينبغي أخذ هذا الكلام على إطلاقه

القاضي عياض والغزالي

وقد أفتى بعض العلماء المغاربة **بتكفير أبي حامد الغزالي وأحرقوا كتابه الإحياء**، وقيل إنه كان من جملة من أنكر على الغزالي وأفتى بتحريق كتابه **القاضي عياض** وابن رشد) اه لواقع الأنوار ص٣٠
ومن العجب ما قيل: **من أن المهدي أمر بقتل القاضي عياض بعد أن ادعى عليه أهل بلـده بأنـه يهودي، لأنه كان لا يخرج يوم السبت لكونه كان يصنف في كتاب الشفاء يوم السـبت فقتلـه المهدي**)اه لواقع الأنور ص٣٠

العز بن عبد السلام وابن بنت الأعز

وعقدوا لعز الدين بن عبد السلام مجلساً في كلمة قالها في العقائد **وحرضوا السلطان عليه، ثم حصل له اللطف**، وحسدوا شيخ الإسلام تقي الدين ابن بنت الأعز، **وزوروا عليه كلاماً للسلطان فرسم بشنقه، ثم تداركه اللطف**)اه لواقح الأنوار ص٣٠

التقي السبكي

وشهدوا على السبكي بالكفر مراراً مع تمام علمه، وكثرة مجاهداته، واتباعه للسنة إلى حين وفاته، حتى إن من كان يحبه شهد عليه بالجنون طريقاً لخلاصه!!، فأدخلوه البيمارستان!!، وقال فيه أبـو الحسن الخوارزمي أحد مشايخ بغداد: إن لم يكن لله جهنم فإنه يخلق جهنما بسـبب السـبكي، أي يخلقها الله للذين آذوه وأنكروا عليه وكفروه بالباطل، هذا معنى قول أبي الحسن بدليل قوله عقـب ذلك : وإن لم يدخل السبكي الجنة فمن يدخلها ؟!) اه لواقح الأنوار ص٢٨

أبو الوليد الباجي

لقد كان أبو الوليد الباجي يقول: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد انتفت عنه الأمية في آخـر عمره، واستدل على ذلك بأحاديث ومنها حديث صلح الحديبية، والباجي لم ينفرد بهذا بل قد قـال بقوله هذا طائفة من الأئمة ممن قبله وممن بعده، لكن مع ذلك فقد حُكم على الباجي من قبل بعض

العلماء بالكفر والزندقة وطعنوا فيه وسبوه على المنابر، قال ابن حجر في لسان الميزان ج٣/ص٢٩٨:

(... فأنكر عبد الله بن سهل وغيره على الباجي وكفروه وبدعوه، فادى ذلك أصحاب الباجي إلى القول في بن سهل والإكثار عليه)اه

وفي فتح الباري ج٧/ص٥٠٣: (أبو الوليد الباجي ادعى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتب بيده بعد أن لم يكن يحسن يكتب **فشنع عليه علماء الأندلس في زمانه ورموه بالزندقة وأن الذي قاله مخالف القرآن حتى قال قائلهم:**

برئتُ ممن شرى دنيا بآخرة * وقال إن رسول الله قد كتبا

فجمعهم الأمير فاستظهر الباجي عليهم بما لديه من المعرفة)اه

وقال الآلوسي في روح المعاني ج٢١/ص٥: (**ولما قال أبو الوليد ذلك طعن فيه ورمى بالزندقة وسب على المنابر ثم عقد له مجلس فأقام الحجة على ما ادعاه وكتب به إلى علماء الأطراف فأجابوا بما يوافقه)اه**

البقاعي وبعض قضاة المالكية

قال الشوكاني في البدر الطالع في ترجمة البقاعي ج١/ص٢١: (وقد كان رام [القاضي] المالكي الحكم بكفره وإراقة دمه حتى ترامى المترجم له على القاضي الزيني بن مزهر فعذره وحكم بإسلامه **وقد امتحن الله أهل تلك الديار بقضاة من المالكية يتجرّون على سفك الدماء بما لا يحل به أدنى تعزير فأراقوا دماء جماعة من أهل العلم** جهالة وضلالة وجرأة على الله ومخالفة لشريعة رسول الله وتلاعبا بدينه بمجرد نصوص فقهية واستنباطات فروعية ليس عليها أثارة من علم، فانا لله وإنا إليه راجعون)اه

التكفير في القرن الثامن

قال القاسمي: (**لم يشتد الرمي بالتكفير والإرهاق لأجله والإرجاف به في عصر من العصور مثل القرن الثامن الهجري** ومن سبر الدرر الكامنة أخذ من ذلك المقيم المقعد، إذ يرى أن العالم الجليل الذي هو زينة عصره وتاج دهره كان لا يأمن على نفسه من الإفك عليه والسعاية به فيما يكفره ويحل دمه

حتى صار يخشى عن نفسه من أخذت منه السن وأقعده الهرم وأفلجته الشيخوخة ولا من راحم ولا منصف كما تقرأ ذلك في ترجمة العطار تلميذ النووي، فمع زمانته وكونه صار حلس بيته **يتأبط دائما وثيقة أحد القضاة بصحة إيمانه وبراءته من كل من يكفره**

وقد أريقت دماء محرمة وعذبت أبرياء بالسجون والنفي والإهانات باسم الدين وروعت شيوخ وشبان أعواما وسنين حتى عج لسان حالها وقالها بالدعاء إلى فاطر الأرض والسماوات بكشف هذه الغمم والظلمات...)اه مجلة المنار١٦/١/٣٠

هذه النماذج وأمثالها هي التي دعت الشيخ محمد عبده لأن يقول: **(ما زال علماء المسلمين يكفر بعضهم بعضا حتى لم يبق مكان في الجنة لمسلم إذا صدق هؤلاء العلماء!!!)**اه

المسألة الثانية : نماذج في الطوائف

النموذج الأول : المعتزلة

في حاشية ابن عابدين (ج٦/ص٢٩٨): (في القنية: (عن أبي علي [الجبائي]: **أنه تحل ذبيحة المجبرة إن كان آباؤهم مجبرة فإنهم كأهل الذمة!!!، وإن كان آباؤهم من أهل العدل لم تحل لأنهم بمنزلة المرتدين!!!)** ومراده بأبي علي؛ الجبائي رئيس أهل الاعتزال، وبالمجبرة أهل السنة والجماعة فإنهم يسمون أهل السنة بذلك، والمراد بأهل العدل أنفسهم كما علم ذلك في علم الكلام)اه

و لم أستطع أن أقف على كلام أبي علي الجبائي من كتبه أو كتب المعتزلة فالله أعلم هل هذا هو نص كلامه أم لا؟

وفي المقابل يوجد الاحتياط عند بعض المعتزلة قال ابن الوزير في إيثار الحق على الخلق ص٣٦٦: (قال الشيخ مختار المعتزلي في كتابه (المجتبى) في الكلام في التكفير في المسألة السابعة ما لفظه: **لم تكفّر شيوخنا المرجئة لأنهم يوافقوهم في جميع قواعد الإسلام**، لكنهم [أي المرجئة عندهم] قالوا: عنى الله بآيات الوعيد الكفرة دون بعض الفسقة أو التخويف دون التحقيق، وإن ذلك ليس بكفر)اه**.** وذكر نحو ذلك الحاكم في شرح العيون وذكره نحوه القاضي عبد الله بن حسن الدواري في تعليقه على الخلاصة)اه كلام ابن الوزير

النموذج الثاني : الزيدية

بعض الزيدية يحكم على المجبرة بالكفر وأن دارهم دار حرب، وقد علمت فيما سبق أنهم يقصدون بالمجبرة أهل الحديث والأشعرية، ففي مجموع رسائل الهادي ص٦٢٠: (سئل عن الذبائح المحرمة فقال: **يحرم من الذبائح ست: ذبيحة اليهودي... والنصراني والمجوسي وذبيحة المجبر... وذبيحة المشبه وذبيحة المرجئ**)اه

وقال عبد الله بن حمزة كما في مجموع رسائله ص١٠٨: **(وإما حكايتنا عن القاسم والهادي والناصر بأن دار المجبرة والمشبهة دار حرب!!! فهي من أجلى الحكايات وأوضح الروايات)**اه

ثم قال ص١٠٩: (ولا يختلفون في أن هذا هو رأي الأئمة الثلاثة عليهم السلام **في المجبرة القدرية والمشبهة الجبرية ويغزوهم ليلا ونهارا ويختطفون ذراريهم سرا وجهارا ويبيعونهم في أسواق المسلمين ظاهرا!!!**)اه

وذكر الأكوع في كتابه هجر العلم ومعاقله في اليمن ٢/٧٥٠ : أن بعض أئمة الزيدية ألف كتابا سماه (إرشاد السامع إلى جواز أخذ مال الشوافع) وأنه قال فيه: **(إنني أخشى أن يسألني الله عما أبقيت في أيدي الشافعية من الأموال)**اه

وهذا نموذج أخر من الزيدية

بعض الزيدية يجعل المتأول في مسائل العقيدة كالمرتد قال صاحب الأزهار –المتن الزيدي المشهور-:

(والمتأول كالمرتد)اه

وقد علق الشوكاني على ذلك في السيل الجرار ج٤/ص٥٨٤ بكلام نفيس فقال: (أقول: **ها هنا تسكب العبرات ويناح على الإسلام وأهله بما جناه التعصب في الدين على غالب المسلمين من الترامي بالكفر** لا لسنةٍ ولا لقرآن ولا لبيان من الله ولا لبرهان، بل لما غلت مراجل العصبية في الدين **وتمكن الشيطان الرجيم من تفريق كلمة المسلمين لقنهم إلزامات بعضهم لبعض بما هو شبيه الهباء في الهواء والسراب بالبقيعة، فيا لله وللمسلمين من هذه الفاقرة** التي هي من أعظم فواقر الدين والرزية التي ما رزئ بمثلها سبيل المؤمنين)اه

وقال صاحب الأزهار أيضا: (فصل: ودار الإسلام ما ظهرت فيه الشهادتان والصلاة و لم تظهر **فيها خصلة كفرية ولو تأويلا**)اه

وقد علق الشوكاني في السيل الجرار ج٤/ص٥٧٦ على ذلك بكلام نفيس أيضا فقال: (وأما قوله (ولو تأويلا) فباطل من القول وخطل من الرأي، فإن هذه المسائل التي اختلف فيها أهل الإسلام وكفر بعضهم بعضا تعصبا وجرأة على الدين وتأثيرا للأهوية؛ **لو كان ظهورها في الدار مقتضيا**

لكونها دار الكفر لكانت الديار الإسلامية بأسرها ديار كفر فإنها لا تخلوا مدينة من المـــدائن ولا قرية من القرى من ذاهب إلى ما تذهب إليه الأشعرية أو المعتزلة أو الماتريدية وقد اعتقدت كـــل طائفة من هذه الطوائف ما هو كفر تأويل عند الطائفة الأخرى، وكفاك من شرٍ سماعُه

والحق أنه لا كفر تأويل أصلا وليس هذا موضع البسط لهذه المسألة فخذها كلية تنج بها من موبقات لا تحصى ومهلكات لا تحصر)اه

و لم يقتصر الزيدية في ذلك على أهل السنة بل نال الإمامية منهم نصيب مع أنهم من الشـــيعة، قـــال القاسم الرسي كما في مجموع رسائله ص٩٤: (وما قالت به الرافضة من هذا فقد تعلم أن كثيرا منهم لم يقصد فيه لما قصد، أو يعتقد بالله في قوله به ما اعتقد، **ألا وكل ما قالوا به في الله أشرك الشرك بالله، فنعوذ بالله من الشرك في ربوبيته والجهل بما تفرد به من وحدانيته...** وما قالت به الرافضة من الأوصياء من هذه المقالة **فهو قول فرقةٍ كافرة من أهل الهند يقال لهم البراهمة)**اه

لكن في المقابل فهناك من الزيدية من يحتاط في التكفير وينكر على من يتعجل في ذلك فهذا يحي بن حمزة يقول -في معرض الكلام على الذين يكفرون من لم يقدم عليا رضي الله عنـــه في الخلافـــة-: **(التكفير والتفسيق لا يكون إلا بدلالة قطعية والإجماع منعقد على ذلك** وهاهنا لم يقـــم البرهـــان الشرعي إلا على الخطأ في النظر في هذه النصوص دون أمر زائد على ذلك من كفر أو فســـق، وإذا كان الأمر كذلك **فالتكفير والتفسيق من غير بينة يكون جهلا وجرأة على الله وإقداما على الخطر بغير بصيرة**

ولا شك أن التكفير والتفسيق من أعظم الأحكام فإذا لم تكن فيهما دلالة قاطعة ولا برهان نير وجب التوقف **فأما من ليس له ورع يحجزه ولا خوف يمنعه فلا كلام عليه** وإنما الشأن كله فيمن يحـــافظ على الدين ويستبين الحجة)اه الرسالة الوازعة ص١٠٢ بتحقيق شيخنا الوادعي

ويقول يحي بن حمزة أيضا في كتابه الانتصار ٣/٥٦٤: (وحكي **عن المؤيد بالله أنه لا يقول بإكفار المجبرة، ويقطع بخطئهم لأجل إضافة القبيح إلى الله تعالى، وهو محكي عن الشيخ أبي الحسين مـــن المعتزلة أنهم ليسوا كفار...**

والمختار: أن المجبرة لم يثبتوا قبيحا وأضافوه إلى الله تعالى، ولكنهم نفوا الأحكام العقلية كلها فـــلا قبيح عندهم إلا بالشرع بالأمر، ولا أمر في حق الله ولا نهي فلهذا لم يعقل في حقه حسن ولا قبح، وأما من قال هو جسم من جهة العبارة دون اعتقاد المعنى فليس كافرا لكنه مخطئ من جهة اللفظ، لأن إطلاقه يوهم الخطأ من غير إكفار)اه

وقد حصلت مكاتبات بين أمراء الدعوة النجدية وملوك الزيدية نقلها لنا الشوكاني رحمه الله في كتابه الذي طبع باسم (ذكريات الشوكاني) طبعته دار العودة ببيروت بتحقيق الدكتور صالح رمضان سنة

١٩٨٣م ومما جاء في الكتاب ص١٢٨: أن عبد الله بن سعود أرسل كتابا للحاكم على اليمن أحمد بن المنصور جاء فيه: **(فيومَ أن بان لك دين الإسلام فبادر بالدخول فيه!!! واستحضر فناء الدنيا وبقاء الآخرة... واعلم أن الإسلام قول وفعل... نسأل الله أن يشرح صدرك للإســلام!!! وأن يدخلك فيه!!)**اه

وقد أجابه أحمد بن المنصور بكتاب وكان مما جاء فيه: (وما لمحت إليه وعولت في كتابك عليه فهــو الأمر الذي بعث الله عليه رسله وأنزل فيه كتبه واجتمعت عليه دعوة الأنبياء على اختلاف أعصارهم وتباين ديارهم وتفاوت أنسابهم وتخالف أنسابهم، **وقام به جمهور أهل الإسلام لأنه الأصل الأصيل الذي عليه مدار التعويل وهو إقرار الله سبحانه بالعبادة على جميع أقسامها وشعبها وطرائقها ولم يختلفوا فيه لا بتصريح ولا بتلويح ولا بعبارة ولا بإشارة بل الكلمة على ذلك متفقة والدعوة متحدة** ولهذا اتفق الصحاب والتابعون وتابعوهم على أن الاختلاف الكامن بينهم في فروع الدين لا يوجب الكفر وهكذا اتفق على ذلك أهل هذه المذاهب الإسلامية بعد حدوثها وهــذا موجــود في كتب كل مذهب من المذاهب...

فالدعوة الإسلامية متحدة والملة المحمدية واحدة ومن شذ شذ في النار، **فالواجب علينــا وعلــيكم وعلى جميع المسلمين بعد الاتفاق بيننا على معالم الدين أن نكون متعاونين على طوائف الكــافرين نجاهدهم في الله حق الجهاد ونجالدهم في الأغوار والأنجاد أبلغ جلاد..)**اه

ومن القواعد المقررة عند متأخري الزيدية: أنه إذا اختلف مذهب إمام الصلاة والمــأموم فالإمــام حاكم، قال العنسي في التاج المذهب ١/١١٢: **(إذا اختلف الشخصان (في المــذهب)** في مســائل الاجتهاد نحو أن يرى أحدهما أن التأمين في الصلاة مشروع والآخر يرى أنه مفسد أو أن الرعاف لا ينقض الوضوء، والآخر يرى أنه ينقضه أو نحو ذلك **فالمذهب أن (الإمام حاكم فيصح أن يصــلي كل واحد منهما بصاحبه؛ لأنا لو قلنا بخلاف هذا أدى إلى أن يمتنع الناس أن يؤم بعضهم بعضا في كثير من الصور والامتناع عن مساجدهم، ولم يظهر ذلك من الصحابة مع ظهور الاختلاف)**اه

النموذج الثالث : الإمامية

قال نعمة الله الجزائري: (**إنا لا نجتمع معهم [أي أهل السنة] على إله ولا على نبي ولا على إمام**، وذلك أنــهم يقولون: إن ربــهم هو الذي كان محمد نبيه وخليفته من بعده أبو بكر. ونحن لا نقول بــهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك الــنبي نبينا)اه الأنوار النعمانية٢/٢٧٨

وفي شرح اللمعة الدمشقية للعاملي ١٢١/١: (يستثنى من المسلم **من حكم بكفره من الفرق كالخارجي والناصبي والمجسم**، وإنما ترك استثناءه لخروجه عن الإسلام حقيقة وإن أطلق عليه ظاهرا)اه

وفي وسائل الشيعة للعاملي ينسب إلى الإمام الصادق قوله: (**ما أنتم والله على شيء مما هم فيه، ولا هم على شيء مما أنتم فيه، فخالفوهم فما هم من الحنيفية على شيء**)اه الفصول المهمة ص٣٢٥

وقال الصدوق ابن بابويه القمي: (**اعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من بعده أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقرّ بأمير المؤمنين وأنكر واحدًا من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء، وأنكر نبوة نبينا محمد**)اه (رسالته في الاعتقادات ص١٠٣)

وقال المفيد: (**اتفقت الإمامية على أنّ من أنكر إمامة أحدٍ من الأئمّة وجحد ما أوجبه الله تعالى من فرض الطاعة، فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار**)اه (بحار الأنوار للمجلسي٢٣/٣٩٠)

وفي وسائل الشيعة ١٨/٤٦٣ وبحار الأنوار ٢٧/٢٣١ وعلل الشرائع لابن بابويه ص٢٠٠: (عن داود بن فرقد قال: **قلت لأبي عبد الله: ما تقول في قتل الناصب؟ فقال: حلال الدم، ولكني أتقي عليك، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً أو تغرقه في ماء لكيلا يشهد عليك فافعل**)اه

قال صحاب رفع الالتباس ص٤٧: (**الظاهر أن المراد بالناصب في هذه الرواية –بدلالة غيرها– الشاتم والساب أو المعيب والمصرح بالعداوة** ولو من غير هذا الوجه، فلا يدخل فيه مطلق من قدم غيرهم عليهم مع عدم إظهار البراءة منهم فضلا عن انتحال مودتهم وولائهم)اه وانظر النصب والنواصب لمحسن المعلم

و لم يقتصر الإمامية في ذلك على أهل السنة بل حتى الزيدية وغيرها من فرق الشيعة لم تسلم من ذلك وقد نالهم من ذلك نصيب وافر مع أنهم من الشيعة قال المجلسي في بحار الأنوار ٣٧/٣٤: (**كتب أخبارنا مشحونة بالأخبار الدالة على كفر الزيدية وأمثالهم من الفطحية والواقفة** وغيرهم من الفرق المضلة المبتدعة، وسيأتي الرد عليهم في أبواب أحوال الأئمة وعصمتهم، وسائر صفاتهم كافية في الرد عليهم وإبطال مذاهبهم السخيفة الضعيفة)اه

وفي الكافي للكليني ٨/٢٣٥: (عن ابن المغيرة قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: إن لي جارين أحدهما ناصب والآخر زيدي ولا بد من معاشرهما فمن أعاشر؟ **فقال: هما سيان من كذب بآية من القرآن فقد نبذ الإسلام من وراء ظهره وهو المكذب بجميع القرآن والأنبياء والمرسلين وقال: إن هذا نصب لك وهذا الزيدي نصب لنا**)اه

من هو الناصبي عند الإمامية ؟

الناصبي عندهم هو غير الإمامي، لكن لهم في كيفية التعامل معه في الدنيا وفي مصيره في الآخـــرة أقوال:

- **القول الأول:** أن الناصبي صنفان: **الصنف الأول:** ناصبي كـــافر مخلـــد في النـــار ويعامل في الدنيا معاملة الكافر فهو نجس وحلال الدم...إلخ وهو المجاهر بالعـــداوة لآل البيت وهو المقصود عندهم بالرواية السابقة عن الإمام الصـــادق. **والصـــنف الثاني:** ناصبي كافر مخلد في النار لكنه يعامل في الدنيا معاملة المسلم فيصلى عليـــه وخلفه وهو طاهر...إلخ وهو كل من لم يكن اثني عشريا من غير الصـــنف الأول، وهو المقصود عندهم بالروايات الآتية في أنه يزار ويصلى عليه وخلفه
- **القول الثاني:** وهو قول من تشدد منهم فجعل كل ناصبي كافرا يعامل في الدنيا معاملة الكافر ولو لم يكن مجاهرا بالعداوة
- **القول الثالث:** أن معاملة الناصبي كمعاملة الكافر مقصورة على علماء النواصب**!!** دون المقلدين والعوام أو بمعنى آخر (دون المستضعفين) وفي أصول الكافي ص٥٣٧ في تفسير المستضعفين عن الإمام الكاظم: هم **(من لم ترفع إليه حجة، ولم يعرف الاختلاف، فإذا عرف الاختلاف فليس بمستضعف)**اه وفي شرائع الإسلام (٢/٥٢٤) **عرف الحلي المستضعف** بأنه: **(الذي لا يعرف بعناد)**اه. وقال المرجع محمد الشيرازي في كتابه العقائد ص٣٧٥: (لا فائدة في إسلام بدون الإيمان، في الآخرة **إذا كان عن عمد، وربما نفع إذا لم يكن عن عمد بأن كان جاهلا بالإيمان، فالمسلم غير المؤمن القاصر يمتحن في الآخرة!)**اه
- **القول الرابع:** أن كل ناصبي كافر مخلد في النار لكنه يعامل في الدنيا معاملة المسلم ولو كان مجهارا بالعداوة**!**

والآن إليك طائفة من أقولا الإمامية في ذلك:

قال الطوسي: **(ظاهر مذهب الإمامية أن الخارج عن أمير المؤمنين عليه السلام والمقاتل له كـــافر بدليل إجماع الفرقة المحقة على ذلك**، وإجماعهم حجة لكون المعصوم الذي لا يجوز عليـــه الخطـــأ فيهم**!!...**

فإن قيل: لو كان ذلك كفرا لأجرى عليهم أحكام الكفر من منع الموارثة والمدافنة والصلاة علـــيهم وأخذ الغنيمة... **والمعلوم أنه عليه السلام لم يجر ذلك عليهم فكيف يكون كفرا؟**

قلنا: أحكام الكفر مختلفة كحكم الحربي والمعاهد والذمي والوثني، فمنهم من تقبل منهم الجزية، ومنهم من لا تقبل، ومنهم من يناكح وتؤكل ذبيحته، ومنهم من لا تؤكل عند المخالف، **ولا يمتنع أن من يكون متظاهرا بالشهادتين حكمه مخالف لأحكام الكفار كما تقول المعتزلة في المشبهة والمجبرة وغيرهم من الفرق الذين يحكمون بكفرهم وإن لم تجر هذه الأحكام عليهم)**اه الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد ص٣٥٨

وقال الخوئي: (فالصحيح الحكم بطهارة جميع المخالفين للشيعة الإثني عشرية وإسلامهم ظاهرا بلا فرق في ذلك بين أهل الخلاف وبين غيرهم، **وإن كان جميعهم في الحقيقة كافرين وهم الذين سميناهم بمسلم الدنيا وكافر الآخرة)**اه شرح العروة الوثقى ٢/٨٧

وتجد نحو قول الخوئي في كثير من كتب الإمامية وانظر بحار الأنوار للمجلسي ٨/٣٦٦، **فهذا الكلام ظاهره تكفير من عدا الإمامية وإن كانوا يعاملون في الدنيا معاملة المسلم**

وقال صاحب رفع الالتباس في أحكام الناس ص٣ : **(والمشهور المعروف بين فقهائنا من معنى الناصب هو المتظاهر بعداوة علي وكذا سائر أهل البيت**، وشيخ الطائفة المحققة في التهذيب والاستبصار -بعدما ذكر نبذا من الأخبار الواردة في النهي عن مناكحة النصاب وأورد رواية تتضمن الاكتفاء بإظهار الإسلام- **دفع المنافاة بأن: من ظهر منه العداوة والنصب لأهل البيت لا يكون قد أظهر الإسلام بل يكون غاية في إظهار الكفر**، وهذا المعنى هو الظاهر منه أيضا في الذبائح من التهذيب

وكذا من الشيخ ثقة الإسلام في الكافي **حيث فصل في كتاب الجنائز بين الصلاة على من لا يعرف وبين الصلاة على الناصب** وكذا أتى في كتاب النكاح بعنوان: باب نكاح النصاب والشكاك ثم ذكر لكل ما يدل عليه

وقال العلامة في التذكرة: **الناصب هو المعلن بعداوة أهل البيت وسب الأئمة، وقال في موضع آخر: هو من يظهر بغض أحد من الأئمة...**

وفي بعض الأخبار أن **كل من قدم الجبت والطاغوت!!! فهو ناصب**، واختاره بعض الأصحاب، إذ لا عداوة أعظم ممن قدم المنحط عن مراتب الكمال، وفضل المنخرط في سلك الأغبياء والجهال!!! على من تسنم أوج الإجلال)اه

وقال صاحب رفع الالتباس ص١٣٥: (ثبت عدم جواز غسل الكفار ولا تكفينهم ولا الصلاة عليهم بنص الكتاب والسنة والاتفاق سواء كانوا من أهل الذمة أو من سائر الكفار، **وأُلحق بهم البغاة والغلاة والمرتد والنصاب المعلنون بالعداوة) اه**

وقال الشهيد الثاني في الروض: (**الناصب من نصب العداوة لأهل البيت أو لأحدهم وأظهر البغضاء لهم صريحا أو لزوما ككراهة ذكرهم ونشر فضائلهم** والإعراض عن مناقبهم والعداوة لمحبيهم بسبب محبتهم)اه الحدائق ١٧٧/٥

وقال الشهيد في مبحث نكاح الناصب من المسالك: (**اعلم أنه لا يشترط في المنع من الناصب إعلانه بالعداوة بل متى عرف البغض لأهل البيت فهو ناصبي وإن لم يعلن به**)اه رفع الالتباس ص٣

قال المفيد في المقنعة ص٥٧٩: (**الناصبة على ضربين: أحدهما: تحل ذبيحته، والآخر: تحرم، فالذي تحل ذبائحهم منهم هم المعتقدون لمودة أمير المؤمنين** وذريته الأبرار وإن جهلوا كثيرا من حقوقهم على الآثار

والذين تحرم ذبائحهم هم الخوارج ومن ضارعهم في عداوة أمير المؤمنين وعترته الأطهار، لأنهم بذلك لاحقون بمن سميناهم من الكفار في تحريم ذبائحهم لأنهم وإن كانوا يرون التسمية على الذكاة فإنهم بحكم أهل الارتداد عن الإسلام) اه وانظر كتاب النصب والنواصب لمحسن المعلم

وفي الأنوار النعمانية للجزائري ٣٠٦/٢: (وأما الناصبي وأحواله وأحكامه فهو مما يتم ببيان أمرين:

الأول: في بيان معنى الناصبي -**الذي ورد في الأخبار أنه نجس وأنه شر من اليهودي والنصراني والمجوسي وأنه كافر نجس بإجماع علماء الشيعة** رضوان الله عليهم –فالذي ذهب إليه أكثر الأصحاب هو: **أن المراد به من نصب العداوة لآل بيت محمد صلى الله عليه وآله وتظاهر ببغضهم** كما هو الموجود في الخوارج وبعض ما وراء النهر ورتبوا الأحكام في باب الطهارة والنجاسة والكفر والإيمان وجواز النكاح وعدمه على الناصب بهذا المعنى**...**)اه

لكن الجزائري قد قال بعد ذلك ٣٠٧/٢: (وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله أن علامة النواصب تقديم غير عليٍّ رضي الله عنه عليه، وهذه خاصة شاملة لا خاصة، ويمكن إرجاعها أيضا إلى الأول **بأن يكون المراد تقديم غيره عليه على وجه الاعتقاد والجزم ليخرج المقلدون والمستضعفون فإن تقديمهم غيره عليه إنما نشأ من تقليد علمائهم! وآبائهم وأسلافهم وإلا فليس لهم إلى الإطلاع والجزم بهذا سبيل**)اه بواسطة علي المحسن الرد الوجيز ص١٦٢

فظاهره أن من قدم غير علي على وجه الاعتقاد والجزم فإنه من النواصب الذين تجري عليهم الأحكام السابقة كما أن ظاهره أن علماء السنة الذي قدموا غير علي هم نواصب تجري عليهم تلك الأحكام لكن من الإمامية -كما تقدم- من يعد حت المعادي لآل البيت من النواصب الذين تشملهم أحكام الإسلام الظاهرة، قال الصدر كما في المسائل المنتخبة ص٥٦: (وكذلك النواصب الذين ينصبون العداء لأهل البيت فإن هؤلاء الغلاة **والنواصب كفار ولكنهم طاهرون شرعا ما داموا ينسبون أنفسهم للإسلام**)اه

وفي المقابل :

هناك روايات وأقوال للإمامية في أن المخالف يعامل معاملة المسلم، وفي عدم التكفير للمخالف ينبغي إشاعتها، ففي صحيحة معاوية بن وهب قال: قلت له: كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطائنا من الناس ممن ليسوا على أمرِنا؟ قال: **تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم فتصنعون كما يصنعون فوالله إنهم ليعودون مرضاهم ويشهدون جنائزهم ويقيمون الشهادة لهم وعليهم ويؤدون الأمانة إليهم**)اه الكافي للكليني ٢/٦٣٦

وفي صحيحة عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا تحملوا الناس على أكتافكم فتذلوا إن الله تبارك وتعالى يقول: (وقولوا للناس حسنا) ثم قال: **عودوا مرضاهم واشهدوا جنائزهم واشهدوا لهم وعليهم وصلوا معهم في مساجدهم**)اه وسائل الشيعة للحر العاملي ٣٨٢/٥ بواسطة علي المحسن (الرد الوجيز ص١٤٤)

وفي وسائل الشيعة أيضا ج١٦/ص١٦٠ عن الإمام الصادق أنه بعضهم قال بحضرته: إنا لنبرأ منهم لا يقولون ما نقول، **فقال الإمام: يتولّوننا، ولا يقولون ما تقولون، تبرؤون منهم؟! قلت: نعم، قال: هو ذا عندنا ما ليس عندكم، فينبغي لنا أن نبرأ منكم".**

إلى أن قال: "فتولوهم ولا تبرؤوا منهم: إن من المسلمين من له سهم، ومنهم من له سهمان.. فليس ينبغي أن يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين...)اه

وفي الكافي (٧٩٢) عن الإمام الصادق: **(من أحبكم على ما أنتم عليه دخل الجنة، وإن لم يقل كما تقولون)**اه

وقد تقدم معنا قول يوسف البحراني: **(اعلم أنه قد اشتهر بين جملة من متأخري أصحابنا تقسيم الضروري إلى: ضروري المذهب وضروري الدين، ومرادهم بضروري الدين هو ما أجمعت عليه الأمة كالصلاة والزكاة والحج ونحوها ، وضروري المذهب هو ما اختصت ضروريته بأهل مذهب مخصوص** من تلك الأمة كتحريم المسح على الخفين وتحليل المتعتين ونحوها مما علم ضروريته من مذهب أهل البيت خاصة

قالوا : **والكفر إنما يلزم إنكار الأول دون الثاني، ومسألة الإمامة إنما هي من قبيل الثاني دون الأول فإنكارها لا يستلزم الكفر**، وقد استند جماعة ممن عاصرناهم عند وقوع البحث بيننا وبينهم إلى ذلك)اه الشهاب الثاقب في معنى النصب والنواصب ص٨٤

ونقل البحراني عن شيخه أبي الحسن سليمان بن عبد الله البحراني قوله: (...استطردتُ فيها الحكم بكفر المخالفين ونجاستهم وكونهم من النصاب!!!، **وإن كان ذلك مخالفا لما عليه أكثر أصحابنا المتأخرين وفقهائنا المعاصرين)اه** الشهاب الثاقب ص٢٤١

وهذا محمد الحسين آل كاشف الغطاء يقول في كتابه (أصل الشيعة وأصولها): (فمن اعتقد بالإمامة بالمعنى الذي ذكرناه فهو عندهم مؤمن بالمعنى الأخص، **وإذا اقتصر على تلك الأركان الأربعة (أي بدون ركن الإمامة) فهو مسلم ومؤمن بالمعنى الأعم تترتب عليه جميع أحكام الإسلام من حرمة دمه وماله وعرضه، ووجوب حفظه وحرمة غيبته وغير ذلك، لا أنه بعدم الاعتقاد بالإمامة يخرج عن كونه مسلماً (معاذ الله))** اه أصل الشيعة وأصولها ص١٣٥.

وقال محمد واعظ زاده الخراساني: (اعتقاد الشيعة الإمامية في أهل السنة على سبيل الإجمال: **أنّهم أمة واحدة، وأنّ المؤمنين إخوة وأنهم جميعاً أهل القبلة، وأن دماءهم وأموالهم وأعراضهم حرام بحرمة الإسلام يجب الحفاظ عليها**، ويحرم التعدّي عليها. وتؤكل ذبيحتهم وتقبل شهادة العدول منهم، ويجهّز موتاهم ويدفنون في مقابرهم، ويصادقونهم في عقودهم وتجاراتهم ومعاملاتهم ويزوّجونهم ويتزوجون منهم، وأنّ أولادهم جميعاً طيّبون.

وأن بلادهم شرقاً وغرباً هي دار الإسلام لها حرمة الإسلام يجب الحفاظ عليها وبثرواتها، وباستقلالها، والدّفاع عنها قبالة أعدائهم من غير المسلمين، كما تجب المداخلة بينهم إذا اقتتل بعضهم بعضاً فيجب الصلح بينهم والقتال مع الباغي منهم.

وأنّ حديث الثقاة منهم مقبول يُعمل به، إذا لم يكن مخالفاً لكتاب الله، ولا يعارضه ما هو أصح وأوثق منه مرويّاً عن أئمتهم من آل البيت عليهم السلام.

ويجوز التعلّم عندهم وتعليمهم، والحج معهم واتّباعهم في جميع المشاهد المشرّفة وفي جميع المناسك، ويجوز بل يجب الاشتراك في صلواتهم ومناسكهم إلى غير ذلك من مواقفهم المشروعة، ولا سيّما الجهاد في سبيل الله والدفاع عن حوزة الإسلام، وعن مواريث المسلمين الاقتصادية والثقافية وغيرها. ويعتبرون إجماع فقهاء المذاهب في المسائل الاتفاقية حجّة يهتمون بذكرها في كتبهم الخلافية.

ويترجمون أعلام المذاهب الإسلاميّة والمؤلفين لهم في كتبهم ضمن تراجم العلماء بكلّ إجلال وتبجيل. **ويقفون إلى جانب المسلمين عامّة أمام أعدائهم من الكفّار**،ويدافعون عن حوزة الإسلام شرقاً وغرباً اهتماماً بأمور المسلمين وعملاً بقول نبيّهم «من أصبح و لم يهتمّ بأمور المسلمين فليس بمسلم».)اه من مقال له بعنوان (أهل السنّة عند الشيعة الإماميّة) منشور في مجلة رسالة التقريب العدد ٤٦ /جمادى الأولى، جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م

ويقول المرجع الميرزا جواد التبريزي: (ولقد ذكرنا في أول حديثنا إن الأسلوب الذي ينبغي أن يبلغ الإنسان فيه هو الأسلوب الأمثل (وجادلهم بالتي هي أحسن) وهذا الأسلوب والخطاب شامل للكفار فضلا عن إخواننا في الدين. **فإن أكثر هؤلاء المخالفين قاصرون، وهؤلاء لا يعذبون يوم القيامة لأن أكثرهم لا يعلمون الحقيقة...**

وأنا لا أقول إن هؤلاء القاصرين يدخلون جهنم، وهؤلاء إخواننا)اه من عبقات ولائية. دار الصديقة الشهيدة. وهي نص محاضرة له على طلاب البحث الخارج في قم سنة ١٤١٨هـ.

ومن الإسراف في التكفير عند الإمامية أيضا تكفيرهم لكبار الصحابة

ففي بحار الأنوار للمجلسي ٦٩/١٣٨: (عن حمزة الثمالي **أنه سأل علي بن الحسين عن أبي بكر وعمر، فقال: كافران كافر من تولاهما**)اه

وروى الكليني في الكافي (ج٨ رواية رقم٥٢٣) عن أبي عبد الله في قوله تعالى: (ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والأنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين). **قال: هما، ثم قال: وكان فلان شيطاناً.**

قال المجلسي في مرآة العقول ج٢٦/٤٨٨ في شرحه للكافي في بيان مراد صاحب الكافي بـ"هما" قال: (**هما أي أبو بكر وعمر، والمراد بفلان عمر** أي الجن المذكور في الآية وعمر وإنما سمي به لأنه كان شيطانا، إما لأنه كان شرك شيطان لكونه ولد زنا**!!!**، أو لأنه في المكر والخديعة كالشيطان، وعلى الأخير يحتمل العكس بأن يكون المراد بفلان أبا بكر**!!!**)اه والروايات والنصوص في تكفير وسب كبار الصحابة كثير

لكن في المقابل:

هناك روايات للإمامية تأمر بتولي الشيخين والصحب الكرام رضي الله عنهم فيروي المجلسي عن الطوسي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال لأصحابه: **(أوصيكم في أصحاب رسول الله، لا تسبوهم، فإنهم أصحاب نبيكم**، وهم أصحابه الذين لم يبتدعوا في الدين شيئاً، و لم يوقروا صاحب بدعة، نعم**!** أوصاني رسول الله في هؤلاء) اه حياة القلوب للمجلسي ج٢ ص٦٢١

ونقل عليّ بن أبي الفتح الإربلي في كتابه (كشف الغمّة في معرفة الأئمة) عن علي بن الحسين أنه: (قدم عليه نفر من أهل العراق فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فلما فرغوا من كلامهم، قال لهم: ألا تخبروني أنتم { المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون }؟ قالوا: لا

قال: فأنتم { الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صـــدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة }؟ قالوا: لا

قال: أما أنتم قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله فيهم { والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا } أخرجوا عني فعل الله بكم) اه كشف الغمة ج٢ ص(٢٩١) تحت عنوان (فضائل الإمام زين العابدين). دار الأضواء ــ بيروت ــ ط. ١٤٠٥هـــــ ــ ١٩٨٥م. وهـــو في ج٢ص٧٨ من طبعة تبريز

ونقل في كشف الغمة أيضا ١٤٧/٢: أنه (سئل الإمام أبو جعفر عليه السلام عن حلية السيف: هل تجوز؟ **فقال: نعم، قد حلى أبو بكر الصديق سيفه. فقال الراوي: أتقول هكذا؟ فوثب الإمام عن مكانه، فقال: نعم الصديق، نعم الصديق، نعم الصديق، فمن لم يقل له: الصديق، فلا صـــدّق الله قوله في الدنيا والآخرة)**اه

وفي نهج البلاغة قال سيدنا علي رضي الله عنه: (لله در فلان فلقد قوم الأَوْد، وداوى العمد، وأقـــام السنة، وقمع البدعة، ذهبَ نقي الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها، وســبق شـــرها، أدى إلى الله طاعته، واتقاه بحقه، رحل وتركهم في طرق متشعبة لا يهتدي فيها الضال، ويستيقن المهتـــدي) اه والمراد بفلان -على مختار أكثر الشارحين، منهم البحراني- أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعلـــى مختار بعض الشارحين: عمر الفاروق رضي الله عنه

وفي الاحتجاج للطبرسي ص٢٣٠: (عن الإمام الباقر قال: **ولست بمنكر فضل أبي بكر ولست بمنكر فضل عمر ولكن أبا بكر أفضل من عمر)اه**

وفي إحقاق الحق للشوشتري ١٦/١: **(أن رجلا سأل الإمام الصادق عن أبي بكر وعمـــر فقـــال: إمامان عادلان مقسطان كانا على الحق وماتا عليه فعليهما رحمة الله يوم القيامة)اه**

وانظر طائفة من هذه الروايات في كتاب: (الدر المنثور من تراث أهل البيت والصحابة) للســـيد علاء الدين المدرس

وقد كانت العلاقة بين سيدنا علي والأئمة قبله علاقة محبة وألفة ففي تهذيب الأحكـــام ج١٨٧/٦: (عن عبيد الله بن علي الحلبي قال: قال أبو عبد الله (ع): **قال أمير المؤمنين (ع) لعمر بن الخطـــاب:** "ثلاث إن حفظتهن وعلمت بهن كفتك ما سواهن وإن تركتهن لم ينفعك شيء سواهن قال: وما هن يا أبا الحسن؟ قال: "إقامة الحدود على القريب والبعيد، والحكم بكتاب الله في الرضـــا والســـخط، والقسم بالعدل بين الأحمر والأسود" **فقال له عمر: لعمري لقد أوجزت وأبلغت)** اه

فهذه الرواية تدل على مدى نصح سيدنا علي لسيدنا عمر، وفي الرواية نصحه له بإقامة الحدود ولو لم يكن يرى شرعية عمر للخلافة لما نصحه بإقامة الحدود

ويروي الكليني عن معاوية بن عمار عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن المرأة المتوفي عنـــها زوجها تعتد في بيتها أو حيث شاءت قال: (بل حيث شاءت، إن عليا (عليه السلام) **لما توفي عمـــر أتى أم كلثوم فأنطلق بها إلى بيته)**اه الكافي والفروع (باب المتوفى عنها زوجها المدخول بها أين تعتد ٢/٢١١) وتهذيب الأحكام للطوسي عن معاوية بن عمار (باب عدد النساء ١٤٨/٨) والاستبصار للطوسي عن سليمان بن خالد (باب المتوفى عنها زوجها ٣٥٦/٣)

وعن الرضا عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله: (إن أبا بكـــر مني بمنزلة السمع وإن عمر مني بمنزلة البصر وإن عثمان مني بمنزلة الفؤاد)اه انظر: عيـــون الأخبـــار ٢٨٠/١ البرهان ٤٢٠/٢، نور الثقلين ١٦٤/٣ ومعاني الأخبار ٣٨٧

وقال الإمام علي رضي الله عنه: (أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمدا فأنقذ به من الضلالة ونعش به من الهلكة وجمع به بعد الفرقة ثم قبضه الله إليه وقد أدى ما عليه **فاستخلف النـــاس أبـــا بكـــر ثم استخلف أبو بكر عمر فأحسنا السيرة وعدلا في الأمة** وقد وجدنا عليهما أن توليا الأمر دوننا ونحن آل رسول الله وأحق بالأمر فغفرنا ذلك لهما) اه انظر: البحار ٤٥٦/٣٢ و٥٦٨/٣٣،٥٦٩

وفي موطن آخر قال: (**ثم إن المسلمين من بعده استخلفوا أميرين منهم صالحين أحييا الســـيرة ولم يعدوا السنة**) اه انظر بحار الأنوار ٥٣٥/٣٣

وقال فيهما: (**فتولى أبو بكر تلك الأمور وسدد وقارب واقتصد، وتولى عمر الأمر فكان مرضي السيرة ميمون النقية)** اه انظر البحار ٥٦٨/٣٣

ولما قيل له لسيدنا علي رضي الله عنه: ألا توصي؟ قال: ما أوصى رسول الله (صلى الله عليه وآلـــه سلم) فأوصي، **ولكن إذا أراد الله بالناس خير جمعهم على خيرهم كما جمعهم بعد نبـــيهم علـــى خيرهم)** اه الشافي ص١٧١ طبعة النجف

ويقول الإمام علي عليه السلام في أبي بكر رضي الله عنه: **(فاختار المسلمون بعده (أي النبي صـــلى الله عليه وآله وسلم) رجلا منهم، فقارب وسدد بحسب استطاعته على خوف وجد)**اه شرح نهج البلاغه للميثم البحراني ص٤٠٠.

فينبغي على معاصري الإمامية نشر الروايات والأقوال التي من شأنها أن تؤلف بين المسلمين والإعراض عن ما يضادها وخصوصا فيما يتعلق بسب الصحابة والتكفير لمن عاداهم وسوء معاملتهم

وهناك من متأخري الإمامية من ينحو هذا المنحى، فهذا محمد الحسين آل كاشف الغطاء يقـــول في كتابه (أصل الشيعة وأصولها) ص١٢٢: (ولا أقول إن الآخرين من الصحابة وهم الأكثر الـــذين لم

يتسموا بتلك السمة (أي سمة التشيع)؛ قد خالفوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و لم يأخـــذوا بإرشاده، كلا ومعاذ الله أن يظن بهم ذلك وهم خيرة من على وجه الأرض يومئذ، لكن لعل تلـــك الكلمات لم يسمعها كلهم، ومن سمع بعضها لم يلتفت إلى المقصود منها، **وصحابة النبي الكرام أسمى من أن تحلق إلى أوج مقامهم بغاث الأوهام)**اه

وقال أيضاً: (وحين رأى (أي الإمام علي) أن الخليفتين –أعني الخليفة الأولى والثاني– **بذلا أقصـــى الجهد في نشر كلمة التوحيد وتجهيز الجنود وتوسيع الفتوح ولم يستأثروا ولم يستبدا، بايع وســـالم** وأغضى عما يراه حقاً له محافظة على الإسلام أن تتصدع وحدته وتتفرق كلمته ويعـــود النـــاس إلى جاهليتهم الأولى) اه أصل الشيعة وأصولها ص١٢٣-١٢٤.

وقد أصدر المرجع الشيعي علي الخامنئي فتوى بتحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، وقد رحب الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين بهذه الفتوى وهذا هو نص الترحيب:

الاتحاد يرحب بفتوى خامنئي بتحريم سب الصحابة والخلفاء

٢٤-١١-٢٠٠٦ - القاهرة - موقع الاتحاد

رحب الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين بالفتوى الذي أصدرها السيد علي الخامنئي مرشد الجمهورية الإسلامية الإيرانية بتحريم سب الصحابة والخلفاء الراشدين، واعتبرها خطوة مهمة ومقدرة في إطار السعي نحو التقريب بين أهل المذهبين الكبيرين السنة والشيعة.

وأكد خامنئي، ردا على سؤال وجه إليه حول حكم سب الصحابة والخلفاء الراشـــدين: أن أي قول أو فعل أو سلوك يعطي الحجة والذريعة للأعداء أو يؤدي إلى الفرقة والانقسام بين المسلمين هو بالقطع حرام شرعا.

وأشارت صحيفة "الأهرام" المصرية الخميس ٢٣-١١-٢٠٠٦م إلى أن السلطات الإيرانية طالبـــت بتعميم الفتوى وإرسالها إلى وسائل الإعلام المختلفة.

وتعليقا على ذلك، اعتبر الدكتور محمد سليم العوا الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المســـلمين، في تصريحات خاصة لموقع الاتحاد الجمعة ٢٤-١١-٢٠٠٦م، أن هذه الفتوى تعد خطوة مهمة طالمـــا نادي بها اتحاد العلماء، لافتا إلى أنها ستساهم في إزالة المشاعر السلبية التي تظهر بين وقت وآخر بين السنة والشيعة.

ودعا العوا في هذه المناسبة الإخوة في العراق إلى مراعاة حرمة الدم المسلم على السلاح المسلم مهما تكن الأسباب ومهما يكن عمق الخلافات، معربا عن إدانته لما وقع في مدينة الصدر أمس الخميس من

تفجيرات أودت بحياة العشرات، وأعرب عن تعازيه لأسر الضحايا ومواساته للمصابين، متمنيا أن تكون هذه آخر الحوادث الأليمة في هذا البلد العربي العريق.

جديرٌ بالذكر، أن الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين -الذي يضم العلماء من المذاهب جميعا، ولرئيسه نواب ثلاثة من الشيعة والسنة والإباضية- يؤكد دوما على موقفه الثابت من ضرورة وأْد أي فتنة بين المسلمين في مهدها، ومن ضرورة التقريب بين أهل المذاهب الإسلامية وعلمائها وأتباعها، ومن ضرورة التعاون بين المسلمين كافة فيما اتفقوا عليه، وأن يعذر بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه) انتهى تعليق الاتحاد على الفتوى

وبنحو ما أفتى به المرجع الخامنئي أفتى أيضا المرجع محمد حسين فضل الله كما في موقعه على النت والمرجع حسين المؤيد كما في موقعه على النت أيضا وبنحوه أفتى مرتضى العسكري

وقد أجرت «مجلة الجسور» في عددها (التاسع) -السنة الأولى- ربيع الأول ١٤٢٥هـ، حواراً مع حسن الصفار، وكان مما وجه له من الأسئلة؛ سؤال عن حكم سب وشتم الصحابة؟

وكان مما جاء في جوابه: (**...السب والشتم أصبح ممارسةً قديمةً؛ لأن الشيعة كان لديهم بعض ردود الأفعال في مراحل سابقة، ولكنهم اليوم لا يمارسون سباً ولا شتماً.** ما هو المطلوب أكثر من هذا؟

وسئل أيضا: **ماذا عن موقفكم من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؟**

فأجاب: للشيعة موقفٌ واضحٌ من مسألة الإمامة، يعتقدون أن الإمامة من حقّ علي كرم الله وجهه بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. **ولكنهم يرون أيضاً أن علياً رضي الله عنه بايع الشيخين وبايع عثمان وعمل تحت ظل خلافتهم، وبالتالي فلا ينبغي أن يساء لهم، وأنا شخصياً قلت: إن هذا حرام.** وليس مطلوباً من الشيعة أكثر من هذا.)اه

وقال الصفار في كتابه (السلفيون والشيعة نحو علاقة أفضل) ص٤٥: (إنني أدعو نفسي وأبناء مجتمعي من الشيعة **إلى ضبط الانفعالات ومراعاة مشاعر إخوانهم من أهل السنة بمنع أي إساءة لأحد من الخلفاء وأجلاء الصحابة قد تصدر من جاهل أو مغرض منهم وبأن ينفتحوا أكثر على الآخرين،** ويتجاوزوا بعض حالات الانكفاء والانغلاق)اه

وقال الصفار أيضا في حوار له في موقع إيلاف منشور في كتابه السابق الذكر ص٥٣: (**موضوع الخلافة والخلفاء أصبح قضية تاريخية فلماذا يكون عقبة في طريق الأمة في عصرنا الحاضر؟!** بحيث ينشغل الشيعة بإثبات رأيهم أو يحرص السنة على تغيير رأي الشيعة فيه

إننا لسنا مخيرين الآن بين خلافة أبي بكر وخلافة علي حتى نهتم بإقناع بعضنا بعضا بأحد الخيارين، لكننا على مفرق طرق فيما يرتبط بوجودنا وكرامتنا في هذا العالم، فهل نكون أو لا نكون؟ وما هو موقعنا بين الأمم في هذا العصر؟ وهذا ما يجب أن ننشغل به جميعا لارتباطه بحياتنا ومستقبلنا)اه

وقال الصفار في نفس الكتاب ص٥٣: (**إذا كان من حق الشيعة أن تكون لهم رؤيتهم وقناعتهم فليس من حقهم الإساءة إلى رموز ومقدسات الطرق الآخر،** إن ذلك يشكل انحرافا في تعاليم الدين وآدابه ويؤدي إلى الفتن وتخريب وحدة الأمة.

من هنا نعتبر الإساءة بالسب والشتم للخلفاء الراشدين عملا محرما خاطئا، لا يصدر إلا عن جاهل مغرض، وقد تحدث ضد هذه الظاهرة السيئة كثير من أئمة الشيعة وعلمائهم المصلحين)اه

وقال أيضا: (وكتب التراث السني والشيعي فيها انعكاس لحالات الخلاف والتشنج المذهبي وهي تعبر عن آراء أصحابها كما أنها نتاج لبيئاتهم وعصورهم فلماذا نكون أسارى لكتب التراث؟! ولماذا يحاكم بعضنا بعضا على ما ورد في كتب أسلافه؟!

إن علينا أن نقرر تجاوز هذا الجانب المظلم السلبي من تراثنا سنة وشيعة ونركز على الجانب المضيء الإيجابي منه الذي يساعدنا على إصلاح أمورنا ومعالجة مشاكلنا وتدعيم وحدنا وألفتنا)اه

وقال محمد باقر الصدر: (إن الصحابة بوصفهم الطليعة المؤمنة المستنيرة، كانوا أفضل وأصل بذرة لنشوء أمة رسالية، **حتى إن تاريخ الإنسان لم يشهد جيلا عقائديا** أروع وأنبل **وأطهر من الجيل الذي انشأ الرسول القائد)**اه (بحث حول الولاية، المجموعة الكاملة ٤٨)

وقال الدكتور أحمد الوائلي: (أود أن ألفت النظر **أنّي خلال مراجعاتي كتب التاريخ لم أر في الفترة التي تمتد من بعد وفاة النبي حتى نهاية خلافة الخلفاء من عمد إلى الشتم من أصحاب الإمام،** وإنّما هناك من قيّم الخلفاء وقيّم الإمام، وحتى في أشد جمحات عاطفة الولاء لم نجد من يشتم أحداً ممن تقدم الإمام بالخلافة يضاف لذلك أنّه حتى في الفترة الثانية أي في عهود الأمويين كان معظم الشيعة يتورعون عن شتم أحد من الصحابة، أو التابعين)اه (هوية التشيع٣٩).

النموذج الرابع : السلفية

قال الشوكاني في البدر الطالع ج٢/ص٥ عن محمد بن عبد الوهاب وأتباعه: (... **ولكنهم يرون أن من لم يكن داخلا تحت دولة صاحب نجد وممتثلا لأوامره خارج عن الإسلام**

ولقد أخبرني أمير حجاج اليمن السيد محمد بن حسين المراجل الكبسي **أن جماعة منهم خاطبوه هو ومن معه من حجاج اليمن بأنهم كفار وأنهم غير معذورين عن الوصول إلى صاحب نجد لينظر في إسلامهم** فما تخلصوا منه إلا بجهد جهيد)اه

وقال الصنعاني قبله: (وقد وصل إلينا -بعد بلوغ القصيدة- الشيخُ عبد الرحمن النجدي ووصف من حال محمد بن عبد الوهاب أشياء أنكرناها: **من سفكه الدماء ونهبه الأموال وتجريه على قتل النفوس ولو بالاغتيال وتكفيره الأمة المحمدية في جميع الأقطار**

فبقينا في تردد فيما نقله الشيخ عبد الرحمن حتى وصل الشيخ مربد وله نباهة وأوصل بعض **رسائل ابن عبد الوهاب التي جمعها في وجه تكفيره أهل الأيمان وقتلهم ونهبهم وحقق لنا أحواله وأقواله وأفعاله** فرأينا أحواله أحوال رجل عرف من الشريعة شطرا و لم يمعن النظر ولا قرأ على من يهديه نهج الهداية ويدله على العلوم النافعة ويفقهه فيها**...**

ولما أخذ علينا الشيخ مربد ذلك تعين علينا **لئلا نكون سببا في شيء من هذه الأمور التي ارتكبها ابن عبد الوهاب المذكور كتبت أبياتا وشرحها**، وأكثرت من النقل عن ابن القيم وشيخه ابن تيمية لأنهما عمدة الحنابلة**...**)اه إلى أن قال:

رجعت عن القول الذي قلت في النجدي * فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي)اه وانظر ديوان الصنعاني، و(ابن الأمير وعصره) لمجموعة من المؤلفين ص١٧٥ و(أبجد العلوم) لصديق خان ٣/١٩٥ حيث نقل كلام الصنعاني السابق وللصنعاني رسالة مفردة في ذلك بعنوان (الرسالة النجدية) وقد أشار إليها في رسالة له في شد الرحل لزيارة القبر الشريف مطبوعة ضمن مجموع رسائله

وفي الدرر السنية في الكتب النجدية (ج١/ص٣٠٢) أن سعود بن عبد العزيز بن محمد ألزم علماء مكة والمدينة في أن يكتبوا وثيقة التكفير لمن لم يدخل في دعوته ومما جاء فيها: (نشهد بأن هذا الذي قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ودعانا إليه إمام المسلمين: سعود بن عبد العزيز من توحيد الله عز وجل ونفي الشرك هو الدين الحق الذي لا شك فيه ولا ريب

وأن ما وقع في: مكة والمدينة سابقاً، والشام، ومصر، وغيرها، من البلدان، إلى الآن، من أنواع الشرك المذكورة، في هذا الكتاب، أنها الكفر المبيح للدم والمال، وكل من لم يدخل في هذا الدين، ويعمل به ويعتقده، كما ذكر الإمام في هذا الكتاب، **فهو كافر بالله واليوم الأخر** والواجب على إمام المسلمين وكافة المسلمين القيام بفرض الجهاد، وقتال أهل الشرك والعناد .

وكل: من خالف ما في هذا الكتاب، من أهل مصر، والشام، والعراق، وكل من كان على دينهم الذي هم عليه الآن فهو كافر مشرك من موقعه، ويمكنه في ذلك[٢٣] وإزالة ما عليه من الشرك والبدع)اه

وقد حصلت مكاتبات بين أمراء الدعوة النجدية وملوك الزيدية نقلها لنا الشوكاني في كتابه الذي طبع باسم (ذكريات الشوكاني) طبعته دار العودة ببيروت بتحقيق الدكتور صالح رمضان سنة

---

[٢٣])كذا في الأصل ولعل هناك سقاطا

١٩٨٣م ومما جاء في الكتاب ص١٢٨: أن عبد الله بن سعود أرسل كتابا للمتوكل أحمد بن المنصور حاكم اليمن جاء فيه: (**...فيوم أن بان لك دين الإسلام فبادر بالدخول فيه!!! واستحضر فناء الدنيا وبقاء الآخرة... واعلم أن الإسلام قول وفعل... نسأل الله أن يشرح صدرك للإسلام !!! وأن يدخلك فيه!!!**) اه

وفي نفس الكتاب ص١٣٦: يذكر الشوكاني أنه أجاب عن أحد عمال الإمام برفض دعوة الشريف حمود للدخول في الدعوة النجدية فكان مما قاله الشوكاني: (فإنه وصل إلينا كتابك أيها الشريف، هدانا الله وإياك إلى صواب الصواب وجعلنا من الذين يدخلون إلى منازل الحق من كل باب، ودعوت إلى الدخول في هذه الفتنة العمياء الصماء الهنماء البكماء التي تعنونت بعنوان تنزهت عنه جميع الفرق الإسلامية بل لم تأت به فرقة من الفرق البدعية **وهو تكفير أهل الملة الحنيفية من غير مثنوية، فصمْ صمام وقم يا ناعي الإسلام، قم فانعه قد زال عرفٌ وبدا نكرٌ فما طمع إبليس وهو الحريص على التدليس بأن يخرج من هذه الملة الإسلامية من يكفر جميع المسلمين ويعاملهم معاملة المشركين**، فقد أقررتم عين الشيطان وأسخطتم الرحمن ووقعتم في مواقع الخذلان وأقدمتم على ما لم يقدم عليه أحد من أهل الإيمان... فيا لله أبوك ما كان يظن بمثلك أن ينخدع بهذه الأباطيل أو ينتظم في سلك هذه الأفاعيل التي هي عين الأضاليل)اه

وذكر الشوكاني في نفس الكتاب ص١٦٢: أن سعود بن عبد العزيز أرسل للمتوكل ملك اليمن كتابا ومما جاء فيه: (**والإسلام قد وسع الله نواحيه ولا عاد لجميع المسلمين جزئ ينجزونه إلا صنعاء وطوارقها، ولا بعدُ أمرنا المسلمين بالتوجه طمع! في إسلامك!!!**([٢٤]) **ورجاء الله يجعلك فائدة في ها الناحية...**)اه

وقد أجاب المتوكل بجواب أنشأه الشوكاني كما أخبر هو عن نفسه ومما جاء فيه: (واعلم ثبتنا الله وإياك أنه قد صح في الحديث (الدين النصيحة) وإن من حق النصيحة أن نخبرك بأنه تبلغنا عن هؤلاء

---

[٢٤]) قارن هذا بما ذكره ابن عبيد الله السقاف في ديوانه ص٥١٦ من أنه اجتمع بابن الوزير أمير الحديدة من قبل الإمام يحي حميد الدين وذكر له أنه سعى في الصلح بين الإمام يحي والملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود مؤسس الدولة السعودية الثالثة فكان مما قال له الملك عبد العزيز: (لقد فوضت إليك أمر الصلح فاكتب ما شئت وأنا متعهد بالإمضاء عليه بدون شرط ولا قيد وإن شئت أمضيت على الورق أولا حتى لا تكتب إلا عن قطع بالموافقة)

قال ابن عبيد الله: (ولما اجتمعت أنا بابن سعود في ذلك العام (١٣٥٤هـ) بدأني بالحديث عن القضية فكان موافقا لما تحدث به إلي ابن الوزير سواء بسواء وقال لي: **إنني لما أبرقت إلى ولدي فيصل بالجلاء عن الحديدة أجابني بأن الانتحار أهون عليه من ذلك، فأجبته بأن انتحارك لا يقلل من عدد أبنائي وقد نيفوا على الأربعين، ثم هو هين علي في سبيل حقن دماء المسلمين**، هذا نص كلامه لي بمرأى من ولده فيصل ومسمع)اه

المتغلبين على تلك الأطراف أنهم يظلمون الرعايا ظلما بينا، ويتسلقون لأموالهم بكل ذريعة، وينصبون لاقتناص أمالهم كل حيلة، ومعلوم عندنا أن هذا لا يرضيك ولا يرضي من لديك من أهل العلم **وأيضا ساروا يسنون لهم سننا ليس عليها أثارة من كتاب ولا سنة كحلق الرؤوس وتحريم بعض المباحات التي لم يأت بتحريمها برهان، وأيضا صاروا يطلقون كلمة الكفر والشرك على صالح هذه الأمة وطالحها وعالما وجاهلها ومطيعها وعاصيها، ولا يفرقون بين من كان خالص التوحيد بريئا من الشرك ومن كان متلبسا بشيء من ذلك، وهذه هي قاصمة الظهر وحالقة الدين فإن ذلك يستلزم طي بساط الشريعة الإسلامية بأسرها)**اه

لكن في المقابل فهناك من السلفيين من هو معتدل في قضية التكفير، قال عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب كما في الدرر السنية في الكتب النجدية (١٣/ ٢٤٢): (إذا علمت ذلك، فاعلم ألهمك الله للصواب، وأزال عن قلبك ظلم الشك والارتياب **أن الذي عليه المحققون من العلماء، أن أهل البدع كالخوارج والمرجئة والقدرية والرافضة ونحوهم لا يكفرون**، وذلك لأن الكفر لا يكون إلا بإنكار ما علم من الدين بالضرورة.)اه

النموذج الخامس : الحنابلة

في تاريخ الإسلام للذهبي ج٣٣/ص٥٧: (قال أبو إسماعيل الهروي: لما قصدت الشيخ أبا الحسن الحرقانيّ الصوفي وعزمت على الرجوع وقع في نفسي أن أقصد أبا حاتم بن حاموش الصوفيّ...

فلما قربت من الريّ كان معي في الطريق رجلٌ من أهلها فسألني عن مذهبي؟ فقلت: أنا حنبلي فقال: مذهبٌ ما سمعت به وهذه بدعة، وأخذ بثوبي وقال: لا أفارقك حتّى أذهب بك إلى الشيخ أبي حاتم، فقلت: خيرة، فذهب بي إلى داره وكان له ذلك اليوم مجلسٌ عظيم فقال: هذا سألته عن مذهبه فذكر مذهباً لم أسمع به قط قال: ما قال؟ قال: أنا حنبليّ، **فقال: دعه فكل من لم يكن حنبلياً فليس بمسلم)**اه

وفي طبقات الحنابلة لأبي يعلى ١/١٣: (قال الربيع: قال الشافعي: **من أبغض أحمد بن حنبل فهو كافر**، فقلت: تطلق عليه اسم الكفر، فقال: نعم من أبغض أحمد بن حنبل عاند السنة ومن عاند السنة قصد الصحابة ومن قصد الصحابة أبغض النبي ومن أبغض النبي صلى الله عليه وآله وسلم كفر بالله العظيم!!!)اه

وأكاد أجزم بعدم صحة هذا الكلام عن الشافعي لأمور:

١- أني لم أجد هذا الكلام في غير طبقات الحنابلة وهو فيها بلا سند

٢- أن الشافعي مات قبل محنة خلق القرآن وظاهر الكلام المحكي يشعر بأنه قاله بعد المحنة وإلا فـــلا مناسبة له

٣– أنه لا يمكن أن يكون هذا القياس غير المنطقي: (من أبغض أحمد بن حنبل عاند الســـنة... إلخ) من قول الشافعي لأنه غير مسلّم بالبديهة فكيف يصدر عنه مع جلاله قدره

ومع كون الفقير شافعي المذهب؛ أقول: لو صح هذا الكلام عن الشافعي فهو مردود عليه لأنه مـــن الغلو الظاهر، **فكيف يكون من أبغض أحمد كافرا؟!!! هل أحمد رسول أو نبي؟!** لو قال: فهو فاسق لهان الأمر، ولو قال: من أبغضه لأجل تمسكه بالسنة لهان الأمر، وقد تقدم معنا ما حصل بين أحمـــد وبين داود الظاهري، وسيأتي ذكر ما حصل بينه وبين الكرابيسي من التكفير المتبادل، ولغيرهم حصل نحو ذلك مع أحمد، فعلينا إذن أن نكفر كل من وقع بينه وبين أحمد ما يدعو للبغض، ولو فتحنا هذا الباب لفتحنا بابا عظيما من أبواب التكفير فكل طائفة ستقول عن رموزها مثل هذا الكلام

وكأني ببعض من يقرأ هذا الكلام يطبق عليّ الحكم السابق فيقول: كلامك هذا يدل على بغـــض أحمد وبغضه كفر إذن فأنت كافر!!!، إن أحمد حبيب إلى قلوبنا.. عزيز على نفوسنا لكن الحـــق أحب إلينا وأعز علينا منه

ومن باب ذكر الشيء بالشيء فهذا البربهاري الحنبلي يجعل كتابه شرح السنة كالقرآن الذي يجـــب الإيمان بكل ما فيه وتحريم رد أي حرف منه ووجوب نشره بين الناس قال البربهاري في كتابه شـــرح السنة ص١٢٥: **(فمن أقر بما في كتابي هذا وآمن به واتخذه إماما ولم يشك في حرف منه ولم يجحد حرفا واحدا فهو صاحب سنة وجماعة، كامل قد كملت فيه السنة، ومن جحد حرفا مما في هـــذا الكتاب أو شك ووقف فهو صاحب هوى)**اه

وقال قبل ذلك ص١٠٠: (فاتق الله يا عبد الله **وعليك بالتصديق والتسليم والتفويض والرضا بما في هذا الكتاب ولا تكتم هذا الكتاب على أحد من أهل القبلة)**اه ولا حاجة للتعليق على هذا الكلام فحكايته تغني عن التعليق

النموذج السادس : الأشعرية

ينقل السنوسي في شرح الكبرى ص١٨٤ عن ابن الدهان في شرح الإرشاد أنه قال: **(النوع الثاني من أنواع الشرك: ما أضيف من أفعال بعض إلى بعض من أن النار تحرق والطعام يشـــبع والثـــوب يستر...** إلى غير ذلك من ربط المعتادات حتى ظنوها واجبة وتلك ضلالة تبع الفيلسوفي فيها كثير من عامة المسلمين، قلت: بل وكثير المتفقهين المشتغلين بما لا يعنيهم من العلوم وعن مراشدهم عمين.

قال: وهم فيها على اعتقادات: **فمن قال بطبعها تفعل فلا خلاف في كفره، ومن قال بقوة جعلها الله فيها كان مبتدعا وقد اختلف الناس في كفره**)اه

وفي حاشية البيجوري على أم البراهين: (فلا تأثير للأسباب العادية في مسبباتها فلا تأثير للنار في الحرق ولا للطعام في الشبع ولا للسكين في القطع وهكذا

فمن اعتقد أن شيئا منها يؤثر بنفسه فلا نزاع في كفره، ومن اعتقد أن شيئا منها يؤثر بقوة أودعها الله فيه فهو فاسق مبتدع، وفي كفره قولان والراجح عدم كفره، كمن اعتقد أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقدرة أودعها الله فيه، ومن اعتقد أنه لا تأثير لشيء منها وإنما المؤثر هو الله تعالى لكن بينها وبين مسبباتها تلازم عقلي فمتى وجدت النار مثلا وجد الحرق، فهو جاهل بحقيقة الحكم وربما جره ذلك إلى الكفر**...**)اه

وقد تقدم معنا – عند الحديث عن مسألة التكفير - كلام كثير عن كثير من الأشاعرة في الاعتدال والاحتياط والبعد عن التكفير ما أمكن فراجعه

المبحث الخامس: الاعتدال والتجرد والإنصاف في الحكم على الآخر

الفرع الأول: أحكام جائرة (نماذج من التاريخ)

عند حكمنا على المسائل والأشخاص يجب أن نحكم حكما شرعيا عادلا وسطا ليس فيه إفراط ولا تفريط، ومما يؤسف له أنه قد صدرت من بعض الأئمة أحكام جزافية سواء فيما يتعلق بالأشخاص أو فيما يتعلق بالمسائل، وإليك بعض النماذج ضمن النقطتين التاليتين:

المسألة الأولى: نماذج في الأشخاص

سفيان الثوري وأبو حنيفة:

في السنة لعبد الله بن أحمد ١/١٩٤ بسنده عن شعيب بن حرب قال: قال لي سفيان الثوري: اذهب إلى ذلك يعني أبا حنيفة فاسأله عن عدة أم الولد إذا مات عنها سيدها، فأتيته فسألته فقال: ليس عليها عدة، **قال: فرجعت إلى سفيان فأخبرته فقال: هذه فتيا يهودي**)اه

واعجبا كيف تكون هذه فتوى يهودي حتى لو فرضنا أن أبا حنيفة كان مخطئا، لكن إذا عرف السبب بطل العجب، فالسبب هو الاحتقان الذي كان بين أهل الرأي وأهل الحديث، **وعليه فمن**

المهم جدا البعد عن التشنج والغضب والانفعال والتوتر عند إصدار الأحكام فلا يقضي القاضي وهو غضبان!!!

لكن سفيان بعد ذلك جمعه القدر مع أبي حنيفة على غير ميعاد فغيّر رأيه فيه، ففي مرقاة المفاتيح ج١/ص٧٩: (ومات أخو سفيان الثوري فاجتمع إليه الناس في عزائه فجاء أبو حنيفة فقام إليه سفيان وأكرمه وأقعده في مكانه وقعد بين يديه، **ولما تفرق الناس قال أصحاب سفيان: رأيناك فعلت شيئاً عجيباً! فقال: هذا رجل من العلم بمكان**)اه

التاريخي والخليل الفراهيدي

في تكملة تهذيب الكمال لمغلطاي ٤/٢٢٠: (قال محمد بن عبد الملك التاريخي في كتابه تاريخ النحويين في ترجمة الخليل بن أحمد الفراهيدي: **كان زيديا، ومن زيديته استنباطه العروض ليعارض به الكتاب والسنة !!!**) اه

إن عجبنا من التاريخي فوق عجبنا من الثوري في حكمه السابق على أبي حنيفة فالخليل ليس بزيدي، نعم كان إباضيا في أول أمره ثم رجع، ومع ذلك فما دخْلُ علمِ العروض بمعارضة الكتاب والسنة؟**!!**

لكن إذا كان الشخص يحمل في نفسه شيئا على آخر صيّر محاسنه مساويا، فابتكار علم العروض من محاسن الخليل التي يفخر بها وصدق الشاعر إذ يقول:

إذا محاسني اللاتي أدل بهـــــا * صارت عيوبا فقل لي كيف أعتذر

أسد بن عمرو وبعض أهل واسط

في تاريخ بغداد (ج٣/ص١٧٣): (عن سليمان بن أبي شيخ قال: كان أسد بن عمرو على قضاء واسط **فقال: رأيت قبلة واسط ردية جداً وتبين ذاك لي فتحرفت فيها، فقال قوم من أهل واسط: هذا رافضي!** ، فقيل لهم: ويلكم هذا من أصحاب أبي حنيفة كيف يكون رافضياً؟**!**)اه

أحمد والكرابيسي

في تاريخ بغداد ج٨/ص٦٥: (عن أبي الطيب الماوردي قال: جاء رجل إلى أبي علي الحسين بن علي الكرابيسي فقا : ما تقول في القرآن؟ فقال حسين الكرابيسي: كلام الله غير مخلوق، فقال له الرجل: فما تقول في لفظي بالقرآن؟ فقال له حسين: لفظك بالقرآن مخلوق

فمضى الرجل إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل فعرفه أن حسينا قال له: إن لفظه بالقرآن مخلوق فأنكر ذلك وقال: هي بدعة

فرجع الرجل إلى حسين الكرابيسي فعرفه إنكار أبي عبد الله احمد بن حنبل لذلك وقوله: هذا بدعة، فقال له حسين: تلفظك بالقرآن غير مخلوق! فرجع إلى أحمد بن حنبل فعرفه رجوع حسين وأنه قال: تلفظك بالقرآن غير مخلوق! فأنكر أحمد بن حنبل ذلك أيضا وقال: هذا أيضا بدعة

فرجع الرجل إلى أبي علي حسين الكرابيسي فعرفه إنكار أبي عبد الله أحمد بن حنبل وقوله: هذا أيضا بدعة، فقال حسين: أيش نعمل بهذا الصبي؟! إن قلنا مخلوق قال بدعة وإن قلنا غير مخلوق قال بدعة، فبلغ ذلك أبا عبد الله فغضب له أصحابه فتكلموا في حسين وكان ذلك سبب الكلام في حسين والغمز عليه بذلك)اه

وفي سير أعلام النبلاء ٢٨٩/١١: (أول من أظهر مسألة اللفظ حسين بن علي الكرابيسي وكان من أوعية العلم... فقال: لفظي بالقرآن مخلوق

قال المروذي في كتاب القصص: ذكرت لأبي عبد الله أن الكرابيسي قال: لفظي بالقرآن مخلوق، وأنه قال: **أقول إن القرآن كلام الله غير مخلوق من كل الجهات إلا أن لفظي به مخلوق**، ومن لم يقل لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر، **فقال أبو عبد الله: بل هو الكافر قاتله الله!!! وأي شيء قالت الجهمية إلا هذا**)اه

وفي طبقات الحنابلة ٦٢/١: (قال المروذي قلت لأبي عبد الله: إن الكرابيسي يقول: **من لم يقل لفظه بالقرآن مخلوق فهو كافر!!!، فقال [أحمد]: بل هو الكافر!!!**)اه

عجبا من الكرابيسي وعجبا من أحمد فقد كفر الكرابيسي من لم يقل: لفظي بالقرآن مخلوق، وكفر أحمد من يقول ذلك وكل ذلك من الجزاف الظاهر

لقد قال بقول الكرابيسي: (لفظي بالقرآن مخلوق) الكثير من أئمة أهل الحديث وغيرهم ومنهم: البخاري ومسلم وأبو ثور ومحمد بن نصر والحارث المحسبي وابن كلاب وغيرهم، وعند التأمل فإن قولهم هذا صواب، لكن أحمد أراد أن يسد الباب خشية أن يكون ذلك ذريعة إلى صريح القول بخلق القرآن، قال الذهبي في السير ٨٢/١٢: (**ولا ريب أن ما ابتدعه الكرابيسي وحرره في مسألة التلفظ، وأنه مخلوق هو حق، لكن أباه الإمام أحمد لئلا يتذرع به إلى القول بخلق القرآن**، فسد الباب)اه

وهذا الفعل من أحمد لم يرتضه الكثير من الأئمة لأن فيه مبالغة ظاهرة فالحكم بالكفر على من قال: لفظي بالقرآن مخلوق مجازفة، قال الذهبي في السير ٥١٠/١١ :\ (**وبالغ الإمام أحمد في الحط عليهم، وثبت عنه أن قال: اللفظية جهمية**)اه

وبعضهم اعتذر لأحمد بأنه يريد تكفير من يقصد بذلك: القرآن، الذي هو صفة الله وقد ورد في بعض الروايات عنه: (من قال لفظي بالقرآن مخلوق وهو يريد القرآن فهو كافر)، **لكن يشكل على هذه الرواية الغريبة أن أحمد كفر الكرابيسي عينا وهو قد صرح بعدم خلق القرآن وصرح بأنه يريد اللفظ لا غير**

ومع كل ذلك فإن الحكم بالكفر على من يقول صراحة بخلق القرآن ليس محل إجماع من أهل الحديث وغيرهم من أهل العلم ، بل المسألة خلافية بين السلف أنفسهم وبين أتباع المذاهب الأربعة فمثلا المعتمد عند الشافعية أن القول بخلق القرآن ليس بكفر، نعم القول بالتكفير بذلك هو قول كثير من المحدثين لكنه ليس محل إجماع قطعا، وللفقير بحث في ذلك بعنوان : (حكم القول بخلق القرآن في المذاهب الأربعة) تقدمت الإشارة إليه عجل الله بنشره

المسألة الثانية : نماذج في المسائل

مسألة (لفظي بالقرآن مخلوق)

لقد حكم أحمد على اللفظية بأحكام شديدة قاسية غالية **فقد حكم عليهم بأنهم شر من الجهمية وأنهم مخلدون في النار وأن ذلك القول من الشرك بالله وأنه لا يُصلى خلفهم**، ففي طبقات الحنابلة ١/٤٧: (روى أحمد بن شاذان بن خالد الهمذاني قال سمعت أحمد يقول: **من قال لفظه بالقرآن مخلوق فهو جهمي مخلد في النار خالدا فيها، ثم قال: وهذا شرك بالله العظيم**)اه

وفي سير أعلام النبلاء ١١/٢٨٩: (قال أحمد بن زنجويه سمعت أحمد يقول: **اللفظية شر من الجهمية**، وقال صالح سمعت أبي يقول: الجهمية ثلاث فرق: فرقة قالت القرآن مخلوق، وفرقة قالوا كلام الله وسكتوا، **وفرقة قالوا لفظنا به مخلوق، ثم قال أبي: لا يصلي خلف واقفي ولا لفظي**)اه

المفاضلة بين عثمان وعلي رضي الله عنهما

وإن تعجب فعجبا من بعض الأحكام المتعجلة الجاهزة المتسرعة، فهذا ابن عيينة على جلالته، وطُعْمةُ بن عمرو يحكمان على من فضل عليا على عثمان بأنه رافضي وعلى من وقف في التفضيل بينهما بأنه شيعي لا يُكلم ولا يجالس ولا يعدّل ففي كتاب شرح السنة للبربهاري ص١٢٤: (قال طعمةُ بن عمرو وسفيان بن عيينة: **من وقف عند عثمان وعلي فهو شيعي لا يعدل ولا يكلم ولا يجالس، ومن قدّم عليا على عثمان فهو رافضي**)اه

وقد تقدم معنا قول بن حجر في لسان الميزان ١/١٧٠: (**وهذا ظلم بيّن فإن هذا مذهب جماعة من أهل السنة**، اعني التوقف في تفضيل أحدهما على الآخر وإن كان الأكثر على تقديم عثمان، بل كان جماعة من أهل السنة يقدمون عليا على عثمان منهم سفيان الثوري وابن خزيمة)اه

ما سبق يحتم علينا ألا نسلّم بكل حكم يصدر من الأئمة، نعم إن أجمعت الأمة على حكم معين فذاك، أما إذا اختلفوا فلا بد من النظر والتحقق والبحث وليس بعضهم بحجة على بعض، والمشكلة هي أن الذي يُنشر في بعض الأوساط هي الأقوال الغالية المتشددة، حتى إن أهل تلك الأوساط يظنون أنه ليس في المسألة إلا تلك الأقوال

الفرع الثاني : دور البيئة والمنشأ في الحكم على الآخر

إن للبيئة والمنشأ دورا كبيرا جدا في الحكم على الآخرين ومسائلهم، قال القاسمي في كتابه في الجرح والتعديل ص٣٢ : (قال بعض علماء الاجتماع: **يختلف فكر عن آخر باختلاف المنشأ والعادة والعلم والغاية**، **وهذا الاختلاف طبيعي في الناس** وما كانوا قط متفقين في مسائل الدين والدنيا، **ومن عادة صاحب كل فكر أن يحب تكثير سواد القائلين بفكره)**اه

وقال رشيد رضا في مقال له في مجلة المنار (ج٣٦/ص١٠): (لا ننكر أن التعليم له بعض التأثير في تحسين العقائد الساقطة، **ولكن الأشياء الراسخة التي تلقن إلى الطفل في طفولته على أنها من الدين تبقى لا يقاومها التعليم مهما كانت درجتها من السخافة)**اه

وقد تقدم معنا قول الذهبي في سير أعلام النبلاء ج٣/ص١٢٨: (وخلْفُ معاوية خلق كثير يحبونه ويتغالون فيه ويفضلونه، إما قد ملكهم بالكرم والحلم والعطاء، **وإما قد ولدوا في الشام على حبه وتربى أولادهم على ذلك**، وفيهم جماعة يسيرة من الصحابة وعدد كثير من التابعين والفضلاء وحاربوا معه أهل العراق **ونشؤوا على النصب نعوذ بالله من الهوى**

كما قد نشأ جيش علي رضي الله عنه ورعيته -إلا الخوارج منهم- على حبه والقيام معه وبغض من بغى عليه والتبري منهم وغلا خلق منهم في التشيع، **فبالله كيف يكون حال من نشأ في إقليم لا يكاد يشاهِد فيه إلا غاليا في الحب مفرطا في البغض؟ ومن أين يقع له الإنصاف والاعتدال؟!)** انتهى كلام الذهبي

إننا كثيرا ما نردد كلمة مالك (**كل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) لكن ما أبعدنا عن تطبيق هذه الكلمة في واقعنا**، فقد صار مناط القبول والرد عند الكثير منا هو: ما نشأنا عليه أو ما تلقيناه، فحكمنا على مسألة بأن الخلاف فيها معتبر أو غير معتبر إنما هو لأننا

تلقينا ذلك ونشأنا عليه، وكذلك حكمنا على شيء بأنه بدعة أو سنة أو حق أو باطل أو إيمـان أو كفر إنما هو لأننا تلقينا ذلك أو نشأنا عليه، فما تلقيناه أو نشأنا عليه هو الحق المطلق

ومن النادر العزيز أن تجد من يبحث فيما نشأ عليه وتلقاه ويحتمل فيه الصواب والخطـأ، رحـم الله الشافعي فقد كان يقول: **(قولي صواب يحتمل الخطأ وقول غيري خطأ يحتمل الصواب)** وقد تقدم معنا قول الصنعاني في إيقاظ الفكرة: (الناس تبع لما ألفوه من اتباع الآباء بمجرد تقليدٍ وهوى، ومن نظر من العلماء فهو: **إما من راكدي الهمة** فيقصر نظره على ما دونه أسلافه من الكتب... **وإما أن يكون الناظر من ذوي الهمة والذكاء** فيطلع على مآخذ الناس من الكتاب والسنة ويظهر على الحق مع من كان **فيطرح ما ظهر له من الحق ويعود إلى الآباء إلا القليل بل الأقل من القليل)**اه

وقال ابن تيمية كما في الفتاوى الكبرى ج٢/ص٥٣٧: **(ومن تربى على مذهب قد تعوده واعتقد ما فيه -وهو لا يحسن الأدلة الشرعية وتنازع العلماء- لا يفرق بين ما جاء عن الرسول وتلقته الأمة بالقبول بحيث يجب الإيمان به وبين ما قاله بعض العلماء و يتعذر إقامة الحجة عليه،** ومن كـان لا يفرق بين هذا وهذا لم يحسن أن يتكلم في العلم بكلام العلماء وإنما هو من المقلدة الناقلين لأقـوال غيرهم)اه

الفرع الثالث: الحق أحق أن يتبع

من المهم جدا عند التحدث عن تصحيح الحكم أن نتحدث عن التجرد والإنصاف، وقد صدَقَ مـن قال: (الإنصاف عزيز)، إن التجرد والإنصاف يقتضي أن أقبل الحق من أي جهة كانت من شيخي أو من غيره، من جماعتي أو من غيرها، وصلت إلى الحق بنفسي أو أوصله لي غيري، من مسلم أو مـن كافر، من سني أو من مبتدع، قال حاتم الأصم: (**لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قـال، وخـذ الحكمة حيث وجدتها فإنها ضالة المؤمن فإذا وجدتها فقيدها ثم ابتغ ضالة أخرى)** اه تنبيه المغتـرين ص١٨٤

وقبل ذلك قال الله تعالى: (**...أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا** إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَـا يَفْعَلُونَ) [يونس /٣٥ ، ٣٦]

وقال سبحانه : (**فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّـهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ**) [الزمر/١٧، ١٨]

وروى الترمذي في سننه ٤/٣٦٤: (عن حذيفة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآلـــه وسلم: **لا تكونوا إمعة تقولون: إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا)اه**

وروى الترمذي في سننه ٥/٥١: (عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وســـلم: **الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها)**اه ورواه ابن ماجه ٢/١٣٩٥

وفي صحيح البخاري ١/٢٤٦: (عن عبيد الله بن عدي بن خيار أنه دخل على عثمان رضي الله عنه وهو محصور فقال: **إذا أحسن الناس فأحسن معهم وإذا أساؤوا فاجتنب إساءهم)**اه

أخي القارئ الكريم:

- قد يكون الحق أحيانا على خلاف بعض ما ورثناه من آبائنا أو تلقيناه من مشايخنا، وقـــد يكـــون الحق أحيانا في صف المغمور لا المشهور، وقد يكون الحق أحيانا في صف الصغير لا الكبير فقد كان ابن عباس مقدما على الأشياخ ([٢٥])، وقد يكون الحق أحيانا في صف القليل لا الكثير، أو الضعيف

([٢٥]) في الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/١١٠: (فصل: في أخذ العلم عن أهله وإن كانوا صغار السن:

- قال الإمام أحمد: بلغني عن ابن عيينة قال: **الغلام أستاذ إذا كان ثقة**
- وقال علي بن المديني: لأن أسأل أحمد بن حنبل عن مسألة فيفتيني أحب إلي من أن أسأل أبا عاصم وابن داود، **إن العلم ليس بالسن**
- وروى الخلال من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: قال عمر رضي الله عنه: **إن العلم ليس عن حداثة السن ولا قدمه ولكن الله تعالى يضعه حيث يشاء**
- وقال وكيع: لا يكون الرجل عالما حتى يسمع ممن هو أسن منه ومن هو مثله **ومن هو دونه في السن هذه طريقة الإمام أحمد...**
- وفي فنون ابن عقيل: وجدت في تعاليق محقق؛ **أن سبعة من العلماء مات كل واحد منهم وله ست وثلاثون سنة فعجبت من قصور أعمارهم مع بلوغهم الغاية فيما كانوا فيه**، فمنهم: الإسكندر ذو القرنين وأبو مسلم الخراساني وابن المقفع وسيبويه وأبو تمام الطائي وإبراهيم النظام وابن الراوندي**...** انتهى كلامه
- وكان القراء أصحاب مشورة عمر **كهولاً كانوا أو شباناً**، وكان وقافاً عند كتاب الله، رواه البخاري وغيره.
- وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنه قال: **كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم: عبد الرحمن بن عوف.**
- قال ابن الجزري في كشف المشكل: **فيه تنبيه على أخذ العلم من أهله وإن صغرت أسنانهم** أو قلت أقدارهم.

لا القوي، أو الفقير لا الغني...إلخ فالحق لا يعرف كثرة ولا قلة، ولا شهرة ولا خفاء، ولا صغرا ولا كبرا، ولا ضعفا ولا قوة، ولا غنى ولا فقرا.. **إن الحق لا يعرف إلا الحجة والبرهان**

أخي القارئ الكريم:

الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها أخذها وعمل بها ولا ينتظر بذلك إذنا من أمير أو شـيخ أو أي أحد..(آمنتم له قبل أن آذن لكم) **فالحذر الحذر من أن تسلم عقلك لغيرك** بل اعرف الرجال بالحق ولا تعرف الحق بالرجال قال الغزالي في المنقذ من الضلال ص٥٢: **(عادة ضعفاء العقول يعرفـون الحق بالرجال لا الرجال بالحق**، والعاقل يقتدي بقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حيث قال: **(لا تعرف الحق بالرجال بل اعرف الحق تعرف أهله)** والعارف العاقل يعرف الحق ثم ينظـر في نفـس القول **فإن كان حقا قبله سواء كان قائله مبطلا أو محقا)**اه

وقد قال فرعون عن موسى عليه السلام: (إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد)

وقيل للطفيل بن عمرو الدوسي: (احذر محمدا ولا تستمع له فإنه سيسحرك و...) و لم يزالوا به حتى حشا في أذنيه الكرسف (القطن)، ولكن.. (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

وهذا مصعب بن عمير رضي الله عنه عندما قال له أسيد بن حضير ولصاحبه: ما جاء بكمـا إلينـا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة **فقال له مصعب: (أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمرا قبلته وإن كرهته كففنا عنك ما تكره)**

ومن عدم الإنصاف والتجرد أن نرد ما عند الآخر من الحق مع ردنا ما عنده من الباطل، قال ابـن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٩: **(...لكن نجد كثيرا من هؤلاء قد يكون القول الباطـل الذي مع منازعه فيه حق ما، أو معه دليل يقتضي حقا ما، فيرد الحق في هذا الأصل كله** حتى يبقى هذا مبطلا في البعض كما كان الأول مبطلا في الأصل **كما رأيته لكثير من أهل السنة في مسـائل القدر والصفات والصحابة وغيرهم...)**اه

وقال ابن تيمية أيضا كما في مجموع الفتاوى ج٦/ص٢٦: (وسبب ذلك أن قلوب المثبتة تبقى متعلقة بإثبات ما نفته المبتدعة وفيهم نفرة عن قول المبتدعة بسبب تكذيبهم بالحق ونفيهم له **فيعرضون عن ما يثبتونه من الحق** أو ينفرون منه أو يكذبون به، **كما قد يصر بعض جهال المتسننة في إعراضه عن بعض فضائل علي وأهل البيت** إذا رأى أهل البدعة يغلون فيها)اه

- وقد كان حكيم بن حزام يقرأ على معاذ بن جبل، فقيل له: **تقرأ على هذا الغلام الخزرجي؟! فقال: إنما أهلكنا التكبر)**اه

وقال الغزالي في المستصفى ج١/ص٤٨: (...ولذا تورد على بعض العوام مسألة عقلية جليلة فيقبلها، فإذا قلت: **هذا مذهب الأشعري أو الحنبلي أو المعتزلي نفر عنه إن كان يسيء الاعتقاد فيمن نسبته إليه، وليس هذا طبع العامي خاصة بل طبع أكثر العقلاء المتسمين بالعلوم، إلا العلماء** الراسخين الذين أراهم الله الحق حقا وقواهم على اتباعه)اه

وقال المعلمي في رفع الاشتباه ص٨٠: (**ومن العدوان وترك العدل أن ترد قول العالم بدون حجة ولكن لأنك تسيء به الظن**، أو لأن كثيرا من الناس أو أكثرهم يخالفونه ويدّعون عليه أنه يخالف الحق في بعض المسائل، **وكما أن هذا عدوان على ذلك العالم فهو عدوان على الحق أيضا لأن عليك أن تطلبه بالحجة والبرهان فتركت ذلك وعدوان على نفسك أيضا لأنك ظالم لها**) اه

وعلى العكس من ذلك تجد بعض من يحسن الظن بشخص أو طائفة يجعل كل قولهم مقبولا ولو كان بعضه خطأ، قال الغزالي في المنقذ من الضلال ص٥٤: (**وهذا وهم باطل وهو غالب على أكثر الخلق فإذا نسبت الكلام وأسندته إلى قائل حسن فيه اعتقادهم قبلوه وإن كان باطلا، وإن أسندته إلى من ساء فيه اعتقادهم ردوه وإن كان حقا وهذا غاية الضلال**)اه

وقال المعلمي في كتابه رفع الاشتباه ص٧٦: (**طَبْعُ الإنسان أنه إذا عرف في طائفة أنهم على الحق في كثير من المسائل وعرف في طائفة أخرى أنهم على باطل في كثير من المسائل ثم ذكرت له مسألة اختلفت فيها الطائفتان فإنه يتسرع إلى الحكم بأن الحق فيها مع الطائفة الأولى**، ولو لم يعرف لهم حجة بل قد تتلى عليه الحجج الموافقة للطائفة الثانية وتكون قوية ولا يعرف حجة للطائفة الأولى ولكنه لا يستطيع دفع ذلك الوهم عنه وهذا من أشنع الغلط)اه

وإنني لأسألك أخي القارئ الكريم وأسأل نفسي السؤال التالي ونريد من أنفسنا جوابا صريحا: **هل نحتمل في أقوال مذاهبنا (عقدية أو فقهية أو حركية) الصواب والخطأ؟ أم أن كل كلام أهل مذاهبنا صواب مطلق وكل ما خالفه خطأ مطلق؟**

نريد جوابا فيه من الشجاعة مثل شجاعة ابن القيم عندما قال في طريق الهجرتين ص٥٨٢: (**ولا نتعصب لطائفة على طائفة، بل نوافق كل طائفة على ما معها من الحق ونخالفها فيما معها من خلاف الحق، لا نستثني من ذلك طائفة ولا مقالة ونرجو من الله أن نحيا على ذلك ونموت عليه ونلقي الله به ولا قوة إلا بالله**)اه

وقال أيضا في إعلام الموقعين ج٣/ص٩٤: (فورثة الرسول منصبهم العدل بين الطوائف **وألا يميل أحدهم مع قريبه وذوي مذهبه وطائفته ومتبوعه**، بل يكون الحق مطلوبه يسير بسيره ويترل بتروله يدين بدين العدل والإنصاف ويحكم الحجة)اه

وقال الشيخ محمد الغزالي: (**والشيء الذي نرفضه ويرفضه جميع العقلاء أن يحسب أحد الناس أن رأيه دين وأن ما عداه ليس بدين** وأن يجمد على ما عنده جمودا قد يضر بالإسلام كله ويصدع وحدته)اه دستور الوحدة الثقافية ص٩٣

وقال ص٩٨: (وعلى الأتباع أن يستبينوا قيمة ما يؤدون وما يدعون، **فلا يظنون الإسلام حكرا على مسالكهم وحدها**، واختيار المسلم لمذهب ما لا يجوز أن يتحول إلى لجاجة ومغاضبة فإن ذلك يفسد النية ويمزق الأمة ويوهي الصلة بالله تعالى)اه

وقال الزرقاني في مناهل العرفان في علوم القرآن ج٢/ص٢٧: (**واعلم أن هناك أفرادا بل أقواما تعصبوا لآرائهم ومذاهبهم وزعموا أن من خالف هذه الآراء والمذاهب كان مبتدعا متبعا لهواه** ولو كان متأولا تأويلا سائغا يتسع له الدليل والبرهان، **كأن رأيهم ومذهبهم هو المقياس والميزان أو كأنه الكتاب والسنة والإسلام** وهكذا استزلهم الشيطان وأعماهم الغرور

ولقد نجم عن هذه الغلطة الشنيعة أن تفرق كثير من المسلمين شيعا وأحزابا وكانوا حربا على بعضهم وأعداء، وغاب عنهم أن الكتاب والسنة والإسلام أوسع من مذاهبهم وآرائهم وأن مذاهبهم وآرائهم أضيق من الكتاب والسنة والإسلام وأن في ميدان الحنيفية السمحة متسعا لحرية الأفكار واختلاف الأنظار ما دام الجميع معتصما بحبل من الله

ثم غاب عنهم أن الله تعالى يقول: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا)، ويقول جل ذكره: (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء)، ويقول تقدست أسماؤه: (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه)

لمثل هذا أربأ بنفسي وبك أن نتهم مسلما بالكفر أو البدعة والهوى لمجرد أنه خالفنا في رأي إسلامي نظري، فإن الترامي بالكفر والبدعة من أشنع الأمور ولقد قرر علماؤنا أن الكلمة إذا احتملت الكفر من تسعة وتسعين وجها ثم احتملت الإيمان من وجه واحد حملت على أحسن المحامل وهو الإيمان، وهذا موضوع مفروغ منه ومن التدليل عليه، **لكن يفت في عضدنا غفلة كثير من إخواننا المسلمين عن هذا الأدب الإسلامي العظيم** الذي يحفظ الوحدة ويحمي الأخوة ويظهر الإسلام بصورته الحسنة ووجهه الجميل من السماحة واليسر واتساعه لكافة الاختلافات الفكرية

والمنازع المذهبية والمصالح البشرية ما دامت معتصمة بالكتاب والسنة على وجه من الوجوه الصحيحة التي يحتملها النظر السديد والتأويل الرشيد...

ولكنك ستقضي الأسف حين ترى بجانبه فئات من المسلمين أيضا تراشقوا بالكفر وتراموا بالشرك وتقاذفوا بالتبديع والهوى لمجرد تأويل يستسيغه النظر ويتسع له صدر الاستدلال ثم اتسع الخرق على الراقع في بعض الظروف حتى دارت معارك طاحنة بين صفوف كلها مسلمة وأريقت دماء زكية كلها إسلامية ولا نزال نشهد من مثل هذا الصراع القائم على التنطع؛ مشاهد ما كان أغنانا عنها وما كان أحرانا بالحذر منها)اه

يجب علينا أن نعلم أنه ليس هناك جماعة أو طائفة أو مذهب (عقدي أو فقهي أو حركي) هم الناطق الرسمي باسم الإسلام أو السنة، وليس هناك جماعة أو طائفة أو مذهب يَكْفُون بكل فرائض الإسلام، بل كلٌّ على ثغرة، وليس هناك جماعة أو طائفة أو مذهب كل ما عندهم صواب وحق مطلق وما عند غيرهم خطأ وباطل مطلق، فينبغي أن نأخذ من كل جماعة أفضل ما فيها

وينبغي أن يكون الانتماء -إن كان ولا بد منه- بسبب أن المنتمي لمذهب يرى أن ذلك المذهب أقرب إلى الحق من غيره، أو لأن الله فتح عليه في خدمة الإسلام في ذلك المجال فحسب، قال الغزالي في إحياء علوم الدين ٤ / ٧: (فإن قلت: قد قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر والاختراع والكسب أنه صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا تناقض، فكيف يمكن فهم ذلك؟ وهل يمكن إيصال ذلك إلى الأفهام بمثال؟

فاعلم أن جماعة من العميان قد سمعوا أنه حُمل إلى البلدة حيوان عجيب يسمى الفيل وما كانوا قط شاهدوا صورته ولا سمعوا اسمه فقالوا: لا بد لنا من مشاهدته ومعرفته باللمس الذي نقدر عليه فطلبوه فلما وصلوا إليه لمسوه، فوقع يد بعض العميان على رجليه ووقع يد بعضهم على نابه ووقع يد بعضهم على أذنه فقالوا قد عرفنا انصرفوا

فسألهم بقية العميان فاختلفت أجوبتهم:

- فقال الذي لمس الرِجل إن الفيل ما هو إلا مثل أسطوانة خشنة الظاهر إلا أنه ألين منها
- وقال الذي لمس الناب ليس كما يقول بل هو صلب لا لين فيه وأملس لا خشونة فيه وليس في غلظ الأسطوانة أصلا بل هو مثل عمود
- وقال الذي لمس الأذن لعمري هو لين وفيه خشونة فصدق أحدهما فيه ولكن قال ما هو مثل عمود ولا هو مثل اسطوانة وإنما هو مثل جلد عريض غليظ

فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه إذ أخبر كل واحد عما أصابه من معرفة الفيل ولم يخرج واحد في خبره عن وصف الفيل ولكنهم بجملتهم قصروا عن الإحاطة بكنه صورة الفيل فاستبصر بهذا المثال واعتبر به فإنه مثال أكثر ما اختلف الناس فيه)اه

إن المنتمي لمذهب معين (عقدي أو فقهي أو حركي) ليستغرب من المنتمين إلى المذاهب الأخرى ويقول في نفسه: كيف انتسبوا لتلك المذاهب و لَم لا ينتسبون إلى مذهبي؟ وما درى أن المنتمي للمذهب الآخر يقول عنه مثل ذلك، قال الذهبي في سير النبلاء ١٧٢/٢٢: (قال أبو شامة: كان ابن قدامة إماما علما في العلم والعمل صنف كتبا كثيرة، **لكن كلامه في العقائد على الطريقة المشهورة عن أهل مذهبه فسبحان من لم يُوضّح له الأمر فيها على جلالته في العلم ومعرفته بمعاني الأخبار** قال الذهبي قلت: **وهو وأمثاله متعجب منكم مع علمكم وذكائكم كيف قلتم، وكذا كل فرقة تتعجب من الأخرى**، ولا عجب في ذلك **ونرجو لكل من بذل جهده في تطلب الحق-من هذه الأمة المرحومة- أن يغفر له)**اه

وكل فريق يرى أن ما هو عليه هو المطلب الشرعي وأن ضد ذلك ضلال مبين مع أن مقصد الجميع واحد قال الشاطبي في الموافقات ج٤/ص٢٢٣: (وأيضا فقد ظهر منهم اتحاد القصد على الجملة مع أهل الحق في مطلب واحد وهو اتباع الشريعة، **وأشد مسائل الخلاف مثلا مسألة إثبات الصفات حيث نفاها من نفاها، فإنا إذا نظرنا إلى الفريقين وجدنا كل فريق حائما حول حمى التتريه ونفي النقائص وسمات الحدوث وهو مطلوب الأدلة**، فاختلافهم في الطريق قد لا يخل بهذا القصد في الطرفين معا **وهكذا إذا اعتبرت سائر المسائل الأصولية)**اه

ففي مسألة الصفات التي ذكرها الشاطبي تجد المعتزلة والزيدية والإمامية يرون أن إثبات صفاتٍ زائدة على الذات يعني تعدد القدماء والآلهة، وهذا هو الكفر بعينيه، بينما المثبتة من أهل الحديث والحنبلية والأشعرية والماتريدية يرون أن عدم إثبات صفاتٍ زائدة على الذات يعني التعطيل والجحود لما أثبته الشرع بلا مسوغ، وهذا هو الكفر بعينه، ومقصد الجميع واحد وهو التتريه للرب

ومثل ذلك مسألة خلق أفعال العباد فتجد أن الزيدية والمعتزلة والإمامية يرون أن القول بخلق أفعال العباد يعني أن الله يجبر العباد على الكفر والمعاصي ثم يدخلهم النار على ما لم يفعلوه، وهذا يعني اتهام الله بالظلم وهو الكفر بعينه، بينما القائلين بخلق أفعال العباد من الأشعرية والماتريدية وأهل الحديث والحنبلية والإباضية يرون أن القول بعدم خلق أفعال العباد يعني أن مع الله خالقا آخر وهذا هو الكفر بعينه، ومقصد الجميع واحد وهو تتريه الرب

(فإذا كان الأقطاب من الجانبين على طرفي نقيض من الرأي والموقف بالنسبة إلى مسألة واحدة فما هي وظيفة المبتدي ومن ليس له إلمام بالمباحث الكلامية ولا قدم راسخة في المســـائل العقديـــة،إن الإنسان ليحتار أشد الحيرة من هذا الاختلاف في أصل واحد إذ كيف يمكن أن يكون أصل واحد آية توحيد الله وكماله في الخلق والإيجاد عند طائفة وعكس ذلك عند طائفة أخرى

هل يمكن أن يكون هذا التفاوت أمرا صحيحا؟ أم أن هذا يكشف لنا عن أن الأمر دُرس في جو من التعصب وعدم التحقيق ويكشف عن أن أكثر المسائل الخلافية نشأت في مثل هذا المنطلق وعولجت في مثل هذا الجو الذي ينافي مصلحة التحقيق والبحث الموضوعي في القضايا الفكرية والعقدية ([٢٦])

وعلى العموم فالواجب عند الخلاف بين المذاهب هو الرجوع إلى الحجة والبرهان لا إلى ما يقـــرره المذهب الذي ينتمي إليه الشخص، أو ما يقوله أشياخه أو ما يُكتب في كتبه، قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ١٢/٤٦٨: (وزن جميع ما خاض الناس فيه من **أقوال وأعمال في الأصول والفروع الباطنة والظاهرة** بكتاب الله وسنة رسوله، **غير متبعين لهوى من عادة أو مذهب أو طريقة أو رئاسة أو سلف ولا متبعين لظن)**اه

وقال ابن تيمية كما في الفتاوى الكبرى ج٢/ص٥٣٧: (وليس لأحد أن يحتج بقول أحد في مسائل النزاع، وإنما الحجة النص والإجماع ودليلٌ مستنبط من ذلك تقدر مقدماته بالأدلة الشرعية لا بأقوال بعض العلماء **فإن أقوال العلماء يحتج لها بالأدلة الشرعية لا يحتج بها على الأدلة الشرعية)**اه

وهذا كله إنما هو لمن يستطيع النظر، أما من لا يستطيع النظر فإنه يأخذ بقول من يثـــق في دينـــه ويثق في علمه أيضا، ثم هو في ذمة من أفتاه يوم القيامة لأن ذلك هو ما يستطع فعله ولا يكلـــف الله نفسا إلا وسعها، وقد قيل: (من قلد عالما لقي الله سالما)

الفرع الرابع: الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل

في كتاب عمر لأبي موسى رضي الله عنهما: (لا يمنعك قضاء قضيته ثم راجعت فيه نفسك فهـــديت لرشده أن تنقضه فإن الحق قديم لا ينقضه شيء **والرجوع إلى الحق خير من التمـــادي في الباطـــل** واعلم انه من تزين للناس بغير ما يعلم الله شانه الله)اه رواه الدارقطني والبيهقي وانظر خلاصة البدر المنير ٢/٤٣٥

([٢٦]) اقتباس من جعفر السبحاني في محاضراته حول البداء التي كتبها جعفر الهادي ص٨-٩ بتصرف

إن الرجوع إلى الحق عزيز جدا خصوصا إذا بان الحق من الغير لا بالبحث الذاتي، لكن من كانـــت نفسه كبيرة وكان الله مراده فإنه لا يبالي بحظوظ نفسه ولا بالخلق

وهذه بعض النماذج في ذلك:

في تاريخ بغداد ١٠/٣٠٨: (عن عبد الرحمن بن مهدي قال: كنا في جنازة فيها عبيد الله بن الحسن وهو على القضاء فلما وضع السرير جلس وجلس الناس حوله، قال: فسألته عن مسألة فغلط فيها، فقلت: أصلحك الله، القول في هذه المسألة كذا وكذا إلا أني لم أرد هذه إنما أردت أن أرفعك إلى ما هو أكبر منها

فاطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال: إذا أرجع وأنا صاغر إذا أرجع وأنا صاغر، لأن أكون ذنَبـــا في الحق أحب إلي من أن أكون رأسا في الباطل)اه ورواها ابن الجوزي في المنتظم ٦/٢٩٨ وذكر القصة المزي في تهذيب الكمال ١٩/٢٥ وابن كثير في البداية والنهاية ١٠/١٥١

وفي كتاب الروح لابن القيم ص١٠: (أن الخلال روى بسنده عن على بن موسى الحداد قال: كنت مع أحمد بن حنبل ومحمد بن قدامة الجوهري في جنازة، **فلما دفن الميت جلس رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد: يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة**

فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله ما تقول في مبشر الحلـــبي؟ قال: ثقة قد كتبت عنه شيئا، قال: نعم، فأخبرني مبشر عن عبد الرحمن بن العلاء اللجلاج عن أبيـــه **أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها** وقال: سمعت ابن عمر يوصي بـــذلك **فقال له أحمد: فارجع وقل للرجل يقرأ!!)**اه

وفي طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي ٨/٢١٤: (حكى القاضي عز الدين الهكاري ابن خطيب الأشمونين في مصنف له ذكر فيه سيرة الشيخ عز الدين ابن عبد السلام: **أن الشيخ عز الدين أفـــتى مرة بشيء ثم ظهر له أنه خطأ فنادى في مصر والقاهرة على نفسه: من أفتى له فلان بكـــذا فـــلا يعمل به فإنه خطأ)**اه والأمثلة على ذلك كثيرة تركناها خشية الإطالة

المبحث السادس : إشكالات حول حديث افتراق الأمة

غير خاف على أحد الحديث الوارد في افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة وأنها كلها في النـــار إلا واحدة...إلخ، وقد أُسيء فهم واستخدام هذا الحديث فصار معولا في يد البعض لتفريق الأمة وتمزيقها وإشاعة البغضاء في صفوفها، وكل يدعي أن جماعته هم الفرقة الناجية ومن عداهم هم الهالكون

وكلما حصل خلاف بين طائفة وأخرى صار هذا الحديث سيفا مصلتا بيد بعضهم على بعض، حتى وصل الحال إلى أن يشهر هذا السيف في خلاف التنوع والخلاف الدعوي والخلاف الفقهي، فلقـــد

كان كثير من أصحاب الحديث -عندما احتدمت المعارك بينهم وبين أهل الرأي- يقولون: (الفرقة الناجية هم أهل الحديث) ليخرجوا بذلك أهل الرأي، وأهل الرأي هم أهل الفقه، ولكن الشافعي لما كان جامعا بين الحديث والفقه صار سببا في جمع الكلمة بين الفريقين ففي ترتيب المدارك للقاضي عياض ٩١/١: (عن أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال: **ما زلنا نلعن أهل الرأي ويلعنوننا حتى جاء الشافعي فمزج بيننا**)اه

قال عياض: (يريد أنه تمسك بصحيح الآثار واستعملها ثم أراهم أن من الرأي ما يحتاج إليه وتبنى أحكام الشرع عليه وأنه قياسٌ على أصولها ومنتزع منها وأراهم كيفية انتزاعها والتعلق بعللها وتنبيهاتها **فعلّم أصحاب الحديث أن صحيح الرأي فرع للأصل، وعلّم أصحاب الرأي أنه لا فرع إلا بعد أصل وأنه لا غنى عن تقديم السنن وصحيح الآثار أولا**)اه

ولنتحدث عن حديث الافتراق باختصار ضمن الفروع التالية:

الفرع الأول : إشكالات من ناحية الروايات

ليس مرادي هو دراسة ذلك الحديث من الناحية الحديثية فهذا يطلب في مظانه، لكن مرادي هو أن ألفت نظر القارئ الكريم إلى بعض الإشكالات الحديثية في هذا الحديث، وبعضها قد يسلّم وبعضها قد لا يسلّم فمن تلك الإشكالات:

-الإشكال الأول: أن هناك من الأئمة من ضعف الحديث، قال ابن حزم في الفصل ١٣٨/٣ عن هذا الحديث وحديث (القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة): (قال أبو محمد: **هذان حديثان لا يصحان أصلاً من طريق الإسناد**، وما كان هكذا فليس حجة عند من يقول بخبر الواحد فكيف من لا يقول به)اه

لكن للحديث شواهد ولذا صححه في المقابل أئمة آخرون قال ابن تيمية في منهاج السنة النبوية ج٥/ص٢٤٩: (حديث الثنتين والسبعين فرقة ليس في الصحيحين **وقد ضعفه ابن حزم وغيره**، لكن حسنه غيره أو صححه كما صححه الحاكم وغيره)اه

-الإشكال الثاني: أن هناك من الأئمة من ضعف زيادة: (كلها في النار إلا واحدة) قال صديق حسن خان في يقظة أولي الاعتبار ١٠٦/١: (نقل السيد العلامة محمد ابن إبراهيم الوزير رحمه الله في بعض رسائله عن أبي محمد بن حزم الأندلسي رحمه الله ما لفظه: **قال ابن حزم: إن الزيادة يعني قوله: (كلها هالكة إلا فرقة) موضوعة، وإنما الحديث المعروف إنما تفترق إلى نيف وسبعين فرقة** ولا زيادة على هذا في نقل الثقات...)اه

وما نقله ابن الوزير عن ابن حزم هو في العواصم والقواصم ١/١٨٦ وقد أيد ابن الوزير تضعيف هذه الزيادة بل اعتبرها من دسيس الملاحدة فقال: (وإياك والاغترار بـ(كلها هالكة إلا واحدة) **فإنها زيادة فاسدة غير صحيحة القاعدة ولا يؤمن أن تكون من دسيس الملاحدة، وعن ابن حزم: إنها موضوعة غير موقوفة ولا مرفوعة**، وكذلك كل ما ورد في ذم القدرية والمرجئة والأشعرية فإنها أحاديث ضعيفة غير قوية)اه

وقال ابن الوزير أيضا ٣/١٧٠ بعد ذكر روايات حديث الافتراق: (وليس فيها شيء على شرط الصحيح ولذلك لم يخرج الشيخان شيئا منها وصحيح الترمذي منها حديث أبي هريرة من طريق محمد بن عمرو بن علقمة **وليس فيه (كلها في النار إلا واحدة) وعن ابن حزم: أن هذه الزيادة موضوعة ذكر ذلك صاحب البدر المنير)**اه

وقال الشوكاني: (**وأما الزيادة التي في الحديث الأول فضعيفة، لا تقوم بها حجة في حكم شرعي ولو على بعض المكلفين فكيف في مثل هذا الأمر العظيم** الذي هو حكم بالهلاك على هذه الأمة المرحومة التي شرفها الله واختصها بخصائص لم يشاركها فيها أمة من الأمم السابقة وزادها شرفا وتعظيما وتجليلا بأن جعلها شهداء على الناس، وأي خير في أمة تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة وتهلك جميعا فلا ينجو منها إلا فرقة واحدة

ولقد أحسن بعض الحفاظ حين يقول: وأما زيادة: (كلها هالكة إلا واحدة) فزيادة غير صحيحة القاعدة وأظنها من دسيس الملاحدة وكذلك أنكر ثبوتها الحافظ ابن حزم

ولقد جاد ظن من ظن أنها من دسيس الملاحدة والزنادقة فإن فيها من التنفير عن الإسلام والتخويف من الدخول فيه مالا يقدر قدره، فتحصّل لواضعها ما طلبه من الطعن على هذه الأمة المرحومة والتنفير عنها)اه كلام الشوكاني من يقظة أولي الاعتبار ج١/ص٢٠٦-ص٢٠٧

وقد ذكر المليكي في كتابه (المقبلي حياته وفكره) ص٢٣٧ أن كلام الشوكاني هذا هو في رسالة له مفردة في حديث الافتراق وهي مخطوطة موجودة في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، وللشوكاني كلام في ذلك في التفسير حيث قال في فتح القدير [٢/٨٥]: (قال ابن كثير في تفسيره بعد ذكره لهذا الحديث ما لفظه: وحديث افتراق الأمم إلى بضع وسبعين مروي من طرق عديدة قد ذكرناها في موضع آخر انتهى، **قلت: أما زيادة كونها في النار إلا واحدة فقد ضعفها جماعة من المحدثين بل قال ابن حزم إنها موضوعة)**اه

وفي كلام ابن الوزير والشوكاني أن ابن حزم إنما يضعف الزيادة فقط وظاهر كلامه السابق أنه يضعف الحديث من أصله و لم أقف له على كلام آخر في ذلك، ثم وجدت المليكي قد قال نحو ذلك

في كتابه المشار إليه أنفا، وقد يكون كلامه حول الزيادة في كتاب له آخر عليه اعتمد صاحب البدر المنير ثم ابن الوزير ثم الشوكاني

-الإشكال الثالث: أن في بعض رواياته: (كلها في الجنة إلا واحدة في النــار) عكــس الروايــة المشهورة، رواها ابن النجار وغيره وقد صححها الحاكم وضعفها غيره

- الإشكال الرابع: أنه قد وردت في الحديث زيادات كل زيادة تخرج فرقة أو طائفة:

ففي بعض رواياته: (أعظمها فتنة على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم!!!) رواها الطبراني وهذه الرواية ظاهرة في أن المراد بها إخراج أصحاب الرأي من الفرقة الناجية

وفي رواية عند الديلمي وغيره: **(هم من لم يكفر أحدا من أهل التوحيد بذنب!!!)** وهــذ الروايــة ظاهرة في أن المراد بها إخراج الخوراج من الفرقة الناجية

وفي رواية: (هم من كان على ما أنا عليه الآن وأصحابي) وفي رواية: (هم الجماعة) وفي روايــة: **(هم السواد الأعظم)** وهذه الروايات الأخيرة مشهورة

وفي النهاية لا بد من معرفة الصحيح من الروايات والضعيف منها ولابد من الجمع بــين الروايــات الصحيحة أو الترجيح بينها عند التعارض بحسب ما هو مقرر

الفرع الثاني : إشكالات من ناحية مضمون الرويات

على فرض صحة الحديث:

فقد استشكله بعض أهل العلم لأنه معارض بالأحاديث الكثيرة التي فيها أن أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمة مرحومة.. قال صديق حسن خان في كتابــه يقظــة أولي الاعتبــار ج١/ص٢٠٠: **(والحديث استُشكِل لما فيه من الحكم على الأكثر بالهلاك والكون في النــار وذلــك ينــافي الأحاديث الواردة في الأمة بأنها مرحومة** وبأنها أكثر الأمم في الجنة...)اه ثم ذكر بعض الأحاديــث في أن أمة الإسلام مرحومة وأن أكثرها في الجنة.

ويمكن أن يجمع بين حديث الافتراق -على فرض صحته- وبين الأحاديث الأخرى بأن يقــال: لا تعارض بين كون أكثر أهل الجنة من هذا الأمة وبين هذا الحديث لأنه ليس المراد بالحديث أن الفرق مخلدة في النار، بل هي إن دخلت النار فمآلها إلى الجنة. فأهل البدع من أهل الوعيد بالنار شــأنهم في ذلك شأن أهل الكبائر وأمرهم في الآخرة تحت المشيئة وسيأتي نحو هذا في كلام أبي حامد الغزالي

ويمكن أن يقال: كثرة عدد الفرق الهالكة لا يعني كثرة الهالكين من الأمة، بأن يكون مجموع أفــراد الفرق الهالكة أقل من مجموع أفراد الفرقة الناجية قال المقبلي في رسالته المفردة حول افتراق الأمــة: **(الفرقة الناجية هم المعتزون إلى جملة الإسلام** ظاهرا أو بحسب التحقيق اجتهادا أو تقليدا والمبتدعــة

على التحقيق نزر يسير بالنسبة إليهم أولئك هم الجماعة والسواد الأعظم ، **وهذا لا ينافي كون الفرقة الناجية من نيف وسبعين فرقة إذ لا يبعد أن تكون فرقة أكثر أشخاصا من ألف فرقــة)**اه المقبلــي حياته وفكرة للمليكي([27]) ص٢٤١

وقال الصنعاني: (الذي يظهر لي في ذلك أجوبة:

أحدها: أنه يجوز أن هذه الفرق المحكوم عليها بالهلاك قليلة العدد ولا يكون مجموعها أكثر مــن الفرقة الناجية فلا يتم أكثرية الهلاك ولا يرد الإشكال)اه يقظة أولي الاعتبار ج١/ص٢٠١

ثم ذكر الصنعاني بقية الأجوبة فقال:

(ثانيها: أن الحكم على تلك الفرق بالهلاك والكون في النار حكم عليها باعتبار ظــاهر أعمالهــا وتفريطها، كأنه قيل: (كلها هالكة) باعتبار أعمالها محكوم عليها بالهلاك **وكونها في النار، ولا ينافى ذلك كونها مرحومة باعتبار آخر من رحمة الله لها وشفاعة صالحها لطالحها...**

ثالثها: أن ذلك الحكم مشروط بعدم عقابها في الدنيا وقد دل الحديث على أن عقابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا**...**

رابعها: أن الأشكال في حديث الافتراق إنما نشأ من جعل القضية الحاكمة به وبالهلاك دائمــة... والحق أن القضية حينية يعني أن ثبوت الافتراق للأمة والهلاك لمن يهلك ثابت في حين من الأحيان وزمن من الأزمان... ولا يبعد أن ذلك الحين والزمان هو آخر الدهر الذي وردت الأحاديــث بفساده وفشوا الباطل وخفاء الحق...) اه يقظة أولي الاعتبار ج١/ص٢٠٣-ص٢٠٢

وعلى فرض صحة الحديث أيضا:

فهناك من الأئمة من قال: **إن المراد بالأمة في هذا الحديث هي أمة الدعوة لا أمة الإجابة**، أي أنهم كل البشر من بعد مبعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعليه فالفرقة الناجيــة هــي كــل المسلمين فإنهم كلهم ناجون من الخلود في النار وقد جاء في الحديث عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: **(ما من أمة إلا وبعضها في النار وبعضها في الجنة إلا أمتي كلها في الجنــة)**اه رواه الطبراني في الصغير ١/٣٨٧

---

[27]) ثم وقفت على رسالة المقبلي في حديث الافتراق ورسالة الشوكاني في حديث الافتراق ورسالة الصنعاني في حديث الافتراق في مجموع واحد بعنوان : (رسائل وأبحاث في حديث افتراق الأمة) تحقيق عبد الله بن يحي السريحي جمع فيه المحقق هذه الرسائل الثلاث ورسالة رابعة في حديث الافتراق لابن مطير الحكمي، والمجموع من مطبوعات دار الكتب العلمية، ووقفت فيها على ما كنت قد نقلته قبل عنهم بالواسطة

وأقوى من ذلك رواية الحاكم ٢١٩/١ والطبراني في الكبير ١٣/١٧ عن عمرو بن عوف قال: (كنا قعوداً حول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مسجده، فقال: لتسلكن سَنَنَ مَنْ قبلكم حـــذو النعل بالنعل، ولتأخذن مثل أخذهم إن شبراً فشـــبر، وإن ذراعاً فذراع، وإن باعاً فباع، حـــتى لـــو دخلوا جحر ضب دخلتم فيه، إلا إن بني إسرائيل افترقت على موسى على إحدى وســـبعين فرقـــة، كلها ضالة إلا فرقة واحدة، الإسلام وجماعتهم، وإنها افترقت على عيسى ابن مريم علـــى إحـــدى وسبعين فرقة، كلها ضالة إلا فرقة واحدة، الإسلام وجماعتهم، ثم إنكم تكونون على اثنتين وسبعين فرقة، **كلها ضالة إلا فرقة واحدة، الإسلام وجماعتهم)**اه

قال صديق خان في كتابه يقظة أولي الاعتبار ج١/ص٢٠٠ : (**ولما كان حديث الافتراق مشـــكلا كما ترى أجاب بعضهم بأن المراد بالأمة في هذا الحديث أمة الدعوة لا أمة الإجابة** يعني الأمة التي دعاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإيمان والإقرار بوحدانيته هي المفترقة إلى تلك الفرق وإن أمة الإجابة هي الفرقة الناجية يريد بها من آمن بما جاء به النبي صلى الله عليـــه وآلـــه وســـلم **وحينئذ فلا إشكال، قال السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير اليمنى: وهذا جواب حسن...)** اه لكن الصنعاني ذكر بعد ذلك وجوها في استبعاد هذا الجواب

وعلى الفرض بأن المراد بهم أمة الإجابة :

فما هي طبيعة ذلك الاختلاف هل هو الاختلاف في الدين أم في الدنيا؟ وكلٌّ حاصلٌ، أم هل هـــو الاختلاف في العقائد أم في العمليات؟ وكل حاصل، أم هل هو الخلاف في المعصـــية أم في البدعـــة؟ وكل حاصل، قال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٣ عن حـــديث الافتـــراق: (**ثم هـــذا الاختلاف الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم إما في الدين فقط وإما في الدين والـــدنيا ثم قد يؤول إلى الدنيا وقد يكون الاختلاف في الدنيا فقط)**اه

بل رواية (هم الجماعة) تدل على أنه اختلاف في أمور السياسة، لأن ظاهرها أن الفرقة الناجية من لم يخرج على الإمام هذا على أحد التفاسير للجماعة، **والأولى أن يقال: الحـــديث مطلـــق لَمْ يقيـــد الاختلاف بدين أو دنيا.. بعقيدة أو عمل.. بمعصية أو بدعة، فإبقائه على إطلاقه أولى من تقييده بلا دليل**

ويرى أبو حامد الغزالي أن الفرقة الناجية هي من يدخل الجنة بغير حساب سواء كان الحساب لأجل المعصية أو لأجل البدعة فقال في رسالته فيصل التفرقة ضمن رسائله ص٩٦: (وأما حديث: (الناجية منها واحدة) فالرواية مختلفة فيه، فقد روي: (الهالكة منها واحدة) ولكن الأشهر تلك الرواية. ومعنى الناجية: **هي التي لا تعرض على النار ولا تحتاج إلى الشفاعة**، بل الذي تتعلق به الزبانية لتجـــره إلى

النار فليس بناج على الإطلاق وان انتزع بالشفاعة من مخالبهم، وفي روايـــة: (كلــها في الجنـــة إلا الزنادقة) وهي فرقة

ويمكن أن تكون الروايات كلها صحيحة: فتكون الهالكة واحدة هي التي تخلد في النار ويكون الهالك عبارة عمن وقع اليأس من صلاحه لأن اليائس لا يرجى له بعد الهلاك خير

وتكون الناجية واحدة وهي التي تدخل الجنة بغير حساب ولا شفاعة لأن من نوقش الحساب فقد عذب فليس بناج إذن، ومن عرض للشفاعة فقد عرض للمذلة فليس بناج أيضا على الإطلاق وهذان طريقان وهما عبارتان عن شر الخلق وخير الخلق وباقي الفرق كلهم بين هاتين الفرقتين) اه

وعلى فرض أن الحديث في الخلاف العقدي فقط:

فإن تحديد الفرقة الناجية فيه روايات متعارضة في نفس الحديث:

فرواية: (هم الجماعة) تدل على أن الفرقة الناجية من كان مع الحاكم و لم يخرج علي ، هـــذا علـــى تفسير الجماعة بمن اجتمع على الإمام و لم يخرج عليه، وعلى تفسيرها بأنها السواد الأعظم من الأمـــة فسيعود ذلك إلى رواية السواد الأعظم وسيأتي الحديث عنها، وعلى تفسيرها بأنها من كان على الحق ولو كنت وحدك فكل يدعي أنه على الحق فمن المهم معرفة ضابط الحق، قال الصنعاني وهو يعـــدد الإشكالات في حديث الافتراق: (الأشكال في تعيين الفرقة الناجية: وقد تكلم الناس فيها **وكل فرقة تزعم أنها هي الفرقة الناجية ثم قد يقيم بعض الفرق على دعواها برهانا أوهن من بيت العنكبوت،** ومنهم من يشتغل بتعداد الفرق المخالفة لما هو عليه ويعمد إلى ما شذت به من الأقوال ليبين بـــذلك أنها هالكة لاعتمادها على تلك الأقوال وأنه ناج بخلوصه عنها، **ولو فتش ما انطوى عليـــه لوجـــد عنده من المقالات ما هو أشنع من مقالات من خالفه** لكن عين المرء كليلة عـــن عيـــب نفســـه، وبالجملة: **فكل يدعى وصلا لليلى * وليلى لا تقر لهم بذاكا) اه** يقظة أولي الاعتبار ج١/ص٢٠٤

وقبله قال الشاطبي في الاعتصام ج٢/ص٢٥٤-ص٢٥٥: (**والجميع محوّمون -في زعمهم- علـــى الانتظام في سلك الفرقة الناجية...** وكل واحدة من تلك الفرق تستمسك ببعض الأدلة وترد مـــا سواها إليها، أو تهمل اعتبارها بالترجيح إن كان الموضع من الظنيات التي يسوغ فيها التـــرجيح، **أو تدعى أن أصلها الذي ترجع إليه قطعي والمعارض له ظني** فلا يتعارضان... **والحاصل أن تعيين هذه الفرقة الناجية في مثل زماننا صعب)اه**

وقال المقبلي في العلم الشامخ ص٣٦٣: **(اللهم إنا نبرأ إليك مما فعله المُفرقون**، ونسألك السلامة وأن تعظم الإسلام وأهله في قلوبنا وتشبع قلوبنا بالشفقة عليهم وحسن الظن بهم وأن نحب لهم ما نحـــب لنفوسنا، ونعوذ بك من هذه الدعاوى التي تدعيها هذه الفرق، ويصنف فيها المصنفون **يحكمون على**

عصابة الإسلام – صانهم الله– بالهلاك ويستثنون نفوسهم ومن وافقهم ويحكمون لنفوسهم بأنهم هم الفرقة الناجية ونشكو إليك هذه المصيبة التي عمت والداهية التي اطلخمت)اه وانظر المقبلـــي حياته وفكره ص٢٢٨

وقال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٣ / ٣٤٧-٣٤٦: (كثير من الناس يخبر عن هذه الفرق بحكم الظن والهوى **فيجعل طائفته والمنتسبة إلى متبوعه الموالية له هم أهل السنة والجماعة ويجعـــل مـــن خالفها أهل البدع وهذا ضلال مبين**، فإن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل ما أمر وليست هذه المترلة لغيره من الأئمة

بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله فمن جعل شخصا من الأشخاص غير رسول الله من أحبه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة كما يوجد ذلك في الطوائف من اتباع أئمة في الكلام في الدين وغير ذلك كان من أهل البـــدع والضلال والتفرق)اه

ورواية: (هم السواد الأعظم) تدل على أن الفرقة الناجية هم الأكثرية من الأمة ولذا نلحظ حـــرص كل طائفة على أن تضم عامة الأمة إليها وتدعي أنهم منها، مع أن عامة الأمة لا يعرفون من تفاصيل عقائدهم شيئا بل عامة الأمة على الاعتقاد المجمل، وهو الذي ينبغي أن يكونوا عليه فإن إدخال العامة في تفاصيل العقائد قد يكون سببا في تشكيكهم في كثير منها أو فهمهم لها على غير وجهها، وعليه فيجب تجنيب العامة الدخول في تفاصيل العقائد ونهيهم عن ذلك ونهي من يدخل معهم في ذلك، قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ١٢/٢٣٧: **(والواجب أمر العامة بالجمل الثابتة بالنص والإجماع ومنعهم من الخوض في التفصيل الذي يوقع بينهم الفرقة والاختلاف فان الفرقة والاختلاف مـــن أعظم ما نهى الله عنه ورسوله)**اه

وقال المقبلي في رسالته في حديث الافترق ص٧٣ من المجموع السابق: **(جمهور الناس من العامة (النساء والعبيد والمشتغلين بالصناعات).. لا مذهب لهم في التحقيق غير الإسلام، غير أنهم لما ارتكز في العقول وعلم من الدين وجوب الرجوع إلى العلماء رجع كلٌ إلى علماء جهته فيما عرضت حاجته إليه من أصول الدين وفروعه لظنه أن هذا مراد الله ورسوله منه**، ولو علم مخالفته ففر منه أشد الفرار، غير أنه لما تكثر من أهل كل مذهب من مدح متفقهتهم لمذهبهم وذم غيره ربما ارتكز ذلك في ذهن العامة من دون تأمل)انتهى

ورواية: (هم من لم يكفر أحدا من أهل التوحيد بذنب!!!) قد تكون من وضع المرجئة، لكن على فرض صحتها فهي تدل على أن الفرقة الناجية بعيدة عن تكفير المسلمين

ورواية: (هم من كان على ما أنا عليه الآن وأصحابي) تدل على أن الفرقة الناجية من كان على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وهذا عام ليس في العقيدة فقط، بل في العقيدة وفي الأخلاق والسلوك وغير ذلك، فلماذا حصر الأمر في العقيدة؟!

وهنا يأتي إشكال آخر وهو :

الفصل -عند الحديث عن الفرقة الناجية- بين العقيدة من جهة والأخلاق والسلوك من جهة أخرى وهو إشكال كبير وقع فيه الكثيرون وتسبب في الفرقة والتراع والتساهل في الآثام، فتجد من يدعي بأنه من الفرقة الناجية -لأنه على العقيدة الصحيحة في نظره- يهمل علاقته بربه وتزكيته لنفسه بحجة أنه على السنة وأن المعصية أهون من البدعة، كما تجده يهمل الأخلاق الفاضلة في التعامل مع الآخرين بنفس الحجة وهذه مصيبة وأي مصيبة

قال الشيخ محمد الغزالي في كتابه دستور الوحدة الثقافية ص١٣٤: (...تَصورْ! أن إنسانا ما يدرس في كتب العقائد أن الحرام رزق وأن الجنة والنار مخلوقتان الآن، فيظن ذلك من عناصر الإيمان ومباني العقيدة فيطوي فؤاده على هذه الحقائق ويحسب بذلك أنه استكمل دينه، **ثم يفرط في كثير من الصالحات ويستهين بكثير من الفضائل لأنها في الوزن دون ما اعتقده ولأن إهمالها لا يضره ضررا بالغا بعدما جمع معاقد الإيمان من هذه القضايا الطفيلية!!! وأضرابها**)اه

وعلى التسليم بأن المراد بـ(ما أنا عليه الآن وأصحابي) العقيدة فقط:

فكل طائفة تدعي أن ما هي عليه من العقيدة هي عقيدة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، قال الشوكاني: (قد تعاورت هذه الفرقة المعنية الدعاوي وتناوبتها الأماني، **فكل طائفة من طوائف الأمة تدعى لنفسها أنها الجماعة وأنها الظافرة بما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنهم الذين لا يزالون على الحق ظاهرين**)اه يقظة أولي الاعتبار ج١/ص٢٠٨

وقال المقبلي في العلم الشامخ ص٥١٣: (ثم إن الناس صنفوا في هذا المطلب وأخذوا في تعداد الفرق ليبلغوا بها ثلاث وسبعين **ثم يحكم كل منهم لنفسه ومن وافقه بأنه من الفرقة الناجية، وإنما يصنعون ذلك لادعاء كل منهم أنه على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه...**)اه

وقد عاب المقبلي -في رسالته المفردة في افتراق الأمة- على المصنفين في الفرق الإسلامية **حكمَهم لأنفسهم بأنهم هم الفرقة الناجية وادعاء كل منهم أنهم على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه**، وتسمية كل منهم نفسه بأسماء المدح ومخالفه بأسماء الذم

وجزم المقبلي بأن تعيين الفرق وتعدادها وأنها المرادة بالحديث لا سبيل إليه البتة بل هو رجم بالغيب وهجوم على ما لا دليل عليه، ورفض الحكم على فرقة إسلامية معينة بالهلاك واتخاذها عدوا وقال: (من تأمل وخبر أحوال الفرق الإسلامية ورأى عنايتهم في أمر الدين قولا وعملا ووازن ذلك بما ابتدعوه من المذاهب **منعه عقله ودينه وحياؤه من الأسلام أن يحكم على فرقة برمتها بالهلاك** ويتخذها عدوا فهذا إذا لم يكن من الحرام البين فليس من الحلال البين)اه

كما رفض الحكم على فرقة إسلامية معينة بأنها الفرقة الناجية وقال عن الفرقة الناجية: (هي من بقي على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه **في الاعتزاء إلى دين الإسلام والرجوع إلى الكتاب والسنة والرضا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبيا وبالمؤمنين إخوانا، ومحاذرة الفُرقة حتى كانوا لا يعدلون بالائتلاف ولا يؤثرون عليه شيئا من معالم الدين**)اه وانظر المليكي (المقبلي حياته وفكره) ص ٢٣٧

وعند النظر المنصف فإن التفاصيل التي يذكرها أهل كل مذهب عقدي لم تكن موجودة في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بل كان الموجود هو الاعتقاد المجمل، بل والنهي عن الخوض في تفاصيل العقائد

الفرع الثالث : إشكال فهم السلف

وهذا يسوقنا إلى إشكال آخر -موجود عند بعض المذاهب الإسلامية- وهو إشكال فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم فكثيرا ما نسمع: **(الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة)** وإذا أمعنا النظر في هذه المقولة نجد فيها بعض الإشكالات ومنها:

الإشكال الأول: في تحديد السلف الصالح، ففي ذلك أقوال كثيرة فبعضهم قصر السلف على الصحابة كما في كفاية الطالب ١/١٢٢، وبعضهم أضاف إليهم التابعين كما في إلجام العوام ص٥١، وبعضهم جعلهم القرون الثلاثة المفضلة كما في حاشية الباجوري على الجوهرة ص٢٠٢، وعلى كل حال فكل طائفة تدعي أن لها سلفا من تلك القرون الفاضلة، بل كل طائفة تدعي أن ما هي عليه هو ما كان عليه النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وأصحابه

الإشكال الثاني: أن السلف الصالح -بعد تحديدهم- إما أن يجمعوا وإما أن يختلفوا، فإن أجمعوا فإجماعهم حجة قاطعة وإن اختلفوا فاختلافهم رحمة واسعة وليس بعضهم بحجة على بعض، فإن قيل: المراد بقولنا فهم السلف هو إجماعهم في الفهم لا اختلافهم، قيل: هذا الأمر يستوي فيه السلف وغير السلف فإن الإجماع من أهل حجة في كل عصر، والاختلاف من أهله سعة في كل عصر، فما فائدة قولنا على فهم السلف إذن؟!

الإشكال الثالث: أن الاختلاف في العقائد حاصل في تلك القرون فالخوارج والمجسمة والمرجئة والمعتزلة والنواصب...إلخ ظهر أكثرهم في تلك القرون بل في القرن الأول منها (زمن الصحابة)، فإن قيل: المراد هو فهم أهل السنة من السلف لا أهل البدعة، فيقال: كل طائفة تدعي أنها على السنة وأن غيرها على البدعة، كما أنه قد تقدم معنا الكلام عن خلاف المبتدع وهل يخرق الإجماع؟ واختلاف أهل السنة أنفسهم في ذلك **عند الكلام عن الخلاف المعتبر والخلاف غير المعتبر فراجعه**

الفرع الرابع: من هي الفرقة الناجية؟

لقد نص القرآن الكريم على أن النجاة إنما هي للمتقين دون غيرهم، قال الله تعالى: (**ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا**) وقال تعالى: (**تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا**) وقال تعالى: (**...لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون**)، فمناط النجاة إذن هو تقوى الله تعالى لا غير، قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٢٠/١٦٦: (**وأهل السنة جزموا بالنجاة لكل من اتقى الله تعالى كما نطق به القرآن**، وإنما توقفوا في شخص معين لعدم العلم بدخوله في المتقين)اه

وقال الصنعاني عن الفرقة الناجية: (**هم متبعو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اتباعا قوليا وفعليا من أي فرقة كانت، وقد ذُكر في الفرقة الناجية أنهم صالحو كل فرقة**)اه يقظة أولي الاعتبار ج١/ص٢٠٥

ومن باب الاستطراد فكما أن مناط النجاة في الآخرة هو تقوى الله فإن مناط الحب والولاء الإكرام في الدنيا أيضا هو تقوى الله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (ليس لعربي على عجمي...فضل إلا بالتقوى)، قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٢٨/٢٢٧: (**وليس لأحد أن يعلق الحمد والذم والحب والبغض والموالاة والمعاداة والصلاة واللعن بغير الأسماء التي علق الله بها ذلك** مثل أسماء القبائل والمدائن **والمذاهب والطرائق** المضافة إلى الأئمة والمشايخ ونحو ذلك مما يراد به التعريف... **فمن كان مؤمنا وجبت موالاته من أي صنف كان ومن كان كافرا وجبت معاداته من أي صنف**)اه

وقال أيضا كما في مجموع الفتاوى ٣/٤٢٣: (**إذا عوقب المعتدون من جميع الطوائف وأكرم المتقون من جميع الطوائف** كان ذلك من أعظم الأسباب التي ترضى الله ورسوله وتصلح أمر المسلمين)اه

قارن هذا بقول البربهاري في شرح السنة ص١١٤: (**إذا رأيت الرجل من أهل السنة رديء الطريق والمذهب فاسقا فاجرا صاحب معاصي ضالا!!! وهو على السنة فاصحبه واجلس معه** فإنه ليس يضرك معصيته، **وإذا رأيت الرجل مجتهدا في العبادة متقشفا محترقا بالعبادة** صاحب هوى فلا تجالسه ولا تقعد معه ولا تسمع كلامه ولا تمش معه في طريق)اه

ويوافق ما تضمنته الآيات من النجاة للمتقين روايةُ: (هم من كان على ما أنا عليه الآن وأصحابي) لكن على عمومها في كل حالهم رضي الله عنهم (عقيدة وأخلاقا وسلوكا) لا في المعتقد فقط، مع أنه قد تقدم أنهم لم يتكلموا في تفاصيل العقائد كما تكلم من بعدهم من كل المذاهب، وإنما كانوا على الاعتقاد المجمل بل وكانوا يكرهون الخوض في تفاصيل العقائد وينهون عن ذلك كما تقدم، **ومجمل الاعتقاد يقر به جل طوائف الأمة وهو الذي عليه عامة المسلمين والسواد الأعظم منهم**، وهو الذي تمنى أن يموت عليه فطاحلة علماء الكلام في آخر أمرهم.

وقد يقول بعض متعصبة المذاهب العقدية: إنما قلتَ ما قلتَ -في مسألة الاعتقاد المجمل وتفاصيل العقائد- لجهلك بتفاصيل عقائد المذاهب، ومن جهل شيئا عاداا!!

فأقول -وبلا يمين-: ما كتبت ما سبق إلا بعد الاطلاع على تفاصيل عقائد المذاهب الإسلامية، وليس من الوسائط والنّقَلة بل من مصادرهم هم أنفسهم في الغالب، وليس من المراجع المعاصرة فحسب بل ومن المراجع القديمة أيضا، بل وأتيح للفقير أن يجلس مع الكثير من أهل تلك العقائد، فما ازددت بذلك إلا قناعة بما ذكرته سابقا في أمر الإجمال والتفصيل

كما إن الكثير من تفاصيل العقائد مبنية على مقدمات دقيقة لا يفهمها إلا المتخصصون وكثير منها مختلف فيه عند كبار النظار فضلا عن الصغار وما أحسن قول ابن الوزير اليماني في إيثار الحق ص١٦: (إن خوض جميع المتكلمين في عقائدهم الخلافية بين الفرق الإسلامية يتوقف دائما أو غالبا على الخوض في مقدمات لتلك العقائد، **وجميع!! تلك المقدمات مختلف فيها أشد الاختلاف بين أذكياء العالم وفحول علم المعقولات من علماء الإسلام دع عنك غيرهم**، ومن شرط المقدمات أن تكون أجلى وأن لا تكون بالشك والاختلاف أول ، **فلينظر بإنصاف من كان من أهل النظر من علماء الكلام في تلك القواعد الدقيقة والمباحث العميقة والمعارضات الشديدة والمناقشات اللطيفة...**)اه

والخلاصة: أن الناجي هو المتقي من أي طائفة كان (عقدية أو فقهية أو دعوية)، والناجي في مجال الفكر والعقيدة هو من بذل جهده للوصول إلى الحق بتجرد وإنصاف سواء أصاب الحق أم أخطأه

من أي طائفة كان، لأن ذلك وسعه ومستطاعه من التقوى (فاتقوا الله ما استطعتم) (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)

ومن لم يبذل جهده للوصول للحق أو بذله بلا تجرد وإنصاف فهو مقصر وصاحب هوى غير متقي وهو غير ناج سواء أصاب الحق أم أخطأه من أي طائفة كان، ومن ذلك نعلم أن مناط النجاة هو الشخص لا الطائفة (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا)

فإن قال قائل: جعلتم مناط النجاة هو الشخص لا الطائفة مع أن الحديث فيه أن الناجي طائفة،

فالجواب هو: أن مجموع أولئك الناجون من كل المذاهب هم الفرقة الناجية

فإن قال: كونهم متفرقين في الطوائف ينافي كونهم طائفة واحدة

فجوابه: أن من يجعل مناط النجاة هي العقيدة -دون النظر عن السلوك- يقول: إن من كان على تلك العقيدة فهو ناج سواء كان من الفقهاء أم من المحدثين أم من المفسرين أم من المجاهدين أم من الفلاحين أم من العمال أم من التجار... إلخ قال النووي في شرحه على صحيح مسلم ج١٣/ص٦٧: (ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون ومنهم فقهاء ومنهم محدثون ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير **ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض) اه**، فتفرُّقُ من كان على تلك العقيدة في تلك الطوائف لم يكن مانعا من النجاة عندهم، و لم يكن مانعا من تسميتهم بالفرقة الناجية، فكذلك يقول من يجعل مناط النجاة هو المستطاع من التقوى.

وفي ختام مبحث تصحيح الحكم أقول: لو صدقنا وأنصفنا في تصحيح الحكم على الآخرين المخالفين لنا من المذاهب الإسلامية (العقدية والفقهية والحركية) لسقط نحو الثلث (والثلث كثي) من المسائل المختلف فيها بيننا أمام هذا الأصل، ولسقط كثير من التوتر الحاصل بين أتباع المذاهب بسبب تلك المسائل، وقد سقط ثلثٌ أمام أصل تصحيح التصور فهذان ثلثان وبقي ثلث وسيسقط أمام تصحيح المعاملة إن شاء الله

المحور الثالث:

تصحيح المعاملة مع الآخر

وفيه مباحث:

المبحث الأول: لا إنكار في مسائل الخلاف

والمبحث الثاني: المنهج الشرعي في التعامل مع المخالف

والمبحث الرابع: نماذج مشرقة ونماذج مظلمة من التاريخ في التعامل مع المخالف

والمبحث الخامس: هو سماكم المسلمين

والمبحث السادس: لنتعاون فيما اتفقنا عليه

والمبحث السابع: تجنب الإرهاب الفكري وردود الأفعال

المحور الثالث: تصحيح المعاملة مع الآخر

المبحث الأول: لا إنكار في مسائل الاجتهاد

عند التعامل مع المخالف لا بد من النظر في نوع الخلاف الذي عنده:

فإن كان خلاف تنوع أو خلافا لفظيا أو خلافا معتبرا ([28]) -وقد تقدم معنا ضابط كل خـــلاف- فلا يجوز لنا أبدا أن ننكر على صاحبه أو نسيء معاملته أو نحمل في قلوبنا عليه أو ما شابه ذلك من المعاملة، فالقاعدة المقررة عند الأئمة في ذلك هي: **(لا إنكار في مسائل الاجتهاد)** وربما عبر بعضهم عنها بقوله: (لا إنكار في مسائل الخلاف) والمراد مسائل الخلاف المعتبر، وقد تقدم الكلام عن ضابط ذلك عند الكلام عن الخلاف المعتبر وغير المعتبر في العقيدة والعمل

قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٣٠/٨٠: (ولهذا قال العلماء المصنفون في الأمـــر بـــالمعروف والنهي عن المنكر من أصحاب الشافعي وغيره: **إن مثل هذه المسائل الاجتهادية لا تنكر باليد وليس لأحد أن يلزم الناس باتباعه فيها**، ولكن يتكلم فيها بالحجج العلمية فمن تبين له صحة أحد القولين تبعه **ومن قلد أهل القول الآخر فلا إنكار عليه** ونظائر هذه المسائل كثيرة)اه

وفي مجموع الفتاوى لابن تيمية أيضا ٢٧/٣٠٠: (لو كان أحدهم عارفا بمذهبه لم يكن له أن يلـــزم علماء المسلمين بمذهبه ولا يقول يجب عليكم أنكم تفتون بمذهبي، وأنه أي مذهب خالف مذهبي كان باطلا من غير استدلال على مذهبه بالكتاب والسنة، **ولو قال: من خالف مذهبي قوله مردود ويجب منع المفتي به وحبسه لكان مردودا عليه وكان مستحقا العقوبة على ذلك بالإجماع**، فكيـــف إذا كان الذي حكم به ليس هو مذهب أحد من الأئمة الأربعة)اه

وفي جامع بيان العلم وفضله ٢/٨٠: (عن يحيى بن سعيد الأنصاري قال: ما برح أولو الفتوى يفتون، فيحل هذا ويحرم هذا، **فلا يرى المحرم أن المحل هلك لتحليله ولا يـــرى المحـــل أن المحـــرم هلـــك لتحريمه**)اه

وأخرج الخطيب البغدادي في كتاب "الرواة" عن مالك من طريق إسماعيل بن أبي المجالد، قال: قـــال هارون الرشيد لمالك بن أنس: يا أبا عبد الله، نكتب هذه الكتب، ونفرقها في آفاق الإسلام، لنحمل عليها الأمة. قال: يا أمير المؤمنين، **إن اختلاف العلماء رحمة من الله على هذه الأمة، كل يتبع مـــا**

[28]) وغالبا ما تكون هذه الأنواع من الخلاف في أمور الفقه والدعوة وقد تكون في فروع العقائد أحيانا، وتكون غالبا بين المنتمين لمذهب عقدي واحد، ومع ذلك تجد هذه الأنواع من الخلاف مجالا خصبا للخصومات والخلافات والنزاعات والتباغض والتدابر والتقاطع بين أتباع المذهب الواحد!!!

صح عنده، وكل على هدى، وكل يريد الله)اه من رسالة جَزِيل المَوَاهِب في اختلاف المذاهب للسيوطي (ص٢)

لكن إذا نظرنا إلى الواقع لوجدناه بعيدا عن هذا كل البعد فلا تكاد تمر مناسبة إلا ويثار الخلاف:

- ففي رجب تقام المعارك حول شهر رجب وحكم صومه
- وفي شعبان تقام المعارك حول ليلة النصف من شعبان وحكم قيامها
- وفي رمضان تقام المعارك حول صلاة التراويح والقنوت والختم
- وفي العيدين تقام المعارك حول التكبير الجماعي وصيغ التكبير
- وفي ذي الحجة تقام المعارك حول عشر ذي الحجة والمسائل الخلافية المتعلقة بالحج
- وفي محرم تقام المعارك حول يوم عاشورا
- وفي ربيع تقام المعارك حول المولد النبوي الشريف
- وهكذا... السنة كلها معارك

هذا فيما يتعلق بالاختلافات التي تتعلق بالمناسبات الزمانية، وهناك معارك أخرى كثيرة في مناسبات أخرى وفي غير مناسبات، كل ذلك تُبذل فيه الأموال والأوقات والجهود الضخمة التي لو بذلت فيما هو أولى لكان الحال غير الحال، والمصيبة أن هذا الاختلاف حاصل باسم الدين فكل طرف يدعي أن ما يفعله هو من صميم الدين.. إلى متى؟!

وهنا تأتي نقطة مهمة وهي: أنه ينبغي أحيانا التنازل عن الرأي حفاظا على الألفة الإسلامية، فقد كان ابن مسعود يخالف عثمان في إتمام الصلاة بمنى ويرى القصر ومع ذلك كان يصلى خلفه ويتم فقالوا له: كيف تخالفه ثم تتم معه؟ **فيقول: (الخلاف شر)**اه سنن البيهقي ٣/١٤٤

وهؤلاء الحنابلة يرون عدم القنوت في الفجر لكنهم مع ذلك يرون أن من صلى خلف من يقنت في الفجر فإنه يقنت معه حرصا على الوحدة والألفة، انظر كشاف القناع ١/٤٢١

وفي مجموع الفتاوى أيضا ج٢٢/ص٢٦٧-ص٢٦٨: (وكذلك إذا اقتدى المأموم بمن يقنت في الفجر أو الوتر قنت معه سواء قنت قبل الركوع أو بعده وإن كان [الإمام] لا يقنت لم يقنت معه، ولو كان الإمام يرى استحباب شيء والمأمومون لا يستحبونه **فتركه لأجل الاتفاق والائتلاف كان قد أحسن)**اه

وفي الإنصاف للدهلوي ص٧٣: (وروي أن أبا يوسف ومحمد كانا يكبران في العيدين تكبير ابن عباس لأن هارون الرشيد كان يحب تكبير جده، وصلى الشافعي رحمه الله الصبح قريبا من مقبرة أبي حنيفة رحمه الله فلم يقنت تأدبا معه)اه

وفي الفتاوى الكبرى لابن تيمية ج٢/ص٤٥٤: **(ومع هذا فكان بعضهم يصلي خلف بعض** مثل ما:

- كان أبو حنيفة وأصحابه والشافعي وغيرهم يصلون خلف أئمة أهل المدينة من المالكية وإن كانوا لا يقرأون البسملة لا سرا ولا جهرا
- وصلى أبو يوسف خلف الرشيد وقد احتجم وأفتاه مالك بأنه لا يتوضأ فصلى خلفه أبو يوسف و لم يعد
- **وكان أحمد بن حنبل يرى الوضوء من الحجامة والرعاف فقيل له: فإن كان الإمام قد خرج منه الدم ولم يتوضأ تصلي خلفه؟ فقال: كيف لا أصلي خلف سعيد بن المسيب ومالك)اه**

وإن كان الخلاف غير معتبر في نظرنا ([29]): فالخطوة الأولى هي أن نبين للمخالف (فردا كان أو طائفة) قبل غيره عدم اعتبار خلافه باللطف والرحمة والحجة والبرهان والحوار بالتي هي أحسن، فإذا لم يتراجع المخالف فلا إكراه في الدين، ولا بأس عندئذ أن نبين خطأه (فردا كان أو طائفة) للآخرين لكن بالأدب والرفق والإنصاف والتجرد والحجة والبرهان بكل علمية وموضوعية، ولا يعني هذا أن نسيء في معاملتنا له وفي أخلاقنا معه، بل نتعامل معه وفق المنهج الشرعي مع المخالف، ولننظر في المنهج القرآني والمنهج النبوي في التعامل مع المخالف في المبحث التالي:

المبحث الثاني : المنهج الشرعي في التعامل مع المخالف

إن وجود الخلاف غير المعتبر عند الفرد أو الطائفة، وقيامنا ببيان الخطأ في ذلك؛ لا يعني أن نسيء في معاملتنا للمخالف وفي أخلاقنا معه فنسُبّ أو نشتم أو نحقر أو نسخر...إلخ، بل حسن الخلق والأدب في التعامل مطلوب مع الجميع، كما لا ينبغي أن ننسى أن المخالف ما زال مسلما ([30])، ولا ينبغي أن ننسى ما تقدم ذكره في مسألة إعذار المخالف في العقيدة والعمل، كما لا ينبغي أن ننسى ما ذكرناه سابقا من التفريق بين مسألة الحكم على المسألة والحكم على المعين، ولا ينبغي أيضا أن ننسى أن عند هذا الشخص من الخير والحسنات الشيء الكثير...إلى آخر ما تقدم ذكره في المحورين السابقين

---

[29]) والمهم -بعد التصور الصحيح- أن يكون الحكم عليه بعدم الاعتبار ناتجا عن إنصاف وبحث وتجرد لا عن هوى، ولا لأن البيئة تحكم بذلك، ولا لأن مشايخ المذهب قالوا ذلك، ومن المهم هنا الإشارة إلى أن كل طرف في الغالب يرى أن خلاف مقابله غير معتبر، والسبب في ذلك في الغالب هي البيئة والنشأة والتربية، وقد يكون الهوى أو الجهل أحيانا

[30]) طبعا هذا إذا لم يكن المخالف قد كفر بمخالفته، وما أكثر ما يحصل الإجحاف في الحكم بالكفر على المخالف فردا أو طائفة وقد تقدمت معنا نماذج من ذلك، وتقدم معنا الكلام عن ضوابط التكفير

ولنجري الآن نظرة عابرة سريعة في المنهج القرآني والمنهج النبوي في التعامل مع المخـــالف ضـــمن الفروع التالية:

الفرع الأول: المنهج القرآني في التعامل مع المخالف

القرآن الكريم يدعونا إلى أن نتعامل مع المخالفين مهما كانت مخالفتهم -ولو كانوا كفارا- أحســـن المعاملة وأرقاها وإليك بعض النماذج:

١-قال الله تعالى آمرا موسى وهارون عليهما السلام: (اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) فإذا كان القول اللين مطلوب مع فرعون الطاغوت الأكبر فكيف لا يكـــون مطلوبا مع المسلم المخالف في المذهب؟! (عقدي أو فقهي أو حركي).. روى الخطيب البغدادي أن هارون الرشيد بينما كان يطوف يوما بالبيت إذ عرض له رجل فقال: يا أمير المؤمنين إني أريـــد أن أكلمك بكلام فيه غلظة، **فقال: لا ولا نعمت عين، قد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني فأمره أن يقول له قولا لينا)**اه البداية والنهاية ٢٣٥/١٠

٢-وقال الله تعالى مخاطبا نبيه الكريم: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فضا غلـــيظ القلـــب لانفضوا من حولك) فلِينُ المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم رحمة من الله لهم، وهو صلى الله عليه وآله وسلم ليس رحمة للمسلمين فحسب بل (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)، والعالمين كل ما عدا الله تعالى، وفي الآية أن الفضاضة والغلظة مع الناس سبب للتنفير عن الدين وانفضاض النـــاس عـــن الداعية، وهذا أمر مشاهد، لكن لعموم البلوى به نبه الله إلى اجتنابه والبعد عنه

٣-وقال الله تعالى: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) وقال سبحانه: (وجادلهم بـــالتي هي أحسن) فإذا كانت المجادلة -ليس بالحسنى فحسب بل بالتي هي أحسن- مطلوبة مع أهل الكتاب والكفار فهي مع المسلم المخالف في المذهب أولى وأحرى

٤-وقال الله تعالى: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بـــالمؤمنين رءوف رحيم) هذا الآية في معاملة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمؤمنين ولم تفرق بين مـــذهب ومذهب، فعنتُ كل مؤمن عزيزٌ عليه صلى الله عليه وآله وسلم وكذا ينبغي أن يكون الداعية، وهو صلى الله عليه وآله وسلم حريص على كل مؤمن وكذا ينبغي أن يكون الداعية، وهو صلى الله عليه وآله وسلم رءوف رحيم بالمؤمنين وهكذا ينبغي أن يكون الداعية رءوف رحيم بكل المؤمنين علـــى اختلاف مذاهبهم

الفرع الثاني: المنهج النبوي في التعامل مع المخالف

إذا تصفحنا السيرة النبوية والحديث الشريف فسنجد أن معاملة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمخالفيه -من الكفار والمنافقين والعصاة والمبتدعة- كانت في غاية السمو والرفعة ولنأخذ بعض النماذج:

الهدي النبوي في التعامل مع الكفار

لقد اجتهد المشركون في صنوف الأذى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فسبوه وشتموه وقالوا: ساحر وكاذب وكاهن... و لم يكتفوا بالقول بل وضعوا الأذى على ظهره وهو يصلي ووضع بعض صناديد قريش رجله النجسة على رقبة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلي.. و لم يكتفوا بذلك بل حاصروه وأصحابه اقتصاديا في الشعب حتى أكلوا الجلود والشجر.. وبعد ذلك مات عمه الذي يدافع عنه وبعدها ماتت خديجة التي كانت تواسيه فاشتد أذى المشركين عليه صلى الله عليه وآله وسلم..

وفي هذه الأجواء رحل النبي صلى عليه وآله وسلم إلى الطائف فعرض عليهم الإسلام فلم يجيبوه بل طردوه وأغروا به السفهاء والصبيان فرموه صلى الله عليه وآله وسلم بالحجارة حتى أدموه -بأبي وأمي هو- فرجع صلى الله عليه وآله وسلم هائما على وجهه مهموما مغموما لا لنفسه ولا لما أصابه ولكن لعدم قبولهم دين الله، ولقد سألت السيدة عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت له: هل لقيت من قومك أشد مما لقيت منهم يوم أحد؟ فقال: نعم يا عائشة عندما عرضت نفسي على أهل الطائف فردوني ورموني بالحجارة فخرجت هائما على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، كما في الصحيح

يا ترى ما هو الذي أفاقه صلى الله عليه وآله وسلم في قرن الثعالب (ميقات الطائف)؟ لقد استفاق على صوت جبريل وهو يقول له: إن السلام يقرؤك السلام وقد أرسل معي ملك الجبال لتأمره بما شئت، ثم قال ملك الجبال للمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم يا محمد مرني بما شئت.. إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (جبلَي مكة) فعلت، فمع كل ما فعلوا به كان جواب صاحب القلب الرحيم صلى الله عليه وآله وسلم: (لا.. إني لأرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يوحد الله تعالى ولا يشرك به شيئا)، ولقد حقق الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ما رجاه فأخرج الله من أصلاب أولئك الصناديد من جاهد في سبيل الله بالنفس والنفيس لنشر الإسلام في الشرق والغرب

لو فرضنا أن ملَكَ الجبال عَرض على أحد منا اليوم أن يفعل في مخالفيه في المذهب (عقدي أو فقهي أو حركي) مثل ما عرض ملك الجبل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المشركين لقال الكثير منا: افعل ولا حرج عاجلا غير آجل

وإني لأسأل نفسي وإخواني (الدعاة) السؤال التالي: لو قال لنا ملك الجبال: إن شئتم أن أطبق جبال أمريكا على أهلها لفعلتُ ([31])، فما سيكون جوابنا؟!!!

هل سيكون تابعا لهدي النبي محمد صلى عليه وآله وسلم فنقول: لا .. إننا لنرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يوحد الله ولا يشرك به شيئا؟ أم سنقول: نعم افعل ذلك اليوم قبل الغد؟

أنا على يقين أن جواب الأكثر منا –إن لم يكن الكل- سيكون الثاني، وهذا يظهر مدى الخلل في اقتدائنا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته، فإن هدف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس هو القضاء على الكفار بل هو إدخال الكفار في الإسلام فهو لا يريد أن يموت أحد على الكفر، بل روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يبكي إذا رأى جنازة يهودي مات على كفره فيقولون له: ما يبكيك يا رسول الله؟ فيقول: (نفس تفلتت مني إلى النار ([32])، صلى الله وسلم على صاحب القلب الرءوف الرحيم، فمن هو قدوتنا يا معاشر الدعاة إن لم يكن رسول الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم؟

(إن فهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو: أن القضاء على الباطل ليس معناه القضاء على أهله، وإنما هو الجهد والمجاهدة في ميدان الدعوة مع الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن وتكرار النصيحة والتذكير مع الشفقة والرحمة والحرص الشديد على هداية الناس وإنقاذهم من حياة الكفر والمعاصي إلى الحياة الراشدة التي يحبها الله سبحانه، كل هذا مع الدعاء والبكاء والتضرع لله تعالى كي يهديهم ويقبل بقلوبهم إليه سبحانه، إن العدد الضخم من المسلمين الذين كانوا معه صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع كانوا كلهم قبل أن يدخلوا في الدين أهل الباطل فهل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم متفكرا في هدايتهم أم في إبدائهم)اه([33])

دعونا من أمريكا الآن، ولنتعامل مع المسلمين المخالفين لنا في المذهب (العقدي أو الفقهي أو الحركي) بالرحمة التي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتعامل بها مع المشركين، ووالله وبالله وتالله لو رحم بعضنا بعضا كما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرحم الكفار لكان الحال غير الحال

قال ابن القيم في مدارج السالكين ج٢/ص٣٤٥: (ومن أراد فهم هذه الدرجة كما ينبغي فلينظر إلى سيرة النبي مع الناس يجدها هذه بعينها، و لم يكن كمال هذه الدرجة لأحد سواه، ثم للورثة منها

---

[31]) ليس المراد طبعا من يقوم بقتالنا منهم فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الهجرة يقاتل من يقاتله منهم ويدعو عليهم وإنما المراد عامتهم

[32]) هذا الحديث مع شهرته لم أستطع أن أقف عليه في الكتب المسندة التي بين يدي

[33]) اقتباس من كتاب (فك الاشتباكات بين الجماعات والحكومات) لرجب مدكور ص٦

بحسب سهامهم من التركة، وما رأيت أحدا قط أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه **وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه وما رأيته يدعو على أحد منهم قط وكان يدعو لهم، وجئت يوما مبشرا له بموت أكبر أعدائه وأشدهم عداوة وأذى له فنهرني وتنكر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم وقال: إني لكم مكانه ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه**، ونحو هذا من الكلام فسروا به ودعوا له وعظموا هذه الحال منه فرحمه الله ورضي عنه)اه

وما أحسن قول ابن تيمية **في مخالفيه الذين فعلوا به ما فعلوا: (إن من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين...**

وأول ما أبدأ به من هذا الأصل ما يتعلق بي فتعلمون -رضي الله عنكم- أني لا أحب أن يؤذى أحد من عموم المسلمين فضلا عن أصحابنا بشيء أصلا لا باطنا ولا ظاهرا، ولا عندي عتب على أحد منهم، ولا لوم أصلا **بل لهم عندي من الكرامة والإجلال والمحبة والتعظيم أضعاف أضعاف ما كان كلٌ بحسبه**

ولا يخلو الرجل إما أن يكون مجتهدا مصيبا أو مخطئا أو مذنبا، فالأول مأجور مشكور والثاني مع أجره على الاجتهاد فمعفو عنه مغفور له والثالث فالله يغفر لنا وله ولسائر المؤمنين، فنطوى بساط الكلام المخالف لهذا الأصل كقول القائل فلان قصّر.. فلان ما عمل.. فلان أوذي الشيخ بسببه.. فلان كان سبب هذه القضية.. فلان كان يتكلم في كيد فلان.. **ونحو هذه الكلمات التي فيها مذمة لبعض الأصحاب والإخوان فأني لا أسامح من أذاهم من هذا الباب** ولا حول ولا قوة إلا بالله)اه مجموع الفتاوى ٥١/٢٨

وفي مجموع الفتاوى ج٣/ص٢٧١: (وأنا والله من أعظم الناس معاونة على إطفاء كل شر فيها وفي غيرها وإقامة كل خير، **وبن مخلوف لو عمل مهما عمل والله ما أقدر على خير إلا وأعمله معه، ولا أعين عليه عدوه قط، ولا حول ولا قوة إلا بالله هذه نيتي وعزمي** مع علمي بجميع الأمور فإني أعلم أن الشيطان ينزغ بين المؤمنين ولن أكون عونا للشيطان على إخواني المسلمين)اه

نموذج نبوي آخر:

بعدما جرى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ما جرى في الطائف لم يتوقف أذى المشركين، بل بعدها تآمروا على قتله وخرج من مكة طريدا مهدر الدم و لم يتركوه بعد هجرته لسبيله بل قاتلوه في عدة مواضع، وفي أحد شجوا رأسه وكسروا رباعيته وجرحوا وجنته وقتلوا عمه ونحو سبعين من أصحابه،

ثم في الخندق ألبوا الأحزاب ليستأصلوا شأفته، ثم صدوه في الحديبية عن مكة ثم نقضوا عهدهم الذي أبرموه معه في الحديبية، وبعد كل هذا الأذى جاء فتح مكة وتمكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الذين فعلوا به كل تلك الصنوف من الأذى فيا ترى هل انتقم النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟!

لقد قال لهم صلى الله عليه وآله وسلم: من دخل داره فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ثم خطبهم فقال: ما تظنون أني فاعل بكم؟ فقالوا: أخٌ كرم وابن أخ كريم فقال صلى الله عليه وآله وسلم: اذهبوا فأنتم الطلقاء، صلى الله وسلم على صاحب القلب الرءوف الرحيم

نموذج نبوي ثالث:

لا يخفى على مطلع على الحديث النبوي والسيرة الشريفة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يزور اليهود في بيوتهم إذا مرضوا ويجيب دعوتهم إذا دعوه ويبيع ويشتري منهم... إلخ ولولا ضيق المقام لذكرنا بعض الأحاديث الواردة في ذلك

فيا ليتنا نزور المخالفين لنا في المذهب (العقدي أو الفقهي أو الحركي) كما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يزور اليهود، ويا ليتنا نجيب دعوة المخالفين لنا في المذهب كما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجيب دعوة اليهود، ويا ليتنا نتعامل مع المخالفين لنا في المذهب بالأخلاق التي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتعامل بها مع اليهود!!!

والنماذج على ذلك كثيرة لكن قد يقول قائل: هل نسيت قتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للكفار؟ فأقول: لم أنس، لكن الموقف في الحرب غير الموقف في بقية الوقت، مع أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يحاربهم لأجل الحرب ولا لأجل القتل وإنما لأجل هدايتهم ولأجل أنهم وقفوا حجر عثرة أمام نشر الهداية ووصولها للناس، قال ابن الوزير في إيثار الحق على الخلق ص٣٧١: (...الحب الذي هو في القلب وخاصة لأجل الدين وذلك للمؤمنين المتقين بالإجماع، وللمسلمين الموحدين إذا كان لأجل إسلامهم وتوحيدهم عند أهل السنة كما يأتي، **وأما المخالطة والمنافعة وبذل المعروف وكظم الغيظ وحسن الخلق وإكرام الضيف ونحو ذلك فيستحب بذله لجميع الخلق إلا ما كان يقتضي مفسدة كالذلة فلا يبذل للعدو في حال الحرب**)اه

ومع ذلك فللحرب في الإسلام أدبيات راقية تراجع في مظانها من كتب الفقه، وهناك كتاب مفرد في ذلك اسمه (القتال والجهاد في الإسلام) للدكتور محمد خير هيكل، وآخر للدكتور وهبة الزحيلي اسمه (نظرية الحرب في الإسلام)، وللفقير بحث عن الجهاد بعنوان: (حكم جهاد الاحتلال في المذاهب الثمانية) منشور على النت

ثم كلامنا هنا إنما هو في التعامل مع المسلمين المخالفين في المذهب (عقدي أو فقهي أو حركي)، وإنما ذكرنا صفة تعامل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع الكفار من باب قياس الأولى، فمعاملة الرسول صلى الله عليه في حالة عدم الحرب مع الكفار يجب -من باب أولى- أن نتعامل بها مع المسلمين المخالفين لنا في المذهب لأنه العلاقة معهم هي عدم الحرب على الدوام

الهدي النبوي في التعامل مع المنافقين

هذا عبد الله بن سلول رأس النفاق لم يفتأ في الكيد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، فقَبْل أن يُظهر الإسلام وعند مقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمدينة.. يأتي صلى الله عليه وآله وسلم راكبا حمارا لمجلس فيه ذلك الرجل فيقول: لقد آذانا نتن حمارك يا محمد ويتسبب في فتنة.. وتدور الأيام وإذا به يقول في بعض الغزوات: محمد أذل ونحن الأعزة وإذا قدمنا المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، وفي غزوة أحد رجع بثلث الجيش بخطة خبيثة، وبعد بني المصطلق آذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أهله وطعن في عرضه باتهام السيدة عائشة وتولى كبر الأمر...إلخ مكائده

هذا الرجل الذي كان يشكّل هو وأتباعه الطابور الخامس في المجتمع الإسلامي لما مات جاء ابنه يخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنبأ وفاته فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثوبه الذي يلي جسده ليكفن به أباه رجاء أن يغفر الله له، ثم خرج صلى الله عليه وآله وسلم فصلى عليه ودعا له بالمغفرة ونزل وأدخله القبر بيده، ولما نزل قوله تعالى: (استغفر لهم أو لا تستغفر له إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) قال صلى الله عليه وآله وسلم: لو أعلم أني إن استغفرت لهم أكثر من سبعين مرة غفر لهم لاستغفرت، صلى الله وسلم على صاحب القلب الرءوف الرحيم

الهدي النبوي في التعامل مع العصاة

هذا الصحابي حمّار رضي الله عنه كان مدمن خمر وكان كثيرا ما يجلد الحد لشربه، وذات مرة لقيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في الطريق وهو سكران فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اجلدوه فجعلوا يضربونه بعضهم بثوبه وبعضهم بنعله.. وفي أثناء ذلك سبه بعض الصحابة وقالوا: لعنك الله ما أكثر ما يؤتى بك، فغضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الطريقة في التعامل مع العصاة وقال للصحابة: لا تعينوا الشيطان على أخيكم إنه يحب الله ورسوله، صلى الله وسلم على صاحب القلب الرءوف الرحيم

لقد كانت طريقة معاملته صلى الله عليه وآله وسلم مع العصاة هي إثارة وتنمية جوانب الخير التي عندهم، فهذا الصحابي سكران لكن ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه -والرجل يسمع-

أنه يحب الله ورسوله، حتى يُعلّمهم –أولا- كيف يتعاملون مع العصاة، وثانيا: حتى يكــون هــذا الأسلوب أدعى في ترك العاصي لمعصيته، فإن الشدة في الغالب تؤدي إلى العناد، وإذا حصل امتثــال المخالف للشدة فهو ظاهري وليس من القلب

وذات مرة كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مجلس مع أصحابه فأقبل شاب فقال: يا رسول الله أريد أن تبيح لي الزنا، فهمّ به الصحابة فسكنهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال له: اجلــس، هل ترضى الزنا لأمك؟ قال: لا، قال: فكذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم.. ثم ذكر له أخته وبنتــه وعمته وخالته ثم وضع يده على صدره ودعا له، بعد ذلك ما هي النتيجة؟ لقد قال ذلك الشاب: لقد قمت وليس شيء أبغض إلى قلبي من الزنا، صلى الله وسلم على صاحب القلب الرءوف الرحيم

وهذه الأحاديث لا تخفى على أحد، وليس المراد من إيرادها التعليم بل التذكير (وذكــر فــإن الذكرى تنفع المؤمنين) (فذكر إن نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى) فما أبعدنا عن تطبيق هذه الأحاديث وما أحوجنا إلى ذلك

الهدي النبوي في التعامل مع المبتدعة

في غزوة حنين عندما قسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الغنائم أعطى أشراف قريش وحدثاء العهد بالإسلام ما لم يعطه المهاجرين الأولين والأنصار، يتألف بذلك قلوبهم، وقد وجد بعض الأنصــار في أنفسهم من ذلك فجمعهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخبرهم بأنه صرفها للمصلحة وأنها دنيا وأنهم سيرجعون برسول الله إلى ديارهم إذا كان الناس سيرجعون بالشاة والبعير ودعا لهــم فطــاب خاطرهم

بعد ذلك برز رجل اسمه ذو الخويصرة لم تعجبه قسمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا مــا قالــه للأنصار بل جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال له بكل جرأة ووقاحه: والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله يا محمد أعدل، (واعجبا من هذا الذي يتهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نيته ويأمره بالعدل)، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ويحك ومن يعدل إذا لم أعدل أنا؟!، ثم ولى الرجل فقال بعض الصحابة: يا رسول الله دعني أضرب عنقه، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: دعوه فإنه سيخرج من ضئضئ هذا أقوام يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين -وفي رواية من الإسلام- كما يمرق السهم من الرمية يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم)

فانظر كيف تعامل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع هذا الخارجي.. لم يكفــره.. لم يســبه.. لم يشتمه.. لم يقتله.. ..لم يهجره.. لم يأمر بهجره، وإنما أخبر أنه سيكون من ذريته الخوارج من بــاب

التحذير من هذا الفكر المتشدد المتطرف. قال ابن الوزير في إيثار الحق على الخلق ص ٣٩٩: (الخارجي الذي قال لرسول الله وآله اعدل يا محمد والله إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تكلم بكلام من أقبح الكلام وظن ظنا من أسوأ الظنون **لم يحكم النبي بكفره مع ذلك، مع أنه لو كفر لوجب قتله بالردة إلا أن يتوب ولم تنقل له توبة بل جاء في الحديث ما معناه أنها تخرج من ضئضئه الخوارج وإنما لم يكفر والله أعلم لأنه بقي على شهادة أن محمدا رسول الله**، وإنما جوز عليه أن يذنب كذنوب الأنبياء كما قال تعالى: (وعصى آدم ربه فغوى) **وهذا يدل على تعظيم حرمة الشهادتين مع عظم الخطأ**)اه

الفرع الثالث: الهجر والشدة بين الشرع والواقع

تأمل معي أخي القارئ الكريم في هذه الأحاديث:

- في الصحيحين: (إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله)
- وفي الصحيحين: (خياركم أحاسنكم أخلاقا)
- وفي الصحيحين: (المؤمن للمؤمن كالبنيان)
- وفي صحيح مسلم: (ما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيئ إلا شانه)
- وفي صحيح مسلم: (من يحرم الرفق يحرم الخير كله)
- وفي صحيح مسلم: (مثل المؤمنين... كمثل الجسد الواحد)
- وفي صحيح مسلم: (لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا...)
- وفي الصحيحين: (لا يحل لمسلم أن يهجر مسلما فوق ثلاث...)
- وعند الحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم: (لو أن رجلين دخلا في الإسلام فاهتجرا كان أحدهما خارجا عن الإسلام حتى يرجع الظالم)
- وعند الترمذي: (تعرض الأعمال في كل خميس واثنين فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئا إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول اتركوا هذين حتى يصطلحا) وفي رواية: (إلا المتهاجرين)
- وفي سنن أبي داود بإسناد صحيح: (هجر المسلم سنة كسفك دمه)

فهذه الأحاديث وغيرها صريحة في تحريم الهجر والنهي عن العنف والشدة والغلظة بين المسلمين وصريحة في الدعوة إلى التواد والتراحم والرفق عند التعامل معهم على اختلاف مذاهبهم، قال ابن الوزير في إيثار الحق ص٤٠١: (جاء في المشاحنة والمهاجرة من الوعيد الشديد والأحاديث المتواترة...

وهذا أمر مجمع على تحريمه في الأصل فيجب مراعاة أسبابه ومقوياته فكلما كان أقرب إلى الاجتماع كان أرجح، وكلما كان أقرب إلى التفرق وادعى إليه وإلى إثارته كان أفسد وأبطل)اه

لكن واقع المسلمين -ومن زمن طويل مع الأسف- بعيدٌ عن هذا المطلب الشرعي فالتهاجر والعنف موجود لأتفه الأسباب الدنيوية أو الدينية، ولو كان من يتهاجرون يعترفون بأن ما يفعلونه مخالف للشرع وأنهم إنما يصرون على التهاجر لضعف نفوسهم وأمراض قلوبهم لهان الأمر، لكنّ المصيبة هي أنهم يزعمون أن هذا التهاجر مطلب شرعي، قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٢٨/٢٠٧: (فمن هجر لهوى نفسه أو هجر هجرا غير مأمور به كان خارجا عن هذا، **وما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه ظانة أنها تفعله طاعة لله** والهجر لأجل حظ الإنسان لا يجوز أكثر من ثلاث)اه

وربما ذكروا أن فلانا من السلف كان لا يسلّم على من ينتسب إلى المذهب العقدي المخالف له، بل ربما المذهب الفقهي كما حصل من بعض أهل الحديث مع أهل الرأي، ويذكرون أيضا أن فلانا من السلف قال له مخالف في المذهب: أريد أن أكلمك بكلمة فقال له: لا.. ولا نصف كلمه، ويذكرون أن فلانا من السلف قال عن المخالفين له في المذهب العقدي وربما الفقهي: لا تكلمهم ولا تجلس معهم ولا تسلم عليهم...إلخ

إن فعل بعض السلف ليس حجة على الكتاب والسنة، وربما يكون ما فعله بعضهم يصلح لزمانهم لما فيه من مصلحة من وجهة نظره، لكن لا يصلح لزماننا. ومع ذلك فهناك نماذج مشرقة في تعاملات السلف مع المخالفين لهم في المذهب العقدي أو الفقهي، لكن مشكلتنا هي أننا نركز على النماذج المظلمة من التاريخ فقط فننشرها ونعمل بها، وسيأتي ذكر بعض النماذج المشرقة وبعض النماذج المظلمة من التاريخ الإسلامي في التعامل مع المخالف في المذهب

وقد يستدل البعض على الهجر بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه قد هجروا الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كما في الصحيحين، **والجواب عن ذلك من وجوه :**

١- أن الثلاثة قد تابوا توبة صادقة كما هو معلوم ومع ذلك استمر الهجر خمسين يوما بعد التوبة فهل يجوز أن نهجر من تاب من ذنبه؟! هذا يدل على أن الهجران للثلاثة كان عقابا إلهيا لهم ليطهرهم به من ذلك الذنب، ولم يكن من شأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما هو ظاهر من الحديث فلا يجوز إذن تعميمه

٢- أن كثيرا من الصحابة كانت تقع منهم المخالفات العقدية والعملية ولم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يهجرهم، بل ينهى عن ذلك، وما قصة السكران وذي الخويصرة عنا ببعيد

٣- أن المنافقين كانوا موجودين في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان صلى الله عليه وآله وسلم يعرفهم ويعرف من تخلف منهم عن غزوة تبوك ومع أنهم لم يتوبوا من ذلك لم يهجرهم و لم يأمر بهجرهم وأمر الله بهجر من تاب!!

٤- إذن فقصة الثلاثة حادثة عين خاصة كما هو ظاهر من نفس القصة ولا يجوز أبـــدا أن نعممها ونلغي صريح الأدلة الشرعية المتكاثرة الناهية عن الهجر

وقد يقول قائل: قد ورد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هجر نساءه شهرا كما في الصحيح وكان يهجر بعض زوجاته إذا أحدثت ذنبا حتى ترجع عنه

والجواب هو: أن الهجر عبارة عن وضع استثنائي لا يصار إليه إلا عند الضرورة، عندما لا ينفع غيره من الأساليب، بشرط أن ينفع في علاج المهجور المخطئ، أما إذا كان الهجر سيؤدي بـــالمهجور إلى العناد والبعد أكثر فأكثر كما هو الأغلب في حال الناس -اليوم وقبل اليوم- فإن الهجر عندئذ يرجع إلى الأصل وهو الحرمة الشرعية قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ج٢٨/ص٢٠٦: (الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله، **فان كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضى هجره إلى ضَــعف الشـــر وخِفيته كان مشروعا، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك بل يزيد الشر والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر**، بل يكون التأليف لبعض النـــاس أنفع من الهجر)اه

وقال أيضا كما مجموع الفتاوى ج٢٨/ص٢١٢: (فإذا لم يكن في هجرانه انزجار أحد ولا انتهاء احد بل بطلان كثير من الحسنات المأمور بها **لم تكن هجرة مأمورا بها)اه**

بل كثيرا ما يؤدي الهجر والعنف والتعصب للحق إلى التعصب للعقائد الباطلة من قبل المهجور قـــال أبو حامد الغزالي: (أكثر الجهالة إنما رسخت في قلوب العوام بتعصب جماعة من جهال أهل الحـــق **أظهروا الحق في معرض التحدي والإدلاء ونظروا إلى ضعفاء الخصوم بعــين الـــتحقير والازدراء فثارت من بواطنهم دواعي المعاندة والمخالفة ورسخت في قلوبهم الاعتقادات الباطلة** وتعذر على العلماء المتلطفين محوها مع ظهور فسادها)اه ذكره عنه الشاطبي في الموافقات ج٤/ص٢٦٥

المبحث الرابع : نماذج مشرقة من التاريخ في التعامل مع المخالف وأخرى مظلمة

الفرع الأول: نماذج مشرقة في الطوائف والأشخاص

المسألة الأولى: نماذج في الأشخاص

سيدنا علي وأهل الجمل

كان مما قاله سيدنا علي كرم الله وجهه لأصحابه في معركة الجمل: كما في تاريخ الطـــبري ٣/٣٤: **(يا أيها الناس املكوا أنفسكم كفوا أيديكم وألسنتكم عن هؤلاء القوم فإنهم إخوانكم واصــــبروا على ما يأتيكم)**اه

وعن طلحة بن مصرف أن عليا رضي الله عنه انتهى إلى طلحة بن عبيد الله وقد مات **فنزل عن دابته وأجلسه فجعل يمسح الغبار عن وجهه ولحيته وهو يترحم عليه وهو يقول: ليتني مت قبل هـــذا اليوم بعشرين سنة.** قال الهيثمي في مجمع الزوائد [٩ /٢١٠]: رواه الطبراني وإسناده حسن

سيدنا علي والخوارج

لما خرج الخوارج على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه اتخذ معهم الخطوات التالية:

١- المحاورة والمناقشة منه ومن ابن عباس فرجع منهم الأكثر

٢- ومن لم يرجع منهم لم يقاتلهم بل تركهم وما يعتقدون

٣- فلما بدأوا بالقتال قاتلهم امتثالا لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

٤- ومع قتالهم له وتكفيرهم له وللمسلمين لم يكفرهم بل قال: من الكفر فروا

٥- وفي قتاله لهم لم يجهز على جريح و لم يتبع مدبرا... إلخ

في البداية والنهاية ٧/٢٨٢: (ذكر ابن جرير أن عليا خرج بنفسه إلى بقيتهم فلم يزل يناظرهم حتى رجعوا معه إلى الكوفة وذلك يوم عيد الفطر أو الأضحى شك الراوي في ذلك **ثم جعلوا يعرضون له في الكلام ويسمعونه شتما ويتأولون بتأويل في قوله**

قال الشافعي رحمه الله: قال رجل من الخوارج لعلي وهو في الصلاة: لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين، فقرأ علي: فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون

وقد ذكر ابن جرير أن هذا كان وعلي في الخطبة، وذكر ابن جرير أيضا: أن عليا بينما هو يخطب يوما إذ قام إليه رجل من الخوارج فقال: يا علي أشركت في دين الله الرجال ولا حكم إلا لله فتنادوا من كل جانب لا حكم إلا لله لا حكم إلا لله فجعل علي يقول: هذه كلمة حق يراد بها باطل

ثم قال: إن لكم علينا أن لا نمنعكم فيئا ما دامت أيديكم معنا وأن لا نمنعكم مساجد الله وأن لا نبدأكم بالقتال حتى تبدؤنا)اه

وفي مصنف عبد الرزاق ١٥٠/١٠: (عن الحسن قال: لما قتل علي رضي الله عنه الحرورية، قالوا: من هؤلاء يا أمير المؤمنين أكفار هم؟ **قال: من الكفر فروا**، قيل: فمنافقين؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيرا، قيل: فما هم؟ **قال: قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا)اه**

وفي التمهيد لابن عبد البر ٣٣٥/٢٣: (وروى حكيم بن جابر وطارق بن شهاب والحسن وغيرهم عن علي بمعنى واحد أنه سئل عن أهل النهروان أكفار هم؟ **قال: من الكفر فروا...)**اه

وفي المستصفى ٢٩٧/١: (واستأذنوه [أي القضاة استأذنوا سيدنا عليا] في القضاء **بشهادة أهل البصرة من الخوارج وغيرهم أو ردها فأمرهم بقبولها كما كان قبلَ الحرب لأنهم حاربوا على تأويل وفي رد شهادتهم تعصب وتجديد خلاف)**اه

النظّام المعتزلي وإبراهيم بن عبد العزيز

ذكر الجاحظ في الحيوان ٢٨٥/١: (أن إبراهيم النظام المعتزلي المشهور أصابته ضائقة وأن إبراهيم بن عبد العزيز أرسل إليه يقول: **نحن وإن كُنّا اختلفنا في بعض المقالة، فإنَّا قد نرجِع بعـد ذلـك إلى حقوقِ الأخلاق والحرِّيَّة**، وقد رأيتك حين مررت بي على حال كرهتها منك، وما عرفتك حتى خبّرني عنك بعضُ من كان معي وقال: ينبغي أن يكون قد نزعتْ بك حاجة، فإن شئت فأقِمْ بمكانك شهراً أو شهرين، فعسى أن نبعث إليك ببعضِ ما يكفيك زمناً من دهرك، وإن اشتهيت الرُّجوع فهذه ثلاثون مثقالاً، فخذها وانصرف وأنت أحقُّ من عَذَرَ)اه

أحمد بن حنبل وعلي بن المديني

في جامع بيان العلم وفضله ج٢/ص١٠٧: (عن العباس بن عبد العظيم العنبري قال كنت عند أحمد بن حنبل وجاءه علي بن المديني راكبا على دابة قال فتناظرا في الشهادة وارتفعت أصواتهما حتى خفت أن يقع بينهما جفاء **وكان أحمد يرى الشهادة وعلي يأبى ويدفع فلما أراد علي الانصراف قام أحمد فأخذ بركابه)اه**

قال ابن عبد البر([٣٤]) بعد إيراد القصة: **(كان أحمد يرى الشهادة بالجنة لمن شهد بدرا والحديبية أو لمن جاء فيه أثر مرفوع على ما كان منهم من سفك دماء بعضهم بعضا، وكان علي بن المديني يأبى ذلك ولا يصحح في ذلك أثرا)**اه

لاحظ أن المسألة المختلف فيها بين أحمد وابن المديني مسألة حساسة كانت سبب في كثير من الفرقة بين المسلمين

أحمد وابن معين مع شيعي

في تهذيب التهذيب (ج ٦ / ص ١٧٩): (قال يعقوب بن يوسف المطوعي كان عبد الرحمن بن صالح رافضيا **وكان يغشى أحمد بن حنبل فيقربه ويدنيه فقيل له فيه، فقال: سبحان الله! رجل أحب قوما من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو ثقة**

وقال سهل بن علي الدوري سمعت يحيى بن معين يقول: **عليكم برجل من أهل الكوفة يقال له عبد الرحمن بن صالح ثقة صدوق شيعي** لان يخر من السماء أحب إليه من أن يكذب في نصف حرف، وقال محمد بن موسى البربري: **رأيت يحيى بن معين جالسا في دهليزه غير مرة يكتب عنه)**اه

عطاء وبعض أهل الأهواء

في تفسير القرطبي (١/٢٦٠): (قال طلحة بن عمر: قلت لعطاء **إنك رجل يجتمع عندك ناس ذوو أهواء مختلفة** ، وأنا رجل فيّ حِدّة فأقول لهم بعض القول الغليظ؛ فقال : لا تفعل! يقول الله تعالى: (وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً). **فدخل في هذه الآية اليهود والنصارى فكيف بالحنيفي)**اه

---

[٣٤]) قول ابن عبد البر هذا ساقط من الطبعة القديمة غير المحققة كما أشار إلى ذلك الشيخ عبدالفتاح أبو غدة في تعليقه على رسالة الألفة بين المسلمين ص١٨

نماذج طريفة حكاها ابن حزم

في رسالة ابن حزم الطريفة (نقط العروس) وهي ضمن رسائله قال (١١٣/٢) تحت عنوان: (ومن طرائف المذاهب):

- محارب بن دثار **أحد أئمة أهل السنة**، وعمران بن حطان **أحد أئمة الصفرية من الخوارج** كانا صديقين مخلصين زميلين إلى الحج لم يتحارجا قطّ.
- عبد الرحمن بن أبي ليلى **كان يقدم علياً على عثمان**، وعبد الله بن عكيم **كان يقدم عثمان على علي**، وكانا صديقين لم يتحارجا قط، وماتت أم عبد الرحمن فقدم للصلاة عليها ابن عكيم.
- طلحة بن مصرف وزبيد اليامي صديقان متصافيان، **وكان طلحة يقدم عثمان، وكان زبيد يقدم علياً**، و لم يتحارجا قط.
- داود بن أبي هند **إمام السنة** وموسى بن سيار **من أئمة القدرية** كانا صديقين متصافيين خمسين سنة لم يتحارجا قط
- سليمان التَّيمي **إمام أهل السنة** والفضل الرقاشي **إمام المعتزلة** كانا صديقين إلى أن ماتا متصافيين، وتزوج سليمان بنت الفضل وهي أم المعتمر بن سليمان
- الكميت بن زيد **مضري عصبي كوفي شيعي** والطرماح بن حكيم **يماني عصبي شامي خارجي**، وكلاهما شاعر مفلق، كانا صديقين متصافيين على عظيم تضادّهما من كل وجه
- هشام بن الحكم **إمام الرافضة**، وعبد الله بن زيد الفزاري **إمام الإباضية** صديقان مخلصان في دكان وأحد، لم يتحارجا قط)اه

المسألة الثانية : نماذج في الطوائف

الأشاعرة والحنابلة

قال ابن عساكر في كتابه تبيين كذب المفتري ص١٦٣: (**ولم تزل الحنابلة ببغداد في قديم الدهر على ممر الأوقات تعتضد بالأشعرية على أصحاب البدع**، لأنهم المتكلمون من أهل الإثبات فمن تكلم منهم في الرد على مبتدع فبلسان الأشعرية يتكلم، ومن حقق منهم في الأصول في مسألة فمنهم يتعلم فلم يزالوا كذلك حتى حدث الاختلاف في زمن أبي نصر القشيري)اه

وقد ذكر ما حصل في زمن ابن القشيري كثير من أهل التواريخ والسير، منهم الذهبي في السير وابن رجب في ذيل الطبقات وابن الأثير في الكامل وابن كثير في البداية والنهاية وغيرهم، وانظر مثلا البداية والنهاية ١١٥/١٢ وذيل الطبقات لابن رجب ١٩/١

موقف ابن تيمية من الخلاف بين الأشاعرة والحنابلة

مع أن ابن تيمية يخالف الأشاعرة في أشياء إلا أن موقفه منهم لم يكن موقف المعادي بل موقف من يؤلف بين القلوب، ويقارب بين وجهات النظر بين الأشعرية والحنبلية، حيث قال كما في مجموع الفتاوى ٥٣/٦: (**والأشعرية فيما يثبتونه من السنة فرع على الحنبلية كما أن متكلمة الحنبلية فيما يحتجون به من القياس العقلي فرع عليهم** وإنما وقعت الفرقة بسبب فتنة القشيري)اه

وفي مجموع الفتاوى أيضا ١٧/٤: (قال أبو القاسم بن عساكر: **ما زالت الحنابلة والأشاعرة في قديم الدهر متفقين غير مفترقين حتى حدثت فتنة ابن القشيري**)اه

وفي مجموع الفتاوى أيضا ٢٢٧/٣: (والناس يعلمون أنه كان بين الحنبلية والأشعرية وحشة ومنافرة **وأنا كنت من أعظم الناس تأليفا لقلوب المسلمين وطلبا لاتفاق كلمتهم** واتباعا لما أمرنا به من الاعتصام بحبل الله وأزلت عامة ما كان في النفوس من الوحشة)اه

وفي مجموع الفتاوى أيضا ٢٢٩/٣: (ولما أظهرت كلام الأشعري ورآه الحنبلية قالوا هذا خير من كلام الشيخ الموفق، **وفرح المسلمون باتفاق الكلمة وأظهرت ما ذكره ابن عساكر في مناقبه أنه لم تزل الحنابلة والأشاعرة متفقين إلى زمن القشيري** فإنه لما جرت تلك الفتنة ببغداد تفرقت الكلمة)اه

وفي مجموع الفتاوى أيضا ٢٦٩/٣: (ولهذا اصطلحت الحنبلية والأشعرية واتفق الناس كلهم، ولما رأى الحنبلية كلام أبي الحسن الأشعري قالوا هذا خير من كلام الشيخ الموفق، **وزال ما كان في القلوب من الأضغان وصار الفقهاء من الشافعية وغيرهم يقولون الحمد لله على اتفاق كلمة المسلمين**)اه

أبو الحسن وأبو الفضل التميميان رأسا الحنابلة والباقلاني رأس الأشعرية

قال ابن عساكر في ترجمة الباقلاني في تبيين كذب المفتري ص٢٢١: (وكان أبو الحسن التميمي الحنبلي يقول لأصحابه: **تمسكوا بهذا الرجل [يعني الباقلاني الأشعري] فليس للسنة عنه غنى أبدا**

قال: وسمعت الشيخ أبا الفضل التميمي الحنبلي رحمه الله وهو عبد الواحد بن أبي الحسن بن عبد العزيز بن الحرث يقول: اجتمع رأسي ورأس القاضي أبي بكر محمد بن الطيب [الباقلاني] على مخدة واحدة سبع سنين

قال الشيخ أبو عبد الله: وحضر الشيخ أبو الفضل التميمي يوم وفاته العزاء حافيا مع أخوته وأصحابه وأمر أن ينادى بين يدي جنازته: **هذا ناصر السنة والدين هذا إمام المسلمين هذا الذي كان يذب عن الشريعة ألسنة المخالفين** هذا الذي صنف سبعين ألف ورقة ردا على الملحدين، وقعد للعزاء مع أصحابه ثلاثة أيام فلم يبرح وكان يزور تربته كل يوم جمعة في الدار)اه

والقاضي الباقلاني الأشعري كان محل تعظيم أهل الحديث والحنابلة ففي سير أعلام النبلاء ١٧/٥٥٨:
(قال أبو الوليد الباجي -في كتاب اختصار فرق الفقهاء من تأليفه في ذكر القاضي ابن الباقلاني-:
لقد أخبرني الشيخ أبو ذر وكان يميل إلى مذهبه فسألته من أين لك هذا قال: إني كنت ماشيا ببغداد مع الحافظ الدارقطني فلقينا أبا بكر بن الطيب الباقلاني **فالتزمه الشيخ أبو الحسن الدارقطني وقبل وجهه وعينيه**، فلما فارقناه قلت له: من هذا الذي صنعت به ما لم أعتقد أنك تصنعه وأنت إمام وقتك

فقال: **هذا إمام المسلمين والذاب عن الدين هذا القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني**، قال أبو ذر: فمن ذلك الوقت تكررت إليه مع أبي، وكل بلد دخلته من بلاد خراسان وغيرها لا يشار فيها إلى أحد من أهل السنة إلا من كان على مذهبه وطريقه

قلت [القائل الذهبي]: **هو الذي كان ببغداد يناظر عن السنة وطريقة الحديث بالجدل والبرهان** وبالحضرة رؤوس المعتزلة والرافضة والقدرية وألوان البدع ولهم دولة وظهور بالدولة البويهية وكان يرد على الكرامية وينصر الحنابلة عليهم، **بينه وبين أهل الحديث عامر وإن كانوا قد يختلفون في مسائل دقيقة فلهذا عامله الدارقطني بالاحترام)اه**

الشريف أبو جعفر رأس الحنابلة وأبو إسحاق الشيرازي رأس الأشعرية

قال ابن رجب الحنبلي في ذيل طبقات الحنابلة ١/١٨: (وفي سنة أربع وستين وأربعمائة: **اجتمع الشريف أبو جعفر ومعه الحنابلة في جامع القصر، وأدخلوا معهم أبا إسحاق الشيرازي وأصحابه وطلبوا من الدولة قلع المواخير** وتتبع المفسدين والمفسدات ومنْ يبيعُ النبيذ، وضربَ دراهم تقع بها المعاملة عوض القراضة. فتقدم الخليفة بذلك فهرب المفسدات وكُبِسَت الدور وأريقت الأنبذة. ووعدوا بقلع المواخير ومكاتبة عضد الدولة برفعها والتقدم بضرب الدراهم التي يتعامل بها. فلم يقنع الشريف ولا أبو إسحاق بهذا الوعد..)اه

تأمل.. لما اجتمع الحنابلة والأشاعرة على محاربة الرذيلة والفساد استطاعوا أن يغيروا الواقع، هذا هو الواجب وليس كما سيأتي في بعض النماذج من تحريض بعضهم الحكام على البعض الآخر

أهل الحديث والرواية عن المخالفين لهم في المذهب العقدي

ومن الصور المشرقة في التاريخ الإسلامي أنك تجد الغالبية من أهل الحديث مع تشددهم يروون عن المخالفين لهم في الاعتقاد، فدونك رجال الصحيحين ورجال السنن وغيرها فستجد فيها أعدادا كبيرة

جدا([35]) من القدرية والمرجئة والشيعة والخوارج والمجسمة، فكان يتتلمذ بعضهم على بعض ويتمشيخ بعضهم على بعض مع اختلاف مذاهبهم العقدية، بل إنك تجد هذا الأمر كان منتشرا على مر العصور بل وإلى عهد قريب، لكننا نجد الآن أن من ينتمي لمذهب معين لا يطلب العلم ولا يدرس إلا على من كان على مذهبه وإن كان الآخر المخالف له في المذهب أجدر بذلك العلم

قال القاسمي في رسالته في الجرح والتعديل ص١١: (**رواية الشيخين وغيرهما عن المُبـــدّعين تنـــادي بواجب التآلف والتعارف وتنبذ التناكر والتخالف وطرح الشنآن والمحادة والمعاداة والمضارة**، لأن ذلك يكون في المحاربين المحادين لا في طوائف تجمعها كلمة الدين، ومن الأسف أن يغفل عن هـــذا الحق من غفل ويدهش لسماعه المتعصبون والجامدون..

ومن العجب أن يقول قائل: لا يلزم من الرواية عنهم عدم معاداتهم فنروى عن راو مع التـــدين ببغضه وعداوته، فنجيب عنه: بأنا لا نعرف من قال ذلك من السلف ولا من ذهـــب إليـــه مـــن الأئمة... إن من يأمرك الدين بأن تعاديه لا يبيح لك أن تأخذ دينك وشريعتك وعقيدتك عنه)اه

السنة والشيعة

في البداية والنهاية ١٢/٧٧ في حوادث سنة ٤٤٢هـــ: (**وفيها اصطلح الروافض والسنة ببغـــداد، وذهبوا كلهم لزيارة مشهد علي ومشهد الحسين، وترضوا في الكرخ على الصـــحابة كلـــهم، وترحموا عليهم**، وهذا عجيب جدا، إلا أن يكون من باب التقية!!([36]) ورخصت الأسعار ببغـــداد جدا)اه

---

[35]) ساق السيوطي في تدريب الراوي ص٢١٩ أسماء كثير من الرواة الذين أخرج لهم البخاري ومسلم ممن رموا بالبدعة فبلغوا ثمانية وسبعين راويا، وفي مقدمة فتح الباري ص٣٨١ عقد الحافظ ابن حجر فصلا في أسماء من طعن فيهم من رجال البخاري بسبب الاعتقاد، وفي آخر الفصل ذكر من طعن فيهم ولم يؤثر فيهم الطعن فبلغوا تسعة وستين راويا!.

[36]) فعلا إن التقية عند الإمامية تعد حاجزا أمام تصديق أهل السنة لأي تصحيح أو تقارب من قبل الشيعة، ولكننا نقول: إن حسن المعاملة ولو تقيةً خير من سيئ المعاملة، وهناك إشكال آخر في التقية عندهم وهو تفسير بعضهم الروايات المعتدلة المشرقة الواردة عن الأئمة بالتقية، وأود هنا أن أنقل عبارة أعجبتني لموسى الموسوي الشيعي حول التقية عند الإمامية حيث قال في ندوة استانبول حول الشيعة والتشيع: (إن أئمة أهل البيت لا يمكن أن يفكروا بالتقية بذلك المعنى ناهيك عن أن تمر بخلدهم. وإن التقية هي المصيبة التي انبثق منها كل اعوجاج وتحريف وبدعة ظهرت في عقيدتنا نحن الشيعة الإمامية فبالتقية فسرنا: (لا) بـــ(نعم) و(نعم) بـــ(لا)، وبالاستناد إليها جعلنا لظاهر الأعمال بواطنا ولظواهر الكلام معان لم يقصده قائلها. وبهذا قضينا على حجية ظواهر الكتاب ونصوص القرآن

وفي البداية والنهاية(ج ١٢ / ص ١٨٣) في حوادث سنة ٤٨٨هـ: **(وفيها اصطلح أهل الكرخ من الرافضة والسنة مع بقية المَحال، وتزاوروا وتواصلوا وتواكلوا**، وكان هذا من العجائب)اه

وقال اليافعي في مرآة الجنان ٣/٢٨ عن المفيد (ت ٤١٣هـ): (كان عالم الشيعة وإمام الرافضة صاحب التصانيف الكثيرة، شيخهم المعروف بالمفيد وبابن المعلم أيضاً، البارع في الكلام والجدل والفقه، **وكان يناظر أهل كلّ عقيدة مع الجلالة والعظمة في الدولة البويهية**) اه، وقال عنه ابن كثير في البداية والنهاية ١٢/١٥: **(كان مجلسه يحضره كثير من العلماء من سائر الطوائف)اه**

الفرع الثاني : نماذج مظلمة في الطوائف والأشخاص

المسألة الأولى : نماذج في الأشخاص

البخاري والذهلي

وضع الله للبخاري قبولا كبيرا في قلوب الناس في حياته وبعد موته، ولما قدم نيسابور حثّ الذهلي الناس على السماع منه وأثنى عليه خيرا، لكن ما لبث أن رأى الناس قد انفضوا عن مجلسه إلى مجلس البخاري فأرسل من يمتحن البخاري في مسألة اللفظ، فكان جواب البخاري أن أفعال العباد مخلوقة، فراجعوه فلم يرجع وقال: لا أرجع إلا لحجة وبرهان، فتكلم فيه بعد ذلك الذهلي وشنع عليه وبدعه بل وكفره والقصة فيها طول وقد ذكرت في كتب التراجم والتاريخ ولنكتف هنا بذكر مقتطفات من سير أعلام النبلاء ففي ١٢/ ٤٦٣: (قال أحمد بن منصور الشيرازي: سمعت بعض أصحابنا يقول: **لما قدم أبو عبد الله بخارى نصب له القباب على فرسخ من البلد واستقبله عامة أهل البلد حتى لم يبق مذكور إلا استقبله ونثر عليه الدنانير والدراهم والسكر الكثير**)اه

وفي سير أعلام النبلاء ١٢/٤٥٤: (روى الحاكم عن الحسن بن محمد بن جابر قال: قال لنا محمد بن يحيى لما ورد البخاري نيسابور: **اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح فاسمعوا منه** فذهب الناس إليه وأقبلوا على السماع منه حتى ظهر الخلل في مجلس محمد بن يحيى **فحسده بعد ذلك وتكلم فيه...**

وقال أبو أحمد بن عدي: ذكر لي جماعة من المشايخ أن محمد بن إسماعيل لما ورد نيسابور واجتمع الناس عليه **حسده بعض من كان في ذلك الوقت من مشايخ نيسابور لما رأوا إقبال الناس إليه**

وسنة الرسول وعمل الإمام علي وأقواله وعمل الأئمة وأقوالهم وفسرنا النصوص الصريحة بحسب رأينا ورغبتنا)اه انظر عمر كامل (رسالة إلى الشيعة الإمامية) ص١٣٠

واجتماعهم عليه، فقال لأصحاب الحديث: إن محمد بن إسماعيل يقول: اللفظ بالقران مخلوق فامتحنوه في المجلس**!!**)اه

فلما حضر الناس مجلس البخاري قام إليه رجل فقال: يا أبا عبد الله ما تقول في اللفظ بالقران مخلوق هو أم غير مخلوق؟ فأعرض عنه البخاري و لم يجبه فقال الرجل: يا أبا عبد الله فأعاد عليه القول فأعرض عنه، ثم قال في الثالثة، فالتفت إليه البخاري وقال: **القرآن كلام الله غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقة والامتحان بدعة**، فشغب الرجل وشغب الناس وتفرقوا عنه وقعد البخاري في منزله)اه سير أعلام النبلاء ١٢/٤٥٤

وقالوا له بعد ذلك: ترجع عن هذا القول حتى نعود إليك، قال: **لا أفعل إلا أن تجيئوا بحجة فيما تقولون أقوى من حجتي**)اه سير أعلام النبلاء ١٢/٤٥٤

بعدها قال الذهلي: من زعم أن لفظي بالقرآن مخلوق فهذا مبتدع لا يجالس ولا يكلم وقد أظهر هذا البخاري قول اللفظية، واللفظية عندي شر من الجهمية**!!! ومن ذهب بعد هذا إلى محمد بن إسماعيل البخاري فاتهموه فإنه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مثل مذهبه**)اه سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٥٥ و١٢/٤٥٩

وقد انقطع عن البخاري أكثر الناس غير مسلم فقال الذهلي يوما في درسه: ألا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا فأخذ مسلم رداء فوق عمامته وقام على رؤوس الناس، وبعث إلى الذهلي ما كتب عنه على ظهر جمال **وكان مسلم يظهر القول باللفظ ولا يكتمه**)اه سير أعلام النبلاء ١٢/٤٥٩

هذا كان موقف الذهلي ولننظر الآن ما هو موقف البخاري؟ وهل عاملة بالمثل أم تعالى عن ذلك وسما؟، قال بن أبي حاتم: أتى رجل أبا عبد الله البخاري فقال يا أبا عبد الله **إن فلانا يكفرك** فقال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما، وكان كثير من أصحابه يقولون: له إن بعض الناس يقع فيك، فيقول: **إن كيد الشيطان كان ضعيفا، ويتلو أيضا: (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله).**

فقال له عبد المجيد بن إبراهيم: كيف لا تدعو الله على هؤلاء الذين يظلمونك ويتناولونك ويبهتونك؟ فقال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **(اصبروا حتى تلقوني على الحوض) وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (من دعا على ظالمه فقد انتصر)**اه سير أعلام النبلاء ١٢/٤٦٠

لم يكتف الذهلي بكل ذلك حتى كتب للأمير بإخراج البخاري من نيسابور ففي سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٦٣: **(فكتب بعد ذلك محمد بن يحيى الذهلي إلى خالد بن أحمد أمير بخارى: إن هذا الرجل**

قد أظهر خلاف السنة فقرأ كتابه على أهل بخارى فقالوا: لا نفارقه فأمره الأمير بالخروج من البلد فخرج)اه

بعد ذلك قرر البخاري الرحيل قال أحمد بن سلمة: دخلت على البخاري فقلت: يا أبا عبد الله هذا رجل [يعني الذهلي] مقبول بخراسان خصوصا في هذه المدينة وقد لج في هذا الحديث حتى لا يقدر أحد منا أن يكلمه فيه فما ترى؟، فقبض على لحيته ثم قال: **وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد**، اللهم إنك تعلم أني لم أرد المقام بنيسابور أشرا ولا بطرا ولا طلبا للرئاسة وإنما أبت علي نفسي في الرجوع إلى وطني لغلبة المخالفين **وقد قصدني هذا الرجل حسدا لما آتاني الله لا غير**، ثم قال لي: يا أحمد إني خارج غدا لتتخلصوا من حديثه لأجلي

قال: فأخبرت جماعة أصحابنا فوالله ما شيعه غيري كنت معه حين خرج من البلد وأقام على باب البلد ثلاثة أيام لإصلاح أمره)اه سير أعلام النبلاء ١٢/٤٥٩

لكن هل ضر البخاري ما عمله الذهلي له؟ كلا فقد أكرم الله البخاري بكتابه الصحيح الذي هو أصح كتب السنة وصار البخاري نارا على علم ويثني عليه ويترضى عنه جل الأمة بينما الذهلي لا يعرفه إلا طلبة العلم من أهل الحديث وكلما ذكروا قصته هذه استاءوا مما صنعه مع البخاري

ولقد حصل بسبب مسألة اللفظ ظلم كثير وغلو كبير، قال ابن تيمية **عن مسألة اللفظ** كما في مجموع الفتاوى ١٢/٤٣١: (**ويقع بسببها بين الأمة من التكفير والتلاعن ما يفرح به الشيطان ويغضب له الرحمن ويدخل به من فعل ذلك فيما نهى الله عنه من التفرق والاختلاف ويخرج عما أمر الله به من الاجتماع والائتلاف**)اه

وقبله قال ابن قتيبة في كتابه (الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية) ص١٠ عما جرى بين أهل الحديث في مسألة اللفظ: (كان آخر ما وقع من الاختلاف أمر خص بأهل الحديث **...كادهم الشيطان بمسألة لم يجعلها الله تعالى أصلا في الدين ولا فرعا، وفي جهلها سعة وفي العلم بها فضيلة فنمى شرها وعظم شأنها حتى فرقت جماعتهم وشتتت كلمتهم ووهنت أمرهم وأشمتت حاسديهم وكَفَت عدوهم مؤنتهم بألسنتهم وعلى أيديهم، فهو دائب يضحك منهم ويستهزئ بهم** حين رأى بعضهم يكفر بعضا وبعضهم يلعن بعضا ورآهم مختلفين وهم كالمتفقين ومتباينين وهم كالمجتمعين ورأى نفسه قد صار لهم سلما بعد أن كان حربا)انتهى

ثم قال ص٥٠ وما بعدها: (ثم انتهى بنا القول إلى غرضنا من هذا الكتاب وغايتنا، من اختلاف أهل الحديث في **اللفظ بالقرآن وتشانئهم وإكفار بعضهم بعضا. وليس ما اختلفوا فيه مما يقطع الألفة ولا مما يوجب الوحشة لأنهم مجمعون على أصل واحد** وهو أن القرآن كلام الله غير مخلوق، **وإنما**

اختلفوا في فرع لم يفهموه لغموضه ولطف معناه فتعلق كل فريق منهم بشعبة و لم يكن معه آلة التمييز ولا فحص النظارين ولا علم أهل اللغة..)اه

إن هذه الحادثة وأشباهها تدعونا إلى أن لا نسلم لكلام الأقران بعضهم في بعض، وقد قال كـثير من الأئمة: (كلام الأقران يطوى ولا يروى)، والحوادث التاريخية في ذلك لا تكاد تحصى ومن ذلك ما حصل من ابن أبي ذئب في حق مالك وما حصل من مالك في حق ابن إسحاق وما حصل من ابن معين في حق الشافعي وما حصل بين أحمد والكرابيسي وما حصل بين أبي نعيم وابن منـده وبـين السيوطي والسخاوي... إلخ، قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ج١٧/ص٤٦٢: (كان أبو عبد الله بن مندة يقذع في المقال في أبي نعيم لمكان الاعتقاد المتنازع فيه بين الحنابلة وأصحاب أبي الحسن، ونال أبو نعيم أيضا من أبي عبد الله في تاريخه، **وقد عُرف وهَنُ كلام الأقران المتنافسين بعضهم في بعض نسأل الله السماح**)اه

وقال الذهبي في كتابه الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم ج١/ص٢٤: (وهذا كثير مـن **كلام الأقران بعضهم في بعض ينبغي أن يطوى ولا يروى ويطرح ولا يجعل طعنا** ويعامل الرجـل بالعدل والقسط)اه

وقال الذهبي في ميزانه ج١/ص١١١: (**كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به ولا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد لا ينجو منه إلا من عصم الله**، وما علمـت أن عصـرا مـن الإعصار سلم أهله من ذلك سوى النبيين والصديقين ولو شئت لسردت من ذلك كراريس، اللهم فلا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم)اه

وقال الصنعاني في ثمرات النظر ج١/ص ١٢٥: (**كلام الأقران والمتضادين في المذاهب والعقائـد لا ينبغي قبوله فقد فتح باب التمذهب عداوات وتعصبات** قل من سلم منها إلا من عصمة الله)اه

وقال ابن عباس رضي الله عنه: (استمعوا علم العلماء **ولا تصدقوا بعضهم على بعض فوالذي نفسي بيده لهم أشد تغايرا من التيوس في زروبها**)اه رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله وفي رواية له: (خذوا العلم حيث وجدتم **ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم في بعض ؛ فإنهم يتغـايرون تغـاير التيوس في الزريبة**)اه وقد روي نحوه مرفوعا ولا يصح

وروى أبو نعيم في الحلية: (عن مالك بن دينار، قال: تجوز شهادة القراء في كل شـيء **إلا شـهادة بعضهم على بعض فإنهم أشد تحاسداً من التيوس في الزرب**)اه

وقال ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٢/١٥٢: (إن السلف رضي الله عنهم قد سـبق مـن بعضهم في بعض كلام كثير، **منه في حال الغضب ومنه ما حمل عليه الحسد،** كما قال ابن عبـاس

ومالك بن دينار وأبو حازم، **ومنه على جهة التأويل مما لا يلزم المقول فيه ما قاله القائل فيه**، وقد حمل بعضهم على بعض بالسيف تأويلا واجتهادا لا يلزم تقليدهم في شيء منه دون برهان وحجة توجبه، ونحن نورد في هذا الباب من قول الأئمة الجلة الثقات السادة، بعضهم في بعض **مما لا يجب أن يلتفت فيهم إليه ولا يعرج عليه...**)اه

ثم أورد طائفة من ذلك ثم قال: (ومن لم يحفظ من أخبارهم إلا ما بدر من بعضهم في بعض على الحسد والهفوات والغضب والشهوات **دون أن يعني بفضائلهم ويروي مناقبهم حرم التوفيق ودخل في الغيبة وحاد عن الطريق** جعلنا الله وإياك ممن يسمع القول فيتبع أحسنه)اه

الطبري وبعض الحنابلة

قال الحموي في ترجمة الطبري في معجم الأدباء ٩/١٨/٥٧: (فلما قدم إلى بغداد من طبرستان بعد رجوعه إليها تعصب عليه أبو عبد الله الجصاص وجعفر بن عرفة والبياضي. وقصده الحنابلة فسألوه عن أحمد بن حنبل في الجامع يوم الجمعة، وعن حديث الجلوس على العرش، فقال أبو جعفر: أما أحمد بن حنبل فلا يعد خلافه!. فقالوا له فقد ذكره العلماء في الاختلاف، فقال: ما رأيته روي عنه ولا رأيت له أصحاباً يعول عليهم. وأما حديث الجلوس على العرش فمحال، ثم أنشد:

سبحان من ليس له أنيسُ * ولا له في عرشه جليسُ

فلما سمع ذلك الحنابلة منه وأصحاب الحديث وثبوا ورموه بمحابرهم وقيل كانت ألوفاً، فقام أبو جعفر بنفسه ودخل داره فرموا داره بالحجارة حتى صار على بابه كالتل العظيم! وركب نازوك صاحب الشرطة في ألوف من الجند يمنع عنه العامة، ووقف على بابه يوماً إلى الليل وأمر برفع الحجارة عنه...

فخلا في داره وعمل كتابه المشهور في الاعتذار إليهم، وذكر مذهبه واعتقاده وجرح من ظن فيه غير ذلك، وقرأ الكتاب عليهم وفضل أحمد بن حنبل، وذكر مذهبه وتصويب اعتقاده، ولم يزل في ذكره إلى أن مات! ولم يخرج كتابه في الاختلاف حتى مات فوجدوه مدفوناً في التراب، فأخرجوه ونسخوه أعني اختلاف الفقهاء)اه

وفي سير أعلام النبلاء للذهبي ١٤/٢٧٧: (**وكانت الحنابلة حزب أبي بكر بن أبي داود، فكثروا وشغبوا على ابن جرير، وناله أذى ولزم بيته نعوذ بالله من الهوى**)اه

وفي البداية والنهاية لابن كثير ١١/١٤٦: (**ومن الجهلة من رماه بالإلحاد وحاشاه من ذلك كله** بل كان أحد أئمة الإسلام علما وعملا بكتاب الله وسنة الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما تقلدوا ذلك

عن أبي بكر محمد بن داوود الظاهري [كذا والصواب أبي بكر ابن أبي داود] **حيث كان يتكلم فيه ويرميه بالعظائم وبالرفض**)اه

نحن لسنا مع الطبري في قوله عن أحمد: لا يعتد بخلافه وإن كان قد وافقه على ذلك طائفة من الأئمة، فقد شهد الشافعي لأحمد بالفقه فقال: ما تركت في بغداد أفقه من أحمد، وكفى بذلك شهادة، لكن مع ذلك لسنا مع الحنابلة فيما فعلوه بالطبري بل لا مقارنة بين قول الطبري عن أحمد وصنيع الحنابلة به، فما قاله رأيٌ له لا يجوز لهم لأجله أن يعاملوه بهذه الطريقة أبدا وإن كانوا يخالفونه في ذلك

ابن حبان وبعض الحنابلة

جرى لابن حبان بسبب تتريه الله عن الحد محنة ذكرها الذهبي في السير فقال ١٦/ ٩٤: (قال أبو إسماعيل الأنصاري: سمعت يحيى بن عمار الواعظ، وقد سألته عن ابن حبان، **فقال: نحن أخرجناه من سجستان** ، **كان له علم كثير، ولم يكن له كبير دين!!!**، قدم علينا فأنكر الحد لله فأخرجناه**!!!.** قال الذهبي قلت: **إنكاركم عليه بدعة أيضا** ، والخوض في ذلك مما لم يأذن به الله**!!..**)اه

أبو نعيم وبعض الحنابلة

في سير أعلام النبلاء في ترجمة أبي نعيم الأصبهاني الأشعري ١٧/ ٤٥٩: (**وكان بين الأشعرية والحنابلة تعصب زائد يؤدي إلى فتنة وقيل وقال وصداع طويل** فقام إليه [أي قام إلى أبي نعيم] أصحاب الحديث بسكاكين الأقلام وكاد الرجل يقتل.

قال الذهبي قلت: ما هؤلاء بأصحاب الحديث بل فجرة جهلة أبعد الله شرهم!!!)اه

لقد اشتهر الحنابلة بالشدة في الإنكار على مخالفيهم حتى قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ١٨٦/٢٠: (**وفي الحنبلية أيضا مبتدعة؛ وإن كانت البدعة في غيرهم أكثر، وبدعتهم غالبا في زيادة الإثبات في حق الله وفي زيادة الإنكار على مخالفهم بالتكفير وغيره**)اه

أيوب السختياني وأبو حنيفة

في كتاب السنة لعبد الله بن أحمد ١٨٩/١ بسنده إلى سلام ابن أبي مطيع قال: كنت مع أيوب السختياني في المسجد الحرام فرآه أبو حنيفة فاقبل نحوه فلما رآه أيوب قال لأصحابه: **قوموا لا يعدنا بجربه قوموا لا يعدنا بجربه!!!**)اه

وكأن أيوب قد نسي ما قاله للخليل الفراهيدي، ففي نور القبس للمرزباني ص٥٦: (قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: قدمت من عمان ورأيي رأي الصفرية، فجلست إلى أيوب بن أبي تميمة السختياني، فسمعته يقول: **إذا أردت أن تعلم علم أستاذك فجالس غيره! فظننت أنه يعنيني**، فلزمته فنفعني الله به)اه ثم صار الخليل يردد هذه المقولة ففي العقد الفريد ٧٨/٢: (قال الخَلِيل بن أحمد: **إنك لا تَعْرف خَطأ مُعَلّمك حتى تَجْلِس عند غيره.** وكان الخليلُ قد غَلبت عليه الإباضية حتى جالسَ أيُّوب)اه

الحارث المحاسبي وأبوه

في سير أعلام النبلاء (١١١/١٢) في ترجمة الحارث المحاسبي: (قال الخطيب: له كتب كثيرة في الزهد، وأصول الديانة، والرد على المعتزلة والرافضة.

قال الجنيد: **خلف له أبوه مالا كثيرا فتركه، وقال: (لا يتوارث أهل ملتين)!!! وكان أبوه واقفيا.**

[يعني لا يقول القرآن مخلوق ولا غير مخلوق]

قال أبو الحسن بن مقسم: أخبرنا أبو علي بن خيران، قال: رأيت المحاسبي متعلقا بأبيه، **يقول: طلق أمي، فإنك على دين وهي على غيره!!!**)اه

عبد الغني المقدسي وبعض القضاة

قال ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة ٩/٢: (كان كثير العبادة، ورعاً متمسكاً بالسنة على قانون السلف، ولم يزل بدمشق يحدث وينتفع به الناس إلى أن تكلم في الصفات والقرآن بشيء أنكره عليه أهل التأويل من الفقهاء، **وشنعوا به عليه، وعقد له مجلس بدار السلطان حضره القضاة والفقهاء، فأصر على قوله، وأباحوا إراقة دمه**، فشفع فيه جماعة إلى السلطان من الأمراء والأكراد، وتوسطوا أمره على أن يخرج من دمشق إلى ديار مصر، فأخرج إلى مصر، وأقام بها خاملاً إلى حين وفاته)اه

ابن القيم وبعض القضاة

حصل لابن القيم بسبب مسألة زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم محنة ذكرها أهل التـــواريخ ففي عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ص ١٧٩ مخطوط: (واتفق أن شمس الدين ابن القيم سافر إلى القدس ورقى على منبر ووعظ وذكر هذه المسألة وقال: ها أنا من هاهنا أرجع ولا أزور الخليل وجاء إلى نابلس وعمل مجلس وعظ وذكر المسألة بعينها حتى إنه قال: لا يزار قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا مسجده!!، فقام عليه الناس فحماه منهم والي البلد

وكتب أهل القدس ونابلس إلى دمشق بصورة ما وقع فطلبه القاضي المالكي **فتودد وصعد إلى قاضي القضاة ابن مسلم وتاب وأسلم على يده فقبل توبته وحكم بإسلامه!!!** وحقن دمه ولم يعزره لأجل الشيخ تقي الدين ابن تيمية)اه

وقال الحصني في كتابه دفع شبه من شبه وتمرد ص١٢٢: (ثم أحضر ابن قيم الجوزية وادعى عليه بما قاله في القدس الشريف وفي نابلس فأنكر فقامت عليه البينة بما قاله **فأدب وحمل على جمل ثم أعيدوا في السجن**

ولما كان يوم الأربعاء أحضر ابن قيم الجوزية إلى مجلس شمس الدين المالكي **وأرادوا ضرب عنقه فما كان جوابه إلا أن قال: إن القاضي الحنبلي حكم بحقن دمي وبإسلامي وقبول توبتي، فأعيد إلى الحبس إلى أن أحضر الحنبلي فأخبر بما قاله فأحضر وعزر وضرب بالدرة وأركب حمارا وطيف به في البلد والصالحية وردوه إلى الحبس!!!**)اه

نماذج ذكرها ابن حزم

قال ابن حزم كما في رسائله (ج٢/ص١١٤):

- بنو خراش كانوا ستة: **اثنان من أهل السنة، واثنان من الخوارج، واثنان من الرافضة، وكانوا متعادين، وكان أبوهم يقول لهم: يا بنيَّ لقد حال الله بين قلوبكم.**
- اليمان وهارون وعلي بنو رئاب: علي من أئمة الشيعة والروافض، واليمان من أئمة الخوارج، وهارون من أئمة اهل السنة، **وكانوا متعادين.**
- جعفر بن مبشر رأس المعتزلة، وأخوه حبيش بن مبشر مجتهد في السنة، **متعاديان.**
- والسيد الحميري كيساني شيعي، وأبوه وأمه خارجيان **يلعنهما ويلعنانه**) اه

نماذج ذكرها ابن عبد البر بسنده

قال ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١٥٢/٢ وما بعدها:

- (عن حماد: أنه ذكر أهل الحجاز فقال: قد سألتهم فلم يكن عندهم شيء، **والله لصبيانكم أعلم منهم بل صبيان صبيانكم!**
- وعن مغيرة قال: قدم علينا حماد بن أبي سليمان من مكة فأتيناه لنسلم عليه فقال لنا: احمدوا الله يا أهل الكوفة **فإني لقيت عطاء وطاووسا ومجاهدا فلصبيانكم وصبيان صبيانكم أعلم منهم!**

- وعن الأوزاعي قال: **كانوا يستحيون!!! أن يتحدثوا بأحاديث فضائل أهل البيت ليردوا أهل الشام عما كانوا يأخذون فيه**
- وعن الزهري قال: **ما رأيت قوما أنقض لعرى الإسلام من أهل مكة...** قال أبو عمر: **هذا ابن شهاب قد أطلق على أهل مكة في زمانه أنهم ينقضون عرى الإسلام ما استثنى منهم أحدا**، **وفيهم من جلة العلماء من لا خفاء لجلالته في الدين**
- وعن الأعمش قال: ذكر إبراهيم النخعي عند الشعبي فقال: **ذاك الأعور الذي يستفتي بالليل، ويجلس يفتي الناس بالنهار**، قال: فذكرت ذلك لإبراهيم فقال: **ذلك الكذاب لم يسمع من مسروق شيئا...** قال أبو عمر: معاذ الله أن يكون الشعبي كذابا بل هو إمام جليل، والنخعي مثله جلالة وعلما ودينا، **وأظن الشعبي عوقب لقوله في الحارث الهمداني، حدثني الحارث وكان أحد الكذابين، ولم يبَن من الحارث كذبٌ**، وإنما نقم عليه إفراطه في حب علي رضي الله عنه وتفضيله له على غيره، ومن ها هنا والله أعلم كذبه الشعبي؛ لأن الشعبي يذهب إلى تفضيل أبي بكر رضي الله عنه وإلى أنه أول من أسلم
- وعن هشام بن عروة، عن أبيه قال: قالت عائشة رضي الله عنها: **ما علم أنس بن مالك، وأبو سعيد الخدري بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما كانا غلامين صغيرين**
- وقد كان بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجلة العلماء عند الغضب كلام هو أكثر من هذا، **ولكن أهل العلم والفهم والفقه لا يتلفتون إلى ذلك لأنهم بشر يغضبون ويرضون**، والقول في الرضا غير القول في الغضب، ولقد أحسن القائل: لا تعرف الحكيم إلا ساعة الغضب
- وعن عبد الله بن إدريس أنه قال: قدم علينا محمد بن إسحاق فذكرنا له شيئا عن مالك، فقال: **هاتوا علم مالك فأنا بيطاره**، قال ابن إدريس : فلما قدمت المدينة ذكرت ذلك لمالك**!!** فقال : **ذاك دجال من الدجاجلة ، نحن أخرجناه من المدينة**
- وعن الفضل بن موسى قال : دخلت مع أبي حنيفة على الأعمش نعوده فقال له أبو حنيفة: يا أبا محمد لولا التثقيل عليك لترددت في عيادتك أو قال: لعدتك أكثر مما أعودك، فقال له الأعمش: **والله إنك لثقيل وأنت في بيتك فكيف إذا دخلت علي؟** قال الفضل: فلما خرجنا من عنده قال أبو حنيفة: **إن الأعمش لم يصم رمضان قط ولم يغتسل من جنابة!!**
- وعن ابن وهب قال: قال مالك وذكر عنده أهل العراق: **أنزلوهم عندكم بمنزلة أهل الكتاب لا تصدقوهم ولا تكذبوهم)** وعن الصيدلاني قال: دخل محمد بن الحسن على مالك

بن أنس يوما فسمعه يقول هذه المقالة التي حكاها عنه ابن وهب في أهل العراق قال: ثم رفع رأسه فنظر مني فكأنه استحيا وقال: يا أبا عبد الله أكره أن تكون غيبة، كذلك أدركت أصحابنا يقولون

- وعن سعيد بن منصور قال: كنت عند مالك بن أنس فأقبل قوم من أهل العراق فقال: **تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا**
- وعن جبير بن دينار قال: سمعت يحيى بن أبي كثير قال: **لا يزال أهل البصرة بشرٍ ما أبقى الله فيهم قتادة**، قال : وسمعت قتادة يقول: **متى كان العلم في السماكين؟!!** يعرض بيحيى بن أبي كثير وكان أهل بيته سماكين
- وروينا أن منصور بن عمار قص يوما على الناس وأبو العتاهية حاضر فقال: **إنما سرق منصور هذا الكلام من رجل كوفي، فبلغ منصورا فقال: أبو العتاهية زنديق.** أما ترونه لا يذكر في شعره الجنة ولا النار وإنما يذكر الموت فقط، فبلغ ذلك أبا العتاهية فقال فيه: يا واعظ الناس قد أصبحت متهما * إذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها * كالملبس الثوب من عري وعورته * للناس بادية ما إن يواريها * وأعظم الإثم بعد الشرك نعلمه * في كل نفس عماها عن مساويها * عرفانها بعيوب الناس تبصرها * منهم ولا تبصر العيب الذي فيها . فلم تمض إلا أيام يسيرة حتى مات منصور بن عمار ، فوقف أبو العتاهية على قبره وقال : يغفر الله لك أبا السري ما كنت رميتني به ، قال أبو عمر : **تدبرت شعر أبي العتاهية عند جمعي له فوجدت فيه ذكر البعث والمجازاة والحساب والثواب والعقاب**
- ثم قال ابن عبد البر في الختام: **فمن أراد أن يقبل قول العلماء الثقات الأئمة الأثبات بعضهم في بعض فليقبل قول من ذكرنا قوله من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بعضهم في بعض، فإن فعل ذلك ضل ضلالا بعيدا وخسر خسرانا**، وكذلك إن قبل في سعيد بن المسيب قول عكرمة، وفي الشعبي وأهل الحجاز وأهل مكة وأهل الكوفة وأهل الشام على الجملة وفي مالك والشافعي وسائر من ذكرناه في هذا الباب ما ذكرنا عن بعضهم في بعض، **فإن لم يفعل ولن يفعل إن هداه الله وألهمه رشده فليقف عند ما شرطنا** في أن لا يقبل فيمن صحت عدالته وعلمت بالعلم عنايته، وسلم من الكبائر ولزم المروءة والتصاون وكان خيره غالبا وشره أقل عمله **فهذا لا يقبل فيه قول قائل لا برهان له به، وهذا هو الحق الذي لا يصح غيره إن شاء الله**)اه

المسألة الثانية : نماذج في الطوائف

بعض الشافعية وبعض الحنابلة

قال ابن عقيل الحنبلي: (رأيت الناس لا يمنعهم من الظلم إلا العجز ولا أقول العوام بل العلماء، **كانت أيدي الحنابلة مبسوطة في أيام ابن يونس فكانوا يستطيلون بالبغي على أصحاب الشافعي في الفروع حتى كانوا لا يمكنوهم من الجهر بالبسملة والقنوت** وهي مسألة اجتهادية ، فلما جاءت أيام النظام ومات ابن يونس وزالت شوكة الحنابلة **استطال عليهم أصحاب الشافعي استطالة السلاطين الظلمة فاستعدوا بالسجن وآذوا العوام بالسعايات والفقهاء بالنبز بالتجسيم** فتدبرت أمر الفريقين **فإذا بهم لم تعلم فيهم آداب العلم** وهل هذه إلا أفعال الأجناد يصولون في دولتهم ويلزمون المساجد في بطالتهم)اه رسالة الجرح والتعديل للقاسمي في ص٣٤

وفي الكامل في التاريخ (ج٤/ص٢٦٩): (في هذه السنة [أي سنة ٤٤٧] وقعت الفتنة بين الفقهاء الشافعية والحنابلة ببغداد، ومقدم الحنابلة أبو علي بن الفراء وابن التميمي، وتبعهم من العامة الجم الغفير، **وأنكروا الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، ومنعوا من الترجيع في الأذان، والقنوت في الفجر، ووصلوا إلى ديوان الخليفة، ولم ينفصل حال، وأتى الحنابلة إلى مسجد بباب الشعير، فنهوا إمامه عن الجهر بالبسملة، فأخرج مصحفاً وقال: أزيلوها من المصحف حتى لا أتلوها**)اه

وقال ابن الأثير في الكامل في التاريخ ج٧/ص١١٣: (وفيها [أي سنة ٣٢٣] عظم أمر الحنابلة وقويت شوكتهم... وزاد شرهم وفتنتهم واستظهروا بالعميان الذين كان يأوون المساجد **وكانوا إذا مر بهم شافعي المذهب أغروا به العميان فيضربونه بعصيهم حتى يكاد يموت**)اه

وفي الكامل في التاريخ (ج٥/ص١١٥): (وفيها [أي سنة ٥٦٧] مات البوري الفقيه الشافعي، تفقه على محمد بن يحيى، وقدم بغداد ووعظ، **وكان يذم الحنابلة، وكثرت أتباعه، فأصابه إسهال، فمات هو وجماعة من أصحابه، فقيل: إن الحنابلة أهدوا إليه حلوى فمات هو وكل من أكل منها**)اه

بعض الحنفية وبعض الشافعية

في مرآة الجنان لليافعي (ج٢/ص ٣٩) في حوادث (سنة أربع وخمسين وخمس مائة): **(فيها وقعت فتنة وحروب وحمية وعصبية بين الشافعية والعلوية ومعهم الحنفية في نيسابور... وأحرقت أسواق ومدارس، ووقع القتل بالشافعية، ثم انتصروا وبالغوا في أخذ الثأر، وحرقوا مدرسة الحنفية)**اه

بعض أتباع المذاهب الفقهية

قال ابن تيمية كما في مجموع فتاوى ٢٢/ ٢٥٤: (وبلاد الشرق من أسباب تسليط الله التتر عليها كثرة التفرق والفتن في المذاهب وغيرها، **حتى تجد المنتسب إلى الشافعي يتعصب لمذهبه على مذهب أبي حنيفة حتى يخرجه عن الدين، والمنتسب إلى أبي حنيفة يتعصب لمذهبه على مذهب الشافعي وغيره حتى يخرجه عن الدين، والمنتسب إلى احمد يتعصب لمذهبه على مذهب هذا أو هذا وفي المغرب تجد المنتسب إلى مالك يتعصب لمذهبه على هذا أو هذا، وكل هذا من التفرق والاختلاف الذي نهى الله ورسوله عنه**

وكل هؤلاء المتعصبين بالباطل المتبعين الظن وما تهوى الأنفس المتبعين لأهوائهم بغير هدى من الله مستحقون للذم والعقاب وهذا باب واسع لا تحتمل هذه الفتيا لبسطه **فإن الاعتصام بالجماعة والائتلاف من أصول الدين، والفرع المتنازع فيه من الفروع الخفية فكيف بقدح في الأصل بحفظ الفرع**)اه

بعض الأشاعرة وبعض الحنابلة

لقد كانت العلاقة بين الحنابلة والأشاعرة قبل ما عرف بفتنة ابن القشيري علاقة وئام في الغالب ولكنها بعد ما عرف بفتنة ابن القشيري صارت علاقة خصام في الغالب، قال ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة ١/١٩ عن هذه الفتنة: (مضمون ذلك: أن أبا نصر بن القشيري ورد بغداد، سنة تسع وستين وأربعمائة، وجلس في النظامية. وأخذ يذم الحنابلة، وينسبهم إلى التجسيم.

وكان المتعصب له أبو سعد الصوفي، ومال إلى نصره أبو إسحاق الشيرازي، وكتب إلى نظام الملك الوزير يشكو الحنابلة ويسأله المعونة. فاتفق جماعة من أتباعه على الهجوم على الشريف أبي جعفر في مسجده والإيقاع به، فرتب الشريف جماعة أعدهم لرد خصومه إن وقعت. **فلما وصل أولئك إلى باب المسجد رماهم هؤلاء بالآجر. فوقعت الفتنة وقتل من أولئك رجل من العامة وجرح آخرون وأخذت ثياب**)اه

هكذا يروي هذه القصة ابن رجب أما ابن الأثير فيقول في الكامل في التاريخ (ج٤/ص٣١٠): (في هذه السنة ورد بغداد أبو نصر ابن الأستاذ أبي القاسم القشيري حاجاً، وجلس في المدرسة النظامية يعظ الناس، وفي رباط شيخ الشيوخ، **وجرى له مع الحنابلة فتن لأنه تكلم على مذهب الأشعري ونصره، وكثر أتباعه والمتعصبون له، وقصد خصومُه من الحنابلة ومن تبعهم سوق المدرسة النظامية وقتلوا جماعة**

وكان من المتعصبين للقشيري الشيخ أبو إسحاق وشيخ الشيوخ وغيرهما من الأعيان، وجرت بين الطائفتين أمور عظيمة)اه

السنة والشيعة

في البداية والنهاية ج١٢/ص٦٢ في حوادث سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة: **(وفي صفر منها وقع الحرب بين الروافض والسنة فقتل من الفريقين خلق كثير**، وذلك أن الروافض نصبوا أبراجا وكتبوا عيها بالذهب محمد وعلي خير البشر فمن رضي فقد شكر ومن أبى فقد كفر، فأنكرت السنة إقران علي مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم في هذا فنشبت الحرب بينهم

واستمر القتال بينهم إلى ربيع الأول فقتل رجل هاشمي فدفن عند الإمام أحمد **ورجع السنة من دفنه فنهبوا مشهد موسى بن جعفر وأحرقوا ضريح موسى ومحمد الجواد وقبور بني بوية وقبور من هناك من الوزراء وأحرق قبر جعفر بن المنصور ومحمد الأمين وأمه زبيدة وقبور كثيرة جدا، وانتشرت الفتنة وتجاوزوا الحدود وقد قابلهم أولئك الرافضة أيضا بمفاسد كثيرة وبعثروا قبورا قديمة واحرقوا من فيها من الصالحين**)اه

وفي شرح اللمعة الدمشقية للعاملي١/١٣٩: **(والمنافق) وهو هنا المخالف مطلقا** (يقتصر) في الصلاة عليه (على أربع) تكبيرات **(ويلعنه) عقيب الرابعة وفي وجوبه وجهان، وظاهره هنا وفي البيان الوجوب!!!، ورجح في الذكرى والدروس عدمه**)اه

وفي الرسالة العملية للمرجع محمد الشيرازي ص١٦٩: **أن من شرط إمام الصلاة أن يكون إماميا**، وفي ص٢٠٤: **أن من شرط من تصرف الزكاة إليه أن يكون إماميا.**

قارن هذا بما في إجوبة الاستفتاءات للمرجع علي الخامنئي ١/١٦٩-١٧٠ تحت عنوان: (الاقتداء بأهل السنة) وقد جاء في ذلك عدة أجوبة لعدة أسئلة نختار منها:

س: هل تجوز الصلاة خلف السنة والجماعة؟

ج: **تجوز الصلاة جماعة خلفهم إذا كانت للحفاظ على الوحدة الإسلامية!!**

س: محل عملي يقع في إحدى المناطق الكردية وأكثرية أئمة الجمعة والجماعة من أهل السنة فما هو حكم الاقتداء بهم؟ وهل تجوز غيبتهم؟

ج: **لا إشكال في المشاركة في الصلاة معهم في جمعتهم وجماعتهم، وأما الغيبة فليجتنب عنها!**

س: أبناء السنة يصلون المغرب قبل أذان المغرب، ففي موسم الحج أو غيره هل يصح لنا الاقتداء بهم والاكتفاء بتلك الصلاة؟

ج: ليس معلوما أنهم يصلون قبل الوقت، ولكن لو لم يحرز المكلف دخول الوقت لم يصح منه الدخول في الصلاة إلا إذا اقتضت مراعاة الوحدة الإسلامية ذلك أيض،ا فلا مانع حينئذ من الدخول في الصلاة معهم وفي الاكتفاء بتلك الصلاة)اه

وبما في أجوبة المسائل للمرجع علي السيستاني ص٢٧ حيث سئل: **هل يجوز الائتمام بإمام جماعة من غير المؤمنين**، سواء في صلاة الجمعة أم الجماعة، وفي غير موسم الحج، **ومن دون تقية**؟ وماذا فيما إذا قرأ مع نفسه وتابع فقط، فحينئذٍ هل يناله ثواب صلاة الجماعة؟

فأجاب بما نصه: **"تستحب الصلاة خلف غير الإمامي مراعاة لمصلحة التآلف بين المسلمين**، ما لم تعارض بمصلحة أخرى، ويجب على المأموم أن يأتي بالقراءة لنفسه، وإذا كان الائتمام في صلاة الجمعة لزمه الإتيان بصلاة الظهر بعد ذلك**!!**، والله العالم")اه، وبجواز الصلاة خلف الإمام أفتى أيضا المرجع محمد حسين فضل الله كما في موقعه على الإنترنت

الزيدية والإمامية

قال الهادي في كتابه الأحكام ١/٤٤٥: (وقول هذا الحزب الضال [يعني الإمامية] مما لا يلتفت إليه من المقال **لما هم عليه من الكفر والإيغال والقول بالكذب والفسوق والمحال**، فهم على الله ورسوله في كل أمر كاذبون ولهما في أفعالهم مخالفون وقد جاهروهما بالعصيان وتمردوا عليهما بالبغي والطغيان وأظهروا المنكر والفجور وأباحوا علانية الفواحش والشرور

وناصبوا الآمرين بالحسنات المنكرين للمنكر والشرورات الأئمة الهادين من أهل بين الرسول المطهرين وهتكوا –يالهم الويل- الحرمات وأماطوا الصالحات وحرضوا على إماتة الحق وإظهار البغي والفسق وضادوا الكتاب وجانبوا الصواب وأباحوا الفروج وولدوا الكذب والهروج... عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: يا علي يكون في آخر الزمان قوم لم نبز يعرفون به **يقال لهم الرافضة فإن أدركتهم فاقتلهم قتلهم الله فإنهم مشركون!!!**)اه

وفي التهذيب للطوسي ٤/٥٣ ورجال الكشي ١٩٨: (عن عمر بن يزيد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصدقة على النصاب وعلى الزيدية فقال: **لا تتصدق عليهم بشيء ولا تسقهم من الماء إن استطعت وقال: الزيدية هم النصاب)**اه

المبحث الخامس : هو سماكم المسلمين

الفرع الأول: عدم التفريق في الحقوق الإسلامية بحسب المذاهب

تأمل معي الآيات التالية:

- إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم
- ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم
- والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض
- واخفض جناحك للمؤمنين
- إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا
- يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن... ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا
- والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا
- ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا
- وأمثالها من الآيات

ثم تأمل معي الأحاديث التالية:

- المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (متفق عليه)
- المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره (رواه مسلم)
- كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه (رواه مسلم)
- مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد (متفق عليه)
- المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا (متفق عليه)
- حق المسلم على المسلم خمس... (متفق عليه)
- وأمثالها من الأحاديث

هل رأيت في تلك الآيات والأحاديث التفريق في تلك الحقوق بين مسلم ومسلم بحسب الانتماء المذهبي (عقدي أو فقهي أو حركي)؟! كلا والله، بل مناط الحقوق هو التحقق بالإسلام فمن تحقق بالإسلام فله تلك الحقوق مهما كان مذهبه، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (من شهد أن لا إله إلا الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا **فهو المسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم**)اه رواه البخاري

لكن الواقع بعيد كل البعد عن ذلك فتجد تلك الحقوق الآن -ومن زمن- قائمة على أساس الانتماء المذهبي قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٣/٤١٨: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) فقد أخبر سبحانه أن ولي المؤمن هو الله ورسوله وعبادة المؤمنين **وهذا عام في كل مؤمن موصوف بهذه الصفة سواء كان من أهل نسبه أو بلده أو مذهبه أو طريقته أو لم يكن**، وقال الله تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض)اه

وقال المقبلي في العلم الشامخ ص٥٢٠ عن الفرق الإسلامية: (**في كلٍ خير قد شملهم وهو كلمة الإسلام فاعرفها لهم وارع حقها -وما أصعب ذلك-** ولا تظلمهم من صفات الخير -التي علمت

لهم- شيئا ولا تحبطها بجنب شرورهم فليس ذلك إليك، وابرأ إلى ربك من شرورهم ولا تسوين بين الثرى والثريا منهم... **وإن زعمت إن أحد هذه الفرق لم يمِل عن الصراط المستقيم قيد شبر فقد جهلت، وإن قلت: بعضهم مقارب وبعضهم أبعد فقد صدقت، ولكن لا تدري مقدر القرب والبعد عند ربك)**اه

لقد سمانا الله المسلمين على لسان إبراهيم عليه السلام (هو سماكم المسلمين) فلا يجوز أبدا أن تطغى التسميات الجزئية على الأصل ولا الانتماءات المذهبية على الانتماء الأم، ولا يعني كلامنا هذا المنعَ من التسميات والانتماءات الجزئية مادامت لا تضر بالأصل

قال الشيخ الشعراوي في بعض أشرطته ما معناه: (مثل الإسلام والانتماءات المذهبية التي فيه كمثل الماء والعصائر، فالإسلام هو الماء وأنواع العصائر هي تلك الانتماءات المذهبية، فلا يمكن لمن كان عنده عصير الليمون أو البرتقال أو الشربات...إلخ أن يقول للناس: ما عندي هو الماء، نعم ما عنده لذيذ -والناس أذواق- وما عنده مأخوذ من الماء لكنه ليس الماء قطعا، وإذا ادّعى أنه الماء فهذا جهل أو تجاهل)اه

لكن قد يخطئ بعض صانعي العصير فيخلط مع العصير بعض النكهات التي يحبها هو لكن غيره لا يحبها، وقد يخلط مع العصير شيئا من الأخلاط السيئة إما عمدا أو ظنا منه أنها حسنة، وقد يخلط أحيانا مع العصير شيئا من السم !! عمدا أو غفلة

معاشر المسلمين: لنختلف ولكن لنبقى إخوة.. لنختلف ولكن لنتأدب بأدب الخلاف.. لنختلف ولكن لا نفترق.. لنختلف ولكن لنتعايش.. ألا يستقيم أن نكون إخوانا وإن لم نتفق في مسألة أو مسائل.. قال يونس الصدفي: ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوما في مسألة ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي ثم قال: **يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخوانا وإن لم نتفق في مسألة)**اه سير أعلام النبلاء ١٠/١٧، قال الذهبي: **(هذا يدل على كمال عقل هذا الإمام وفقه نفسه، فما زال النظراء يختلفون)**اه

وقال ابن الوزير في إيثار الحق ص٤٠٠: (ولا شك أن في التفرق ضعف الإسلام وتقليل أهله وتوهين أمره... **والاختلاف المنهي عنه هو التعادي لا الاختلاف في مجرد الأفعال والأقوال مع عدم التعادي**، وبعض ذلك قد وقع بين الملأ الأعلى وبين رسل الله الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام)اه

وقال في إيثار الحق على الخلق أيضا ص٣٧٥: **(إن يسير الاختلاف لا يوجب التعادي بين المؤمنين وهو ما وقع في غير المعلومات القطعية من الدين**، التي دل الدليل على تكفير من خالف فيها، **والأصل في الأمور المختلف فيها هو عدم العلم الضروري الذي يكفر المخالف فيه حتى يدل الدليل على ذلك...**

فهذا الخلاف الذي نُهي عنه وحذر منه الهلاك هو التعادي فأما الاختلاف بغير تعاد فقد أقرهم عليه، ألا تراه قال لابن مسعود كلاكما محسن حين أخبره باختلافهما في القراءة ثم حذرهم من الاختلاف بعد الحكم بإحسانهما في ذلك الاختلاف، فالاختلاف المحذر منه غير الاختلاف المحسن به منهما **فالمحذر منه التباغض والتعادي والتكاذب المؤدي إلى فساد ذات البين وضعف الإسلام وظهور أعدائه على أهله والمحسن هو عمل كل أحد بما علم مع عدم المعاداة لمخالفة والطعن عليه وعلى ذلك درج السلف الصالح من أهل البيت والصحابة والتابعين**)اه

وقال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ١٧٢/٢٤: (كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة **وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين... ولو كان كل ما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة**)اه

وقال حسن البنا وقد سئل عن: (كرامات الأولياء بعد موتهم، والتوسل والاستغاثة! بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، والاحتفال بالمولد): (أحب أن ألفتكم! قبل الجواب عن الأسئلة إلى أمور هامة:

١- أرجوا أن تلاحظوا أن الخلاف في فروع الدين أمر طبيعي ولا يمكن أن يجتمع الناس في الفرعيات على رأي واحد أبدا...

٢- الجدل في المسائل الدينية سبب الكثير من النكبات وقد كرهه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونهى عنه... لهذا أنصح إخواني الكرام وأرجوهم ألا يقعوا تحت طائلة الوعيد الشديد وألا يخالفوا نبي الله بالمداومة على الجدل والمراء، **وليترك كل إنسان لأخيه رأيه، فإن أعظم مصيبة في الدين الفرقة والخلاف وحسبنا أن نتحد على أن الله واحد ومحمدا رسوله والقرآن حق فمن كان كذلك فهو أخ نحبه ونجله ونعرف له حق إخائه وفي هذا كفاية**

٣- هذه المسائل وأضرابها مثار خلاف بين المسلمين من قديم العصور و لم يتحد السابقون فيها على رأي مع شدة بحثهم وخلوص نياتهم وتفرغهم للبحث واهتمامهم بشأن الدين، فكذلك المتأخرين سيظلون مختلفين فيها **فإن لم يتسامح بعضهم مع بعض ويسلم بعضهم لبعض فهي الفتنة إلى يوم القيامة فخير لنا أن ندع الخلاف فيها، يبين كل رأيه فإن اقتنع أخوه وإلا تركه وما يريد من غير أن يعتقد فيه خروجا من الدين أو إثما أو عصيانا فإن له شبهة ودليلا وكفى.**

٤- نحن حين نفتي في هذه الشؤون نبين ما هدانا الله إليه فيها بحسب ما وضح لنا من الأدلة ولا نلزم أحدا اعتقاد عقيدتنا ولا نزكي أنفسنا بل ربما كنا مخطئين ونحن لا نشعر

فمرحبا بمن يدلنا على مكان النقص أو يرشدنا إلى مواطن الخطأ. **نقرر رأينا ونحترم رأي غيرنا ولا نجرح من خالفنا وتجمعنا دائرة الإخوة الإسلامية العامة)** اه كلام حسن البنا من مقال له نشرته صحيفة الإخوان المسلمون العدد الرابع ١٤/صـــفر/١٣٥٥هـــــ. ٥/مايو/ ١٩٣٦م نقلا عن كتاب (الإمام حسن البنا والحلقة المفقودة) لعوني القدومي

فإن قيل: فأين الولاء والبراء والحب في الله والبغض في الله في شأن أهل البدع والمعاصي؟

قيل: المؤمن له الولاء والحب وليس البراء والكره ولو كان فاسقا بمعصية أو بدعة، نعم يكون الكره والبراء من عمله لا منه، وعلى هذا دل القرآن والحديث وكلام الصحابة وكلام أهل العلم:

أما القرآن فقوله تعالى: (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين. فإن عصوك فقل إني برئ مما تعملون) و لم يقل له: فقل إني برئ منكم، بخلاف الكفار فالآيات في البراءة منهم كثيرة، هذا على القول بأن الضمير في قوله تعالى: (فإن عصوك) عائد على المؤمنين لأنهم أقرب مذكور، لا على العشيرة الأقربين، ففي تفسير البحر المحيط ج٧/ص٤٤: (وقيل: الضمير يعود على من اتبعه من المؤمنين أي فإن عصوك يا محمد في الأحكام وفروع الإسلام بعد تصديقك والإيمان بك فَقُلْ إني بريء مّمَّا تَعْمَلُونَ لا منكم أي أظهر عدم رضاك بعملهم وإنكارك عليهم ولو أمره بالبراءة منهم ما بقي بعد هذا شفيعاً للعصاة)اه

وهذا القول هو الذي يفيده السياق وهو اختيار كثير من المفسرين وغيرهم:

- **ففي تفسير البيضاوي** ج٤/ص٢٥٥: (المراد من المؤمنين المشارفون للإيمان أو المصدقون باللسان (فإن عصوك) و لم يتبعوك (فقل إني بريء مما تعملون) مما تعلمونه أو من أعمالكم)اه
- **وفي فتح القدير** ج٤/ص١٢٠: (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) يقال خفض جناحه إذا ألانه وفيه استعارة حسنة والمعنى ألن جناحك وتواضع لمن اتبعك من المؤمنين وأظهر لهم المحبة والكرامة وتجاوز عنهم (فإن عصوك) أي خالفوا أمرك و لم يتبعوك (فقل إني بريء مما تعملون) أي من عملكم أو من الذي تعملونه وهذا يدل على أن المراد بالمؤمنين المشارفون للإيمان المصدقون باللسان لأن المؤمنين الخلص لايعصونه ولايخالفونه) اه
- **وفي ظلال القرآن** (ج٥/ص٣٦٥): { واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين }... وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المؤمنين طوال حياته . فقد كان خلقه القرآن . وكان هو الترجمة الحية الكاملة للقرآن الكريم . وكذلك بين الله له كيف يعامل العصاة فيكلهم إلى ربهم، ويبرأ مما يعملون :{ فإن عصوك فقل : إني بريء مما تعملون })اه

- **وفي تفسير السعدي** ج١/ص٥٩٩: (فإن عصوك) في أمر من الأمور فلا تتبرأ منهم ولا تترك معاملتهم بخفض الجناح ولين الجانب بل تبرأ من عملهم فعظهم عليه وانصحهم وابذل قدرتك في ردهم عنه وتوبتهم منه)اه

وأما الحديث ففي صحيح مسلم: (عن عوف بن مالك الأشجعي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي **شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله** ولا ينزعن يدا من طاعة)اه و لم يقل فليكرهه

قال ملا علي قاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (ج١١/ص٣٠٧): (فرآه) أي المولى عليه الوالي يأتي شيئا من معصية الله **فليكره ما يأتي من معصية الله إشارة إلى قوله تعالى: فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون) اه**

وفي صحيح البخاري : (عن ابن عمر رفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه وقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد) اه و لم يقل: أبرأ إليك من خالد

قال ابن تيمية في منهاج السنة النبوية (ج٤/ص٢٨١): (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد، لأنه خاف أن يطالبه الله بما جرى عليهم من العدوان وقد قال تعالى: فإن عصوك فقل إني برىء مما تعلمون) اه

وفي إيثار الحق على الخلق (ج٣ /ص٩): (وقوله تعالى: فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون فأمره بالبراءة من عملهم القبيح لا منهم وكذلك تبرأ النبي وآله مما فعل خالد بن الوليد و لم يبرأ منه بل لم يعزله من إمارته) اه

وأما كلام الصحابة: ففي مصنف عبد الرزاق (ج١١/ص ١٨): (أخبرنا معمر عن أيوب عن أبي قلابة أن أبا الدرداء مر على رجل قد أصاب ذنبا فكانوا يسبونه، فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب أ لم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى، قال: فلا تسبوا أخاكم، واحمدوا الله الذي عافاكم، **قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله،** فإذا تركه فهو أخي)اه

وأما كلام أهل العلم فقد تقدم بعضه ومن ذلك أيضا:

ما في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (ج٨/ص١٩٢): (عقد الأخوة والعمل بالنصيحة وهو أولى عند بعض الصوفية من قطع الصحبة لقوله تعالى فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون الشعراء حيث لم يقل منكم)اه

وما في مجموع فتاوى ابن تيمية (ج٣/ص٤٦٨): (وقوله : { لكم دينكم ولي دين } خطاب لكل كافر وإن أسلم فيما بعد**.** فدينه قبل الإسلام له كان والمؤمنون بريئون منه وإن غفره الله له بالتوبة منه

كما قال لنبيه { فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون } فإنه بريء من معاصي أصحابه وإن تابوا منها)اه

وما في بدائع السلك في طبائع الملك (ج١/ص٧٨) لابن الأزرق: (من كلام الحكماء: إذا رأيت من جليسك أمرا تكرهه، وخلالها تحبه، وصدرت منه كلمة عوراء، وهفوة غبراء، فلا تقطع حبله، ولا تصرم مودته، ولكن داو كلمه، واستر عورته.. فإن رجع، وإلا فاتقه وابرأ من عمله. قال تعالى: "فإن عصوك فقل إني بريء مما تعلمون". فلم يأمر بقطعهم وإنما أمره بالبراءة من عملهم السوء)اه

الفرع الثاني : القواسم المشتركة بين المسلمين كثير

إن القواسم المشتركة بين المسلمين بكافة مذاهبهم كثيرة جدا فلماذا لا نستحضر -عند تعاملنا مع المخالفين لنا- القواسم المشتركة ولماذا لا ننطلق من القواسم المشتركة الكثيرة إلى القواسم غير المشتركة القليلة فنتصورها ونحكم عليها ونتعامل مع أصحابها وفقا للقواسم المشتركة

ويعجبني في هذا المجال قصة وقعت لعمرو بن مرة، فقد ذكَّرَ من سأله -عن الخلاف بين المسلمين- بالقواسم المشتركة فنفعه الله بذلك، وهذه هي القصة بطولها أذكرها لما فيها من الفائدة، في كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي البشاري ص١٣٢ قال: **(أنا عازم على أن لا أطلق لساني في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولا أشهد عليهم بالضلالة ما وجدت إلى ذلك طريقاً بعد هذا الحديث الحسن الشريف:**

...ثم روى بسنده عن مسعر بن كدام قال: ما أدركت من الناس من له عقل كعقل عمرو بن مرة، جاءه رجل فقال: **عافاك الله جئتك مسترشداً إني رجل دخلت في جميع هذه الأهواء، فما أدخل في هوى منها إلا القرآن أدخلني فيه، ولم أخرج من هوى إلا القرآن أخرجني منه، حتى بقيت ليس في يدي شيءٌ**

فقال له عمرو بن مرة: الله الذي لا إله إلا هو لقد جئت مسترشداً، فقال: والله الذي لا إله إلا هو لقد جئت مسترشداً

قال: نعم، أرأيت هل اختلفوا في أن محمداً رسول الله وأن ما أتى به من الله حقٌّ، قال: لا

قال: فهل اختلفوا في القرآن أنه كتاب الله، قال: لا

قال: فهل اختلفوا في دين الله أنه الإسلام، قال: لا

قال: فهل اختلفوا في الكعبة أنها القبلة، قال: لا

قال: فهل اختلفوا في الصلوات أنها خمس، قال: لا

قال: فهل اختلفوا في رمضان أنه شهرهم الذي يصومونه قال: لا

قال: فهل اختلفوا في الحج أنه بيت الله الذي يحجونه، قال: لا

قال: فهل اختلفوا في الزكاة أنها من مائتي درهم خمسة، قال: لا

قال: فهل اختلفوا في الغسل من الجنابة أنه واجب، قال: لا

قال: فذكر هذا وأشباهه ثم قرأ: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آياتٌ محكماتٌ هن أم الكتاب وأخر متشابهاتٌ). قال: فهل تدري ما المحكم، قال: لا

قال: فالمحكم ما اجتمعوا عليه والمتشابه ما اختلفوا فيه، شد نيتك في المحكم وإياك والخوض في المتشابه، فقال الرجل: الحمد لله الذي أرشدني على يديك فوالله لقد قمت من عندك وإني لحسن الحال؛ قال: فدعا له وأثنى عليه...

وشهدت مجلس القاضي المختار يوماً -وهو أجل إمام لقيته وأعقلهم وأدينهم- **وقد جرى فيه ذكر اختلاف الأمة وتعصب أهل الفرق فأشار بيده إلى القبلة ثم قال: من صلى إلى هذه القبلة فهم إخواننا المسلمون)**انتهى

وعمرو بن مرة الجملي هذا ولد في آخر خلافة عثمان وتوفي سنة ١١٦هـ وروى له السنة وهو إمام في العلم والزهد ففي طبقات ابن سعد ٣١٥/٦: (عن شعبة: ما رأيت عمرو بن مرة في صلاة إلا ظننت أنه لا ينصرف حتى يستجاب له... وعن عبد الملك بن ميسرة قال وهو في جنازة عمرو بن مرة: إني لأحسبه خير البشر)اه

وقال أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب العلوي (ت١٣٤١هـ) في قصيدة له وجهها إلى أعضاء ندوة العلماء في الهند كما في ديوانه:

كَلِمٌ يقدمها المسيء الجاني ... لذوي العمائم لا ذوي التيجان

نفثات مصدور إلى من هُم بها ... أدرى وأحرى منه بالتبيان

إلى قال:

هبوا وأمر الكل شورى بينهم ... والرأي قبل شجاعة الشجعان

نهضوا لنفع المسلمين بنشرها ... عنهم بصد طوارق الحدثان

إلى قال:

إن افتراق المسلمين أذاقهم ... ضيم الهضيمة بعد عظم الشان

وهنت عزائمهم وأصبح هازئا ... بخمولنا الوثني والنصراني

فعلام فرقتنا التي ألقت بنا ... في هوة الإهمال والخذلان

و لم التنافر والتباغض بيننا ... والحقد وهي مدارك النقصان

ها كل طائفة من الإسلام مذ ... عنة بوحدة فاطر الأكوان

وبأن سيدنا الحبيب محمدا	**عبد الإله رسوله العدناني**
وإمام كل منهم في دينه	**أخذا وردا محكم القرآن**
فإلهنا ونبينا وكتابنا	**لم يتصف بالخلف فيها اثنان**
والكعبة البيت الحرام يؤمها	**قاصي الحجيج لنسكه والداني**
وصلاة كل شطرها وزكاته	**حتم وصوم الفرض من رمضان**
أفبعد هذا الاتفاق يصيبنا	نزغ ليفتنا من الشيطان
وان اختلفنا في الفروع فذاك عن	خير البرية رحمة المنان
وحديث تفترق النصارى واليهود	**وأمتي فرقا روى الطبراني**
لكن زيادة كلها في النار	**إلا فرقة لم تخل من طعان**
بل كلها في جنة وعدوا بها	**بالنص في آي من القرآن**
وكذا أحاديث الرسول تظافرت	**أن الموحد في حمى الرحمن**
وإذا أردت بيان ما أورده	**فانظر فتاوى الحافظ الشوكاني**
فلقد أتى فيها بما يشفي الغليـــل	من الدليل وساطع البرهان
وأفاد فيها ما يلاشي بيننا	إحن النفوس وشأفة الشنئان
إيهٍ رجال الندوة اجتهدوا ولا	تمنوا فربُّ الخيبة المتواني
وامضوا على غلوائكم قدما ولا	تخشوا معرة فاسدي الأذهان) اه

ويعجبني هنا قول المقبلي اليماني في العلم الشامخ ص٧ لما رأى التعصب بين المـــذاهب الإســـلامية: **(اللهم إنه لا مذهب لي إلا دين الإسلام فمن شمله فهو صاحبي وأخي**، ومن كان قدوة فيه عرفت له حقه وشكرت له صنعه غير غال فيه ولا مقصر... **يكفيني أني من المسلمين، فإن ألجأني إلى ذلك الله ولم يبق لي من جوابهم بدٌ قلت: مسلمٌ مؤمن، فإن مزقوا أديمي وأكلوا لحمي وبالغوا في الأذى واستحلوا البذا قلت: سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين)**اه

وقال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ج٣/ص٤١٥: (والله تعالى قد سمانا في القـــرآن المســـلمين المؤمنين عباد الله **فلا نعدل عن الأسماء التي سمانا الله بها إلى أسماء أحدثها قوم وسموها هم وآباؤهم** ما أنزل الله بها من سلطان)اه

المبحث السادس: لنتعاون فيما اتفقنا عليه

قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا... وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعــدوان)، إن هذه الآية خطاب لكل المؤمنين ليتعاونوا فيما بينهم على الخير و لم يستثن الله أحدا من المؤمنين فــلا يجوز لنا أن نقصر التعاون فيما بيننا على الانتماء المذهبي (عقدي أو فقهي أو حركي)

لا تقل لي كيف أتعاون مع مبتدع؟! فإن التعاون على البر والتقوى مطلوب حتى مع الكفار فضلا عن المسلمين المخالفين في المذهب، فلقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن حلف الفضول الــذي عقدته قريش في الجاهلية لنصرة المظلوم: (لقد حضرت في دار ابن جدعان حلفا ما أحب أن له بــه حمر النعم، ولو دعيت إليه في الإسلام لأجبت) رواه الحميدي والطحاوي وغيرهما، وقال عن صــلح الحديبية: (لئن دعتني قريش إلى خطة يعظمون فيها حرمات الله لأجبت) رواه البخاري وغيره، فــإذا كان التحالف والتعاون مع الكفار على ما يقره الدين مطلوب ومرغب به شرعا؛ فكيف بالتحــالف والتعاون مع المخالفين لنا في المذهب من المسلمين ؟!، إذن فلنترجم هذا التعاون إلى واقــع ولنتخــذ الخطوات الواقعية للتعاون على القواسم المشتركة بين المذاهب الإسلامية وما أكثرها

لقد قال **حسن البنا ومن قبله شيخه محمد رشيد رضا** كلمة تكتب بماء الذهب ينبغــي أن نجعلــها منهاجا في التعامل مع المخالف هذه الكلمة هي: **(لنتعاون فيما اتفقنا عليه وليعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه)**

وقد يقول قائل: هذه الكلمة لا تصح على إطلاقها فكيف نعذر المخالف لنا إذا كان خلافــه غــير معتبر؟ فنقول: قد تقدم معنا أن من بذل جهده بتجرد فأخطأ أنه يعذر ولو كان خلافه في مســائل العقيدة فضلا عن مسائل الفقه، ولكننا نضيف إلى ما قالاه فنقول: **(ولينصح وليحاور بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه)** وهذه الإضافة تشمل المعذور وغير المعذور.. صاحب التجرد وصاحب الهــوى، نسأل الله العافية من الهوى.

- **(ألسنا متفقين على** الإيمان بالله الواحد الأحد وأنه متصف بكل كمال منزه عــن كل نقص وأن له الأسماء الحسنى، وأن القرآن كلام الله وأن محمدا رســول الله؟، فلنتعاون إذن على غرس معاني الإيمان الجملي في أنفس الناشئة بعيدا عمــا أدخلــه الجدل الفلسفي والكلامي في علم العقائد
- **ألسنا متفقين على** أن الإلحاد أعظم خطر يهدد البشرية في أعز مقدساتها؟، فلنتعاون إذن على تحصين الشباب من وباء الإلحاد ومقدماته من الشكوك والشبهات الــتي تزعزع العقيدة وتلوث الفكر

- **ألسنا متفقين على** أن الإيمان بالآخرة ركن في كل دين وخصوصـــا الإســـلام؟، فلنتعاون على تقوية الإيمان بالآخرة ولنطارد الشبهات التي تحاول أن تشكك في هذه العقيدة العظيمة أو الشهوات التي تشغل عنها
- **ألسنا متفقين على** أركان الإسلام الخمسة؟ فلماذا لا نتعاون على حسن تعليمهـــا للمسلمين واتخاذ أحسن الأساليب لدعوهم إليها مستفيدين من الوسائل المعاصرة؟
- **ألسنا متفقين على** دعائم الإيمان الست؟ فلماذا لا نتعاون على تجليتـــها وتثبيتـــها وإيصالها إلى عقول المسلمين وقلوبهم بلغة سهلة تلائم يسر الإسلام دون الدخول في معارك الجدل التي أثارها القدماء أو يثيرها المحدثون؟
- **ألسنا متفقين على** مكارم الأخلاق التي بُعث الرسول صلى الله عليه وآله وســـلم ليتممها سواء كانت في التعامل مع الله أو مع الخلق؟ فلنتعاون إذن على إشاعة هذه الفضائل وترسيخ هذه القيم حتى يشب عليها الصغير ويهرم عليها الكبير ولنطـــارد الرذائل التي تضادها المدمرة للفرد والمجتمع
- **ألسنا متفقين على** مجموعة كبيرة من الأحكام الشرعية التي أجمعت عليهـــا الأمـــة فغدت تمثل وحدها الفكرية والسلوكية؟ فلنعاون على رعايتها والعمل على حسن تطبيقها وحمايتها من عبث العابثين
- **ألسنا متفقين على** أن الصهيونية خطر داهم (خطر ديني وعســـكري واقتصـــادي وسياسي واجتماعي وأخلاقي وثقافي وحضاري) وأنها تريد هدم الأقصى وتخطـــط وتعمل وقد حققت الكثير من أحلامها وما زالت في عدوانها وأنها تحاربنـــا مـــن منطلق ديني؟ فلماذا لا نتعاون على أن نحاربهم بمثل ما يحاربوننا به وأن نقف في وجه كيد اليهودية الماكرة في أفريقيا وآسيا
- **ألسنا متفقين على** أن الغرب لم يتحرر حتى اليوم من روح الحروب الصليبية ومـــا زالت تحكم كثيرا من تصرفاته كما يظهر بين الحين والحين من وقائع شتى؟ فلنتعاون إذن على التصدي لهذه الحروب الصليبية الجديدة بأسلحتها الجديدة
- **ألسنا متفقين على** أن التنصير يغزو عالمنا الإسلامي بما يملك من وسائل متطـــورة وطاقات جبارة ويستغل حالات الفقر والجهل والمرض والجوع المنتشرة وللأســـف في أمتنا في آسيا وأفريقيا وقد نجح في كثير من الأقطار؟ فلنتعاون كلنا على الوقوف في وجه هذه الغزو الديني ولنبذل لنصرة حقنا كما يبذلون لنصرة باطلهم بل يكفي أن نبذل بعض ما يبذلونه

- **ألسنا متفقين على** أن الشيوعية تحاربنا في العقيدة والفكر والأرض؟ فلنتعاون جميعا على مقاومة الغزو الشيوعي والغزو الفكري والسياسي والعسكري ولنحم أبناءنا وديارنا من هذا الزحف الأحمر
- **ألسنا متفقين على** أن مئات الملايين من المسلمين يجهلون أوليات دينهم المتفق عليها ولا يكادون يعرفون من الإسلام إلا اسمه؟ فلنتعاون على تعليهم هذه الشعوب ألف باء الإسلام وأركان الدين الأساسية من العقائد والعبادات والأخلاق المتفق عليها بين المذاهب ، وهذا يحتاج منا إلى جهود كبيرة تنسينا ما نتجادل فيه من مسائل هيهات أن ينتهي فيها الخلاف
- **ألسنا متفقين على** أن أربعة مليار من سكان الأرض لا يعرف أكثرهم عن الإسلام شيئا يذكر؟ ومن عرف فإنما يعرف صورة مشوهة، فهؤلاء لم تبلغهم الدعوة بلوغا حقيقيا ونحن مسئولون عن إيصال الدعوة الإسلامية إليهم وعلينا أن نخاطب كل قوم بلسانهم ونقيم الحجة ونزيل الشبهات فلماذا لا نتعاون على هذا العمل الكبير ونجند له الرجال والأموال
- **ألسنا متفقين على** أن القوى العلمانية تبذل جهودا مستميتة لإيقاف تطبيق الشريعة وتشويه صورتها في المسلمين؟ فلماذا لا يتعاون المسلمون بمختلف مدارسهم وفصائلهم للوقوف صفا أمام هذه التكتل العلماني المؤيد من القوى المعادية للإسلام في الشرق والغرب؟
- **وأخيرا لماذا لا نتناسا خلافاتنا الجزئية** للتضام جهودنا وتلتئم صفوفنا وتتوحد جبهتنا في مواجهة القوى الضخمة المعادية لنا والمتربصة بنا، والتي تختلف فيما بينها ولكنها تتفق علينا؟ إن المتفق عليه ليس بهين ولا قليل وهو يحتاج إلى جهود وجهود تشغل كل أفكارنا وأوقاتنا وإمكانياتنا، **حرام على الأمة الإسلامية أن تعترك على تلك المسائل الفرعية وتدع تلك الثغرات الهائلة دون أن تسدها بكتائب المؤمنين الصادقين)**اه اقتباس من د.القرضاوي في كتابه (الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم) ص٩٩بتصرف

المبحث السابع : لا للإرهاب الفكري ولا لردود الأفعال

تقدمت معنا المحنة التي حصلت للبخاري من قبل الذهلي بسبب (مسألة اللفظ) وقد حصل لبعض علماء نيسابور بسببها إرهاب فكري إذ كانوا يوافقون البخاري في قوله لكنهم لا يجرؤون على

إظهار ذلك خوفا على أنفسهم من التصنيف أو من الأذية ففي سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٦٢: (عن إبراهيم وراق أحمد بن سيار قال: لما قدم البخاري مرو استقبله أحمد بن سيار فيمن استقبله فقال له أحمد: **يا أبا عبد الله نحن لا نخالفك فيما تقول!!! ولكن العامة [أي عامة المحدثين] لا تحمل ذا منك، فقال البخاري: إني أخشى النار، أسأل عن شيء أعلمه حقا أن أقول غيره، فانصرف عنه أحمد بن سيار**

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم في الجرح والتعديل: قدم محمد بن إسماعيل الري سنة خمسين ومائتين وسمع منه أبي وأبو زرعة وتركا حديثه عندما **كتب إليهما محمد بن يحيى أنه أظهر عندهم بنيسابور أن لفظه بالقرآن مخلوق. قال الذهبي: قلت إن تركا حديثه أو لم يتركاه البخاري ثقة مأمون محتج به في العالم)اه**

وقال ابن قتيبة في كتابه (الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية) ص٥١: (كل من ادعى شيئا أو انتحل نحلة **فهو يزعم أن الحق فيما ادعى وفيما انتحل.. وقد بلي بالفريقين المستبصرُ المسترشدُ وبإعناقهم وإغلاظهم لمن خالفهم وإكفاره وإكفار من شك في كفره**

فإنه ربما ورد الشيخُ المصر فقعد للحديث وهو من الأدب والتمييز غفلٌ، ليس له من معاني العلم إلا تقادم سنه وأنه قد سمع من فلان وفلان فيبدأُونه قبل الكتاب بالمحنة، **فالويل له إن تلعثم أو تمكث أو سعل أو تنحنح قبل أن يعطيهم ما يريدون، فيحمله الخوف من قدحهم فيه وإسقاطهم له على أن يعطيهم الرضا فيتكلم بغير علم ويقول بغير فهم**، فيتباعد عن الله في المجلس الذي أمل أن يتقرب فيه منه، وإن كان ممن يعتقد على مخالفتهم سام نفسه إظهار ما يحبون ليكتبوا عنه

وإن رأوا حدثا مسترشدا أو كهلا متعلما سألوه **فإن قال لهم: أنا طالب حقيقة هذا الأمر وأسأل عنه ولم يصح لي شيء بعد -وإنما صدقهم عن نفسه واعتذر بعذرٍ الله يعلم صدقه، وهم يعلمون أن الله لم يكلفه إذا لم يعلم إلا أن يسأل ويبحث ليعلم-؛ كذبوه وآذوه وقالوا: خبيث فاهجروه ولا تقاعدوه**

أفترى لو كان ما هم عليه من اعتقادهم هذا الأمر أصل التوحيد الذي لا يجوز للناس أن يجهلوه وقد سمعوه من رسول الله مشافهة؛ أكان يجب أن يبلغ فيه هذه الغاية؟**!**)انتهى

وقال ابن الوزير اليماني في إيثار الحق ص ١٩: (هذا مع ما في التكفير للمخطئ في هذه الدقائق من المفسدة، **ومن ذلك عدم جسرة الناظر على المخالفة لأنها صارت مثل الردة من الدين ولولا ذلك لاتضح كثير من الدقائق.** فإن أوائل أهل علم الكلام لابد أن يقصّروا كما هو العادة الدائمة في كل

من ابتدأ ما لم يسبق إليه، **فلما كفروا المخالف كتم بعضهم المخالفة وتكلف بعضهم الموافقة بالتأويل البعيد وفسد الأكثرون)اه**

لماذا الإرهاب الفكري؟! لماذا لا ندع للناس الحرية في التفكير؟! ولماذا لا ندع للناس الحرية في إبداء الرأي؟! لكن لنطلب منهم أن يكون التجرد والإنصاف والبحث قائدهم على الدوام، ثم بعد ذلك نناقشهم في آرائهم ونحاورهم حولها، ولا شك أن لكل شيء حدودا لكن بعضهم ضيقها وبعضهم وسعها وبعضهم توسط قال القاسمي في كتابه في الجرح والتعديل ص٣٧: **(دع مخالفك -إن كنت تحب الحق- يصرح بما يعتقد فإما أن يقنعك وإما أن تقنعه ولا تعامله بالقسر فما انتشر فكر بالعنف أو تفاهم قوم بالطيش والرعونة...**

فإن اختلاف الآراء من سنن هذا الكون وهو من أهم العوامل في رقي البشر، **والأدب مع من يقول فكره باللطف قاعدة لا يجب التخلف عنها في كل مجتمع**، والتعادي على المنازع الدينية وغيرها من شأن الجاهلين والمهوسين لا العالمين لا المعتدلين)اه

وقال د.يوسف القرضاوي: (...وألَّف أحد علماء الأزهر (الشيخ منصور محمد عويس) كتابا عنوانه: (ابن تيمية ليس سلفيا!) يريد أنه خالف السلف في إنكاره أن مذهبهم هو التفويض، وقد ساق جملة من الأقوال تدلُّ على أن مذهب السلف هو التفويض، وأن ابن تيمية هو الذي خالف منهج السلف في ذلك.

وقد نفد هذا الكتاب من السوق، و لم يطبع مرَّة أخرى، وحاولتُ الحصول على نسخة منه فلم أفلح، وقد لقيتُ مؤلِّفه -وأنا أعرفه من قبل- في الكويت حيث يعمل إماما وخطيبا لأحد المساجد هناك، فسألتُه عن كتابه هذا، **فالتفتَ يمينا وشمالا، وقال لي: أرجوك لا تذكر هذا الكتاب، حتى لا يقطع عيشي، فهنا فئة لو عرَفت أني صاحب هذا الكتاب لم ترضَ ببقائي في هذا البلد يوما واحدا، وهيَّجت الدنيا عليَّ.**

وهكذا يعيش الناس في جو الإرهاب الفكري، حين تطغى مدرسة على سائر المدارس، وتُخرِس ألسنة الآخرين، وتنفرد هي بالقول، لأنها مسنودة بقوَّة سياسية أو اقتصادية، أو غيرها...

وكم من دعاوى في ذلك، زعم أصحابها أنها تمثِّل الحقيقة التي لا شكَّ فيها، ونقلوا الإجماع عليها، وهاجموا أشدَّ الهجوم مَن يخرج عليها برأي مخالف. وشيخ الإسلام ابن تيمية نفسه ضحيَّة هذه الدعاوى العريضة، وقد اتَّهمه مَن اتَّهمه في علمه وفي دينه، وأنه خرق الإجماع، وخرج على علماء الأمة، بآراء ما أنزل الله بها من سلطان، ودخل السجن ومات فيه من أجل ذلك.

فينبغي أن نأخذ عبرة من ذلك، ولا نقف من الباحثين المخالفين لشيخ الإسلام موقف خصـــومهِ منه، بل نَدَعِ الباب مفتوحا لكلِّ مَن يضع لبنة في صرح العلم الكبير، وقد قال سلفنا: لـــيس في العلم كبير) انتهى من مقدمة الشيخ القرضاوي لكتاب التفويض للشيخ سيف العصري

فعلى من تبين له الحق أن يعض عليه بالنواجذ وألا يتركه أو يقول بخلافه خوفا من الناس، ففي سنن الترمذي ٤/٤٨٣: (عن أبي سعيد الخدري قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يومـــا صلاة العصر بنهار ثم قام خطيبا.. وكان فيما قال: **ألا لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه**، قال فبكى أبو سعيد فقال: قد والله رأينا أشياء فهبنا**!**)اه

وإرضاء الناس غاية لا تدرك فإنك إن أرضيت هذا أسخطت ذاك وإن أرضيت ذاك أسخط هذا فما بقي إلا مراعاة رضي الله وحسب، وفي صحيح ابن حبان ١ / ٥١٠: (عن عائشة رضي الله عنـــها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (**من التمس رضى الله بسخط الناس رضـــي الله عنه وأرضى الناس عنه، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليـــه وأســـخط عليـــه الناس**)اه

وأنا على يقين من أن هذا الموضوع سيسخط عليّ الكثيرين من متعصبة كـــل المـــذاهب (العقديـــة والفقهية والحركية)، لكن في المقابل فإن سيرضي الكثيرين من المنصفين المتجردين الساعين في التأليف بين المسلمين وهم كثر ولله الحمد.

وحسبي أني أعتقد أن هذا الأمر يرضي الله تعالى من قبل ومن بعد (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف **أو إصلاح بين الناس**) ([٣٧])، حسبي الرب من المربوب.. حسبي الخالق مـــن المخلوق.. حسبي الرازق من المرزوق.. حسبي الناصر من المنصور.. حسبي القاهر مـــن المقهـــور..

---

[٣٧]) قال المنذري في الترغيب والترهيب: (عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **أفضل الصدقة إصلاح ذات البين)** رواه الطبراني والبزار وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وحديثه هذا حسن لحديث أبي الدرداء المتقدم

وروي عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبي أيوب: ألا أدلك على تجارة، قال: بلى، قال: **صل بين الناس إذا تفاسدوا وقرب بينهم إذا تباعدوا)** رواه البزار والطبراني، وعنده: (ألا أدلك على عمل يرضاه الله ورسوله قال: بلى، قال: **صل بين الناس إذا تفاسدوا وقرب بينهم إذا تباعدوا)** رواه الطبراني

وروى الطبراني أيضا والأصبهاني عن أبي أيوب قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أبا أيوب ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله **تصلح بين الناس إذا تباغضوا وتفاسدوا)**اه لفظ الطبراني، ولفظ الأصبهاني قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا أدلك على صدقة يحب الله موضعها، قلت: بأبي أنت وأمي، قال: **تصلح بين الناس فإنها صدقة يحب الله موضعها)اه**

حسبي الساتر من المستور.. حسبي الذي هو حسبي.. حسبي من لم يزل حسبي.. حسبي الله من جميع خلقه.. حسبي الله ونعم الوكيل

ومما يجب اجتنابه -عند التعامل مع المخالفين لنا في المذهب- ردودُ الأفعال غير المنضبطة، وكم قد حصل في القديم والحديث من ردود الأفعال: فالنصبُ إنما هو ردة فعل ضد التشيع، والتشيع الغالي إنما هو ردة فعل ضد النصب، والغلو في إثبات الصفات الإلهية إلى حد التجسيم إنما هو ردة فعل ضد الغلو في نفي الصفات إلى حد التعطيل.. والعكس، والجبر ردة فعل ضد نفي القدر.. والعكس... إلخ ولا نريد أن ندخل في: (من الأسبق البيضة أم الدجاجة؟) لأن هذا لا يهمنا هنا

قال ابن كثير في البداية والنهاية (ج٨/ص٢٢٠): (وقد أسرف الرافضة! في دولة بني بويه في حدود الأربعمائة وما حولها فكانت الدبادب (الطبول) **تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء، ويذر الرماد والتبن في الطرقات والأسواق، وتعلق المسوح على الدكاكين، ويظهر الناس الحزن والبكاء، وكثير منهم لا يشرب الماء ليلتئذ موافقة للحسين لأنه قتل عطشانا.**

ثم تخرج النساء حاسرات عن وجههن ينحن ويلطمن وجوههن وصدورهن، حافيات في الأسواق إلى غير ذلك من البدع الشنيعة، والأهواء الفظيعة، والهتائك المخترعة وإنما يريدون بهذا وأشباهه أن يشنعوا على دولة بني أمية، لأنه قتل في دولتهم.

وقد عاكس الرافضة والشيعة يوم عاشوراء النواصب من أهل الشام، فكانوا إلى يوم عاشوراء يطبخون الحبوب ويغتسلون ويتطيبون ويلبسون أفخر ثيابهم ويتخذون ذلك اليوم عيدا يصنعون فيه أنواع الأطعمة، ويظهرون السرور والفرح، يريدون بذلك عناد الروافض ومعاكستهم)اه

خاتمة المطاف:

وفيها مسائل:

المسألة الأولى: دور السلوك والتزكية في تصحيح التصور والحكم والمعاملة

والمسألة الثانية: أهمية الحوار ودوره في تصحيح التصور والحكم والمعاملة

والمسألة الثالثة: التقريب بين المذاهب الإسلامية

والمسألة الرابعة: دور الحكام والساسة في الألفة والفرقة

والمسألة الخامسة: نداء إلى العلماء والدعاة والمفكرين والمصلحين وعامة المسلمين

خاتمة المطاف

وفيها مسائل

المسألة الأولى : دور السلوك والتزكية في تصحيح التصور والحكم والمعاملة

يُذكرُ عن الجنيد بن محمد رضي الله عنه أنه قال: (**إذا رأيت مسلما على ذنبٍ ثم حالت بينك وبينه شجرة ثم لقيته بعد ذلك فإياك أن تعامله وفقا لذلك الذنب فإنك لا تدري لعله أحدث خلال ذلك توبة بينه وبين ربه)**اه رحم الله الجنيد.. انظر كيف يؤدي السلوك وتزكية النفس إلى حسن التعامل مع المخالف

ما أحوجنا إلى تزكية أنفسنا وتطهيرها من الأمراض الظاهرة والباطنة، وما أعظم أثر ذلك على تعاملنا مع بعضنا البعض، فقد تكون أسباب كثير من التصورات الخاطئة والأحكام الخاطئة والتعاملات الخاطئة هي أمراض موجودة في القلوب من حسد أو عجب أو كبر...إلخ ولعل ذلك قد ظهر لنا جليا من خلال بعض النماذج السابقة في التصور والحكم والمعاملة

قال المعلمي اليماني في كتابه القائد إلى تصحيح العقائد ص١٣ وهو يعدد أسباب عدم قبول الحق: **(الوجه الثالث: الكبر: يكون الإنسان على جهالة أو باطل فيجيء آخر فيبين له الحجة فيرى أنه إن اعترف كان معنى ذلك اعترافه بأنه ناقص**، وأن ذلك الرجل هو الذي هداه ولهذا ترى من المنتسبين إلى العلم من **لا يشق عليه الاعتراف بالخطأ إذا كان الحق تبين له ببحثه ونظره ويشق عليه ذلك إذا كان غيره هو الذي بين له**

الوجه الرابع: الحسد: وذلك إذا كان غيره هو الذي بين الحق فيرى أن اعترافه بذلك الحق يكون اعترافا لذلك المبين بالعلم والفضل والإصابة فيعظم ذلك في عيون الناس ولعله يتبعه كثير منهم، **وإنك لتجد من المنتسبين إلى العلم من يحرص على تخطئة غيره من العلماء ولو بالباطل حسدا** منه لهم ومحاولة لحط منزلتهم عند الناس)اه

وقال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٧: **(وهذا الاختلاف المذموم من الطرفين يكون سببه تارة فساد النية لما في النفوس من البغي والحسد وإرادة العلو في الأرض بالفساد** ونحو ذلك.

فيحب لذلك ذم قول غيره أو فعله أو غلبته ليتميز عليه، أو يحب قول من يوافقه في نسب **أو مذهب** أو بلد أو صداقة ونحو ذلك **لما في قيام قوله من حصول الشرف والرئاسة له وما أكثر هذا في بني آدم وهذا ظلم)اه**

والعجب أن الشيطان يصور ذلك للبعض على أنه من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ج١٤/ص٤٨٢: (**لاسيما إن كان المتكلم لحسد أو رئاسة**

وكذلك العمل فصاحبه إما معتد ظالم وإما سفيه عابث، **وما أكثر ما يصور الشيطان ذلك بصورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله** ويكون من باب الظلم والعدوان)اه

وقال د.القرضاوي في كتابه (الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم) ص١٢٦:

(كثيرا ما يكون الخلاف بين الإفراد والفئات ظاهرهُ أنه خلاف على مسائل في العلم أو قضايا في الفكر وباطنهُ حب الذات واتباع الهوى الذي يعمي ويصم ويصد عن سبيل الله، وهذا ما لمسته في كثير من الخلافات بين الجماعات **وبين الأجنحة داخل الجماعة الواحدة وبين القياديين**، فكثير من الخلافات يرجع إلى أمور شخصية ويغلف بالحرص على مصلحة الإسلام أو الجماعة

نعم كثيرا ما يكون الخلاف في الحقيقة لأجل أن يكون زيد زعيما أو عمرو رئيسا أو بكـــر قائـــدا، **ويظن أتباع هذا أو ذاك أن الخلاف على المبادئ والمفاهيم وهو خلاف على المغانم وحب الظهور أو الجاه أو التصدر...**

وإن مما يؤسف له غاية الأسف أن نجد بعض علماء الدين أو بعض أعضاء الجماعات الإســـلامية يتعاونون أحيانا مع جماعات علمانية صريحة ضد إخوانهم من العاملين للإســـلام في حركـــات أو جماعات تختلف معهم في المنهج أو الموقف السياسي مخالفين بذلك توجيهات القرآن والسنة وأقـــوال سلف الأمة وعمل الهداة والصالحين في مختلف الأعصار)اه

وما أكثر ما يدخل الشيطان على أهل العلم والدعوة إلا ما رحم ربي قال أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين ج٣/ص٣٩٦ عن الأدعياء: (**...** ويصرفُ الناسَ عن الخلق وهو على الخلق أشد حرصا، ولو مُنع عن مجلسه الذي يدعو الناس فيه إلى الله لضاقت عليه الأرض بما رحبت، ويزعم أن غرضـــه إصلاح الخلق، **ولو ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا، ولو أثنى أحد من المترددين إليه على بعض أقرانه لكان أبغض خلق الله إليه)**اه

إن العلم بغير تزكية قد يكون حجابا بين المرء وربه، وقد يكون سببا في الهلاك والنار فإن أول مـــن تسعر بهم النار ثلاثة ومنهم العالم المرائي كما في صحيح مسلم، وصدق ابن رسلان الشافعي حيـــث يقول في مقدمة منظومته المسماة بالزبد:

وعالم بعلمه لم يعملن * معذب من قبل عباد الوثن

والعلم بغير تزكية قد يكون سببا في قسوة القلوب وسببا للتعادي ففي سير أعلام النـــبلاء ١٨٣/٧:

(عن محمد بن عبادة المعافري قال: كنا عند أبي شريح رحمه الله **فكثرت المسائل** فقال: **قد درنـــت قلوبكم فقوموا إلى خالد بن حميد المهري استقلوا قلوبكم وتعلموا هذه الرغائب والرقائق فإنهـــا**

تجدد العبادة وتورث الزهادة وتجر الصداقة، وأقلوا المسائل فإنها في غير ما نزل تقسي القلب وتورث العداوة، قال الذهبي قلت: **صدق والله**)اه

وفي جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (ج٣/ص٢٦٨) بسنده إلى أحمد بن عبد الله بن أبي الحواري قال: قلت لأبي بكر بن عياش: حدِّثْنا، فقال: (**دعونا من الحديث؛ فإنا قد كبرنا ونسينا الحديث، جيئونا بذكر المعاد والمقابر...**)اه

وفي جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (ج٣/ص٢٨٦): بسنده عن يحيى بن سعيد القطان قال: سمعت شعبة يقول: (**إن هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل أنتم منتهون**)اه

ورواه الخطيب في الجامع ١/٢١٧ بلفظ مقارب

وفي طبقات الحنابلة (ج١/ص٩٨): (قال أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي قلت لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله سمعت شعبة بن الحجاج يقول: **إن هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة وعن صلة الرحم فهل أنتم منتهون، قال: فأطرق ساعة ثم قال: أما نحن فلا نعرف هذا من أنفسنا فإن كان شعبة يعرف من نفسه شيئاً فهو أعلم**)اه

فشعبه يحكي واقع من اشتغل بالحديث عن الذكر والصلاة والحقوق و لم يقل أنه كذلك، وأحمد لم يشغله الحديث عن تلك الأمور فإنه كان من المهتمين بها

وفي جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (ج٣/ص٢٦٤): بسنده إلى أبي خالد الأحمر قال: (**يأتي على الناس زمان تعطل فيه المصاحف، لا يقرأ فيها، يطلبون الحديث والرأي**، ثم قال: إياكم وذلك؛ فإنه يصفق الوجه ويكثر الكلام **ويشغل القلب**)اه

وفي جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (ج٣/ص٢٧١) بسنده عن الضحاك بن مزاحم قال: (**يأتي على الناس زمان يعلقون المصحف حتى يعشش فيه العنكبوت، لا ينتفع بما فيه، وتكون أعمال الناس بالروايات والحديث**)اه

وفي جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (ج٣/ص٢٩٦): بسنده إلى حمزة بن محمد بن علي الكناني قال: «خرجت حديثا واحدا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مائتي طريق أو من نحو مائتي طريق، شك أبو محمد قال: فداخلني من ذلك من الفرح غير قليل وأعجبت بذلك

قال: فرأيت ليلة من الليالي يحيى بن معين في المنام فقلت له: يا أبا زكريا خرجت حديثا واحدا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مائتي طريق، قال: فسكت عني ساعة ثم قال: **أخشى أن يدخل هذا تحت ألهاكم التكاثر**)اه

والعلم بغير تزكية قد يكون سببا في الكبر والعجب والحسد.. قال سفيان بن عيينة: (**من علامة الرياء في طالب العلم أن يخطر في باله أنه خير من العوام لأجل العلم ومن فعل ذلك مات قلبه**)اه العهود المحمدية ص٢٧٣

وقال كعب الأحبار: (**سيأتي على الناس زمان يتعلم جهالهم العلم ويتغايرون به على القرب من الأمراء كما يتغايرون على النساء أو كما يتغاير النساء على الرجال** فذلك حظهم من علمهم)اه العهود المحمدية ص٢٧٣

إذن فالتزكية والسلوك أساس في موضوع الألفة الإسلامية فإن المهتم بالتزكية والسلوك:

- يحجزه دينه وورعه عن أن ينسب إلى مخالفه ما لم يقل ويدعوه ذلك للتثبت في الأمر
- ويحجزه دينه وورعه عن أن ينسب إلى مخالفه شيئا عبر الوسائط ويدعوه ذلك للبحث والرجوع إلى الأصل
- ويحجزه دينه وورعه عن أن ينسب إلى مخالفه سُوءاً مع احتمال الحسن ويدعوه ذلك لحسن الظن
- ويحجزه دينه وورعه عن أن ينسب إلى مخالفه ما لم يفهمه على وجهه ويدعوه ذلك لأن يستفسر ويستفصل من صاحب الشأن
- ويحجزه دينه وورعه عن أن يحكم على مخالفه وفقا للهوى كحسد أو كبر أو مصلحة ويدعوه ذلك للإنصاف
- ويحجزه دينه وورعه عن أن يحكم على مخالفه بشيء لأجل أن البيئة أو الشيوخ قالوا ذلك ويدعوه ذلك للتجرد والبحث
- ويحجزه دينه وورعه عن أن يسيئ معاملة غيره بغلظة أو شده أو سب أو شتم... ويدعوه ذلك إلى معالي الأخلاق وحسن المعاملة والرفق واللين والرحمة والتعاون...

إن هدف السلوك والتزكية هو وصول المرء إلى مقام الإحسان (الإحسان في معاملة الخالق والإحسان في معاملة المخلوق) وذلك يكون بالتخلية والتحلية للظاهر والباطن، والمُعين على ذلك بتوفيق الله - بعد أداء الفرائض- هو مجاهدة النفس على النوافل (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله..) وأعظم النوافل تزكيةً للنفس هو الإكثار من ذكر الله (إن القلوب لتصدى كما يصدى الحديد قالوا: فما جلاؤها يا رسول الله؟ قال: كثرة ذكر الله)اه رواه ابن شاهين وابن عدي

قال ابن قيم الجوزية: (**ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما، وجلاؤه بالذكر، فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء**، فإذا تُرك صدئ وإذا ذكر جلاه، وصدأ القلب

بأمرين: بالغفلةوالذنب؛ وجلاؤه بشيئين: بالاستغفار والذكر، فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكماً على قلبه، وصدؤه بحسب غفلته.

وإذا صدئ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه؛ فيرى الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل، لأنه لَّما تراكم عليه الصدأ أظلم فلم تظهر فيه صور الحقائق كما هي عليه.

فإذا تراكم عليه الصدأ واسودَّ وركبه الرانُ فَسَدَ تصورُه وإدراكه فلا يقبل حقاً، ولا ينكر باطلاً، وهذا أعظم عقوباتِ القلب. وأصل ذلك من الغفلة واتباع الهوى، فإنهما يطمسان نور القلب ويعميان بصره. قال تعالى: {ولا تطعْ مَنْ أغفلْنا قلبَه عن ذكرِنا واتَّبَعَ هواه وكان أمرُهُ فُرُطاً} [الكهف: ٢٨]) اه الوابل الصيب من الكلم الطيب ص٥٢

وربما هون الكثير ممن ينتسب إلى العلم والدعوة من أمر العبادات والأذكار وحضور الجماعات وأنواع القربات التي يتوخأ من ورائها إصلاح القلب وإيقاظه للحقيقة الإسلامية وتخليصه من أمراضه التي نحن بصدد الحديث عنها **واعتبروا ذلك من دأب العامة وعاداتهم وتصوروه شيئا لا يليق بمن نشط للحركة والدعوة الإسلامية..**

إنه وهم عجيب ومؤسف سببه الذهول عن الفارق الأساسي الكبير بين الإسلام والمذاهب الفكرية الأخرى، وسبب ذلك الذهول انصرافهم عن مجاهدة النفس وتركها مع ما تهواه وتطمح إليه([٣٨])

وعندما نتحدث عن السلوك فإننا نريد السلوك الحق.. سلوك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه رضي الله عنهم لا سلوك المنحرفين عن سبيله، فالخوارج كانوا مجتهدين في العبادة حتى إن الشخص ليحقر صلاته إلى صلاتهم وصيامه إلى صيامهم وقيامه إلى قيامهم وقراءته إلى قراءتهم كما جاء في الحديث الشريف

فإن قيل: كيف نفرق بين السلوك الحق والسلوك المنحرف؟

فالجواب هو: أن من زاده سلوكه رحمة بالخلق وخصوصا بالمسلمين فسلوكه سلوك حق، ومن زاده سلوكه حنقا وغلظة وشدة وتعاليا على الخلق وخصوصا على المسلمين فسلوكه سلوك منحرف.. من زاده سلوكه حسن معاملة للخلق وتواضعا للمسلمين فسلوكه سلوك حق، ومن زاده سلوكه سوء معاملة للخلق وتعاليا على المسلمين فسلوكه منحرف

---

[٣٨]) اقتباس من الشيخ البوطي في رسالته باطن الإثم ص٥٩

وهذا يؤكد أهمية أن يكون سلوك الشخص وتزكيته على يد شيخ مربي قد تربي على يـد شـيخ.. وهكذا إلى المزكي الأول صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال الله فيه: (ويزكيهم ويعلمهم الكتـاب والحكمة) فلم يقل ويتزكون ويتعلمون، ثم انظر كيف قدّم التزكية على العلم لأن التزكية غاية والعلم وسيلة.. وقد ذُكر -في مجلس أحمدَ- معروفٌ الكرخي فقال بعض من حضره: هو قصير العلم، فقال احمد: **أمسك عافاك الله وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف**

وعن عبد الله بن احمد بن حنبل أنه قال: **قلت لأبي: هل كان مع معروف شيء من العلم؟ فقال لي: يا بني كان معه رأس العلم خشية الله تعالى)**اه طبقات الحنابلة ١/٣٨٢

وقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتزكون قبل أن يتعلموا، فقد ورد عن ابن عمـر وجندب رضي الله عنهم وغيرهما أنهم قالوا: **(تعلمنا الإيمان قبل القرآن فلما تعلمنا القرآن ازددنا به إيمانا وإنكم اليوم تتعلمون القرآن قبل الإيمان)**اه مستدرك الحاكم ١/٩١ وسنن البيهقي ٣/١٢٠

وهكذا كان دأب السلف الصالح قال عبد الرحمن بن القاسم: **(صحبت مالكا عشرين سنة فكان منها سنتان في العلم وثمانية عشر سنة في تعليم الأدب فيا ليتني جعلت المدة كلها أدبا**، وقال الشافعي رحمه الله: **قال لي مالك: يا محمد اجعل علمك ملحا وأدبك دقيقا)**اه العهود المحمدية ٢٧٨

إن سند الخوراج في التزكية منقطع فلذا وقعوا فيما وقعوا فيه، بينما الصحابة -ومن أخـذ عنـهم- سندهم في التزكية متصل فلذا استقام سلوكهم، ومما يؤكد أهمية الشيخ المربي قوله تعالى: (ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) فعلامة إضلال الله للعبد عدم وجود الولي المرشد وعلامة هدايته له أن يوفق لولي مرشد، وتأمل قوله: وليا مرشدا، تجد أن المرشد إذا لم يكن وليا فهو غير كاف فيما نحن فيـه، وكذا الولي إذا لم يكن مرشدا

قال ابن تيمية في أهمية الشيخ المربي كما في مجموع الفتاوى ١١/٥١٠: **(لا ريب أن الناس يحتاجون من يتلقون عنه الإيمان والقرآن** كما تلقى الصحابة ذلك عن النبي [صلى الله عليه وآله وسلم] وتلقاه عنهم التابعون وبذلك يحصل اتباع السابقين الأولين بإحسان، **فكما أن المرء له من يعلمه القـرآن ونحوه فكذلك له من يعلمه الدين الباطن والظاهر)**اه

وقال أبو حامد الغزالي في رسالته خلاصة التصانيف في التصوف ضمن مجمـوع رسـائله ص١١٢: **(الخامس: أن يكون له مرشد ومرب ليدله على الطريق ويرفع عنه الأخلاق المذمومة ويضع مكانها الأخلاق المحمودة.**

ومعنى التربية أن يكون المربى كالمزارع الذي يربي الزرع فكلما رأى حجرا أو نباتا مضرا بالزرع قلعه وطرحه خارجا ويسقي الزرع مرارا إلى أن ينمو ويتربى ليكون أحسن من غـيره، **وإذا علمـت أن**

الزرع محتاج للمربي علمت أنه لا بد للسالك من مرشد مرب البتة، لأن الله تعالى أرسل الرســـل عليهم الصلاة والسلام للخلق ليكونوا دليلا لهم يرشدهم إلى الطريق المستقيم وقبل انتقال المصـــطفى صلى الله عليه وآله وسلم إلى الدار الآخرة قد جعل الخلفاء الراشدين نوابا عنه ليدلوا الخلق إلى طريق الله وهكذا إلى يوم القيامة **فالسالك لا يستغنى عن المرشد البتة**

وشرط المرشد أن يكون عالما **لكن ليس كل عالم يصلح للإرشاد بل لا بد له أن يكون عالما له أهلية صناعة الإرشاد**، ولهذا المرشد علامات ونحن نذكر لك ما لا بد له منها بطريق الإجمال حتى لا يدعي الإرشد كل متحير

فالمرشد هو:

- الذي يكون قد خرج من باطنه حب المال والجاه
- وتأسس بنيان تربيته **على يد مرشد كذلك وهلم حتى تنتهي السلسلة إلى الـــنبي صلى الله عليه وآله وسلم**
- وذاق بعض الرياضات كقلة الأكل والكلام والنوم وكثرة الصلاة والصدقة والصوم
- واقتبس نورا من أنوار سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم
- واشتهر بالسيرة الحسنة والأخلاق المحمودة من صبر وشكر وتوكل ويقين وطمأنينة وسخاء وقناعة وأمانة وحلم وتواضع ومعرفة وصدق ووقار وحياء وسكون وتأن وأمثالها
- وتطهر من الأخلاق الذميمة كالكبر والبخل والحسد والحقد والحـــرص والأمـــل الطويل والطيش ونحوها
- وسلِم من تعصب المتعصبين واستغنى عن علم المكلفين بالعلم المتلقى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فالاقتداء بمثل هذا المرشد هو عين الصواب والظفر بمثله نادر لا سيما في هذا الزمان فإنه كثر فيه من يدعى الإرشاد وهو في الحقيقة يدعو الناس إلى اللهو واللغو، بل ادعى كثير من الملحدين الإرشاد بمخالفة الشريعة **وبسبب غلبة هؤلاء المدعين اختفى المرشدون الحقيقون في أركان الزوايا**

وبما ذكرناه عُلم بعضُ علامات المرشد الحقيقي، حتى أنه من وجد متخلقا بها علم أنه من المرشـــدين ومن لم يكن متخلقا بها علم أنه من المدعين، **فإن تحصل أحد على مثل هذا المرشد وقبله المرشـــد** وجب عليه احترامه ظاهرا وباطنا)اه

فإن قيل إن القيام بالشرائع يغني عن الشيخ فجوابه ما قال الشعراني في العهود المحمدية ص٣٦٩ حيث قال: **(وقد أجمع الأشياخ على أنه لو صح لعبد أن يأتي بالمأمورات على الوجه الذي أمر الله تعالى**

به من غير خلل لما احتاج أحد إلى شيخ، لكن لم يصح لهم ذلك فاحتاجوا ضرورة إلى من يبين لهم مراد الحق، ولذلك احتاج أتباع المجتهدين إلى المجتهدين)اه

والفوائد التي يجنيها من يتزكى على يد شيخ مربي كثيرة جدا ومنها:

- أن الشيخ دليل مجرِب، والمسافر في طريق يسلكه لأول مرة لا بد له من دليل عادة وإلا فلا مفر من الضياع والتيه في سفره، عصمنا الله وإياكم من التيه والضياع، ولذا قال سفيان الثوري ما معناه: (عبدت الله سنين ثم لقيت عبد الواحد بن زيد فبان لي أن عندي كبائر لم أكن أعلمها)
- أن الشيخ يربيه بحالهِ قبل قالهِ وهو ما يسمى في المصطلح المعاصر (التربية بالقدوة) وقد قال بعض السلف ما معناه: (إني لأتذكر شيخي فأتقوى على العبادة شهرا فكيف إذا رأيته فكيف إذا سمعت كلامه ؟!)
- كما أن من عادة النفس التفلت والهروب من التكاليف فإذا شعر الشخص بوجود من يتابعه فهذا أدعى للالتزام بالتكاليف
- كما أن أول العلل والأمراض تحطما عند التربية على يد شيخ مربٍ هو مرض الكبر والعجب و(الأنا) فإن قبول النفس لمربي هو بحد ذاته بعدٌ عن هذه الأمراض

فإن قيل: أين هم الشيوخ المربون الذين يزكون نفوسنا ويأخذون بأيدينا إلى الله ؟ قيل: من جد وجد ومن صدق الله صدقه، قال ابن عطاء الله: (**سبحان من لم يجعل الدليل عليهم إلا من حيث الدليل عليه ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه**)اه

قال الشوكاني كما في الفتح الرباني ٢/١٠٤٤: (فيا طالب الخير إذا ظفرت يداك بواحد من هؤلاء الذي هم صفوة الصفوة وخيرة الخيرة **فاشددهما عليه واجعله مؤثرا على الأهل والمال والقريب والحبيب والوطن والسكن**)اه

وفي ختام هذا المسألة أحب أن أذكر ما قاله الشيخ البوطي في رسالته باطن الإثم ص١٥٣: (**إن المسلمين اليوم يشْكُون من أنهم متفرقون متدابرون ويتساءلون عن سبيل لجمع كلمتهم وتوحيد سبيلهم**

ونقول: **إن الذي فرق المسلمين إنما هو الحواجز والأمراض القائمة في نفوسهم ومن دون زوال هذه الحواجز لا يجتمع لهم أمر ولا يصلح لهم حال،** هذه الحواجز أقوى شأنا من المجالس الجامعة واللقاءات المتكررة والشعارات الواحدة

وقد فرغنا من شرح هذه الحواجز وأنواعها وآثارها الخطيرة في حياة المسلمين ثم ذكرنا العلاج الذي يذيب هذه الحواجز ويمحوها من النفوس

وإذا أردنا اختصار الطريق في الكلام **فلنق : إن الحمض الذي يذيب هذه الحواجز كلها إنما هو الإخلاص، فإذا توفر الإخلاص لدين الله في القلب: زال الكبر من النفس وحل التواضع مكانه، وزالت الأحقاد والبغضاء منها وحل الود والوئام مكانهما، وزال حب الدنيا والتطلع إلى مناصبها ومغرياتها وحل مكان ذلك التطلع إلى مرضاة الله والنجاة من عقابه ووعيده، وزالت العصبية بألوانها وأشكالها المختلفة وحل مكانها الولاء للإسلام حيث هو**

والإخلاص كلمة سهلة على اللسان حبيبة إلى القلوب مطربة للأسماع لكن معناها من أعظم المعاني أهمية وأثرا ومن أشقها على النفوس تطبيقا، إلا أنها فقدت الكثير من أهميتها وتأثيرها لكثرة ما يتاجر بها المدعون وينادي بها أصحاب الشعارات الفارغة

إن الإخلاص إذا استقر في القلب استقر حب التضحية معه فيضحي المخلص بمصالحه وآفاته النفسية في سبيل الحق، وعلى الذي يشكو من أنه لا يجد سبيلا للتضحية لشدة تعلقه بذاته أن يروض نفسه على التضحية بما ذكرناه في هذه الرسالة، **أما الذي لا يريد أن يفعل هذا ولا ذاك فليقلع عن دعوى الإسلام والتمسك به وليكف عنا ضجيجه المتواصل حول التألم لفرقة المسلمين وتدابرهم**

إن الذي لا يرى مانعا من تغيير حكم الله والتلاعب به استبقاء لمنصب أو سعيا إلى هوى نفسي **لا ينبغي أن يتكلم عن سر تفرق المسلمين وتدابرهم** فما هو في بلائهم في شيء وليس في قلبه عليهم توجع

والذي يعيش في الدنيا ليربي كبرياءه ويغذي أنانيته ويدافع عن عصبيته لا ينبغي أن يلبس على نفسه وعلى الناس فيخلط الغيرة على الدين بالغيرة على كبريائه ويخلط الدفاع عن الحق بالدفاع عن عصبيته أو عصبيته

والذي يفهم أن الإسلام لا ينبغي أن يكون فيه تبتل وعبودية في القلب وذكر يفيض به الوقت ودعاء واجف في الأسحار، وإنما يريد قولا وحركة وتخطيطا فقط فيجب ألا يبحث عن معالم إسلامه في كتاب الله وسنة رسوله وحال السلف، وإنما عليه أن يبحث عن ذلك بين أرباب المذاهب والأفكار الحديثة)اه

المسألة الثانية: أهمية الحوار ودوره في تصحيح التصور والحكم والمعاملة

الحوار منهج قرآني نبوي، فقد فتح الشرع باب الحوار ودعا إليه ليس مع المسلمين فحسب بل حتى مع أهل الكتاب والمشركين بل وكل الملل:

ففي القرآن: قال تعالى: (...وجادلهم بالتي هي أحسن) وقال سبحانه: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) وقال عز وجل: (قال له صاحبه وهو يحاوره...) وقال سبحانه: (ألم تر إلى الـــذي حاج إبراهيم في ربه...)

بل إن القرآن قد أعطى أوسع مدى للحوار فأمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وســـلم بـــأن يقـــول للمشركين: (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) و لم يقل: وإنكم لعلى هدى أو في ضلال مبين، بل: (وإنّا أو إياكم) وقد حكى لنا القرآن الكريم محاورات كثيرة للأنبياء وغيرهم من المصلحين مع أقوامهم فلا تكاد تخلو قصة رسول أو مصلح منهم من محاورات قصها لنا القرآن

بل أعظم من ذلك.. حكى لنا القرآن محاورة الملائكة لرب العالمين بشأن خلق سيدنا آدم عليه السلام (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمد ونقدس لك...)

وفي السنة: ليس بخاف على أحد محاورة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمشركي مكة ويهود المدينة ونصارى نجران فضلا عن المسلمين، والشواهد على ذلك من السيرة النبوية كثيرة مشهورة لا داعي لذكرها لأنها أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر

وفي سير الصحابة والسلف الصالح : هناك نماذج كثيرة: فمن ذلك محاورة الصحابة للمشركين كما فعل مصعب بن عمير مع سعد بن عبادة وأسيد بن حضير قبل إسلامهما، ومحاورة الصحابة للخوارج كما فعل علي وابن عباس، ومحاورة أبي حنيفة للدهرية وغيرها كثير، هذا في المحاورات العقدية أمـــا المحاورات الفقهية فلا تحصى كثرةً

إذا علمت هذا فلا تنظر بعد ذلك إلى ما نُقل عن فلان أو علان من السلف أو الخلف من نهـــيهم عن الحوار لأن ذلك مخالف لمنهج القرآن والسنة والسلف الصالح

لكن قد يقال: إن عمر رضي الله عنه استخدم أسلوب العصا مع صبيغ و لم يستخدم أسلوب الحوار

فالجواب: أولا: أن فعل عمر ليس بحجة وخصوصا إذا خالف القرآن والسنة، وثانيا: أنه قد عُلم من حال صبيغ أنه لم يكن باحثا عن الحقيقة بل كان صاحب غرضٍ في بث الشبهات بين جهلة المسلمين ومثل هذا لا ينفع معه الحوار بل العصا لأنه يدري أنه على باطل

نعم قد يشتبه على البعض الحوار الشرعي بالمراء المذموم الذي قال عنه صلى الله عليه وآله وسلم: (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا)اه رواه أبو داود ٢/٦٦٨، فالمراء هو الجدال العقيم وهو الذي لا يريد المتحاوران فيه الوصول للصواب بل يريد كل طرف منهما أن يقنع الآخر برأيه بأي وسيلة لأنه يعتقد أن الحق المطلق معه وأن الباطل المطلق مع الآخر، وفي ذلك قال الله تعالى: (وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون) مع أنه قد أمره في الآيات الأخرى بمجادلتهم قال الطوفي في

كتابه الإشارات الإلهية ٤٢/٣: (**لم يؤمر هاهنا بمجادلتهم لعنادهم وشغبهم** وهكذا ينبغي ترك جدال كل مشاغب ما لم يلزم من تركه مفسده)اه

وما أحسن كلام الشافعي رضي الله عنه في هذا الباب حيث قال: (**ما ناظرت أحدا قط فأحببت أن يخطئ**) رواه ابن حبان ٤٩٦/٥ وقال أيضا: (**ما ناظرت أحدا قط إلا على النصيحة**) وقال أيضا: (**ما ناظرت أحدا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما ناظرت أحدا إلا ولم أبال بيّن الله الحق على لساني أو لسانه**)اه رواهما أبو نعيم في الحلية٩/١١٨ وقال: (**ما ناظرت أحدا قط على الغلبة**) اه الوافي بالوفيات ٢٢٣/١ رحم الله الشافعي وما أحوجنا لمثل هذه الأخلاق في الحوار

إن الطرف الضعيف -غالبا- هو الذي ينادي بالحوار ويقول: الحوار منهج قرآني نبوي، بينما الطرف الأقوى يقول: الحوار مع أهل البدع حرام.. فإذا تغلب الضعيف فصار الأقوى نسيَ ما كان يدعو إليه من قبل، وصار الطرف الآخر -القوي سابقا الضعيف لاحقا- ينادي بالحوار ويقول: الحوار منهج قرآني نبوي

وتجد البعض (فردا أو الطائفة) ينادي بالحوار مع من هو أقوى منه أو أكثر عددا أو شهرة ويستدل للحوار بالأدلة الشرعية، فإذا طلب منه الحوار مع من هو أضعف منه أو أقل عددا أو شهرة قال: نحن لا نجادل في ديننا!! ولا نجادل أهل البدع!!

إن الصادق في نداءه للحوار لا يحيد عن ذلك سواء كان هو أو الآخر ضعيفا أم قويا مشهورا أم مغمورا قليلا أم كثيرا، وخلافُ ذلك دليل على عدم الصدق بل على وجود الأغراض والأمراض والعلل الشخصية في تلك النداءات

لكن هنا نقطة مهمة في الحوار وهي أن تكون المحاورة بعلم ومعرفة قال عز وجل: (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) قال الطوفي في كتابه الإشارات الإلهية ٣٥/٣: (منطوق الآية ذم الجدل بغير علم **ومفهومها جواز الجدل -حتى في الله عز وجل- بعلم**)اه

فينبغي أن تحاور من يفهمك وتفهمه ومن تنطلق أنت وهو من أصول معلومة متفق عليها أما الجاهل الذي لا يعرف الأصول فيصدق فيه قول الشافعي: (**لو ناظرني ألف عالم لغلبتهم ولو ناظرني جاهل واحد لغلبني**) وصدق أبو حامد الغزالي في كتابه فيصل التفرقة حيث قال عن الجاهل: (**والمشتغل به صار كضارب في حديد بارد وطالب لصلاح الفاسد وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر**)اه

ومن المهم عند الحوار الانطلاق من نقاط الاتفاق قال تعالى في حوار أهل الكتاب: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد)

إن الحوار بلا شك يسهم إسهاما كبيرا في تصحيح التصور وتصحيح الحكم وتصحيح المعاملة مع المخالف، والأدلة على ذلك من التاريخ ومن الواقع كثيرة، ولا أدل على ذلك من هذه القصة، روى الخطيب في تاريخه ١١/١٥٨، والصيمري في أخبار أبي حنيفة ص١٢٨: عن محمد بن سماعة قال: كان عيسى بن أبان يصلي معنا وكنت أدعوه أن يأتي -مجلس- محمد بن الحسن **فيقول: هؤلاء قوم يخالفون الحديث**، وكان عيسى حسنَ الحفظ للحديث فصلى معنا يوما الصبح وكان يوم مجلس محمد فلم أفارقه حتى جلس في المجلس

فلما فرغ محمد -من المجلس- أدنيته إليه وقلت: هذا ابن أخيك أبان بن صدقة الكاتب ومعه ذكاء ومعرفة بالحديث **وأنا أدعوه إليك فيأبى ويقول: إنا نخالف الحديث فأقبل عليه -محمد- وقال له: يا بني ما الذي رأيتنا نخالفه من الحديث لا تشهد علينا حتى تسمع منا**

فسأله يومئذ عن خمسة وعشرين بابا من الحديث فجعل محمد بن الحسن يجيبه عنها ويخبره بما فيها من المنسوخ ويأتي بالشواهد والدلائل. **فالتفت إليّ عندما خرجنا فقال: كان بيني وبين النور ستر فارتفع عني، ما ظننت أن في مُلك الله مثل هذا الرجل يظهره للناس، ولزم محمد بن الحسن لزوما شديدا حتى تفقه به)اه**

المسألة الثالثة : التقريب بين أتباع المذاهب الإسلامية

أجدني هنا مضطرا لطرح قضية التقريب بين أتباع المذاهب الإسلامية لأن الناس فيها طرفان ووسط، فأتباع المذاهب تجاه هذه القضية (التقارب بين المذاهب الإسلامية) -وخصوصا بين السنة والشيعة- ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: من يصوّر الخلافات التي بين الفريقين على أنها فرعية، ولأنها فرعية بحسب زعمهم فلا مانع عندهم من التقارب، وهذا الصنف موغل في التفاؤل ومغرق في السطحية

والصنف الثاني: -بعكس الصنف الأول– من يقول: الخلافات التي بين الفريقين أصلية ولأنها أصلية فلا يمكن التقارب، وهذا الصنف موغل في التشاؤم ومغرق في الشطط

والصنف الثالث: المتوسط المعتدل فيقول: صحيح أن الخلافات بين الفريقين أصلية بل وأصلية أصيلة، **لكن هذا لا يمنع من التقارب على أساس الثلاثة المحاور التي هي موضوع هذا البحث وهي: (تصحيح التصور وتصحيح الحكم وتصحيح المعاملة)**

مقتطفات من كلام بعض مشايخ الفريقين في قضية التقريب

وأحب أن أذكر هاهنا مقتطفات من كلام بعض أهل السنة وبعض الشيعة في مسألة التقريب بين أتباع المذاهب الإسلامية، **فمن أهل السنة نذكر مقتطفات من كلام:**

- الشيخ يوسف القرضاوي
- والشيخ محمد الغزالي
- والدكتور أحمد الدغشي

ومن الشيعة نذكر مقتطفات من كلام:

- الشيخ محمد علي التسخيري
- والشيخ محمد مهدي شمس الدين
- والشيخ محمد واعظ زاده الخراساني

ولا يعني نقلي عنهم الموافقة لهم في كل ما يذكرونه ولكن كلامهم مقبول في الجملة، وإن كان على بعضه ملاحظات من وجهة نظر الفقير

أولا: مقتطفات من كلام الدكتور القرضاوي

في ورقة العمل التي قدمها الشيخ لمؤتمر التقريب بين المذاهب الإسلامية الذي عقد في البحرين في ٢٠٠٣/١٠/٨ والمنشورة في موقع إسلام أون لاين على هذا الرابط:

http://www.islamonline.net/Arabic/contemporary/2003/10/article02.shtml ، والتي كان عنوانها: **(مبادئ للتقريب بين المذاهب الإسلامية) ذكر الشيخ عدة مبادئ للتقريب:**

المبدأ الأول: معرفة الآخر من مصادره:

ذكر الشيخ في هذا المبدأ أنه مما لا ريب فيه أن حسن الفهم مطلوب في كل شيء، قبل البدء في أي عمل حتى يكون السير فيه على بصيرة؛ لأن صحة التصور ضرورية في صحة العمل والتصرف**...**

وقال: نعني بـ(حسن الفهم) حسن التعرف على حقيقة موقف الطرف الآخر، وذلك بأخذ هذا الموقف من مصادره الموثقة، أو من العلماء الثقات المعروفين، لا من أفواه العامة، ولا من الشائعات، ولا من واقع الناس؛ فكثيرا ما يكون الواقع غير موافق للشرع. ومن المهم أن نفرق بين الأصول والفروع، وبين الفرائض والنوافل، وبين المتفق عليه والمختلف فيه، وبين الشائعات والحقائق، وبين ما يلزم به الفقه وما يعمله الناس من عند أنفسهم**...**

المبدأ الثاني: حسن الظن بالآخر:

ذكر الشيخ في هذا المبدأ أن الإسلام يقيم العلاقة بين أبنائه على حسن الظن؛ بمعنى أن يحمل حال غيره على أحسن المحامل، وإن كان يحتمل معنى آخر وتصورا آخر...

وقال الشيخ: **إن سوء الظن يجعل الناس عند صاحبه متهمين، ينظر إليهم بمنظار قاتم أسود يخفي مزاياهم وحسناتهم، وينظر إلى عيوبهم وسيئاتهم من خلال ميكروسكوب ويضخمها؛ فيجعل الحبة قبة كما يقولون...**

إن التعاليم الإسلامية تحذر أشد التحذير من خصلتين: سوء الظن بالله، وسوء الظن بالناس، **وأصل هذا كله الغرور بالنفس والازدراء للغير**، ومن هنا كانت أول معصية لله في العالم معصية إبليس، وأساسها الغرور والكبر (أنا خير منه)...

ثم قال: حكيت لأحد المتشددين مواقف لبعض الشيعة، رأيت فيها الصدق والاستقامة والاعتدال والإخلاص، فما كان من هذا الأخ إلا أنه قال: هذا فعله تقيّة! فالتقية جزء من تكوين الشيعة الديني. وذكرت لمتشدد آخر أن العلماء في إيران عندما زرتهم قدموني لأصلي بهم إماما، وأنا في دارهم، فقال: هذا من باب التقيّة! قلت: وما الداعي إلى التقية، ولست ممن يرجى ويخشى، و لم أطلب هذا و لم أتوقعه؟ والتقية إنما يقوم بها الضعيف، وبعد نجاح الثورة الإسلامية، وإقامة الجمهورية الإسلامية في إيران أصبح القوم أقوياء. **إن حمل كل عمل طيب، أو تصرف صالح من الشيعة، على أنه من باب (التقية) هو ضرب من سوء الظن، لا مبرر له ولا داعي إليه.**

المبدأ الثالث: لنتعاون في المتفق عليه:

ذكر الشيخ في هذا المبدأ أن من المهم في الحوار بين المذاهب أن نركز على مواضع الاتفاق، لا على نقاط التمايز والاختلاف، وخاصة أن معظم نقاط الاتفاق في الأمور الأساسية التي لا يقوم الدين إلا بها ومن هذه النقاط [أي نقاط الاتفاق]:

- الاتفاق على الإيمان بالله تعالى، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه خاتم النبيين، وأنه جاء ليتمم رسالات السماء جميعا، والإيمان بكل ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الإيمان بجميع كتب الله، وجميع رسل الله...

ـــ الاتفاق على الإيمان بالقرآن الكريم، وأنه كتاب الله المبين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم وبهذا المصحف وآياته وكلماته يستدل المناظرون في العقائد، ويحتج بها المستنبطون للأحكام، ويرجع إليها أهل الدعوة والتربية والتوجيه...

ـــ ومن نقاط الاتفاق: الالتزام بأركان الإسلام العملية: من الشهادتين، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت. فالفريقان –سنة وشيعة- يؤمنون بهذه الأركان أو الفرائض...

المبدأ الرابع: التحاور في المختلف فيه:

ذكر الشيخ في هذا المبدأ قاعدة الشيخ محمد رشيد رضا صاحب (مجلة المنار) و(تفسير المنار) في التعامل بين المختلفين من (أهل القِبلة) سماها (القاعدة الذهبية) وهذه القاعدة تقول: (**لنتعاون فيما اتفقنا عليه، وليعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه**) وقد تبنى هذه القاعدة كل المصلحين من أهل الحكمة والاعتدال، وعلى رأسهم الإمام حسن البنا الذي ردد هذه الكلمة في بعض رسائله ومحاضراته، حتى حسبها بعض أتباعه من كلمات البنا نفسه...

هذه القاعدة الذهبية حورها أحد إخواننا الباحثين المعاصرين، فجعلها بهذه الصيغة: (**نتعاون فيما اتفقنا عليه، ونتحاور فيما اختلفنا فيه**). هكذا عدلها أخونا وصديقنا الباحث المدقق عبد الحليم محمد أبو شقة رحمه الله، صاحب موسوعة (تحرير المرأة في عصر الرسالة). وهو يرى رحمه الله: أن كل مختلف فيه قابل للحوار، إذا كان الحوار جادا ومخلصا في طلب الحقيقة، بعيدا عن التعصب والانغلاق. وربما أدى تلاقح الأفكار وتفاعل الآراء إلى جلاء نقطة غامضة، أو تقريب مسافة كانت بعيدة، أو الخروج بتفسير يقبله الطرفان أو غير ذلك.

ورأيي أن نركز في الحوار على (الجوانب العملية) ونؤجل الجوانب النظرية والتجريدية، فالغالب أن الجدل فيها لا يوصل إلى نتيجة، مثل (رؤية الله في الآخرة) فالخلاف فيها بين أهل السنة والمعتزلة – منهم!! الشيعة الجعفرية والزيدية والإباضية- خلاف قديم عميق، والجدال حوله لا يقدم ولا يؤخر؛ لأن كل فريق متشبث برأيه، مُصِرٌّ على موقفه...

و(الجوانب العملية) التي أشير إلى جدوى الحوار فيها أقصد بها أمرين:

الأمر الأول: ما يتعلق بمواقفنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية؛ بحيث نجتمع حول هدف واحد، ونصدر عن موقف واحد، ونواجه المخططات المعادية بإستراتيجية واحدة...

والأمر الثاني: ما يتعلق بالأحكام الفقهية العملية؛ فالحوار فيها أيسر وأقرب منالاً من البحث في الأمور العقائدية والكلامية. وربما كان البحث في المعاملات والفقه الاقتصادي أسهل من البحث في العبادات والشعائر والأركان الدينية. ولا مانع من البحث في العبادات بروح من يريد أن يجد حلا للمشكلات القائمة، لا بروح المتعصب المنغلق، الذي لا يريد أن يفتح بابا للتفاهم والتقارب...

المبدأ الخامس: تجنب الاستفزاز:

ذكر الشيخ في هذا المبدأ أن من الأمور المهمة في الحوار الإسلامي الإسلامي والتقريب بين المذاهب الإسلامية تجنب الاستفزاز من أحد الطرفين للآخر، فالحوار المنشود –أو الجدال بالتي هي أحسن كما سماه القرآن- يقتضي أن يتجنب كل من الطرفين في خطاب الآخر العبارات المثيرة، والكلمات المستفزة التي تحدث التوتر في الأعصاب، والإيغار في الصدور، واختيار الكلمات التي تقرب ولا تباعد، وتحبب ولا تبغض، وتجمع ولا تفرق.

ومن ذلك: ترك الألقاب التي لا يحبها أحد الفريقين: كتسمية الشيعة – بـ(الرافضة) وأهل السنة بـ(الناصبة). وخطاب كل فئة باللقب الذي تسمي به نفسها وقد قال تعالى: (وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ) [الحجرات:١١] ومن أدب المسلم إذا لقي أخاه المسلم أن يدعوه بأحب الأسماء إليه. وقد اعتاد العرب أن ينادي بعضهم بعضا بكنيته، مثل: يا أبا حفص، أو يا أبا الحسن، أو يا أبا ذر.

ومن ذلك: البعد عن الموضوعات ذات الحساسية الخاصة التي إذا أثيرت اشتعلت النار، وارتفع الدخان، مثل الإساءة إلى آل البيت من قبل السنة، أو إلى الصحابة من قبل الشيعة. ومن النادر –بل الشاذ- أن يمس أحد من السنة آل البيت؛ لأن لآل البيت عندهم من الكرامة والمترلة والقرب ما يجعلهم محببين إلى كل قلب، ممدوحين على كل لسان، ومَن من أهل السنة لا يحب أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه، وفاطمة الزهراء رضي الله عنها أحب الناس إلى رسول الله رضي الله عنها، وابنيها الحسن والحسين سبطي رسول الله وسيدَيْ شباب أهل الجنة؟!

ولذلك تبقى المشكلة في (سب الصحابة) من قبل الشيعة... وهذه هي النقطة الحساسة، بل الشديدة الحساسية بيننا وبين إخواننا من الشيعة، فليس يمكن أن نتفاهم ونتقارب فيما بيننا، وأنا أقول: أبو بكر رضي الله عنه، وأنت تقول: أبو بكر لعنه الله!! فكم من الفرق البعيد بين الترضي عن شخص وقذفه باللعنة؟!

وقد تحدثت مع عدد من علماء الشيعة ممن أعرفهم من ذوي الأناة والحكمة، وقلت لهم: إن هذه القضية هي الحاجز الأول أمام التقارب، ولا بد للعقلاء أن يحاصروها، أو على الأقل يخففوا من آثارها، فإنها إذا تركت لغرائز العوام المشحونة بالغضب والحقد جديرة بأن تأكل الأخضر واليابس، ولا تدع لأهل العلم والحكمة فرصة في التوحيد أو التقريب.

والحق أقول: إن هؤلاء العقلاء -أمثال آية الله محمد علي التسخيري، وآية الله واعظ زاده وغيرهما- وافقوني تماما على ذلك، وأكدوا لي أن هذا الاتجاه يقوى عندهم وينتشر شيئا فشيئا، حتى إن المناهج الدارسية الجديدة في إيران تذكر في بعض كتبها مواقف تاريخية لأبي بكر وعمر فيها تمجيد لهما وثناء عليهما... والحقيقة أن هذه القضية الخطيرة في حاجة إلى تمحيص ومصارحة؛ لتصفيتها وجلاء الغبار عنها، أو على الأقل للوقوف موقفا إيجابيا حكيما منها.

وأحب أن أضع هذه النقاط أمام إخواني الشيعة، لا أقصد بها إلا ابتغاء وجه الله وخدمة دينه وجمع الأمة كلها عليه..

-أولا: أن هذا الذي حدث بين الصحابة من خلاف -وإن دخلته المبالغات ولوثته الأهواء، وضخمته أجواء الفتن- قد أصبح تاريخا انتهى وطويت صفحاته بحلوه ومره، وخيره وشره،

وسيسأل الله أصحابه ويجزيهم بأعمالهم ونياهم، وأولى بنا أن ندع ذلك إلى الله ولا نكلف أنفسنا حسابهم. وقد قال تعالى: (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)...

ثم إن علينا -من ناحية أخرى- أن نشتغل بحاضرنا، بدل أن يشغلنا ماضينا، وحاضرنا مليء بالمصاعب والآفات والعقبات التي تقف في وجوه المصلحين والمجددين، وهي تحتاج منا إلى جهود مضنية، كفيلة بأن تشغل عقولنا وقلوبنا وسواعدنا.

وقد سمعت شيخنا محمد الغزالي رحمه الله يرد على رجل يجادله فيما كان بين الصحابة، ويثير سؤالا لا معنى له: أيهما كان أحق بالخلافة: أبو بكر أم علي؟ فقال له الشيخ: لقد ذهب أبو بكر وذهب علي، وذهبت الخلافة الراشدة والأموية والعباسية والعثمانية، وألغيت الخلافة نهائيا من ديار الإسلام، وأصبح الذين يتحكمون فينا هم الخواجات الأجانب، لا أبو بكر ولا علي.. فإلى متى نظل في هذه المفاضلات الحمقاء؟!

-ثانيا: أن مسألة "السب" في ذاتها ليست محمودة شرعا؛ فالمؤمن ليس سبابا ولا لعانا، والقرآن ينهى عن سب الأصنام، خشية أن يثير ذلك المشركين، فيسبوا الله تعالى دفاعا عن آلهتهم كما قال تعالى: (وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) **. وأود أن أنصح الفريقين من السنة والشيعة أن يحرصوا على نقل الأقوال التي من شأنها أن تجمع ولا تفرق، وأن تقرب ولا تباعد، وأن تزرع المحبة لا الأحقاد ولا البغضاء؛ فإنها هي الحالقة، لا تحلق الشعر ولكن تحلق الدين.**

المبدأ السادس: المصارحة بالحكمة:

ذكر الشيخ هنا أن من مبادئ الحوار الإسلامي الإسلامي أن يصارح بعضنا بعضا بالمشاكل القائمة والمسائل المعلقة والعوائق المانعة، ومحاولة التغلب عليها بالحكمة والتدرج والتعاون المفروض شرعا بين المسلمين بعضهم وبعض.

فليس من الحكمة أن نخفي كل شيء، أو نسكت عنه، أو نؤجله وندعه معلقا دون أن نجرؤ على إثارته أو الكلام فيه؛ فهذا لا يحل مشكلة، ولا يقدم علاجا، أو يقرب بين الفريقين خطوة واحدة.

من ذلك ما ذكرته للإخوة من علماء الشيعة حين زرتهم في إيران، وهو أن من المهم أن نراعي (فقه الموازنات) و(فقه الأولويات) في العلاقة بين بعضنا وبعض. فقد يتراءى للبعض أن ينشر المذهب الشيعي في البلاد السنية الخالصة مثل مصر أو السودان، ورأيي أن هذا عمل ضرره أكبر من نفعه؛ لأنه يثير فتنا وبلبلة في مجتمع واحد مستقر على السنة، ويحدث توترا وغضبا ضد الشيعة، في حين لا

تكسب للشيعة من وراء ذلك إلا أفرادا معدودين هم في غنى عنهم. **فأيهما أرجح في ميزان المصالح الحقيقية: إثارة شعب بكل فئاته ضد المذهب أم كسب أفراد منه؟**

وقال الشيخ: أذكر أني تكلمت في هذا الموضوع، وكان العلامة الشيخ التسخيري حاضرا، فقال: صدقت والله، ولنا في ذلك تجربة حية؛ فقد كانت علاقتنا جيدة مع (ثورة الإنقاذ) في السودان، وفتحنا مكتبا هناك وتصرف مدير المكتب تصرفا أثار الإخوة هناك، بأن وزع عدة مئات من كتاب عنوانه (ثم اهتديت) على لسان رجل كان سنيا ثم تشيع، فما كان من الإخوة في الخرطوم إلا أن أغلقوا المكتب نهائيا، وطردوا مديره.

ومن هنا أقول: ينبغي للشيعة ألا يحاولوا نشر المذهب الشيعي في بلاد السنة الخالصة، ولا لأهل السنة أن ينشروا مذهبهم في البلاد الخالصة للمذهب الشيعي، إبقاء على الود، واتقاء للفتنة.

ومما صارحت به الإخوة في إيران ضرورة مراعاة حقوق الأقلية السنية بين الشيعة، أو الحقوق الشيعية بين السنة. وكان مما قلته للإخوة هناك أن في مصر أقلية قبطية، ولهذا يراعى في كل حكومة أن يكون لها وزيران أو ثلاثة على الأقل.

وفي إيران أقلية كبيرة من أهل السنة من الأكراد ومن العرب وهم شافعية، ومن البلوش وهم حنفية، ولكنهم لا يمثلون في الحكومة ولا بوزير واحد، وكل المحافظين الذي يولون عليهم من الشيعة. فقيل لي: هم ممثلون في مجلس الشورى، قلت: ولكن ليس بنسبة عددهم، على أن مجلس الشورى شيء، ومجلس الوزراء شيء آخر.

ومما قلته للإخوة أيضا في إيران: إن أهل السنة في طهران يقدرون بمليونين أو أكثر، وهم يطالبون منذ سنين بإقامة مسجد لهم، يجتمعون فيه لأداء فريضة صلاة الجمعة، ويشاركهم في ذلك السفراء العرب والمسلمون، فلم تستجب السلطات لهم حتى الآن...

المبدأ السابع: البعد عن شطط الغلاة:

ذكر الشيخ في هذا المبدأ أن من الأمور التي تجب رعايتها في حوار المسلمين بعضهم مع بعض **البعد عن شطط الغلاة والمتطرفين من كلا الفريقين، الذين يثيرون الفتن في حديثهم إذا تحدثوا، وفي كتابتهم إذا كتبوا**، وإذا كانت الفتنة نائمة أيقظوها، أو ساكنة حركوها، أو ضعيفة تبرعوا لها من دمائهم حتى تحيا وتقوى.

إن المعوّل عليه هنا هم: المعتدلون من أهل البصيرة والحكمة، الذين لا يتشنجون، ولا يتنطعون، وينظرون إلى الأمور بهدوء وعقلانية ووسطية، لا ينظرون إلى الأمر من زاوية واحدة، بل من جميع زواياه، ولا يكتفون بالنظر إلى السطح، بل يحاولون أن يغوصوا في الأعماق، ولا يقتصرون على

آثاره اليوم، بل يمتدون ببصرهم إلى المستقبل، وهؤلاء هم الذين رزقوا (الفقه) بمعناه الواسع ونعني به: فقه السنن، وفقه المقاصد، وفقه المآلات، وفقه الموازنات، وفقه الأولويات...

ومن أبرز مظاهر الغلو الذي يجب أن يُجتنب: السقوط في هاوية (التكفير). وهو أمر خطير، تترتب عليه آثار هائلة؛ لأن مقتضى الحكم بالكفر على إنسان: أنك حكمت عليه بالإعدام المادي والأدبي: أي أهدرت دمه، وأخرجته من الملة، وحرمته من ولاء الأمة والأسرة، حتى لو لم يقم عليه حد الردة؛ فهو ميت أدبيا ومعنويا ...

وإذا كان في المسلمين اليوم أناس متخصصون في تكفير المسلمين جميعا: سنيهم وشيعيهم، عربيهم وعجميهم، أحيائهم وأمواتهم؛ فهناك فئة متخصصة في تكفير الشيعة دون غيرهم، وربما أضافت إليهم بعض طوائف أخرى من المسلمين...

وينبغي لنا في حوارنا الإسلامي الإسلامي، لكي يؤتي ثمرته في التقريب بين أبناء الأمة أن نشيع أقوال المعتدلين من الفريقين، كما نغض الطرف عن أقوال الغلاة والمهيجين، الذين يريدون أن يؤججوها نارا حامية، لا تبقي ولا تذر، كأنما هي سقر، اللواحة للبشر...

المبدأ الثامن: الحذر من الدسائس:

ذكر الشيخ في هنا أن من المبادئ المهمة **أن نكون على حذر من كيد أعداء الأمة، ودسائسهم التي يريدون بها أن يفرقوا جمعها، ويشتتوا شملها، ويمزقوا صفوفها؛ فلا تتوحد على غاية، ولا تجتمع على طريق.** وقد حفظنا من فلسفتهم منذ بدأ استعمارهم لبلادنا وغيرها هذه الكلمة المعبرة عن غايتهم وطريقتهم (فرّق تسد). فهم يجتهدون كي يفرقوا كلمتنا من أجل أن يحكمونا ويسودونا...

المبدأ التاسع: ضرورة التلاحم في وقت الشدة:

قال الشيخ في هذا المبدأ: **إذا جاز لبعض الناس أن يتفرقوا ويختلفوا في أوقات العافية والرخاء والنصر؛ فلا يجوز لهم بحال أن يتفرقوا في ساعات الشدة والعسرة والمحنة؛ فالمفروض أن المحن تجمع المتفرقين، وأن المصائب تجمع المصابين، وقديما قال الشاعر: عند الشدائد تذهب الأحقاد.**

ونحن الآن نعاني محنا قاسية، وقوارع شديدة، في كل وطن من أوطاننا، وفي أمتنا بصفة عامة، وخصوصا بعد أحداث ١١سبتمبر ٢٠٠١م؛ **فقد دخلت الأمة من مشرقها إلى مغربها في امتحان عسير، وموقف خطير، يستوجب منها عامة، ومن علمائها ودعاتها وفصائل صحوتها خاصة أن ينسوا خلافاتهم الجانبية، ومعاركهم الهامشية، ويقفوا في جبهة واحدة متراصة في المعركة التي يواجهها الإسلام وأهله؛** فعند المعركة يجب أن يتلاحم الجميع، ويتساند الجميع، ولا يعلو صوت نشاز، يفرق الأمة في ساعة الخطر، كما قال تعالى: (إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ) انتهى ملخص كلام الشيخ القرضاوي

ثانيا : مقتطفات من كلام الشيخ محمد الغزالي

من كتابه دستور الوحدة الثقافية ، قال ص١٣٩: (من الخلافات الموروثة ما حصل بين الشيعة والسنة من فجوات ملأتها الدماء في بعض الأعصار **وزادها البهت والافتراء بين الحين والحين، وما أنكر أن أسبابا علمية وعاطفية تخفى أو تظهر وراء هذا الخلاف، بيد أن للسياسة ومطالب الحكم أسبابا أضرى وأنمى**)اه

ثم ذكر خطوات التصالح والإخاء بين الفريقين وخلاصتها:

١- **يتفق الفريقان في مؤتمر جامع على أن القرآن** هو كتاب الإسلام الخالد المصون والمصدر الأول للتشريع وأن الله حفظه من الزيادة والنقص والتحريف في كل عصر

٢- **وأن السنة هي المصدر الثاني للتشريع**، والاختلاف في ثبوت سنة معينة أو عدم ثبوتها مسألة فرعية

٣- **ما وقع من خلاف في القرن الأول يدرس في إطار البحث العلمي والعبرة التاريخية ولا يسمح بامتداده إلى حاضر المسلمين ومستقبلهم بل يجمد من الناحية العملية تجميدا تاما ويترك حسابه إلى الله (تلك أمة قد خلت...)**

٤- **يواجه المسلمون مستقبلهم على أساس من دعم الأصول المشتركة** وهي كثيرة جدا، وعلى مرونة وتسامح في شتى الفروع الفقهية ووجهات النظر المذهبية الأخرى

ثم قال ص١٤٠: (ولا أستطيع خلال سطور أن أحل مشكلة تراخت عليها العصور **لكني ألفت النظر إلى أن أوهاما وأهواء تملأ الجو بين الشيعة وجماعة المسلمين لا يسيغ العقلاء بقاءها، ولو وضع كل شيء في حجمه الطبيعي وأغلقت الأفواه التي تستمرئ الوقيعة والإفك لتلاشت أنواع من الفرقة** لا مساغ لوجودها) انتهى كلام الشيخ محمد الغزالي

ثالثا : مقتطفات من كلام الدكتور أحمد الدغشي

للدكتور الدغشي رسالة لطيفة عن (التقريب بين السنة والشيعة) وتتلخص رسالة الدكتور الدغشي في محورين: المحور الأول: أسباب فشل جهود التقريب السابقة، والمحور الثاني: مقترحات للتقارب بين المذهبين:

أولا: أسباب فشل جهود التقريب السابقة:

من ص١٤-٢٢ **تحدث الدكتور عن الأسباب التالية:**

١ - **أن أحد الطرفين أو كلاهما قد يقبل بالمشاركة في الحوار** لكنه يضمر في داخله السعي نحـــو احتواء الطرف الآخر وإقناعه بأحقية مذهبه هو، ابتغاء إنقاذه من ضلال وزيغ مذهبه في زعمه

٢ - **فريق آخر ممن أوكل إليهم هذا الدور أغرقوا في التفاؤل** وحسن الظن لحد غير مقبـــول، ومن هذه القبيل أن تبلغ المجاملة بين الفريقين إلى درجةٍ تصوّر الخلاف بين المذهبين سائغا ومشـــروعا وأن مسائل النزاع محدودة، بل تطرف بعضهم ليصور الخلافات على أنها خلافات فرعيـــة لا أكثـــر كالخلاف بين المذاهب الأربعة الفقهية، وهذا المستوى التسطيحي للخلاف مخلٌ حقا فالخلاف بـــين المذهبين أصلي عقدي، فمن ذلك على سبيل المثال: قول الإمامية بعصمة الإثني عشر ورجعة ! محمد بن الحسن العسكري والطعن في معظم الصحابة لأنهم اغتصبوا الخلافة من علي رضي الله عنـــه، إن تسطيح الخلاف لهوَ خداعٌ حقيقي للذات، قمين بفشل التقريب، ولئن كتب له النجاح فلن يتجاوز المتحاورين لا من يمثلونهم

٣ - **العوامل السياسية التي تدفع بعجلة الحوار إلى الإمام،** فيتفاءل البعض بذلك، فإذا لم تتـــوفر المصالح السياسية المرجوة فإن الدول الراعية للحوار توقفه فيؤدي ذلك إلى صدمة عنيفة عند المتفائلين تحيلهم إلى التشاؤم واليأس..

ثم مثل الدكتور الدغشي لذلك بالعلاقة بين إيران ودولة الخليج، فالسعي مؤخرا قائم علـــى تطبيـــع العلاقات بين الرياض وطهران بعد خصام تقليدي عميق استخدم فيه كل طرف من أسلحة التشـــنيع ما بدأً بالتقاذف بالأخطاء السياسية وانتهى بإصدار أحكام التكفير، **كما أن وقوف دول الخليج مع العراق في حربه ضد إيران دفع السعودية لدعوة لفيف من الكتاب من العرب والعجم للكشـــف عن خطورة الفكر الشيعي والثورة الإيرانية والخميني على الإسلام والمسلمين.. وفي المقابل عملت السفارات الإيرانية على توزيع المطبوعات والرسائل التي تصم المذهب الوهابي بكل نقيصة وتنتهي إلى أنه مذهب سياسي مارق عن الدين الصحيح**

وباحتلال العراق للكويت ونشوب حرب الخليج الثانية بدأت العلاقة تتحسن بين طهران والريـــاض وهي بين مد وجزر.. إلا أنه في الفترة الأخيرة تسارعت خطى العلاقات الإيجابية بين البلدين بما أثار الدهشة خاصة عند علماء الدين في السعودية.. ثم تُوّجت العلاقات بإقامة جمعية الصداقة الإيرانيـــة السعودية

هذا التسارع من المنتظر أن يلقي بظلاله على المؤسستين الدينيتين في البلدين فيقعان في حرج بالغ إذ هما مضطرتان للتفاعل الإيجابي مع هذا الحدث.. لكن كيف ستُخرج ذلك للجمهور بعد تعبئة مضادة طيلة نحو عقدين من الزمن؟!.. ومن المؤشرات ذات الدلالة الكبيرة على ذلك إيقاف أحـــد

خطباء المسجد النبوي بسبب خطبة تكلم فيها على الفكر الشيعي تزامنا مع زيارة رفسنجاني للسعودية

ومن المتوقع في المرحلة القادمة أن يجري التحضير لمناشط تهدف إلى نزع الحواجز النفسية والفكرية والمذهبية بين الطرفين.. **وقد أكدت الأيام هذا التوقع فقد شهدت الرياض في عام ١٤٢٤هـ إنشاء مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني وشمل كل الطوائف في السعودية من سنة بكل طوائفها وإمامية وإسماعيلية ..وفي المقابل في إيران تقام هناك أسابيع الوحدة الإسلامية ويتتابع صدور مجلة التقريب وتنشأ مجالس التقريب**

إن ثقافة التقريب هي التي يراد لها أن تسود بصورة ما في المستقبل القريب وسيطلب السياسيون من الذين كان لهم دور في التشنيع أن يكون لهم الآن دور في التقريب.. **وإذا قدر لهذا المشروع المضي فسيجد جمهور أتباع المذهبين سيل من المطبوعات الداعية للتقريب..** وأن عليهم أن يصدقوا الاستبسال في اتجاه التقريب بعد أن كانوا يلمسون الاستبسال في الاتجاه المضاد..

وهذا الأمر يدعو للتفاؤل غير أنه مرهون بإرادة السياسيين، على قدر ما يقدمه لهم من مصالح سياسية، **فإذا شعروا بأن التقريب سيهدد مصالحهم فإن العودة للعكس أمر حتمي، ولتذهب حينها جهود التقريب إلى الجحيم ولتحترب الأمة بكل سلاح وليكن ما كان**

ثانيا: مقترحات للتقريب بين المذهبين:

ثم من ص٢٢ –ص ٥٣ طرح الدكتور الدغشي عدة مقترحات للتقريب وخلاصتها:

١- **اعتراف كل طرف بالآخر وعدم الإلغاء للآخر:** ويترتب عليه الإقلاع عن التكفير وما يشبهه لأن ذلك يفسد الحوار قبل أن يبدأ أحيانا، وسواء كان التكفير في صورة نبز أو في صورة احتواء للطرف الآخر كشرط مسبق غير معلن للبدء بفكرة التقريب..

ثم دعا الدكتور أتباع المذهبين لمراجعة أحكام التكفير التي يطلقها كل طرف على الآخر، ثم خصنا نحن أهل السنة بذلك لأنه ينتمي إلى مذهبنا ثم ذكر طائفة من الأدلة والأقوال التي تنهي عن تكفير المسلمين وأن المحققين من أهل السنة على عدم تكفير أهل البدع

٢- **اعتماد قواسم الاشتراك:** وهي كثيرة بين الطرفين ويكفي أن ينظر الطرفان إلى خطورة التحدي الحضاري الخارجي الذي يواجه الأمة الإسلامية حيث يصرح قادة الغرب بأن الخطر بعد الاشتراكية هي الأصولية الإسلامية ومن البديهي أنهم يقصدون حركة البعث الإسلامي المعاصر من حركات ودول وفي مقدمها إيران.. ومن نقاط الالتقاء التي يمكن أن يجتمع عليها الطرفان تلك الخطوط العريضة في بناء الدولة ومؤسساتها وأجهزتها وآليات التنفيذ المناسبة فيها..

ثم دعا الدكتور للاستفادة من تجربة إيران في إقامة مؤسسات الدولة وأنها أولى بالاستفادة من التجارب الغربية

٣- **إيقاف الحرب الإعلامية:** بأن يكف كل طرف عن حملاته الإعلامية سواء عبر وسائل الإعلام أو عبر المطبوعات.. ومن غير المعقول الدعوة للتقارب مع تبادل الشتم والاحتقار والتسفيه للمعتقدات فالحرب المسلحة كما هو معلوم تبدأ بحرب الكلمات.. **ولا يعني هذا إقرار أي طرف للآخر بصواب ما هو عليه بل قد يرى طرف ضلال معتقد الآخر ويستهجنه، ولكن ليس إظهار ذلك منسجما مع مبدأ الحوار.. وعلى عقلاء الطرفين أن يتذكروا أن عمر هذه المعتقدات مئات السنين فلا يعقل أن تنتهي بجرة قلم أو بخطبة مجلجلة،** ولو كان الأمر كذلك لانتهى الخلاف من زمن سحيق.. وهنا لا بد من الالتفات إلى خطأين في منهج الطرفين في الحملات الإعلامية:

١ - **فالخطأ المنهجي عند أهل السنة:** هو الإسراف في الخصومة حتى بلغ الحال أن يلزموا الشيعة بتحريف القرآن لوجود روايات لبعضهم تقول بالتحريف مع أن جمهورهم وخصوصا المعاصرين لا يقولون بذلك، ولا يدرّسون في حوزاتهم ومدارسهم ومؤسساتهم إلا المصحف العثماني، **وهذا يرد على من يقول: إن قولهم بعدم التحريف إنما هو تقية فكيف تكون تقية في دولتهم ومعاقلهم..**

ومن المفارقات العجيبة أن بعض أهل السنة يعدون كل مراجعة إيجابية من الشيعة تقية، وإذا لم تحصل مراجعة قالوا هذا انحراف كبير..، وإذا كان كل شيء يقوله الشيعة تقية فلماذا لا يخرجون من نفق الاتهامات الموجهة إليهم عبر القرون بالتقية؟!.. وإذا أصر أهل السنة على تفسير كل مراجعة إيجابية من الشيعة بالتقية فمعنى ذلك إغلاق باب الرجوع عن الخطأ منهم، وعليه فلا يمكن أن يثقوا بتوبة أو تراجع إي شيعي ولو إلى مذهب أهل السنة..

ومن المهم هنا أن نعلم أنه ليس كل رواية توجد في كتب الشيعة ملزمة لهم لأن لهم منهجا خاصا في قبول تلك الروايات وردها كما أن لأهل السنة منهجهم في قبول رواياتهم وردها.. كما أن ما يقول به البعض من الشيعة لا يلزم الكل إلا بالإقرار.. وكذلك يقال في أهل السنة، **ولو حملنا ما يقوله البعض من أي طرف على الجميع لوقعنا في حرج كبير سنة وشيعة .**

٢ - **وأما الخطأ المنهجي عند الشيعة:** فهو استدلالهم لتأييد مسائل في مذهبهم بروايات موجودة في كتب السنة من حديث وتاريخ وتفسير وغيرها ويظنون أنهم بذلك يلزمون أهل السنة بمضمونها، وتناسوا أن لأهل السنة منهجهم الخاص في قبول تلك الروايات وردها فمنها الصحيح ومنها الضعيف ومنها الموضوع وهو الغالب في تلك الروايات، وما كان منها صحيحا فلأهل السنة منهجهم في فهمه وغالبا ما يكون استدلال الشيعة بها بعيد، لكن هناك روايات صحيحة تَكلفَ بعض أهل السنة في حملها على غير مدلولها خصوصا ما كان منها في فضائل أهل البيت

٤ - **إيقاف تصدير الأفكار**: بأن يبتعد كل طرف عن تصدير فكره للآخر.. أما أن يسعى أهل السنة لتسنين الشيعة وتسعى الشيعة لتشييع السنة فمن شأن ذلك أن يبقي الحرب قائمة والاستنفار على أشده.. **ولا يعني هذا الحجر على تفكير أتباع المذهبين فيما لو أراد أحد أن يأخذ بخلاف مذهبه وإنما الإشكال أن يُراد فرض الفكرة على العموم**

٥ - **حقوق الأقليات**: فمن الضروري أن يتفق الطرفان على آلية واضحة دقيقة تضمن حقوق الأقليات السنية في الأوساط الشيعية والأقليات الشيعية في الأوساط السنية بحيث ينال الجميع حقوقهم الدينية والسياسية والتعليمية وغيرها

رابعا : مقتطفات من كلام الشيخ محمد التسخيري

من ورقة العمل التي قدمها لمؤتمر البحرين السابق الذكر والتي كان عنوانها:

(التقريب.. أسسه وقيمه ودور العلماء فيه)

وقد تحدث عن ثلاثة محاور:

المحور الأول: الأسس الإيمانية المشتركة بين المذاهب:

الإيمان بمسألة "التقريب" يتأتى بكل منطقية إذا لاحظنا الأسس التالية التي تؤمن بها كل المذاهب الإسلامية دون استثناء، وهي:

- **أولا: الإيمان بأصول الإسلام العقائدية الكبرى**، وهي: التوحيد الإلهي (في الذات والصفات والفعل والعبادة)، وبالنبوة الخاتمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والقرآن الكريم الذي جاء به وما فيه، والمعاد يوم القيامة.
- **ثانيًا: الالتزام الكامل بكل ضروريات الإسلام وأركانه** من: الصلاة والزكاة والصوم والحج، وغيرها.
- **ثالثًا: الالتزام الكامل بأن الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة هما المصدران الأساسيان** لمعرفة رأي الإسلام في شتى الأمور...
- **رابعًا: الالتزام بأن الإسلام سمح لعملية الاجتهاد** باعتبارها عملية "بذل الوسع لاستنباط الحكم الشرعي من مصادره" أن تكون هي الموصلة لمعرفة الإسلام. كما أنها تلعب دورها في تأكيد مرونة الشريعة وقدرتها على استيعاب التطورات الحياتية طبقًا لمعايير وضوابط معينة...
- **خامسًا: أن مبدأ (الوحدة الإسلامية)! يعبر عن خصيصة مهمة من خصائص هذه الأمة** المباركة، ومن دونها لا يمكن لها أن تدعي اكتمال هويتها.

- **سادسًا: مبدأ الأخوة الإسلامية: وهو جزء من الخطة التي أشرنا إليها أعلاه**، ولكنا آثرنا التركيز عليه؛ لأنه أهم جزء، ولأنه ينظم مجمل العلاقات الاجتماعية في الإسلام...

ثانيا: المبادئ التي ينبغي أن يلتزم بها التقريبيون:

وبناء على تلك الأسس، وتبعًا لما أعلنه العلماء والدعاة التقريبيون؛ فإننا ندعو للقيم التالية، معتبرين إياها خطوطًا عامة للسياسات التي ينبغي أن يراعيها الخط التقريبي ليحقق أهدافه المرجوة:

- **الأول: التعاون فيما اتفقنا عليه:** والمتفق عليه في المجالات كثير جدًّا، فللمذاهب الإسلامية مساحات مشتركة كثيرة، سواء كانت في الأصول العقائدية أم في المجالات التشريعية (والتي يصل بها بعض العلماء إلى أكثر من ٩٠% من المساحة العامة)، أو في المجالات الأخلاقية، حيث التوافق يكاد يكون كاملاً...

- **الثاني: التعذير عند الاختلاف:** فما دمنا نؤمن بانفتاح باب الاجتهاد -وهي الحالة الطبيعية التي لا يمكن إغلاقها بقرار- وما دامت أسباب اختلاف النتائج الاجتهادية قائمة وطبيعية.. فمعنى ذلك الرضا باختلاف الآراء والفتاوى، ومن الجدير بالذكر هنا: أننا لا نجد نهيًا إسلاميًّا عن الاختلاف في الآراء، وإنما ينصب النهي على التنازع العملي المُذهب للقوة، والتفرق في الدين والتحزب الممزِّق، وأمثال ذلك. وهذا يعبر عن عقلانية الإسلام ومنطقيته

- **الثالث: تجنب التكفير والتفسيق والاتهام بالابتداع:** ونحن نعتبر مسألة التكفير من المصائب التي ابتلي بها تاريخنا، فرغم النصوص الشريفة التي تحدد المسلم من جهة وتمنع من التكفير للمسلم من جهة أخرى لحظنا سريان هذه الحالة التي حجرت على العقل أي إبداع أو مخالفة

- **الرابع: عدم المؤاخذة بلوازم الرأي:** من المنطقي أن يحاسب الإنسان على رأيه ويناقش بكل دقة وأناة، إلا أننا اعتدنا على مناقشات تبتني على لوازم الآراء، وبالتالي يأتي التكفير والاتهام بالابتداع، في حين أن صاحب الرأي قد لا يقبل تلك الملازمة... إن المناقشة العلمية الهادئة أمر مطلوب، ولسنا مع إغلاق باب البحث الكلامي مطلقًا، بل المنطق يقتضي فتحه، ولكننا ندعو للمناقشة المنطقية...

- **الخامس: التعامل باحترام عند الحوار:** ذلك أننا نعلم أن الحوار هو المنطق الإنساني السليم في نقل الفكر إلى الآخرين، وأن القرآن الكريم طرح نظرية رائعة للحوار المطلوب، تناولت مقدمات الحوار وظروفه وأهدافه ولغته بشكل لا مثيل له، وكان مما تناوله مسألة الاستماع للآراء واتباع أحسنها، ومسألة عدم التجريح...

- **السادس: تجنب الإساءة لمقدسات الآخرين:** والحقيقة هي أن هذا الأمر يتبع المبدأ السابق، بل هو في الواقع أولى منه؛ لأنه يخلق جوًّا عاطفيًّا معاكسًا، ويفقد الحوار توازنه المطلوب. وقد رأينا

القرآن ينهى عن هذه الحالة فيقول تعالى: (وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) والنصوص الإسلامية في النهي عن السب واللعن معروفة...

- **السابع: الحرية في اختيار المذهب:** ذلك أننا بعد أن اعتبرنا المذاهب نتيجة اجتهادات سمح بها الإسلام، علينا أن نعدها سبلا مطروحة للإيصال إلى مرضاة الله تعالى. وحين تختلف فإن من الطبيعي أن يدرس المسلم هذه المذاهب وينتخب الأفضل منها وفق معاييره التي يؤمن بها، والتي يشخص من خلالها أنه أبرأ ذمته أمام الله وأدَّى أمانته وعهده. وحينئذ فليس لأحد أن يلومه على اختياره حتى لو لم يرتح لهذا الاختيار. كما أنه لا معنى لإجبار أحد على اختيار مذهب ما؛ لأن ذلك مما يرتبط بالقناعات الإيمانية، وهي أمر لا يمكن الوصول إليه إلا بالدليل والبرهان. وهنا أؤكد أن لكل مذهب الحق في توضيح آرائه ودعمها، دونما تعدٍّ على الآخرين أو تهويل أو تجريح، فلا ندعو إلى إغلاق باب البحث المنطقي السليم، وإنما نرفض محاولات الاستغلال السيئ، والاستضعاف، والجدال العقيم، وفرض الرأي، وأمثال ذلك.

ثالثا: دور العلماء والمفكرين في عملية التقريب:

لا شك أن العبء الأكبر من العملية يقع على عاتق العلماء والمفكرين في مجال التقريب ونقترح باختصار الأدوار التي يجب أن يقوموا بها:

١- **ضرورة التعمق في أسس هذه الحركة وقيمها، وتأصيلها في نفوسهم،** وعكسها في بحوثهم ودراساتهم وكتاباتهم، بل وأخذها بعين الاعتبار في استنباطاتهم الفقهية والفكرية

٢- **العمل المنسق على توعية الأمة والانتقال بقافلة التقريب إلى المستوى الجماهيري،** فلا يشعر الفرد المسلم تجاه الآخر إلا بشعور الأخوة الصادقة والتعاون، رغم الاختلاف المذهبي، وتتسع الصدور للممارسات والتعددية المذهبية، وتنتفي المشاحنات العاطفية والترسبات التاريخية...

٣- **السعي المشترك المتضافر لاتخاذ المواقف الوحدوية النموذجية في كل القضايا المصيرية** من قبيل: -تطبيق الشريعة الإسلامية. -تحقيق نظام السيادة الشعبية في الإطار الديني. -مواجهة العدو وخططه في محو وجود الأمة وهويتها. -صيانة وحدة الأمة ونبذ التفرقة. -تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة.

٤- **تشجيع إيجاد المؤسسات التقريبية من قبيل:** -أقسام الدراسات التقريبية المقارنة. -النوادي الاجتماعية المشتركة. -المعسكرات التقريبية في مختلف الشؤون. -إيجاد جماعات التقريب في شتى أماكن وجود المسلمين. أما المراكز، بل والحكومات الإسلامية، فيمكنها أن تقوم بدور مهم في هذا المجال من خلال تشجيع حركة التقريب، وإقامة المؤتمرات، وتنفيذ المشروعات، واعتماد الإعلام المسؤول، ونفي مظاهر التفرقة وعناصرها، ونشر ثقافة التسامح المذهبي، وأمثال ذلك.)اه

خامسا : مقتطفات من كلام الشيخ محمد مهدي شمس الدين

من ورقة عمله التي قدمها لمؤتمر البحرين السابق الذكر والتي كانت بعنوان:

(نحو ميثاق تأسيسي لهيئة قضايا الوحدة والتقريب)

وقد ذكر طائفة من الأسس فقال: إن الميثاق التأسيسي لهيئة قضايا الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب يقوم على الأسس التالية:

الأساس الأول: **هو أن المسلمين اتفقوا على أمر جامع يوحدهم في دائرة الإسلام**، وعلى هذا الأساس يتشكل منهم جميعا كيان الأمة وينتزع من هذا الواقع مفهوم الأمة الإسلامية الذي ثبت له في الشرع أحكام شرعية وضعية وتكليفية. إن الثوابت الكبرى في الإسلام التي أجمع المسلمون على الإيمان بها والالتزام بها هي أساس الإسلام، حيث إن المسلم هو من آمن والتزم بها، وأن من أنكرها أو أنكر بعضها ليس مسلما، وهذه موضع وفاق بين المسلمين. وبهذا يتبين أن الواقع التنظيمي للأمة هو الوحدة.

الأساس الثاني: **إن التمذهب ظاهرة طبيعية في كل عالم ثقافي حضاري وهو ما يتفق مع الفطرة**. إننا لا نعتبر التمذهب بالمعنى الفقهي تمزقا في الإسلام، بل هو منسجم مع طبيعة اختلاف الأفهام والمدارك والرؤى في ضمن الإطار الواحد الجامع. إن الاختلافات المذهبية أمر طبيعي، وهي ناشئة من الاختلاف الاجتهادي في فهم ظواهر الكتاب وفي تقييم السنة، إن من حيث الصدور أو من حيث الظهور.

الأساس الثالث: **إن المرجع في فهم منهج كل مذهب ورؤيته العقائدية ومنهجه الفقهي هو أئمة وعلماء المذهب نفسه، والكتب المعتمدة فيه** على نطاق واسع ورسمي **وليس الآراء الشاذة منه، وليس ما يقوله عنه أو ما قاله عنه في الماضي خصومه ومناوئوه في المذاهب الأخرى**. ولا يجوز أن تكون موضوع اجتهادات أو أحكام من قبل مصادر أخرى في مذاهب أخرى.

الأساس الرابع: **تحريم التبشير في داخل الإسلام، فلا يجوز للشيعة أن يقوموا بنشاط تبشيري داخل هذا المذهب الإسلامي أو ذاك**، ولا يصح من أي مذهب منفرد أن يقوم بنشاط تبشيري على مستوى عام داخل المذاهب الأخرى. كما لا يجوز ولا يصح أن يقوم أهل السنة باعتبارهم كتلة عقائدية بأنشطة تبشيرية مبرمجة وممنهجة داخل الشيعة، **وأما الانتقال من مذهب إلى مذهب على صعيد فردي فهذا شأن من شؤون كل شخص بحسب قناعاته التي يكونها نتيجة لقراءاته وتفكيره الخاص**. وإذا قرر مسلم من المسلمين، من مذهب معين، الانتقال إلى مذهب آخر فإن إرادته، ورغبته يجب أن تحترم، وتطبق عليه باحترام أحكام المذهب الذي اختاره بحرية ضميره.

الأساس الخامس: لا يجوز أن تؤدي الاختلافات المذهبية داخل المجتمع الإسلامي الوطني في أي دولة إسلامية أو على مساحة العالم الإسلامي كله، إلى اعتبار أي فريق من المسلمين أقلية لا تتمتع بحقوق الأكثرية المذهبية في ذلك المجتمع أو على مستوى العالم الإسلامي، بل يجب أن يعتبر الجميع سواء في حقوق المواطنة وواجباتها.

الأساس السادس: فتح باب الاجتهاد على هذه الأسس: ندعو إلى تعزيز الاتجاه العام الذي وفق الله له في الأعصار الأخيرة على مستوى الأمة الإسلامية وهو فتح باب الاجتهاد.

وعلى هذا الأساس نلاحظ أن الاجتهاد لا يزال اجتهادا مذهبيا عند الجميع، بحيث إن كل أئمة وفقهاء كل مذهب يعملون على الاجتهاد في نطاق منهج وأصول وقواعد مذهبهم الخاص، وهذا أمر حسن في ذاته، ولكن هذا لا يخدم مقصد الوحدة والتقريب، وإنما يعزز الحيوية الفكرية والفقهية في داخل هذا المذهب المعين بالخصوص.

نحن ندعو -في نطاق مشروع تأصيل وحدة المسلمين والتقريب بين المذاهب- إلى تأسيس منهج الاجتهاد المطلق العام في جميع المذاهب. ومن هنا يجب أن تعزز في جميع الدوائر العلمية عند جميع المسلمين الدراسات الأصولية والفقهية المقارنة، بهدف العمل على تكوين مجتهدين مطلقين في المذاهب الإسلامية كلها، على مستوى الإسلام كله، وليس على مستوى مذهب معين.

فليكن هناك مستويان من الاجتهاد: مستوى الاجتهاد المذهبي الخاص الذي يلبي حاجة أتباع المذهب، واجتهاد مطلق عام يلبي حاجة الأمة في قضاياها الكبرى. وفي هذا الإطار يجب أن تتكون مجامع فكرية وعلمية تقوم على أساس قضية وحدة الأمة والتقريب بين اتجاهاتها الفقهية، وهذا أمر حاصل الآن بالجملة من خلال ما يعقد من مؤتمرات وندوات وما إلى ذلك، ولكن نأمل أن تؤصل فكرة إنشاء مؤسسات بحثية دائمة في هذا الشأن، ولعل مجامع الفقه الإسلامي هي بعض مظاهر هذه المؤسسات التي نشير إليها.

وهنا أرى من المناسب أن أثبت كلمة عظيمة الأهمية للمرجع الديني الكبير السيد/ البروجردي الذي قال: إن عقيدة الشيعة مبنية على ركنين:

الأول: الاعتقاد بإمامة علي والأئمة عليهم السلام من بعده، وأنه كان خليفة الرسول الأول.

الثاني: أن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام هم المرجع لحل المشاكل الدينية والأحكام بنص من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الثقلين، حيث قال: "إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي".

ويتابع المرجع البروجردي: "أن قضية الخلافة لا تحتاج إليها الأمة الآن، والبحث فيها مثار الاختلاف من دون أن يكون له ضرورة، وإنما هي في عهدة التاريخ، فلا داعي للخوض فيها. وأما

أن الأئمة كانوا مرجعا للأحكام فهي حاجة تختص بزمان دون زمان فعلينا أن نكتفــي في بحــث الإمامة بهذه، ونسكت عن الأولى، ولا ضير في ذلك" .

إن هذه الكلمة للمرجع الإمام البروجردي تكشف عن الرؤيا القائمة على اعتبــار وحــدة الأمــة، والناظرة إلى التقريب بين المذاهب، وهي عظيمة القيمة في أطروحتنا التي نقدمها للأمة الإســلامية في مشروع ترسيخ الوحدة والتقريب بين المذاهب.) انتهى كلام الشيخ مهدي شمس الدين

سادسا : مقتطفات من كلام الشيخ محمد واعظ زاده الخراساني

قال في مقال له بعنوان: (أهل السنّة عند الشيعة الإماميّة) منشور في مجلة رسالة التقريب العــدد ٤٦ /جمادى الأولى، جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤م:

(يجب أن نشير مع الأسف الشديد إلى ما حدث منذ القرون السّالفة بين اتباع المذاهب الإسلاميّة، ولاسيّما بين السنّة والشيعة من العداء والفرقة التي انتهت أحياناً إلى التضارب والتقاتل والتلاعن والتباغض نشأت من جهتين: الجهالة والسّياسة:

أما الجهالة: وأعني بها جهل كل من الفريقين السنّة والشيعة بحقيقة مذهب الآخر في أشياء تُبعــدهم وتنفّر بعضهم من بعض.

فأهل السنّة -اقصد ممن لا خبرة له منهم- يزعمون أنّ للشيعة قرآناً آخر، أو أنهــم يعتقــدون بتحريف الكتاب، أو أنّهم يكفّرون الصحابة!، أو يُخرجون أهل السنة عن الإسلام!، إلى غير ذلك من الأوهام الباطلة وأيضاً لا يفرّقون بين الشيعة وبين الغلاة فيحسبون جميع الشيعة غلاةً.

وعوام الشيعة -وممن لا خبرة له في الإسلام والمسلمين- يزعمون أن أهل السنة أعداء آل البيت وأعداء الشيعة، إلى غير ذلك من المزاعم الباطلة التي نشأت من جهل الطرفين لعن الله الجهل والعمى ماذا يحكمان؟! وقد علمنا علم اليقين من الأبحاث السابقة أنها جميعاً أوهام فاسدة.

وأمّا السّياسة: فقد عملت طيلة الأيام من قِبَل الحُكّام عَمَلَها، فإنّها كانت مبنيّة على «فرّق تَسُــد» فترى التقاتل بين الحكومات السنيّة والشيعية قديماً وحديثاً أمراً ثابتاً ودائماً، كالتنافر بين بني أمية وآل علي وبين آل العباس وآل علي، وبين البويهيّين والسّلاّجقة، وبين الفــاطميين والعباســيين، وبــين الخوارج في افريقيا وآسيا، والحكّام في القرون الأولى حتى جاء دور العثمانيين والصفويين «فــزادا في الطنبور نغمة أخرى». ومثلها حدثت في شبه القارّة الهندية بين الحكومات الشيعيّة والسنيّة.

فنحن الآن وارثون لما تركته الجهالة والسياسة من سوء النظر والتباعد بيننا؛ فيجب البحث عــن حقيقة المذاهب والاستماع إلى خبراء كل مذهب لنصل إلى الحقيقة ونتخلص من التعصّب والعداء وننتقل إلى الألفة والإخاء إن شاء الله تعالى) انتهى كلام الشيخ واعظ زاده

المسألة الرابعة : دور الحكّام والساسة في الألفة والفرقة

الحكام -في الغالب- مذهبهم (العقدي والفقهي والحركي) هو الكرسي والملك، فتجدهم يُـدنُون ويقرّبون أهل مذهب ما لأن في تقريبهم مصلحة لبقاء الكرسي والملك، وتجدهم يقصون ويبعـدون أهل المذهب الآخر لأن في إقصائهم وإبعادهم مصلحة لبقاء الكرسي والملك، وتجدهم يسـتخدمون أهل ذلك المذهب لضرب أهل هذا المذهب، **وحينها يقولون لهم: أولئك مبتدعة.. أولئك خارجون عن الدين أولئك ليسوا على السنة... إلخ** ثم يفعلون بهم ما لا يجوز -وقد يكون أحيانـا القتـل- وذلك بفتاوى من أهل المذهب الآخر

وتدور الأيام والليالي وتتغير الموازين فتقتضي مصلحة الكرسي والملك عكس الموقف الأول، فتجدهم يقربون من أبعدوه سابقا ويبعدون من قربوه سابقا ويصير صاحب البدعة بالأمس صاحب السنة اليوم وصاحب السنة بالأمس صاحب البدعة اليوم، وتُستخرج الفتاوى الانتقامية من الطـرف المقـرب لضرب الطرف المبعد أو قتلهم... إلخ وصار الجميع إلا من رحم الله ألعوبة بيد الحكام نسأل الله العفو والعافية

لقد كان الجعد بن درهم شيخ الجهم بن صفوان مقربا من بني أمية عندما كان في الشام حتى لقـد كان مؤدبا لمروان الحمار، والجعد حينها على مذهبه المشهور في الصفات، لكن ما لبث بعد ذلك أن قتله والي بني أمية على العراق خالدُ بن عبد الله القسري **-الناصبي الظالم كما وصـفه الـذهبي في ميزان الاعتدال ١/٦٣٣-** وذلك يوم العيد في المصلى فجعله أضحيته، بحجة أن الجعد ينفي صفات الله، وذلك بدعة بلا شك، لكن خالد القسري ليس همّه صفات الله بقدر ما همه إرساء دعائم الحكم، **فالجعد لما ترك الشام واستقر في العراق كان من المعارضين لسياسة حكم بني أمية فقد كان مـن المؤيدين لثورة يزيد بن المهلب على يزيد بن عبد الملك** كما في تاريخ الطـبري ٥/٣٣٨ والبدايـة والنهاية ٩/٢٤٦، وكان من المعارضين لسياسة الحجاج بن يوسف **حتى قيل إنه هـو مـن قـال للحجاج: أسد علي وفي الحروب نعامة...**إلخ الأبيات، كما في البداية والنهايـة ٩/٣٨٣، فوجـد هشام بن عبد الملك في ذلك فرصة لقتله تحت مظلة شرعية فأمر خالد القسري بقتله

ونموذج الجعد بن درهم يتكرر والتاريخ يعيد نفسه، **فمتى يعي الدعاة والعلماء من كل المذاهب هذا الأمر فيربأوا بأنفسهم عن أن يكونوا أداة للحكام ولعبة للسياسة**

قال الغزالي في إحياء علوم الدين ج٢/ص٣٥٧: (**فساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفسـاد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه**، ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل فكيف على الملوك والأكابر والله المستعان على كل حال)اه

وقال الغزالي في إحياء علوم الدين ١ / ٤٢-٤١ : (اعلم أن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تولاها الخلفاء الراشدون المهديون وكانوا أئمة علماء بالله تعالى فقهاء في أحكامه وكانوا مستقلين بالفتاوى في الأقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلا نادرا في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم

فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء وإلى استصحابهم في جميع أحوالهم لاستفتائهم في مجاري أحكامهم **وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول وملازمٌ صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا إذا طلبوا هربوا وأعرضوا فاضطر الخلفاء إلى الإلحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات**

فرأى أهل تلك الأعصار عز العلماء وإقبال الأئمة والولاة عليهم مع إعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلا إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فأكبوا على علم الفتاوى **وعرضوا أنفسهم على الولاة وتعرفوا إليهم وطلبوا الولايات والصِلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من أنجح والمنجح لم يخل من ذل الطلب ومهانة الابتذال فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين وبعد أن كانوا أعزة بالإعراض عن السلاطين أذلة بالإقبال عليهم إلا من وفقه الله تعالى في كل عصر من علماء دين الله**

وقد كان أكثر الإقبال في تلك الأعصار على علم الفتاوى والأقضية لشدة الحاجة إليها في الولايات والحكومات **ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها فعُلمت رغبته إلى المناظرة والمجادلة في الكلام** فأكب الناس على علم الكلام وأكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات **وزعموا أن غرضهم الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم أن غرضهم بالاشتغال بالفتاوى الدين** وتقلُّد أحكام المسلمين إشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم)اه

وقد أدى ذلك إلى انتشار المنكرات من قبل الحكام دون تجرؤ من العلماء على الإنكار بل أحيانا بإقرار منهم، قال المقبلي في العلم الشامخ ص٤٠٦: **(وسبب ذلك أن العلماء لما افترقوا في العقائد المبتدعة وزعموا أن أول قدم تصرف إليه العناية والهمة رد مخالفيهم**، وترتّب على افتراقهم تقويمُ كلٍ لعمود الشقاق وصار كلٌ منهم إنما يعتز بمن مال إليه من الأمراء والملوك على خصمة، **فصار العلماء أسراء لهم حين لم يبقوا يدا واحدة عليهم وصاروا لا يستطيع أحدهم أن ينكر منكرا ولا أن يأمر بمعروف ثم تدرجوا إلى أن صيروا المنكر معروفا وصاروا يحسنون للأمراء والملوك**

أهواءهم، وأكثرهم همته مصروفة في تقويم أهوائهم وإشاعة ذكرهم والمال معوان على ذلك، فأعدوا للعلماء شبكة محكمة واستدرجوهم ليتم لهم ما أرادوا **لذا ترى الأمير أو الملك يبدأ بإدناء علماء إليه ويبسط عليهم مما جمع من السحت**، فلا يستطيعون بعد ذلك أن يتكلموا ولربما أسند إليهم أكل تلك الأموال وأقحمهم أن يتكلموا في تحليلها)اه

وإليكم معاشر العلماء –من باب الاستطراد- هذه القصة الطريفة وذات العبرة والعظة، قال الفضل بن الربيع: (حج هارون الرشيد، فبينما أنا نائم ليلة إذ سمعت قرع الباب فقلت: من هذا؟ فقال: أجب أمير المؤمنين! فخرجت مسرعاً فإذا هو أمير المؤمنين، فقلت: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك. فقال: ويحك **قد حاك في نفسي شيء لا يخرجه إلا عالم، انظر لي رجلاً أسأله.** فقلت له: ههنا سفيان بن عيينة. قال: امض بنا إليه.

فأتيناه فقرعت عليه الباب، فقال: من هذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين! فخرج مسرعاً فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك. فقال: خذ لما جئنا له. فحادثه ساعة ثم قال: عليك دين؟ قال: نعم. فقال: يا عباس اقض دينه، ثم انصرفنا. فقال: ما أغنى عني صاحبك شيئاً، فانظر لي رجلاً أسأله.

فقلت: ههنا عبد الرزاق بن همام، فقال: امض بنا إليه، فأتيناه، فقرعت عليه الباب، فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعاً، فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك، فقال: خذ لما جئنا له، فحادثه ساعة، ثم قال له: أعليك دين؟ قال: نعم. فقال: يا عباس اقض دينه، ثم انصرفنا. فقال: ما أغنى عني صاحبك شيئاً، فانظر لي رجلاً أسأله

فقلت: ههنا الفضيل بن عياض، فقال: امض بنا إليه، فأتيناه، فإذا هو قائم يصلي في غرفته يتلو آية من كتاب الله تعالى وهو يرددها، فقرعت عليه الباب، فقال: من هذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين! فقال: ما لي ولأمير المؤمنين؟ فقلت: سبحان الله أوما عليك طاعته؟ [فقال]: أوليس قد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ليس للمؤمن أن يذل نفسه؟

فنزل ففتح الباب ثم ارتقى الغرفة فأطفأ السراج ثم التجأ إلى زاوية من زوايا الغرفة، فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كف الرشيد كفي فقال: **أواه من كف ما ألينها إن نجت غداً من عذاب الله! فقلت في نفسي: ليكلمنه الليلة بكلامٍ نقي من قلب تقي.**

فقال: خذ لما جئنا له يرحمك الله. فقال: وفيم جئت؟! حطَّبْتَ على نفسك وجميع من معك حطبوا عليك، حتى لو سألتهم عند انكشاف الغطاء عنك وعنهم أن يتحملوا عنك شقصاً من ذنب ما فعلوا، ولكان أشدهم حباً لك أشدهم هرباً منك.

ثم قال: إن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة، دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علي؛ فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة.

فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن إفطارك فيها الموت. وقال له محمد بن كعب: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أباً، وأوسطهم عندك أخاً، وأصغرهم عندك ولداً، فبر أباك وارحم أخاك وتحنن على ولدك. وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم متى شئت مت.

وإني لأقول لك هذا وأخاف عليك أشد الخوف يوم تزل فيه الأقدام فهل معك رحمك الله مثل هؤلاء القوم من يأمرك بمثل هذا؟ فبكى هارون بكاءً شديداً حتى غشي عليه فقلت له: ارفق بأمير المؤمنين! فقال: يا ابن الربيع قتلته أنت وأصحابك وأرفق به أنا؟

ثم أفاق فقال: زدني. فقال: يا أمير المؤمنين! بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكا إليه، فكتب إليه عمر: يا أخي اذكر سهر أهل النار في النار وخلود الأبد، فإن ذلك يطرد بك إلى ربك نائماً أو يقظاناً، وإياك أن تزل قدمك عن هذه السبيل فيكون آخر العهد بك ومنقطع الرجاء منك. فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم إليه، فقال عمر: ما أقدمك؟ فقال له: خلعت قلبي بكتابك، لا وليت لك ولاية أبداً حتى ألقى الله تعالى! فبكى هارون بكاء شديداً ثم قال: زدني.

فقال: يا أمير المؤمنين إن العباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاءه فقال: يا رسول الله أمرني على إمارة. فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: يا عباس يا عم النبي، نفس تحييها خير من إمارة لا تحصيها، إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل.

فبكى هارون بكاء شديداً.ثم قال: زدني يرحمك الله! فقال: يا حسن الوجه! أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل، وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لرعيتك، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من أصبح لهم غاشاً لم يرح رائحة الجنة. فبكى هارون بكاء شديداً

ثم قال: عليك دين؟ قال: نعم دين لربي لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن سألني، والويل لي إن ناقشني، والويل لي إن لم يلهمني حجتي! قال: إنما أعني دين العباد. قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، أمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره فقال تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون " إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) الذاريات: ٥٦-٥٨.

فقال له: هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقو بها على عبادة ربك. فقال: سبحان الله! أنا أدلك على سبيل النجاة، وتكافئني بمثل هذا، سلمك الله ووفقك. ثم صَمَتَ فلم يكلمنا فخرجنا من عنده، **فقال لي هارون: إذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا، هذا سيد المسلمين اليوم!**

فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت: يا هذا، أما ترى ما نحن فيه من ضيق الحال؟ فلو قبلت هذا المال لفرجت به عنا. فقال: إنما مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه، موتوا يا أهلي جوعاً ولا تذبحوا فضيلاً.

فلما سمع الرشيد ذلك قال: أدخل فعسى أن يقبل المال. قال: فدخلنا عليه، فلما علم بنا الفضيل خرج وجلس على التراب على السطح، فجلس هارون إلى جانبه فجعل يكلمه وهو لا يجيبه، فبينما نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت: يا هذا قد أذيت الشيخ هذه الليلة، فانصرف يرحمك الله! فانصرفنا.)اه

ذكر هذه القصة الطرطوشي في كتابه (سراج الملوك) في الباب الثاني: في مقامات العلماء والصالحين عند الأمراء والوزراء والسلاطين ص٢٢، وذكرها ابن حمدون في التذكرة والأبشيهي في المستطرف وغيرهم

فمتى يعي العلماء الحقيقة، ومتى يعي الحكام أن الدين ليس ألعوبة، وأن السحر -وإن طال الزمان- لا بد أن ينقلب على الساحر.. يجب أن يجعل الحكام نصب أعينهم العدل والإنصاف والرجوع إلى أهل العلم المنصفين والامتثال لقولهم ولو كان ضد سياستهم

ومتى يعي الحكام أيضا أن سياسة الإقصاء والتقريب بحسب المصالح السياسية تضرُّ بهم هم بالدرجة الأولى وفي الدنيا قبل الآخرة، فإن ذلك يسبب الفتن الداخلية والحروب الأهلية ويفتح أبوابا كثيرة من الشرور قال رشيد رضا في مقال له في مجلة المنار (ج٣٦/ص٨): **(ومما يزعزع سياسة المُلك الداخلية ويسبب تقويض أركان الدولة: كثرة الأجناس واختلاف الأديان**، ولهذا كلما كانت رعية الدولة مؤلفة من أجناس متعددة كلما صعبت قيادتها، وكانت أقرب إلى الهياج من السكينة، وإلى القلق من الراحة، فإن اختلاف الأجناس والأديان مما يؤدي إلى الاختلاف في الطباع والعادات، ومتى كانت هذه متغايرة والأخلاق متباينة جر ذلك إلى النزاع في المعاملة والتنافس في المصلحة، **ثم إن أبناء الجنس الواحد متى وجدوا بين أجناس أخرى ينبت فيهم نوع من العصبية والتآلف يحملهم على الثورة والخروج عن الطاعة لأقل سبب وأوهى حجة...**

فلابد للدولة المؤلفة من الأجناس المختلفة من أن تكون راقية أوجًا عاليًا من المدنية، وأفرادها بالغين مبلغًا عظيمًا من الكمال والهداية، حتى يمكن أن يستتب فيها نظام ويقوم لها حال؛ لأن ذلك الكمال يعرفهم أنهم باجتماعهم تحت راية واحدة أصبحوا يدًا واحدة، يهمهم المحافظة على تلك

الراية؛ لأنها هي التي تقيهم من كوارث الدهر وعوادي الأيام، **وأنهم متى كانوا يقطنون أرضًا واحدة فعلاقات المعيشة تحوجهم إلى تحسين المعاملات فيما بينهم، ويجب عليهم احترام تلـــك العلاقـــة والسعي في توطيدها حتى تدوم فيهم المعاشرة ويصل كل منهم إلى غايته ومنفعته**

وأرباب الأديان المختلفة لو رجعوا إلى أصول كل دين لرأوها متحدة، ولوجدوا أن كل دين ما نزل إلا لأمر واحد، **هو تهذيب النفس وتحسين علاقتها مع من يخالطها، فكل دين قد أتى لهذه الغايـــة، حثٌ على الفضائل وحضٌ على التوفيق بين الناس،** ولو فهمت كل طائفة حقيقة دينها لما نشأ بين الناس تباغض، ولا حدث بين أهل الأديان المختلفة تنافر، وتلك سنة الله تعالى في خلقه وهو القائل: [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً](هود:١١٨) **ولكن ضل أناس في كل دين واعتقـــدوا أن الاختلاف في الدين يوجب النفرة من غير أهله ويأمر بالتباعد عمن خالفهم فيه،** ومن هذا تخالفت العلاقات بين أرباب الأديان المختلفة، وأصبح اختلاف الدين عَلَمًا على المعاداة والتنفير، وهذا كلـــه سببه الجهل، وهو راجع إلى تقصير أنصار الدين في كل أمة فإنهم هم الملزمون بتبيان ما يصلح العقائد ويقوم الأفكار فيما يختص بالأديان)اه

هذا من جهة ومن جهة ثانية قد يكون الأمر بالعكس، أي أن بعض من ينتسب إلى العلم لقربه من الحاكم يتخذ الحاكم أداة لقمع من يخالفه في المذهب (العقدي أو الفقهي أو الحركي)، وقد يكون الأمر فيه تصفية حسابات قديمة مع بعض الخصوم، وفي هذه الحالة يكون الحاكم هو الأداة واللعبة بيد من ينتسب إلى العلم، وقد تقدمت أمثلة على ذلك عند مسألة التكفير، قال القاسمي في رســـالته في الجرح والتعديل ص٢٢: (سنة كل قوم أنسوا من أنفسهم قوة وسلطانا **أن يستعملوا لبثّ مذهبهم ونشره هيمنة الحاكم وسيطرته، ولا سيما إذا كان منهم وعلى شاكلتهم** وهو مستبد في حكمه وما يمضيه فحدث هناك ولا حرج)اه

وقال الشيخ محمد الغزالي: (وبديهي أن يتنافس أتباع المذاهب المختلفة في جعل الدولة إلى جانبـــهم **وقد حكى التاريخ أشياء مثيرة عن حماس الأتباع ومسالك ذوي السلطان ربما زاغت عن النـــهج وخدشت قيم علماء أكابر**)اه دستور الوحدة الثقافية ص١١٩

فلو كان جهد الحكام منصبا -بدل التفريق بين المذاهب الإسلامية بقصد أو بغير قصـــد- علـــى التأليف وفتح آفاق الحوار بينها وتشجيع اللقاءات وعقد المؤتمرات وإعداد الخطط لتحقيق الألفة لكان ذلك خيرا لهم في الدنيا قبل الآخرة، وقد لوحظ أن جهود التأليف بين المذاهب الإســـلامية إذا باركها الحكام وتبنوها فإنها تؤتي ثمارها سريعا، والعكس بالعكس

المسألة الخامسة: نداء إلى العلماء والدعاء والمفكرين

أيها العلماء والدعاة والمفكرون إذا كان الحكام لا يريدون أن يقوموا بهذا المشروع -مع ما فيه من خير الدنيا والآخرة لهم وللأمة- فلا بد من أن يقوم به الغيورون على الأمة من الدعاة والعلماء والمفكرين المنصفين، وإنني لأغتنم الفرصة فأدعوهم إلى أن يمضوا ويجدوا ويجتهدوا في ذلك وألا يستعظموا الأمر فالمشاريع تبدأ بأفكار.. ومسافة الألف ميل تبدأ بخطوة.. ومن سار على الدرب وصل.. وإن غدا لناظره قريب.. ولئن نصل متأخرين خير من ألا نصل.. نحاول أُلْفَاً أو نموت فنعذرا.

وأغتنم الفرصة أيضا فأقول: أرجوا ممن يطلع على هذا البحث أن يعرضه على الهيئات الشرعية والمعاهد الفكرية والمجامع الفقهية في العالم الإسلامي ومنها:

- المجمع الفقهي الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي
- مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي
- الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين
- المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
- هيئة الأبحاث والفتوى في السعودية
- هيئة الأبحاث والفتوى في الأزهر
- مجلس الإفتاء الأوروبي
- مؤتمرات الحوار بين المذاهب الإسلامية
- وغيرها من الهيئات العالمية أو المحلية

كما أرجو أن يعرض البحث على العلماء والدعاة والمفكرين والمصلحين خصوصا من عرف منهم بالتوسط والاعتدال والتجرد والإنصاف والدعوة والسعي للتأليف بين المسلمين وهم كثير ولله الحمد من كل المذاهب الإسلامية (عقدية وفقهية وحركية)

والفقير بانتظار ما يصله من تلك الهيئات وأولئك الأشخاص أو غيرهم -على بريده الالكتروني المبين في خاتمة البحث- سواء كان الواصل منهم: تأييدا ومؤازرة أم تعليقا وتصويبا أم نقدا وردا، وكل ذلك سيراعى بعين الاعتبار إن شاء الله تعالى

وما كان منهم من تأييد ومؤازرة فسينشر إن شاء الله في الطبعة القادمة، فهذه دعوة لطلبة العلم والدعاة والعلماء والمصلحين والمفكرين وغيرهم إذا كانوا مقتنعين بفكرة البحث ومؤيدين له في الجملة أن يرسلوا تأييدهم وانطباعهم إلى الفقير لينشر في طبعة قادمة، لأجل الهدف الذي يحمله البحث لا لأجل الفقير الحقير راقم البحث، فيكونون بذلك قد ساهموا في التأليف بين المسلمين، واللهُ لن ينسى لهم ذلك ولن تنساه الأمة ولن ينساه التاريخ بإذن الله

كما أرجو من دكاترة الجامعات والدعاة والخطباء أن يجعلوا مضمون هـــذا البحـــث محاضـــرة أو محاضرات لطلابهم وجمهورهم وأن ينشروا بينهم ثقافة التأليف بين المسلمين

كما أرجو ممن يستطيع نشر هذا الموضوع في المنتديات وغيرها من المواقع على الشبكة العالميـــة ألا يبخل على نفسه في ذلك، فسيجني أن شاء الله أجر ذلك في الدنيا والآخرة، وسيكون عمله -إن شاء الله- لبنة في طريق التأليف بين المسلمين

ولا مانع عند الفقير راقم البحث من طباعة البحث من قبل دور النشر أو غيرها لمن أراد توزيعه مجانا أو بيعه بسعر التكلفة فقط، أما البيع الربحي فلا بد من التواصل مع الفقير

أيها المسلمين: إن الأمة اليوم تجتث من جذورها وقد تكالب عليها الأعداء من كل حدب وصوب ورموها عن قوس واحدة وأعملوا فيها سياسة: (فرّق تسُد) ونحن وللأسف نبذل الجهود والأمـــوال والأوقات فيما يخدم هذا الغرض، مع أننا أحوج ما نكون إلى الألفة والاتحاد والتعاون وبذل الجهود والأموال والأوقات في سبيل ذلك، قال الدكتور عبد الكريم بكار: **(إن إشغال الأمة بالجزئيات وهي تجتث من جذورها خيانة كبرى لها)** اه وقبله قال الشيخ القرضاوي: **(إن من الخيانة لأمتنا اليوم أن نغرقها في بحر من الجدل حول مسائل في فروع الفقه أو على هامش العقيـــدة اختلـــف فيهـــا السابقون وتنازع فيها اللاحقون ولا أمل في أن يتفق عليها المعاصرون في حين ننسى مشـــكلات الأمة ومآسيها ومصائبها التي ربما كنّا سببا أو جزءا من السبب في وقوعها)** اه من كتابه (الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم) ص٩١

إن القلب ليعتصر ألما على ما وصل إليه حال الأمة، فبينما يُعمِل الأعداء فينا مخططاتهم نجد أهـــل الإسلام مازالوا في صراعات داخلية، وما زالوا غرقى في الجدل البيزنطي والأعداء على الأبواب، فهل نعي وندرك واجب المرحلة وما يحاك لنا وما يراد بنا وما يدبر لنا ونلتفت إلى العدو الحقيقي ونؤخر الخلافات الداخلية حتى ننتهي من العدو الأكبر؟! من قبل أن يقال: أكلت يوم أكل الثور الأسود

قد هيئوك لأمر لو فطنت له		فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

ألا هل بلغت؟.. اللهم فاشهد!!، ألا هل بلغت؟.. اللهم فاشهد!!

قال تعالى: (لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينـــهم) فنســـأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يصلح أحوال المسلمين، وأن يؤلف بين قلوبهم، وأن يجمع كلمتـــهم،

وأن يجعلنا سببا في ذلك، وأن يسدد خطانا، وأن يلهمنا رشدنا، وأن يأخذ بأيدينا لما فيه رضاه، آمين يا رب العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمـــد وآلـــه وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي

اليمن – صنعاء

٩/ جمادى الآخرة / ١٤٢٨ هـــ

تلفون سيار : ٠٠٩٦٧/٧١١٤٥٦٦٠٨

بريد إلكتروني : afattah31@hotmail.com

صفحة الفقير على الشبكة

http://www.manarahnet.net/SubPage.aspx?Page=7gE0gBlkoHMgCx0Obxc56A==&CatID=445

http://www.manarahnet.net/subPage.aspx?Page=CyHIOOVTbNeDWcOXDJVTTw==&CatID=444&SubID=%201231&co=443

التعريف بالمؤلف

الاسم: عبد الفتاح بن صالح بن محمد قديش اليافعي

محل وتاريخ الميلاد: اليمن –يافع– ١٣٩٤ من الهجرة- ١٩٧٤ من الميلاد

الحالة الاجتماعية: متزوج وأب لستة من الأولاد، أربعة أبناء وبنتين

العنوان الحالي: اليمن -صنعاء- e-mail: afattah31@hotmail.com

تلفون سيار: ٠٠٩٦٧٧١١٤٥٦٦٠٨

المؤهل الحالي: ماجستير في أصول الدين -جامعة وادي النيل-السودان

العمل الحالي: المشرف العام على مركز الخيرات (العلمي-الدعوي-الخيري-الثقافي) وإمام وخطيب مسجد الخيرات –اليمن–صنعاء–حي المطار

الأعمال التي تم شغلها:

- عضو الإفتاء بوزارة الأوقاف القطرية (الشبكة الإسلامية)
- عضو بعثة الحج القطرية للإفتاء والوعظ والإرشاد
- عضو مجلس الشرف في جامعة الإيمان –صنعاء
- عضو مجلس الشورى في جمعية الإحسان الخيرية –اليمن
- أمين عام جمعية الإحسان الخيرية –يافع
- رئيس مجلس الرقابة والتفتيش بجمعية الإحسان –يافع
- التدريس في معهد الهدى الثانوي للعلوم الشرعية -يافع
- مدير مركز الفرقان (العلمي-الدعوي) يافع
- التدريس في مركز الفرقان (العلمي-الدعوي) يافع
- التدريس في دار الحديث الخيرية بدماج –صعدة
- إقامة الدورات الصيفية العلمية –يافع
- إقامة المحاضرات والندوات والمواعظ –اليمن –قطر –السعودية-الهند
- عضو المجلس العلمي بموقع منارة الشريعة
- المشرف العام على مركز الخيرات (العلمي-الدعوي –الخيري -الثقافي) صنعاء
- إمام وخطيب مسجد الفرقان –يافع
- إمام وخطيب مسجد الهيدوس –الدوحة – قطر
- إمام وخطيب مسجد الخيرات –اليمن -صنعاء

مشايخ التلقي بحسب حروف الهجاء:

١- فضيلة الشيخ أحمد بن سعيد القدسي (أصول الحديث) (صعدة)

٢- فضيلة الشيخ إلبو ولد المصطفى الشنقيطي (الصرف) (قطر)

٣- فضيلة الشيخ صادق الكردي العراقي (أصول الفقه—النحو) (قطر)

٤- فضيلة الشيخ صالح بن محمد الأسمري (الفقه—أصول الفقه—العقيدة) (الرياض)

٥- فضيلة الشيخ عبد الرحمن مرعي العدني (الفقه— العقيدة) (عدن)

٦- فضيلة الشيخ عبد الله بن أحمد المرفدي (الفقه) (عدن)

٧- فضيلة الشيخ علي بن محمد باروريس (مقاصد الشريعة) (عدن)

٨- فضيلة الشيخ الدكتور عمر بن عبد العزيز الكردي (أصول الفقه) (قطر)

٩- فضيلة الشيخ عمر بن محمد بن حفيظ (تزكية وسلوك) (حضرموت)

١٠- فضيلة الشيخ عوض البكالي (النحو) (صعدة)

١١- فضيلة الشيخ محمد عبد العلي الباره بنكوي اللكنوي (القرآن قراءة حفص) (قطر)

١٢- فضيلة الشيخ الدكتور مصطفى محمود البنجويني (المنطق—البحث والمناظرة—البلاغة) (قطر)

١٣- فضيلة الشيخ الدكتور مصطفى ديب البغا (الفقه—قواعد الفقه) (دمشق)

١٤- فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي (الحديث—التفسير) (صعدة—رحمه الله)

١٥- وغيرهم

مشايخ الإجازة بحسب حروف الهجاء:

١- فضيلة الشيخ أبو بكر العدني بن علي المشهور (عدن)

٢- فضيلة الشيخ أحمد الدوغان الأحسائي (الأحساء)

٣- فضيلة الشيخ أحمد بن جابر جبران الضحوي ثم المكي (مكة—رحمه الله)

٤- فضيلة الشيخ أحمد بن عبد الرحمن القديمي (تهامة)

٥- فضيلة الشيخ محمد إلياس الباره بنكوي (الهند)

٦- فضيلة الشيخ الدكتور حسن بن محمد مقبول الأهدل (صنعاء)

٧- فضيلة الشيخ حمود شميلة الأهدل (تهامة)

٨- فضيلة الشيخ زين بن سميط (المدينة)

٩- فضيلة الشيخ زين العابدين الأعظمي (الهند)

١٠- فضيلة الشيخ سالم بن عبد الله الشاطري (حضرموت)
١١- فضيلة الشيخ محمد سالم القاسمي (الهند)
١٢- فضيلة الشيخ سعد العيدروس (حضرموت)
١٣- فضيلة الشيخ سعيد بالمبوري (الهند)
١٤- فضيلة الشيخ سلمان أبو غدة (جدة)
١٥- فضيلة الشيخ سلمان الحسني الندوي (الهند)
١٦- فضيلة الشيخ محمد شاهد السهارنفوري (الهند)
١٧- فضيلة الشيخ صالح بن أحمد الغرسي (تركيا)
١٨- فضيلة الشيخ صالح البيض (صنعاء)
١٩- فضيلة الشيخ صالح بن محمد الأسمري (الرياض)
٢٠- فضيلة الشيخ محمد طيب الديوبندي (الهند)
٢١- فضيلة الشيخ محمد عاقل السهارنفوري (الهند)
٢٢- فضيلة الشيخ عبد الرحمن الوشلي (تهامة)
٢٣- فضيلة الشيخ عبد الرحمن شميلة الأهدل (تهامة)
٢٤- فضيلة الشيخ عبد القادر العيدروس (كينيا)
٢٥- فضيلة الشيخ عبد الله بن أحمد الناخبي (جدة)
٢٦- فضيلة الشيخ عبد الله بن علوي بن شهاب (حضرموت)
٢٧- فضيلة الشيخ عبد الله بن عمر الأهدل (تهامة)
٢٨- فضيلة الشيخ علي الزيلعي (تهامة)
٢٩- فضيلة الشيخ علي بن محمد البطاح (تهامة)
٣٠- فضيلة الشيخ علي المشهور بن حفيظ (حضرموت)
٣١- فضيلة الشيخ علي المضوني (تهامة)
٣٢- فضيلة الشيخ على بن عبد الرحمن القديمي (تهامة)
٣٣- فضيلة الشيخ علي بن عبد الله الأهدل (مكة–رحمه الله)
٣٤- فضيلة الشيخ عمر بن حامد الجيلاني (مكة)
٣٥- فضيلة الشيخ عمر بن محمد بن حفيظ (حضرموت)
٣٦- فضيلة الشيخ قاسم بحر القديمي (صنعاء)
٣٧- فضيلة الشيخ ماجد رحمت الله (المدرسة الصولتية-مكة)
٣٨- فضيلة الشيخ مجد بن أحمد مكي (جدة)

٣٩- فضيلة الشيخ محمد بن إسماعيل العمراني (صنعاء)
٤٠- فضيلة الشيخ محمد البيض (كينيا)
٤١- فضيلة الشيخ محمد بن حسين القديمي (مكة)
٤٢- فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله آل رشيد (الرياض)
٤٣- فضيلة الشيخ الدكتور محمد طاهر القادري (باكستان)
٤٤- فضيلة الشيخ محمد عبد العلي الباره بنكوي اللكنوي (قطر)
٤٥- فضيلة الشيخ محمد عزي الأهدل الإدريسي (تهامة)
٤٦- فضيلة الشيخ محمد بن علي عجلان (صنعاء)
٤٧- فضيلة الشيخ محمد عوامة (المدينة)
٤٨- فضيلة الشيخ محمد فقيرة (تهامة)
٤٩- فضيلة الشيخ محمد نمر الخطيب (المدينة)
٥٠- فضيلة الشيخ مساعد البشير (السودان)
٥١- فضيلة الشيخ الدكتور مصطفى ديب البغا (دمشق)
٥٢- فضيلة الشيخ الدكتور نبيل بن هاشم الغمري (مكة)
٥٣- فضيلة الشيخ نعمة الله الأعظمي (الهند)
٥٤- فضيلة الشيخ نصير أحمد خان (الهند)
٥٥- فضيلة الشيخ وليد بن عبد اللطيف العرفج الأحسائي (الأحساء)
٥٦- فضيلة الشيخ يحي البحر الأهدل (تهامة)
٥٧- فضيلة الشيخ يحي بن أبي بكر الملا الأحسائي (الأحساء)
٥٨- فضيلة الشيخ الدكتور يحي بن عبد الرزاق الغوثاني (جدة)
٥٩- فضيلة الشيخ محمد يونس الجنفوري (الهند)
٦٠- وغيرهم

مشايخ المذاكرة بحسب حروف الهجاء:

١- فضيلة الشيخ الدكتور خليل ملا خاطر (المدينة)
٢- فضيلة الشيخ صادق حبنكة الميداني (دمشق)
٣- فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن حبنكة الميداني (دمشق–رحمه الله)
٤- فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله الفقيه الشنقيطي (قطر)
٥- فضيلة الشيخ عبد الله بن فيصل الأهدل (حضرموت)

٦- فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد الحاشدي (صنعاء)

٧- فضيلة الشيخ عبد المجميد الريمي (صنعاء)

٨- فضيلة الشيخ عبد المجيد الزنداني (صنعاء)

٩- فضيلة الشيخ الدكتور محمد الحسن البغا (دمشق)

١٠- فضيلة الشيخ محمد الحسن الددو (مريتانيا)

١١- فضيلة الشيخ محمد بن موسى البيضاني (صنعاء)

١٢- فضيلة الشيخ محمد كريم راجح (دمشق)

١٣- فضيلة الشيخ مطصفى بن إسماعيل أبو الحسن المصري (مأرب)

١٤- فضيلة الشيخ الدكتور مصطفى بن سعيد الخن (دمشق)

١٥- فضيلة الشيخ الدكتور يحي اليحي (المدينة)

١٦- وغيرهم

المؤلفات بحسب حروف الهجاء:

١- الأحاديث الواردة في فضائل اليمن وأهله جمع ودراسة (عجل الله بإتمامه وطبعه)

٢- البدعة الإضافية بين المجيزين والمانعين دراسة مقارنة (عجل الله بطبعه)

٣- التبرك بالصالحين بين المجيزين والمانعين دراسة مقارنة (عجل الله بطبعه)

٤- التجسيم والمجسمة وموقف السلف والأئمة منهما (عجل الله بطبعه)

٥- التعايش الإنساني والتسامح الديني في الإسلام دراسة تأصيلية (عجل الله بطبعه)

٦- تعطير الأنام بذكر من رأى ربه في المنام (عجل الله بطبعه)

٧- التمذهب وأحكامه دراسة مقارنة (بحث الماجستير—مطبوع—مؤسسة الرسالة ناشرون)

٨- التوسل بالصالحين بين المجيزين والمانعين دراسة مقارنة (عجل الله بطبعه)

٩- شد الرحل لزيارة القبر الشريف بين المجيزين والمانعين دراسة مقارنة (منشور على النت)

١٠- مقولة: ما عبدتك طمعا في جنتك ولا خوفا من نارك، بين الفهم السليم والفهم السقيم (عجل الله بطبعه)

١١- الفوات والإحصار وأحكامهما دراسة مقارنة (عجل الله بطبعه)

١٢- في الطريق إلى الألفة الإسلامية (محاولة تأصيلية ورؤية جديدة) هذا البحث

١٣- القرآن قديم أم محدث؟ في مذهب أهل الحديث والحنابلة (عجل الله بطبعه)

١٤- مجموع الفتاوي (عجل الله بطبعه)

١٥- مذكرة في مصطلح الحديث (عجل الله بطبعها)

١٦- مسائل في التصوف (عجل الله بطبعه)

١٧- المنهجية العامة في العقيدة والفقه والسلوك (مطبوع–دار الجيل-صنعاء)

١٨- وغيرها

الأبحاث والمقالات بحسب حروف الهجاء:

١- الأخذ من اللحية دراسة مقارنة (عجل الله بنشره)

٢- افتتاح خطبتي العيد بالتكبير دراسة فقهية (منشور على النت)

٣- تأدية النوافل في السفر دراسة مقارنة (عجل الله بنشره)

٤- تعليق حول اعتبار الأشاعرة والماتريدية من أهل السنة (منشور على النت)

٥- التفسير الإشاري دراسة تأصيلية (منشور على النت)

٦- التكبير الجماعي والذكر الجماعي دراسة مقارنة (منشور على النت)

٧- تكرار العمرة دراسة فقهية (منشور على النت)

٨- حكم اتخاذ السبحة والذكر بها دراسة مقارنة (منشور على النت)

٩- حكم التجسيم والمجسمة في المذاهب الأربعة دراسة فقهية مقارنة (منشور على النت)

١٠- حكم تعدد الحكام والدول الإسلامية دراسة فقهية (منشور على النت)

١١- حكم جهاد الاحتلال في المذاهب الثمانية دراسة فقهية (منشور على النت)

١٢- حكم سب الصحابة في المذاهب الأربعة (منشور على النت)

١٣- حكم قتل المدنيين في المذاهب الأربعة، دراسة فقهية (عجل الله بإتمامه ونشره)

١٤- حكم القول بخلق القرآن في المذاهب الأربعة (منشور على النت)

١٥- الحلف بغير الله دراسة مقارنة (عجل الله بنشره)

١٦- الذكر بالاسم المفرد دراسة مقارنة (منشور على النت)

١٧- رفع اليدين بالدعاء بعد المكتوبة والدعاء الجماعي دراسة مقارنة (منشور على النت)

١٨- رمي الجمار قبل الزوال دراسة مقارنة (منشور على النت)

١٩- الصلاة في مسجد فيه قبر دراسة مقارنة (عجل الله بنشره)

٢٠- صوم شهر رجب دراسة مقارنة (منشور على النت)

٢١- الضرب بالدف دراسة مقارنة (عجل الله بنشره)

٢٢- العدل بين الزوجات فيما زاد على النفقة الواجبة دراسة فقهية (عجل الله بنشره)

٢٣- العلم المرفوع (الخشوع) (عجل الله بإتمامه ونشره)

٢٤- قول صدق الله العظيم بعد التلاوة دراسة فقيهة (منشور على النت)

٢٥- قيام ليلة النصف من شعبان وليلتي العيد دراسة مقارنة (منشور على النت)

٢٦- مسح الوجه باليدين بعد الدعاء دراسة مقارنة (منشور على النت)

٢٧- نسيان القرآن بعد حفظه دراسة فقهية (منشور على النت)

٢٨- هل العمل شرط في صحة الإيمان في مذهب الحنابلة وأهل الحديث؟ (عجل الله بإتمامه ونشره)

٢٩- هل الفطرة دليل؟! دراسة تأصيلية (منشور على النت)

٣٠- وغيرها

الرحلات العلمية والدعوية:

داخل اليمن:

صنعاء– عدن – حضرموت – صعدة – الحديدة – إب – لحج – يافع – أبين – المراوعة – زبيد – بيت الفقيه – الضحي – الزيدية – مأرب – ذمار – البيضاء – تعز – حجة - وغيرها

خارج اليمن:

السعودية: (مكة–المدينة–الرياض–جدة–الأحساء) – قطر– سوريا – بنجلادش - الهند: (ديوبند-سهارنفور-دلهي-كالكتا-الميوات)- أندونيسيا – ماليزيا.. وغيرها

الفهرس